



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّجَادُدُ الْعَادِي عَشْرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (عليه السلام)

كاتب:

محمد تقى شوشترى (تسترى)

نشرت فى الطباعة:

دار بيروت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (ع): المجلد ١١
٩	اشاره
٩	الفصل الخامس و الثلاثون فى مقتله عليه السلام و وصاياه
٩	اشاره
١١	١
١٤	٢
١٧	٣
٢٤	٤
٣٢	٥
٦٤	٦
٧٢	٧
١٠٤	٨
١٢١	الفصل السادس و الثلاثون: فى الموت
١٢١	اشاره
١٢٣	١
١٣١	٢
١٤٧	٣
١٥٤	٤
٢٠٢	٥
٢٠٦	٦
٢١٥	٧
٢٢٦	٨
٢٧٦	٩

٢٩٥	١٠
٢٩٩	١١
٣١٩	١٢
٣٢١	١٣
٣٢٢	١٤
٣٢٣	١٥
٣٢٤	١٦
٣٢٤	١٧
٣٢٨	١٨
٣٣١	١٩
٣٤٢	٢٠
٣٤٤	٢١
٣٤٥	٢٢
٣٤٥	٢٣
٣٤٩	٢٤
٣٥٠	٢٥
٣٥٢	٢٦
٣٥٢	٢٧
٣٥٣	٢٨
٣٥٩	٢٩
٣٦٠	٣٠
٣٦٢	٣١
٣٦٤	٣٢
٣٧١	٣٣
٣٧٥	٣٤
٣٩٣	

۳۹۳	اشاره
۳۹۵	۱
۴۰۱	۲
۴۱۴	۳
۴۱۶	۴
۴۲۶	۵
۴۲۷	۶
۴۳۵	۷
۴۴۳	۸
۴۵۵	۹
۴۹۴	۱۱
۵۰۵	۱۲
۵۳۴	۱۳
۵۳۶	۱۴
۵۴۳	۱۵
۵۴۶	۱۶
۵۵۰	۱۷
۵۵۴	۱۸
۵۷۶	۱۹
۵۷۹	۲۰
۵۹۴	۲۱
۵۹۵	۲۲
۵۹۷	۲۳
۵۹۸	۲۴
۵۹۸	۲۵
۶۰۰	۲۶

٦٠٢	٢٧
٦٠٩	٢٨
٦١٢	٢٩
٦١٤	٣٠
٦١٩	فهرس المطالب
٦٢٤	تعريف مركز

بہج الصباغہ فی شرح نہج البلاغہ علی بن ابی طالب (ع): المجلد ۱۱

اشارہ

سرشناسہ: شوشتری ، محمد تقی ، ۱۳۷۴ - ۱۲۸۲

عنوان و نام پدید آور: بہج الصباغہ فی شرح نہج البلاغہ [علی بن ابی طالب (ع)] / المصنف محمد تقی التستری

مشخصات نشر: دار امیر کبیر للنشر - بیروت - لبنان - ۱۳۷۶.

وضعیت فہرست نویسی: فہرست نویسی قبلی

عنوان دیگر: نہج البلاغہ

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از ہجرت - ۴۰ ق. نہج البلاغہ -- نقد و تفسیر

شناسہ افزودہ: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از ہجرت - ۴۰ ق. نہج البلاغہ . شرح

ردہ بندی کنگرہ: BP۳۸/۰۲ / ش ۹

ردہ بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شمارہ کتابشناسی ملی: م ۷۲-۸۰۹

ص: ۱

الفصل الخامس و الثلاثون فی مقتله علیہ السلام و وصایاہ

اشارہ

ص: ۱

«و من كلام له عليه السلام لَمَّا خَوَّفَ من الغيله» وَ إِنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً - فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَ أَسْلَمْتَنِي - فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَ لَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ «و من كلام له عليه السلام لَمَّا خَوَّفَ من الغيله» أَى: القتل بغته، فى (الأغانى) عن جعفر بن محمد عليه السلام: حدّثنى امرأه مَنَّا قالت: رأيت الأشعث بن قيس دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فأغلظ عليه السلام له، فعرض له الأشعث بأن يفتكك به، فقال عليه السلام له: أ بالموت تهددنى؟! فوالله ما ابالى وقعت على الموت أو وقع الموت على.

و عن (جمل أبى مخنف) (١) - بعد ذكر خروجه عليه السلام إلى الزبير فى الجمل، و انكاره خبر النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و رجوعه - قال له أصحابه: تبرز إلى الزبير حاسرا

و هو شاك فى السلاح؟ قال عليه السلام: إنه ليس بقاتلى، إنما يقتلنى رجل خامل الذكر ضئيل النسب غيله فى غير ما قط حرب و لا معركة رجال، و يلّمه! أشقى البشر ليوذن أنّ أمه هبلت به، أما إنه و أحمر ثمود لمقرونان فى قرن.

قوله عليه السلام: «و إنّ علىّ من الله جنة حصينه» تقيه من الهلكه، و هى المدّه التى قدر تعالى لكلّ بشر أن يعيش فى الدنيا .

«فإذا جاء يومى» و انقضى أجلى.

«انفرجت» تلك الجنة.

«عنى» و ينبغى أن يفسر هذا العنوان بالفارسيه هكذا:

روزم كه سپرى شد هيچ سپرى جلوى شمشير تقدير را نمى گيرد، و هيچ زرهى مانع از نشان آمدن تير قضا نمى شود، و هيچ جراحى نتواند زخم قدر را بهبود بخشد...

«و أسلمتنى» إلى المهالك .

«فحينئذ لا يطيش» أى: لا يعدل.

«السهم» بل يصيب الغرض .

«و لا يبرأ الكلم» أى: الجرح فيهلك و الكلام كله: «جنته حصينه» و «انفرجت عنى و أسلمتنى» و «لا يطيش السهم و لا يبرأ الكلم» استعارات، و لا يخفى لطف موقعها.

و فى (الإرشاد) (1): لم يخرج عليه السّلام فى الليله التى قتل فى صبيحتها إلى المسجد لصلاه الليل على عادته، فقالت ابنته ام كلثوم: ما هذا الذى قد أسهرك؟ فقال: إننى مقتول لو قد أصبحت. فأتاه ابن النباح فأذنه بالصلاه، فمشى غير بعيد ثم رجع فقالت ام كلثوم: مرّ جعده فليصلّ بالناس. قال: نعم مروا جعده

ص: ٤

فليصل بالناس. ثم قال: لا مفتر من الأجل. فخرج إلى المسجد وإذا هو الرجل قد سهر ليلته كلها يرصده، فلما برد السحر نام فحرّكه عليه السلام برجله و قال له:

الصلاه. فقام إليه فضربه.

هذا، وفي السير: قال كاهن لصريم بن معشر: إنك تموت بشنيه يقال لها:

الاهه. فخرج مع ركب فضلوا الطريق ليلا فلما أصبحوا سألوا عن المكان هم فيه، فقيل لهم: هذه الاهه. فنزل أصحابه و أبي أن ينزل، و خلى ناقته ترعى فعلمت بمشقرها أفعى، فأمالت الناقه رأسها فنهشته فألقى بنفسه، و أنشأ يقول:

لعمري ما يدري امرؤ كيف يتقى إذا هو لم يجعل له الله واقيا

فطأ معرضا إن الحتوف كثيره و إنك لا تبقى لنفسك باقيا

كفى حزنا أن يرحل الركب غاديا و اترك في أعلى الاهه ثاويا

و مات مكانه فقبر هناك.

و قد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سلم بشهادته عليه السّلام: فروى (فضائل شهر رمضان الصدوق) (١) عنه عليه السلام: أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سلم لَمَّا خَاطَبَ بِخُطْبَتِهِ فِي فِضَائِلِهِ قَلَّتْ لَهُ: مَا أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ: الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ. ثُمَّ بَكَى فَقُلْتُ: مَا يَبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لَمَّا يَسْتَحِلُّ مِنْكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَأَنِّي بَكَى وَ أَنْتَ تَصَلِّي لِرَبِّكَ وَ قَدْ انْبَعَثَ أَشْقَى الْأَوْلِينَ وَ الْآخِرِينَ - شَقِيقٌ عَاقِرٌ نَاقَهُ ثَمُودٌ - فَضْرَبَكَ ضَرْبَهُ فَخَضَّبَ مِنْهَا لِحْيَتَكَ. فَقُلْتُ: وَ ذَلِكَ فِي سَلَامِهِ مِنْ دِينِي؟ فَقَالَ: فِي سَلَامِهِ مِنْ دِينِكَ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي، وَ مَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَ مَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِي، لِأَنَّكَ مَنِّي كِنَفْسِي، وَ رُوحَكَ مِنْ رُوحِي، وَ طِينَتَكَ مِنْ طِينَتِي...

و روى أنّه عليه السلام خطب في أول يوم من الشهر و قال: أيها الناس، إنّ هذا

ص: ٥

[١- ١] فضائل شهر رمضان للصدوق، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣١- ح ٥٣. [١]

الشهر شهر فضله الله على ساير الشهور، كفضلنا أهل البيت على ساير الناس -إلى أن قال- فقام إليه رجل من همدان فقال: زدنا مما حدثك به حبيبك في شهر رمضان. فقال: سمعت سيّد المرسلين و الملائكة المقرّبين يقول: إنّ سيّد الوصيين يقتل في سيّد الشهور. فقلت: و ما سيّد الشهور، و من سيّد الوصيين؟ قال: أمّا سيّد الشهور فشهر رمضان، و أمّا سيّد الوصيين فأنت.

فقلت: إنّ ذلك لكائن: قال: إي و ربي إنّه ينبعث أشقى أمّتي، شقيق عاقر ناقة ثمود، ثم يضربك ضربه على فرقك يخضب منها لحيتك. فأخذ الناس بالبكاء و النحيب، فقطع عليه السّلام خطبته و نزل، و قال المييدي:

اشتر حق كشته أشقى الأولين شير حق را كشته أشقى الآخرين

و روى (العلل) (١) عن الأصمغ: قلت لأمير المؤمنين عليه السّلام: ما منعك من الخضاب و قد اختضب النبي صلّى الله عليه و آله؟ قال: انتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسى، بعهد معهود عن حبيبي صلّى الله عليه و آله. و روى أنّه لما وقعت الضربة عليه قال عليه السّلام: هذا ما وعدنا الله و رسوله، و صدق الله و رسوله.

٢

الحكمه (٢٠١)

و قال عليه السّلام:

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ - فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلِيَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ - وَ إِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِيَّةٌ أَقُولُ: نقلناه في مقتله عليه السّلام مع عموم لفظه، لما رواه سبط ابن الجوزى سبط ابن الجوزى - كتاب سبط ابن الجوزى - عن كاتب الواقدي عن إسماعيل بن عليه عن عماره بن أبي حفصه عن أبي

ص: ٦

مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى عليّ عليه السّلام و هو يصليّ في المسجد، فقال له:

احترس فإنّ ناسا من مراد يريدون قتلك. فقال عليه السّلام: إنّ مع كلّ رجلين ملكين يحفظانه ممّا لم يقدر، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإنّ الأجل جتّه حصينه .

«إنّ مع كلّ انسان -إلى- بينه وبينه» في (صفين نصر) (١) عن أبي إسحاق قال: خرج عليّ عليه السّلام يوم صفين و في يده عنزه، فمّر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له: أما تخشى أن يغتالك أحد و أنت قرب عدوك؟ فقال له عليّ عليه السّلام: إنّه ليس من أحد إلّا عليه من الله حفظه يحفظونه من أن يتردى في قليب أو يخر عليه حائط أو يصيبه آفه، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه.

و في (توحيد ابن بابويه) (٢) عن أبي حيان التميمي قال: بينا عليّ عليه السّلام يعبئ الكتائب في صفين و معاويه مستقبله على فرس له يتأكل تحته تأكلاب و هو عليه السّلام على فرس النبي صلّى الله عليه و آله المرتجز، و بيده حربته النبي صلّى الله عليه و آله متقلدا سيفه ذا الفقار، فقال له عليه السّلام رجل من أصحابه: احترس فإنّا نخشى أن يغتالك هذا اللعين. فقال عليه السّلام: لئن قلت ذلك أنّه غير مأمون على دينه، و إنّه لأشقى القاسطين و ألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، و لكن كفى بالأجل حارسا، ليس أحد من الناس إلّا و معه ملائكة حفظه يحفظونه من أن يتردى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلّوا بينه و بين ما يصيبه، و كذلك إذا حان أجلي انبعث أشقاها فخصب هذه من هذا- و أشار إلى لحيته و رأسه- عهدا معهودا.

هذا، و في (بيان الجاحظ): وقع في الناس و باء جارف و موت ذريع، فهرب رجل على حماره، فلمّا كان في بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعا

ص: ٧

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٠. [١]

٢-٢) التوحيد لابن بابويه: ٣٦٧ ح ٥. [٢]

حيته و قال:

لن يسبق الله على حمار و لا على ذى ميعه مطار

قد يصبح الله امام السارى

و فى (حيوان الجاحظ) (١): أن طاعونا جارفا فى البصره جاء على أهل دار، فلم يشك أهل تلك المحله أنه لم يبق فيها صغير و لا كبير، و قد كان فيها صبي مرتضع و يحبو، فعمد من بقى من المطعونين من المحله فسدوا باب تلك الدار، و بعد أشهر تحوّل بعض الورثه إلى الدار ففتحها، فإذا هو بصبي يلعب مع اجراء كلب، فراعاه ذلك فلم يلبث ان أقبلت كلبه كانت لأهل الدار، فلما رآها الصبي حبا إليها فأمكنته من أطائها فمصها .

«و إنَّ الأجل جنّه حصينه» قال تعالى: «و ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا» (٢)، «يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» (٣)، «لا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» (٤).

و فى (التوحيد) (٥): أن قنبرا كان يحبه عليه السلام حتى ا شديدا، فإذا خرج خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال له: مالك؟ قال: جئت لأمشى خلفك. قال: ويحك! أمن أهل السماء تحرسنى، أم من أهل الأرض؟ فقال:

من أهل الأرض. فقال: إنَّ أهل الأرض لا يستطيعون لى شيئا إلا بإذن الله

ص: ٨

١- ١) الحيوان للجاحظ ١٥٥: ٢. [١]

٢- ٢) آل عمران: ١٤٥. [٢]

٣- ٣) آل عمران: ١٥٤. [٣]

٤- ٤) آل عمران: ١٥٦. [٤]

٥- ٥) التوحيد: ٣٣٨ ح ٧.

من السماء فارجع. فرجع.

أيضا روى: أنه عليه السلام جلس إلى حائط مائل يقضى بين الناس، فقال بعضهم له عليه السلام: لا تفعد جنب هذا الحائط فإنه معور. فقال عليه السلام: حرس امرئ أجله. و لما قام عليه السلام سقط، و كان عليه السلام ممّا يفعل هذا و أشباهه. (١)

و روى: أن الحسين عليه السلام دخل على معاوية فقال له: ما حمل أباك على أن قتل أهل البصره ضحى، ثم دار عشيا فى طرفهم فى ثوبين؟ فقال عليه السلام: علمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه (٢).

و روى (التوحيد): أنه قيل له عليه السلام-لما أراد قتال الخوارج-: لو أحرزت.

فقال:

أى يومى من الموت أفر يوم ما قدر ام يوم قدر

يوم لم يقدر لم أخش الردى و إذا قدر لم يغن الحذر (٣)

٣

الخطبه (٦٨)

و قال عليه السلام فى سحره اليوم الذى ضرب فيه:

مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَ أَنَا جِيسٌ - فَسَيَخ لِي؟ رَسُولَ اللَّهِ ص؟ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ - مَيَا ذَا لَقِيْتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَ اللَّدِّ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ - فَقُلْتُ أَبَدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ - وَ أَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي «قال الشريف: يعنى بالأود: الاعوجاج، و باللدد: الخصام، و هذا من أفصح الكلام» .

ص: ٩

[١- ١] التوحيد: ٣٦٩ ح ٨. [١]

[٢- ٢] التوحيد: ٣٧٤ ح ١٩. [٢]

[٣- ٣] المصدر نفسه. [٣]

قول المصنف : «و قال عليه السّلام» هكذا في جميع النسخ، مع أنّ هذا دأبه في الباب الثالث، و أمّا الأول فأنّما يقول تاره: «و من خطبه له عليه السّلام» و اخرى: «و من كلام له عليه السّلام».

«في سحره» بالضم، و في (الجمهره): السحره و السحر واحد، اليوم الذي ضرب فيه. و في (مروج المسعودي) (١): أنّه عليه السّلام ضرب بالليل.

و كيف كان، فروى العنوان بطرق مختلفه، ففي (خلفاء ابن قتيبه-الخلفاء-ص ١٦٠ ابن قتيبه) (٢) روى عن الحسن عليه السّلام قال: أتيت أبي فقال لي: أرقت الليله ثم ما ملكتنى عيني، فسنح لي رسول الله صلّى الله عليه و آله فقلت: ما ذا لقيت من امتك من الأود و اللدد. فقال: ادع عليهم. فقلت: اللهم أبدلني بهم خيرا لي منهم، و أبدلهم بي شرّا لهم مني. ثم خرج إلى الصلاه فاعترضه ابن ملجم.

و في (إرشاد المفيد) (٣) روى عمّار الدهنّي عن أبي صالح الحنفّي قال:

سمعت عليّا عليه السّلام يقول: رأيت النبيّ صلّى الله عليه و آله في منامي، فشكوت إليه ما لقيت من امّته من الأود و اللدد و بكيت، فقال: لا تبكي يا عليّ و التفت. فالتفت فإذا رجلا ن مصفّدان و إذا جلاميد ترضخ بهما رؤوسهما. قال: فغدوت إليه من الغد- كما كنت أغدو إليه في كلّ يوم- حتى إذا كنت في الجزارين لقيت الناس يقولون:

قتل أمير المؤمنين.

و في (صفين نصر) (٤) عن الأعمش عن ابراهيم التيميّ عن الحرث بن سعيد عن عليّ عليه السّلام قال: رأيت النبيّ صلّى الله عليه و آله في النوم، فشكوت إليه ما لقيت من امّته من الأود و اللدد. فقال: انظر. فإذا عمرو بن العاص و معاويه معلقين

ص: ١٠

١-١) المروج للمسعودي ٤٢٤:٢.

٢-٢) الخلفاء لابن قتيبه: ١٦٠.

٣-٣) الإرشاد للمفيد ١٥:١. [١]

٤-٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٨. [٢]

و فى (عقد ابن عبد ربه) (١) قال الحسن عليه السلام- صبيحه التى قتل فيها على عليه السلام-: حدثنى أبى البارحه فى هذا المسجد فقال: يا بنى إبنى صليت البارحه ما رزق الله ثم نمت نومه، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفه أصحابى، وقله رغبتهم فى الجهاد، فقال لى: ادع الله أن يريحك منهم. فدعوت الله. و قال الحسن عليه السلام صبيحه تلك الليله: أيها الناس إنّه قتل فيكم الليله رجل كان النبى صلى الله عليه وآله يبعثه فيكتفه جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، فلا يثنى حتى يفتح الله تعالى له، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم.

و فى (الأغانى -الأغانى -) بأسانيد عن أبى عبد الرحمن السلمى عن الحسن عليه السلام:

خرجت أنا و أبى نصلّى فى هذا المسجد، فقال: يا بنى إبنى بت الليله اوقظ أهلى لأنّها ليله الجمعة صبيحه قدر تسع عشره ليله خلت من شهر رمضان، فملكتنى عيناي فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: ما ذا لقيت من امتك من الأود و اللدد. فقال لى: ادع عليهم. فقلت: اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم، و أبدلهم بى من هو شرّ لهم منى. و جاء ابن النباح فأذنه بالصلاه فخرج، و خرجت خلفه فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته فى الطاق، و أما الآخر فأثبتها فى رأسه.

و أما مقتله عليه السلام فى (كامل المبرد) (٢): لما قتل على عليه السلام أهل النهروان كان بالكوفه زهاء ألفين من الخوارج، ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب و قوم ممن استأمن إلى أبى أيوب، فتجمعوا و أمروا عليهم رجلا و هم بالنخيله، فدعاهم و رفق بهم فأبوا، فعاودهم فأبوا، فخرجت طائفه منهم نحو مكه فوجّه

١-١) العقد لابن عبد ربه ١٩٥:٣. [١]

٢-٢) الكامل للمبرد ١٦٥:٢. [٢]

معاويه من يقيم للناس حجّهم، فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاويه، فوجه بسر بن أرطاه-أحد بنى عامر بن لؤى-فتوافقوا و تراضوا بعد الحرب، بأن يصلّى بالناس رجل من بنى شيبه لثلاثا يفوت الناس الحجّ، فلما انقضى قالت الخوارج: إن عليا و معاويه قد أفسدا أمر الأمّة، فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى حقّه. و قال رجل من أشجع: ما عمرو دونهما، وإنّه لأصل هذا الفساد. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أقتل عليا. فقالوا: وكيف به؟ قال: اغتاله. فقال الحجاج بن عبد الله الصريمى-و هو البرك-: أنا أقتل معاويه. و قال زادويه-مولى بنى العنبر بن عمرو بن تميم-: و أنا أقتل عمرا. فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم فى ليله واحده، فجعلوا تلك الليله ليله إحدى و عشرين من شهر رمضان، فخرج كل واحد منهم إلى ناحيه، فأتى ابن ملجم الكوفه فأخفى نفسه، و تزوّج امرأه يقال لها: قطام بنت علقمه-من تيم الرباب-و كانت ترى رأى الخوارج.

و الأحاديث تختلف و إنّما يؤثر صحيحها، و فى بعضها: أنّها قالت: لا أفنع منك إلا بصدّاق اسميه لك، و هو ثلاثه آلاف درهم و عبد و أمه و أن تقتل عليا. فقال لها: لك ما سألت، فكيف لى به؟ قالت: تروم ذلك غيله، و فى ذلك يقول:

ثلاثه آلاف و عبد و قينه و ضرب على بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من على و إن غلا و لا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

و ذكروا أنّ القاصد لمعاويه: يزيد بن ملجم، و إلى عمرو: آخر من بنى ملجم، و أنّ أباهم نهاهم فلما عصوه قال: استعدوا للموت. و أن أمهم حضتهم على ذلك و الخبر الصحيح ما ذكرت أول.

فأقام ابن ملجم فيقال: إنّ قطام لامته و قالت: ألا تمضى لِمَا قصدت؟ لشدّ ما أحببت أهلك! قال: إننى وعدت صاحبى وقتا بعينه. و كان هنالك رجل

من أشجع يقال له: شبيب، فواطأه عبد الرحمن.

و يروى أنّ الأشعث نظر إلى عبد الرحمن متقلدا سيفاً في بني كنده، فقال له: أرني سيفك. فأراه فرأى سيفاً جديداً، فقال: ما تقلدك السيف و ليس بأوان حرب؟ فقال: أردت أن أنحر به جزور القرية. فركب الأشعث بغلته و أتى علياً عليه السلام فخره و قال له: قد عرفت بساله ابن ملجم و فتكه. فقال: ما قتلني بعد فخلوا عنه.

و يروى أنّ علياً عليه السلام كان يخطب مرّه و يذكر أصحابه و ابن ملجم تلقاء المنبر، فسمع و هو يقول: لأريحنهم منك. فلما انصرف عليّ عليه السلام إلى بيته أتى به ملبياً فأشرف عليهم فقال: ما تريدون؟ فخبروه بما سمعوا، فقال عليه السلام: ما قتلني بعد فخلوا عنه.

و يروى أنّ علياً عليه السلام كان يتمثل إذا رآه بيت عمرو بن معد يكرب في قيس بن مكشوح - و اسم المكشوح هبيرة، ضرب على كشحه فسُمي مكشوحاً -:

اريد جباهه و يريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

فينتقى من ذلك حتى أكثر، عليه فقال له المرادى: إن قضى شيء كان.

فقيل لعلي عليه السلام: كأنك قد عرفته و عرفت ما يريد بك، أفلا تقتله؟ فقال: كيف أقتل قاتلي؟! فلما كان ليله إحدى و عشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم و شبيب الأشجعي فاعتورا الباب الذي يدخل منه عليّ عليه السلام - و كان مغلساً و يوقظ الناس للصلاه فخرج كما كان يفعل، فضربه شبيب فأخطأه و أصاب سيفه الباب، و ضربه ابن ملجم على صلعتة، فقال عليّ عليه السلام: فزت و ربّ الكعبه شأنكم بالرجل.

فيروى أنّ بعض من كان بالمسجد من الأنصار قال: سمعت كلمه عليّ عليه السلام و رأيت بريق السيف، فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه، فأفرجوا له و تلقاه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفه فرمى بها عليه، و احتمله فضرب به الأرض - و كان ايدا- فقعد على صدره، و أما شيب فانتزع السيف منه رجل من حضر موت و صرعه و قعد على صدره، و كثر الناس فجعلوا يصيحون: عليكم صاحب السيف، فخاف الحضرمي أن يكتبوا عليه و لا يسمعوا عذره، فرمى بالسيف و انسل شيب بالناس.

و يروى أنّ ابن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث، و أنّ حجر بن عدى سمع الأشعث يقول له: فضحكك الصبح. فلما قالوا: قتل أمير المؤمنين عليه السلام، قال حجر للأشعث: أنت قتلته يا أعور.

و يروى أنّ الذي سمع ذاك أخو الأشعث -عفيف بن قيس- و أنّه قال لأخيه: عن أمرك كان هذا يا أعور.

قوله عليه السلام :

«ملكنتى عينى» أى: غلبتني فحصل لى النوم.

«و أنا جالس فسنح» أى: ظهر لى.

«رسول الله صلّى الله عليه و آله فقلت: يا رسول الله ما ذا لقيت من امتك من الأود و اللدد» و كما شكّا إليه عليه السلام فى ليله قتله، شكّا إليه صلّى الله عليه و آله عند دفن زوجته سيده النساء، فقال له -بعد السلام عليه-: و ستنبئك ابتكك بتظافر امتك على هضمها، فأحفظها السؤال و استخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بئته سبيلا، و ستقول: و يحكم الله «و هو خير الحاكمين» (١) - إلى أن قال - و لو لا غلبه المسئولين لجعلت المقام و اللبث لزاما معكوفاً، و لأعولت احوال الثكلى

ص: ١٤

على جليل الرزیه، فبعین الله تدفن ابنتک سرّاً، و تهضم حقّها و تمنع ارثها، و لم يتباعد العهد و لم یخلق منک الذکر، و إلى الله یا رسول الله المشتکی، و فیک یا رسول الله أحسن العزاء...

و كذلك شکا الحسین علیه السلام إلى جدّه لَمَّا دعوه إلى بیعه یزید علی ما روى محمّد بن أبی طالب الموسوی فقال: خرج فی اللیل إلى قبر جدّه فقال: السلام علیک یا رسول الله، أنا الحسین بن فاطمه فرحک و سبطک الذی خلّفتنی فی امتک، فاشهد علیهم إنهم قد خذلونی و ضیعونی و لم یحفظونی، و هذه شکوای إلیک حتی ألقاک. إلى آخر ما ذکر .

«فقال: ادع علیهم. فقلت: أبدلنی الله بهم خیرا» هكذا فی (المصريه) (١) و لكن فی (ابن میثم (٢) و الخطیه): «خیرا لی».

«منهم، و أبدلهم بی شرّاً لهم منی» هو کفوله تعالی: «فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَیْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَیْكُمْ» (٣) «و جزاء سیئته سیئته مثلها» (٤).

و فی (عکبریه المفید) (٥) فی جواب أبی لیث الحاجب عن هذه الجملة سأل علیه السلام التخلیه بین الأشرار من خلقه و بین القوم الظالمین عقوبه لهم و امتهاناً، و سأله أيضا أن لا- یعصمهم من فتنه الظالمین بما قدّمت أيديهم، ممّا يستحقون به من العذاب المہین.

و نظیر ذلك قوله تعالی: «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَیْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

ص: ١٥

١- ١) الطبعه المصريه ١:١١٤.

٢- ٢) شرح ابن میثم ٢:١٩١. [١]

٣- ٣) البقره: ١٩٤. [٢]

٤- ٤) الشوری: ٤٠. [٣]

٥- ٥) العکبریه للمفید: ٣٧.

«مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» (١)، وقوله تعالى: «أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا» (٢) ولم يرد بذلك البعثه التي هي الرسل ولا الأمر بذلك، وإنما أراد التخليه و التمكين و ترك الحيلولة بينهم و بين المذكورين، و هذا بين.

قول المصنف: «يعنى بالأود: الأوجاج، و بالدد: الخصام، و هذا من أفصح الكلام» ليس في (ابن ميثم) (٣) قول المصنف رأساً، و لعله سقط من النسخه.

٤

من الخطبه (١٨٠)

ثم نادى بأعلى صوته:

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ - الْآ - وَ إِنِّي مُعَشِّبِكُمْ فِي يَوْمِي هَذَا - فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيُخْرِجْ «قال نوف: و عقد للحسين عليه السلام في عشره آلاف، و لقيس بن سعد رحمه الله في عشره آلاف، و لأبي أيوب الأنصاري في عشره آلاف، و لغيرهم على أعداد اخر، و هو يريد الرجعه إلى صفين، فما دارت الجمعه حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان».

«ثم نادى بأعلى صوته: الجهاد الجهاد عباد الله» في (الكافي) (٤) عن الصادق عليه السلام سئل: هل الجهاد سنه أو فريضه؟ فقال عليه السلام: الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، و جهاد سنه لا يقام إلا مع الفرض، و جهاد سنه، فأما

ص: ١٦

١-١ (١) الأعراف: ١٦٧. [١]

٢-٢ (٢) مريم: ٨٣. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ١٩١: ٢.

٤-٤ (٤) الكافي ٩: ٥ ح ١. [٣]

أحد الفرضين فمجاهده الرجل نفسه عن المعاصى و هو من أعظم الجهاد، و مجاهده الذين يلونكم من الكفار، و أمّا الجهاد الذى هو سنّه لا يقام إلاّ مع فرض فإنّ مجاهده العدوّ فرض على جميع الامّة، و لو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب و هذا هو من عذاب الامّة، و هو سنّه على الإمام وحده أن يأتى العدو مع الامّة فيجاهدهم، و جهاد السنه: كلّ سنه أقامها الرجل و جاهد فى إقامتها ...

«ألا و إنى معسكر» بكسر الكاف.

«فى يومى هذا، فمن أراد الرواح» أى: الذهاب.

«إلى الله» بالجهاد فى سبيله.

«فليخرج» إلى المعسكر .

«قال نوف» هو راوى الخطبه الذى قال فى أولها: خطبنا علىّ عليه السلام بهذه الخطبه و هو قائم على حجاره نصبها له جعده بن هبيرة المخزومى، و عليه مدرعه من صوف، و حمائل سيفه ليف، و فى رجليه نعلان من ليف، و كأنّ جبينه ثفنه بعير.

«و عقد للحسين عليه السلام فى عشره آلاف» فى (نسب قريش مصعب الزبيرى): ولد الحسين لخمس ليال خلون من شعبان سنه أربع، و قتل يوم عاشوراء سنه (٦١) قتله سنان بن أنس النخعى، و أجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى من حمير و حزّ رأسه و أتى به عبيد الله -سأل عراقى ابن عمر عن دم البعوض، فقال: انظروا هذا يسألنى عن دم البعوض و قد قتلوا ابن رسول الله صلّى الله عليه و آله و قد سمعته صلّى الله عليه و آله يقول: الحسن و الحسين هما ريحانتي من الدنيا؟! - و حجّ عليه السلام خمسا و عشرين حجّه ماشيا .

«و لقيس بن سعد رحمه الله فى عشره آلاف» فى (المروج) (١): كان قيس من

ص: ١٧

الزهد و الديانه و الميل إلى عليّ عليه السلام بالموضع العظيم، و بلغ من خوفه لله و طاعته أنه كان يصلّي فلما أهوى للسجود إذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطّوق، فمال عن الثعبان برأسه و سجد إلى جانبه، فتطوق الثعبان برقبته، فلم يقصر من صلاته و لا نقص منها شيئاً حتى فرغ فرمى به.

و في (الطبري) (١) لمّا عزله عليّ عليه السلام عن مصر جاءه حسيان -و كان عثمانياً- شامتا به فقال له: نزعك عليّ و قد قتلت عثمان، فبقى عليك الإثم و لم يحسن لك الشكر. فقال له قيس: يا أعمى القلب و البصر! لو لا أن القى بين رهطى و رهطك حرباً لضربت عنقك.

و في (الإستيعاب) (٢): كان له ديون كثيرة على الناس فمرض و استبطأ عوّاده، فقبل له: إنهم يستحيون من أجل دينك. فأقام منادياً ينادى: من كان لقيس عليه دين فهو له. فأتاه الناس حتى هدموا درجه كانوا يصعدون عليها إليه.

و فيه (٣): لمّا بويع أبو بكر خرج أبوه إلى الشام و لم يبايع، و قسم ماله بين أولاده ثم توفي عن حمل لم يعلم به، فكلم أبو بكر و عمر قيساً حتى ينقض قسمه أبيه، فقال: نصيبى للمولود و لا اغتير قسمه أبى.

و في (المقاتل): لمّا تمّ الصلح بين الحسن عليه السلام و معاوية أرسل إلى قيس يدعوه إلى البيعه، فاتى به -و كان رجلاً طويلاً يركب الفرس المشرف و رجلاه تخطان فى الأرض، و ما فى وجهه طاقه شعر، و كان يسمّى خصى الأنصار - فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إنى قد حلفت ألا ألقاه إلا بينى و بينه الرمح أو

ص: ١٨

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٤:٥٥٥. [١]

٢-٢ (٢) الاستيعاب ٣:٢٣١. [٢]

٣-٣ (٣) الاستيعاب ٣:٢٣٠. [٣]

السيف. فأمر معاوية برمح أو سيف فوضع بينه وبينه ليبر يمينه.

و في خبر: أنّ معاوية أكبّ على قيس حتى مسح يده على يد قيس، و ما رفع قيس يده إليه.

و في (الاستيعاب) (١): كان أحد دهاة العرب و أهل الرأي و المكيده في الحروب، مع النجده و البساله و الشجاعه و الكرم، و كان شريف قوم غير مدافع - هو و أبوه و جدّه - و لم يفارق عليًا عليه السلام حتى قتل (٢).

«و لأبى أيوب الأنصاري» و اسمه خالد بن زيد، في (الطبري) (٣) قال ربيعة بن عثمان: جاء سعد القرظ المؤذن إلى عليّ عليه السلام أول يوم حصر فيه عثمان، فقال: من يصلّي بالناس؟ فقال: ناد خالد بن زيد. فنأدى فصلّي بالناس، فإنّه أول يوم عرف أنّ أبا أيوب خالد بن زيد، فكان يصلّي بهم أياما ثم صلّى عليّ عليه السلام بعد ذلك.

و في (صفين ابن ديزيل) عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب فنزل ضيعتنا يعلف خيلا له، فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع سيفك هذا مع النبيّ صلّى الله عليه و آله ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله أمرني بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين، فقد قاتلت الناكثين و القاسطين، و أنا مقاتل إن شاء الله بالسعفات بالطرقات بالنهروانات، و ما أدري أين هي؟ و في (الاستيعاب) (٤): و عليه نزل النبيّ صلّى الله عليه و آله حين قدم المدينة حتى بنى مسجده و بنى مساكنه. آخى صلّى الله عليه و آله بينه و بين مصعب بن عمير. قال: نزل النبيّ صلّى الله عليه و آله في بيتنا الأسفل، و كنت في الغرفه فاهريق ماء في الغرفه، فقامت أنا

ص: ١٩

[١-١] الاستيعاب ٣:٢٢٥. [١]

[٢-٢] الاستيعاب ٣:٢٢٦. [٢]

[٣-٣] تاريخ الطبري ٤:٤٢٣. [٣]

[٤-٤] الاستيعاب ١:٤٠٣. [٤]

و ام أيوب بقطيفه نتبع الماء شفقه أن يخلص إلى النبي صَلَّى الله عليه و آله منه شىء، و نزلت إليه صَلَّى الله عليه و آله و أنا مشفق و قلت: ليس ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفه. مات بالقسطنطينيه زمن معاويه سنه (٥٠) أو (٥١) أو (٥٢) و هو الأكثر.

«فى عشره آلاف» هكذا فى (المصريه (١) و ابن أبى الحديد) (٢) و ليس كله فى (ابن ميثم) (٣).

«و لغيرهم على اعداد اخر، و هو يريد الرجعه إلى صفين» لقتال معاويه .

«فما دارت الجمعته» بعد خطبته تلك و جعله معسكرا.

«حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله» قالوا: كان فى الإسلام ضربتان لم تكن ضربه أيمن من أولاهما، و هى ضربته عليه السلام عمرا يوم الخندق- التى قال فيها النبي صَلَّى الله عليه و آله: أفضل من عباده الثقلين - و أشأم من اخراهما و هى ضربه ابن ملجم له عليه السلام. فما رأى الناس من بعده عليه السلام عدلا و لا يرونه حتى يظهر القائم عليه السلام.

و فى (تاريخ يعقوبى) (٤): قدم ابن ملجم الكوفه لعشر بقين من شعبان سنه أربعين، فلما بلغ عليا عليه السلام قدومه قال: «أوقد وافى؟ أما إنّه ما بقى على غيره، هذا أوانه» فنزل على الأشعث فأقام عنده شهرا يستحد سيفه.

و فى (المناقب) قال ابن عباس: كان ابن ملجم من ولد قيذار- عاقر ناقه صالح- و قصّتهما واحده، لأنّ قيذار عشق امرأه يقال لها: رباب، كما عشق ابن ملجم لقطام، و سمع منه يقول لآخر: لأضربنّ عليا بسيفى هذا. فذهب به إليه عليه السلام، فقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الرحمن بن ملجم. قال: نشدتك بالله عن

ص: ٢٠

١- (١) الطبعة المصريه ١٣٢: ٢.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٠: ١٠. [١]

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٣٩٢: ٣.

٤- (٤) تاريخ يعقوبى ٢١٢: ٢. [٢]

شئ تخبرني؟ قال: نعم. قال: هل مرّ عليك شيخ يتوكأ على عصاه و أنت في الباب، فمشقك بعصاه ثم قال: بؤسا لك أشقى من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم.

قال: هل كان الصبيان يسمونك ابن راعيه الكلاب و أنت تلعب معهم؟ قال: نعم.

قال: هل أخبرتك أمك أنّها حملت بك و هي طامث؟ قال: نعم. قال: فبايع. فبايع، ثم قال: خلوه.

و في (الإرشاد) (١): روى أبو زيد الأجلح عن الأجلح قال: سمعت أشياخ كنده أكثر من عشرين مرّه يقولون: سمعنا عليا عليه السلام على المنبر يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضبها بدم؟ و يضع يده على لحيته.

و فيه (٢): ذكر عبد الله بن محمّد الأزدي قال: إنني لاصلى تلك الليله في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر، كانوا يصلون في ذلك الشهر من أوله إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال قريبا من السده، و خرج عليه السلام لصلاه الفجر فأخذ ينادى الصلاه الصلاه: فما أدرى أنادى، أم رأيت بريق السيوف؟ و سمعته عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجل. فاذا هو مضروب.

و رواه أبو الفرج (٣)، و في خبره: أم رأيت بريق سيف ثم رأيت بريق سيف آخر.

و في (الإرشاد) (٤): كان عليه السلام خرج يوقظ الناس لصلاه الصبح ليله تسع عشره، و قد كان قصده ابن ملجم في أول الليل، فلما مرّ به و هو متماكر بإظهار النوم في جملة النيام ثار إليه فضربه على امّ رأسه بالسيف، فمكث عليه السلام إلى نحو الثلث الأول ليله إحدى و عشرين، و قد كان عليه السلام يعلم ذلك قبل أوانه

ص: ٢١

١-١ (١) الإرشاد ١: ١٣. [١]

٢-٢ (٢) إرشاد المفيد ١: ٢٠. [٢]

٣-٣ (٣) المقاتل لأبي الفرج الإرشاد: ٢١.

٤-٤ (٤) ١: ٩.

و يخبر به الناس قبل زمانه، وتولّى غسله و تكفينه و دفنه الحسنان عليهما السلام بأمره، و حملاه إلى الغرى من نجف الكوفة و عفا موضع قبره بوصيته، لما كان عليه السلام يعلمه من دوله بنى اميه بعده، ثم دلّ عليه الصادق عليه السلام فى الدوله العباسيه، و زاره عند وروده إلى أبى جعفر و هو بالحيره، فعرفته الشيعة و استأنفوا إذ ذاك زيارته، و كان سنّه عليه السلام ثلاثا و ستين سنه.

و روى عباد بن يعقوب الرواجنى عن حيان الغزى عن مولى لعلّى عليه السلام، قال: لما حضرته الوفاه قال للحسين: إذا أنا متّ فاحملانى على سريرى ثم أخرجانى، و احملا مؤخر السرير فإنكما تكفيان مقدمه، ثم اثيابى الغريين فإنكما ستريان صخره بيضاء تلمع نورا، فاحتفرا فيها فإنكما تجدان فيها ساجه فادفنانى فيها- إلى أن قال- فاحتفرا فإذا ساجه مكتوب عليها هذا ممّا أدخرها نوح لعلّى بن أبى طالب عليه السلام.

و روى محمّد بن زكريا عن عبد الله بن محمّد عن أبى عايشه عن عبد الله بن حازم، قال: خرجنا يوما مع الرشيد من الكوفه نتصيّد، فصرنا إلى ناحيه الغريين و الثويه، فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقور و الكلاب، فحاولتها ساعه ثم لجأت الظباء إلى أكمه فوقف عليها فسقطت الصقور ناحيه و رجعت الكلاب، فعجب الرشيد من ذلك، ثم إنّ الظباء هبطت من الأكمه فهبطت الصقور و الكلاب عليها، فرجعت الظباء إلى الأكمه فتراجعت عنها الصقور و الكلاب -فعلت ذلك ثلاثا- فقال الرشيد: اركضوا فمن لقيتموه فأتونى به. فأتيناه بشيخ من بنى أسد، فقال له: أخبرنى ما هذه الأكمه؟ قال: إن جعلت لى الأمان.

قال: لك عهد الله و ميثاقه. قال: حدّثنى أبى عن آباءه أنّهم كانوا يقولون: إنّ فى هذه الأكمه قبر علىّ عليه السلام جعله الله حرما، لا يأوى إليه شيء إلا آمن .

«فكنا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كلّ مكان» فى (مقاتل

أبى الفرج (١): كتب معاويه بعد مقتله عليه السلام إلى عمّاله نسخه واحده: إن الله بلطفه و حسن صنيعه أتاح لعلّى رجلا فاغتاله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، و قد جاءنا كتب أشرفهم و قادتهم، يلتمسون الأمان لأنفسهم و عشائرهم.

و فى (الطبرى) (٢): قال أبو الأسود الدؤلى فى رثائه عليه السلام:

ألا أبلغ معاويه بن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا

أفى شهر الصيّام فجعتمونا بخير الناس طرّا أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا و رحّلها و من ركب السفينا

و من لبس النعال و من حذاها و من قرأ المثنى و المئينا

إذا استقبلت وجه أبى حسين رأيت البدر راع الناظرينا

لقد علمت قريش حيث كانت بأنّك خيرها حسبا و دينا

و فى (المقاتل) (٣): قالت أمّ الهيثم النخعيه فى رثائه عليه السلام:

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ألا تبكى أمير المؤمنين

و كنّا قبل مقتله بخير نرى مولى رسول الله فينا

يقيم الدين لا يرتاب فيه و يقضى بالفرائض مستبينا

و يدعو للجماعه من عصاه و ينهك قطع أيدى السارقينا

و ليس بكاتم علما لديه و لم يخلق من المتجبرينا

لعمر أبى لقد أصحاب مصر على طول الصحابه أوجعونا

و غرّونا بأنّهم عكوف و ليس كذاك فعل العاكفينا

ص: ٢٣

١-١) المقاتل لأبى الفرج: ٣٨.

٢-٢) تاريخ الطبرى ١٥٠: ٥. [١]

٣-٣) المقاتل لأبى الفرج: ٢٧.

كَانَ النَّاسُ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا نِعَامَ جَالٍ فِي بَلَدِ سِنِينَا

وَلَوْ أَنَا سَلْنَا الْمَالَ فِيهِ بَدَلْنَا الْمَالَ فِيهِ وَالْبِنِينَا

أَشَابَ ذُوَابِي وَاطَالَ حَزَنِي إِمَامِهِ حِينَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا

هَذَا وَابْنِ بَقِيلِهِ:

فَصَرْنَا بَعْدَ هَلَاكِ أَبِي قَبِيْسٍ كَجَرَبِ الْمَعْزِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

٥

الخطبه (١٤٦)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ مَوْتِهِ:

أَيُّهَا النَّاسُ - كُلُّ أَمْرِي لَاقِيَ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ - وَالْأَجَلَ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرْبُ مِنْهُ مُوَفَاتُهُ - كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أُبْحَثُهَا عَنْ مَكُونٍ
هَذَا الْأَمْرِ - فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ عِلْمٍ مَحْزُونٍ - أَمَا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا - وَمُحَمَّدًا ص؟ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ - أَقِيمُوا
هَيْدِينَ الْعُمُودِينَ - وَأَوْقِدُوا هَيْدِينَ الْمِضِيِّينَ - وَخَلَاكُمْ ذَمًّا مِمَّا لَمْ تَشْرُدُوا - حُمِّلْ كُفْلَ أَمْرِي مِنْكُمْ مَجْهُودَةً - وَخُفِّفْ عَنِ
الْجَهْلَةِ - رَبُّ رَحِيمٌ وَدِينٌ قَوِيمٌ وَإِمَامٌ عَلِيمٌ - أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ - وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ - غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلكُمْ -
إِنْ تَثَبَّتِ الْوُطَاهُ فِي هَيْدِهِ الْمَرْزَلِ فَذَاكَ - وَإِنْ تَدَحَّضَ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَعْصَانٍ - وَمَهَبَّ رِيَّاحٍ وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ - اضْمَحَلَّ
فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا - وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمُ بَدَنِي أَيَّامًا - وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءً - سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَائِكِ
وَصِيَامَتَهُ بَعِيدَ نُطْقِي - لِيُعْظَكُمُ هَيْدُؤِي وَخُفْسُوتُ إِطْرَاقِي وَسِيكُونُ أَطْرَاقِي - فَإِنَّهُ أَوْعِظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ الْبَلِيغِ - وَالْقَسُولِ
الْمَشْمُوعِ - وَدَاعِيكُمْ وَدَاعِ أَمْرِي مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي - غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي -

ص: ٢٤

وَ تَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي وَ قِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي أَقُول: رواه (الكافي الكليني-الكافي-باب الإِشارة و النصّ على الحسن عليه السلام، ج ١ ص ٢٩٩ ح ٦) (١) في باب الإِشارة و النصّ على الحسن عليه السلام، رواه عن إبراهيم الأحمري مرفوعاً و عن الحسين الحسنّي مرفوعاً: لَمَّا ضَرَبَ أمير المؤمنين عليه السلام حَفَّ بِه العَوَاد و قيل له: أوص. فقال: اثنوا ليّ الوساد. ثم قال:

الحمد لله حقّ قدره متّبعين أمره، أحمده كما أحب، و لا إله إلاّ الله الواحد الأحد الصمد كما انتصب، أيها الناس كلّ امرئ لاق في فراره ما منه يفر، و الأجل مساق النفس إليه، و الهرب منه موافاته، كم أطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله تعالى إلاّ إخفاءه، هيهات! علم مكنون مخزون، أما وصيتي:

فلا- تشركوا بالله شيئاً، و محمّداً فلا- تضيّعوا سنّته أقيموا هذين العمودين، و أوقدوا هذين المصباحين، و خلا- كم ذمّ ما لم تشردوا، حمل كلّ امرئ منكم مجهوده، و خفف عن الجهله ربّ رحيم، و إمام عليهم، و دين قويم، أنا بالأمس صاحبكم، و اليوم عبره لكم، و غدا مفارقكم، إن ثبت الوطأه في هذه المزله فذاك المراد، و إن تدحض القدم فإننا كنّا في أفياء أغصان، و ذرى رياح، و تحت ظلّ غمامه اضمحل في الجو ملتفّقها، و عفا في الأرض مخطّها، و إنّما كنت جارا جاوركم بدني أياما، و ستعقبون منّي جثّه خلاء ساكنه بعد حركه، و كاظمه بعد نطق، ليعظكم هدوى و خفوت إطراقى و سكون أطرافى، فإنّه أوعظ لكم من الناطق البليغ، و دعتكم وداع امرئ مرصد للتلاقي، غدا ترون أيامى و يكشف الله تعالى عن سرائرى، و تعرفونى بعد خلو مكانى و قيام غيرى مقامى، إن أبق فأنا وليّ دمي، و إن افن فالفناء ميعادى، العفو لى قربه و لكم حسنه، فاعفوا و اصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله تعالى لكم؟ فيا لها حسره على كلّ ذى غفله، أن يكون عمره عليه حجّه، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوه!

ص: ٢٥

جعلنا الله وإياكم ممن لا يقصر به عن طاعة الله تعالى رغبه، أو يحل به بعد الموت نغمه، فإننا نحن له و به. ثم أقبل على الحسن عليه السلام فقال: يا بني ضربه مكان ضربه، ولا تأثم.

و رواه (مروج المسعودي-مروج الذهب-باب لمع من كلامه عليه السلام ج ٢ ص ٤٣٦ المسعودي) (١) في باب لمع من كلامه عليه السلام فقال: ذكر جماعه من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه أنّ عليّاً عليه السلام قال في صبيحه الليله التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم-بعد حمد الله و الثناء عليه و الصلاه على رسوله عليه السلام:-كلّ امرئ ملاقيه ما يفتر منه، و الأجل تستاق النفس إليه، و الهرب منه موافاته، كم أطردت الأريام أتحنينها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله عزّ و جلّ إلاّ اخفاه، هيئات! علم مكنون، أمّا وصيتي: فلا تشركوا به شيئاً، و محمّد فلا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، حمل كلّ امرئ منكم مجهوده، و خفف عن الجهله ربّ رحيم، و دين قويم و إمام عليهم، كنّا في اعصار و ذرى رياح، تحت ظلّ غمامه اضمحل راكمها فخطها من الأرض-إلى أن قال-ليعضكم هدوى و خفوت أطرافى، إنّه أوعظ لكم من نطق البليغ، و دعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق، و غدا ترون و يكشف عن ساق، عليكم السلام إلى يوم المرام، كنت بالأمس صاحبكم، و اليوم عظه لكم، و غدا افارقكم، إن أفق فأنا وليّ دمي، و ان أمت فالقيامه ميعادى، و العفو أقرب للتقوى «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٢) و نقل عن (اثباته) أيضاً.

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام قبل موته» لَمَّا حَفَّ بِهِ الْعَوَادُ وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْصُ - كما عرفته من خبر (الكافي) - فقال عليه السلام: اثنوا لى و ساده

ص: ٢٤

[١- ١] المروج للمسعودي ٤٣٦: ٢. [١]

[٢- ٢] النور: ٢٢. [٢]

ففعّلوا. و في صبيحه ليله ضربه، كما عرفته من المسعودى.

قوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ» «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ» (١) و في سورة الجمعة «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ» (٢).

«و الأجل مساق النفس» فكلّ نفس تنتفسّ خطوه إلى الموت .

«و الهرب منه موافاته» في (تفسير القمى) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «و رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» (٣): كان لملك منزله أهبطه الله فأتى إدريس فشفع له، فصلّى ثلاث ليالٍ لا- يفتر و صام ثلاثة أيام لا- يفطر، ثم طلب إلى الله في السحر له فأذن له في الصعود، فقال الملك: أحبّ أن اكافيك بحاجه لك. قال:

احب أن ترينى ملك الموت لعلّى أنس به، فليس يهنأنى مع ذكره شىء. فبسط جناحيه و صعده فاستقبل ملك الموت بين السماء الرابعة و الخامسة، فقال لملك الموت: أراك قاطباً؟ قال: أتعجب، كنت تحت ظل العرش حتى امرت أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة و الخامسة! فسمع إدريس بذلك فانتفض، و قبض روحه مكانه.

و في السير: كان أبو مسلم يتجنّب الروم لأنّه سمع أنّ قتله في الروم، فذهب إلى روميه المدائن فقتله المنصور ثمه.

و كان المأمون سمع أنّ موته في الرقه، فكان يتجنّب المقام برقه العراق، و لمّا غزا الروم و وصل إلى موضع مرض، فسأل عن اسمه فقالوا:

الرقه. فتيقن أنّه موضع موته.

ص: ٢٧

[١- ١] الأحزاب: ١٦. [١]

[٢- ٢] الجمعة: ٨. [٢]

[٣- ٣] مريم: ٥٧. [٣]

«كم أطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله إلا إخفاءه» قال ابن أبي الحديد (1): مراده عليه السلام أن تفصيل موته كان عنده غير معلوم. و اعترض عليه الخوئي بما رواه هو عنه عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء في ما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئه تهدي مائه و تضل مائه إلا أنبأتكم بناعقها، وقائدها و سائقها و مناخ ركابها و حط رحالها، و من يقتل من أهلها قتلا و من يموت منهم موتا».

و بما رواه (الكافي) (2) في باب: «إن الأئمة يعلمون متى يموتون» عن الحسن ابن جهم قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام عرف قاتله و الليله التي يقتل فيها، و قوله عليه السلام لَمَّا سمع صياح الأوز في الدار: «صوائح تتبعها نوائح» و قول امّ كلثوم: «لو صلّيت الليله داخل الدار و أمرت غيرك يصلّي بالناس» فأبى عليها، و كثر دخوله و خروجه تلك الليله بلا سلاح و قد عرف أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف، كان هذا ممّا لا يحسن تعرّضه. فقال عليه السلام:

ذلك كان و لكنه عليه السلام خير - (خ ل) حين في تلك الليله لتمضي مقادير الله عز و جل.

قلت: الخبر لا ينافي الكلام، فإنّ المراد من الخبر أنّ الله تعالى أخفى تفصيل الأمر عليه عليه السلام لتمضي مقاديره، و يعقوب وجد ربح يوسف من مسافه بعيده لَمَّا أراد الله تعالى وصله به، و لم يره في بئر خارج بلده لَمَّا أراد الله تعالى فصله عنه.

و يشهد أيضا له ما رواه الصفار في (بصائره) (3) عن إبراهيم بن أبي

ص: ٢٨

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٠. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ١: ٢٥٩-٤. [٢]

٣-٣ (٣) البصائر للصفار: ٥٠١ ح ٣. [٣]

محمود، قال قلت للرضا عليه السلام: الامام يعلم متى يموت؟ قال: نعم. قلت: أبوك حيشما بعث إليه يحيى بن خالد برطب وريحان مسمومين علم به؟ قال: نعم.

قلت: فأكله و هو يعلم فيكون معيناً على نفسه. فقال: يعلم قبل ذلك ليتقدم في ما يحتاج إليه، فإذا جاء الوقت ألقى الله على قلبه النسيان ليقضى فيه الحكم.

و رواه في خبر آخر وفيه: أنساه لينفذ فيه الحكم.

و روى الكشي (١) في عبد الله بن طاوس عنه عن الرضا عليه السلام في خبر، قال: قلت له: إن يحيى بن خالد سم أباك. قال: نعم، سمّه في ثلاثين رطبه. قلت:

فما كان يعلم أنّها مسمومه؟ قال: غاب عنه المحدث قلت: و من المحدث؟ قال:

ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع النبي و هو مع الأئمة، و ليس كلما طلب وجد.

و قال المفيد في (المسائل العكبرية): القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام يعلم قاتله و الوقت الذي كان يقتل فيه، فقد جاء الخبر متظاهراً أنّه كان يعلم في الجملة أنّه مقتول، و جاء أيضاً بأنّه يعلم قاتله على التفصيل، فأمرًا علمه بوقت قتله فلم يأت أثر على التحصيل، و لو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنه المعترضون، إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله تعالى بالصبر على الشهادة و الاستسلام للقتل، ليلغى بذلك علو الدرجات ما لا يبلغه إلا به، بأنّه يطيعه في ذلك طاعه لو كلفها سواه لم يردّها، و لا يكون عليه السلام بذلك ملقياً بيده إلى التهلكة، و لا معيناً على نفسه معونه تستقبح في العقول.

و قال الجزري في (اسده) (٢) - بعد ذكر روايه أنّه عليه السلام كان ليله عند الحسن عليه السلام و ليله عند الحسين و ليله عند عبد الله بن جعفر لإفطاره، و لا يزيد

ص: ٢٩

١- (١) الكشي: ٦٠٤ ح ١٢٣.

٢- (٢) الاسد للجزري ٣٥: ٤-٣٦.

على ثلاث لقم و يقول: «إنما هي ليله أو ليلتان يأتي أمر الله و أنا خميص».

و روايه صحيحه الأوز و طردهم لهم في تلك الليله، و قوله عليه السلام: «دعوهن فانهن نوائح»- و هذا يدل على أنه عليه السلام علم السنه و الشهر و الليله التي يقتل فيها.

و روى (تسيه البكري) على أو هام القالي عن العباس بن ميمون عن سليمان ابن داود عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان، قال: قال ابن سيرين:

ان كان يعلم أحد متى أجله فإن علي بن أبي طالب كان يعلم متى أجله. و قال العباس: فحدثت به ابن عايشه فقال: أنت تعلم يا بن أخي أنه قاتل يوم الجمل فلم يتكلم، و يوم صفين فلم يتكلم، و لقد لقي ليله الهير ما لقي فلم يتخوف و لم ينطق بشيء، فلما رجع إلى الكوفه- بعد قتله الخوارج- قال: ألا ينبعث أشقاها ليخضبن هذه من هذه؟ و بالجمله إخباره عليه السلام بكون ابن ملجم قاتله متواتر، كإخبار النبي صلى الله عليه و آله له بذلك، و من إخباره صلى الله عليه و آله له بذلك في غزوه العشيره، ففي (الطبري) (1) عن عمار في خبر قال: نمنا في تلك الغزوه تحت صور من النخل في دقعاء من التراب، فما أيقظنا إلا النبي صلى الله عليه و آله أتانا و قد تتربنا في ذلك التراب، فحررك علينا عليه السلام برجله و قال له: قم أبا تراب ألا اخبرك بأشقى الناس؟ أحمر ثمود عاقر الناقه و الذي يضربك على هذا- يعني قرنه- فتخضب هذه- و أخذ بلحيته- منها.

و مقتضى الجمع بين الأخبار ما في خبر الصفار .

«هيهات علم مخزون» الظاهر كونه إشارة إلى قوله تعالى: «و ما تدري نفس بأي أرض تموت» (2).

ص: ٣٠

١- ١) تاريخ الطبري لقمان ١٤: ٢. [١]

٢- ٢) ٣٤.

«أَمَا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (١).

و سئل الباقر عليه السلام عن أدنى ما يكون به العبد مشركا به، فقال: من قال للنواه: إنها حصاه و للحصاه هي نواه ثم دان به.

و قال الصادق عليه السلام: لو أن قوما عبدوا الله تعالى و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و حجّوا البيت و صاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله تعالى أو نبيه: ألا صنع بخلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين. ثم تلا: «فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ» ... «وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (٢).

«و محمّدا صلّى الله عليه و آله فلا- تضيّعوا سنته» قال النبی صلّى الله عليه و آله: ليختلجن قوم من أصحابي دوني و أنا على الحوض، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فانادى: يا رب أصحابي أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

و في (الكافي) (٣) عن الصادق عليه السلام: ما نعلم حجبا لله غير المتعه، إننا إذا لقينا ربنا قلنا: ربنا عملنا بكتابك و سنّه نبيك. و يقول القوم: عملنا برأينا.

فيجعلنا الله و إياهم حيث يشاء .

«أقيموا هذين العمودين» للدين .

«و أوقدوا هذين المصباحين» للإسلام، إشاره إلى أنّ المله الإسلاميه منحصره في التزام كتاب الله تعالى و سنّه نبيّه فقط، دون سنّه الشيخين كما يقول المخالفون. و كان عليه السلام يقول ذلك أيام حياته حتى ترك حقه عليه السلام إتماما

ص: ٣١

[١- ١] النساء: ٤٨. [١]

[٢- ٢] النساء: ٦٥. [٢]

[٣- ٣] الكافي ٢٩١: ٤ ح [٣]

للحجّة على بطلان سنتهما و عدم كونهما على الحقّ.

ففى (الطبرى) (١)-فى الشورى:-قال ابن عوف لعلىّ عليه السلام:عليك عهد الله و ميثاقه لتعملن بكتاب الله و سنّه رسوله و سيره الخليفين من بعده.

فقال عليه السلام:أرجو أن أعمل بمبلغ علمى.و دعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلىّ عليه السلام،قال:نعم.فبايعه،فقال علىّ عليه السلام:حيوته حيوته،ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم علينا،فصبر جميل.

و فى (الطبرى) (٢)أيضا-فى قصّه الخوارج:-و لما خرجوا من الكوفه أتى عليّا عليه السلام أصحابه و شيعته فبايعوه و قالوا:نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت.فشرط لهم فيه سنّه النبىّ صلّى الله عليه و آله فجاءه ربيعه بن أبى شداد الخثعميّ-و كان شهد معه الجمل و صفّين و معه رايه خثعم-فقال عليه السلام:بايع علىّ كتاب الله و سنّه رسوله.فقال ربيعه:علىّ سنّه أبى بكر و عمر.فقال له علىّ:ويلك لو أنّ ابا بكر و عمر عملا- بغير كتاب الله و سنّه رسوله لم يكونا علىّ شىء من الحق.فبايعه فنظر إليه علىّ عليه السلام و قال له:أما و الله لكأنى بك و قد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت،و كأنى بك و قد وطئتك الخيل بحوافرها.فقتل يوم النهروان مع خوارج البصره.

و كذلك عترته،ففى (مقاتل أبى الفرج) (٣):أنّ معاويه أمر الحسن عليه السلام لمّا سلم الأمر إليه أن يخطب و ظنّ أنّه سيحصر،فقال عليه السلام فى خطبته:

إنّما الخليفة من سار بكتاب الله و سنّه نبّيه،و ليس الخليفة من سار بالجور، ذلك ملك ملكا يتمتع فيه قليلا ثم تنقطع لذّته و تبقى تبعته «وَ إِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ»

ص:٣٢

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٢٣٣:٤. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٧٦:٥. [٢]

٣-٣ (٣) المقاتل لأبى الفرج:٤٧.

«فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» (١).

و في (الطبري) (٢): و في سنة (٤٠) بويح للحسن بالخلافه و قيل: إنَّ أوَّل من بايعه قيس بن سعد بن عباده و قال له: ابسط يدك ابايعك على كتاب الله و قتال المحلين. فقال له الحسن عليه السلام: على كتاب الله و سنَّه نبيِّه صلى الله عليه و آله فإنَّ ذلك يأتي من وراء كلِّ شرط. فبايعه و سكت و بايعه الحسن عليه السلام.

هذا، و أمَّا ولايته عليه السلام و امامته فمن أعظم أركان كتاب الله و سنَّه نبيِّه، قال تعالى: «إِنَّمَا وَكَّلْنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» (٣) و قد اجمع أنه عليه السلام هو الذي أقام الصلاة و آتى الزكاة راكمًا.

و قال النبيُّ صلى الله عليه و آله - في المتواتر بعد أن قرر الناس على أنه أولى بهم من أنفسهم - من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.

و في (عيون ابن بابويه) (٤) مسندا عن إسحاق بن راهويه و هو من علماء العامة، روى عنه مسلم و البخاري و روى عنه من أقرانه أحمد بن حنبل، قال:

لمَّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور، و أراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله، ترحل عنَّا و لا تحدِّثنا بحديث نستفيده منك؟ و كان قعد في العمارية فأطلع رأسه و قال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمَّد يقول: سمعت أبي محمَّد بن عليّ يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت

ص: ٣٣

[١-١] (١) الأنبياء: ١١١. [١]

[٢-٢] (٢) تاريخ الطبري ١٥٨: ٥. [٢]

[٣-٣] (٣) المائدة: ٥٥. [٣]

[٤-٤] (٤) العيون لابن بابويه ١٣٤: ٢ ح ٤. [٤]

النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله يقول: سمعت الله عز و جل يقول: «لا إله إلا الله حصني و من دخل حصني أمن من عذابي». قال: فلما مرت الراحله نادانا: بشروطها و أنا من شروطها .

«و خلا-كم ذم» مثل أول من قاله قصير حين أراد الاحتيال على الزباء لطلب ثأر جذيمه الأبرش منها، فقال لابن اخته عمرو بن عدى: اجدع أنفى و اضرب ظهري و دعنى و إياها. فقال له عمرو و ما أنا بفاعل ذلك، و لست أنت مستحقا لذلك: فقال له قصير: (خلّ عني إذن و خلاك ذم).

ذكر ذلك الطبرى (١) و الكرمانى قال: فذهبت مثلاً. و قال ابن ميثم (٢): قال قصير لعمرو: «اطلب الأمر و خلاكم ذم» و هو كما ترى.

«ما لم تشردوا» يقال: شرد البعير، إذا نفر. و المراد لا يحلّ بساحتكم ذم ما لم تتفرّقوا عن أهل بيت نبيكم.

روى أبو الفرج فى (مقاتله) (٣) بأسانيد عن سفيان بن الليل قال: أتيت الحسن عليه السلام حين بايع معاويه و قلت له: بأبى أنت و أمى، أذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعه، و سلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكله الأكباد و معك مائه ألف كلهم يموت دونك، و قد جمع الله لك أمر الناس. فقال: يا سفيان إنّنا أهل البيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، و إنى سمعت أبى يقول: سمعت النبي يقول: لا- تذهب الليالى و الأيام حتى تجتمع أمر هذه الامّة على رجل، واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل و لا يشبع، و لا ينظر الله إليه و لا يموت حتى لا يكون له فى السماء ناصر و فى الأرض عاذر. و إنّه لمعاويه و إنى عرفت

ص: ٣٤

١-١ (١) تاريخ الطبرى ١: ٦٢٣. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم ٣: ٢١٠.

٣-٣ (٣) المقاتل لأبى الفرج: ٤٤.

«إِنَّ اللَّهَ بِأَلْبَعِ أَمْرِهِ» (١). ثم قال: ما جاء بك يا سفيان؟ قلت: حبكم و الذي بعث محمدا بالهدى و دين الحق. قال: فأبشر يا سفيان، فإنني سمعت عليا عليه السلام يقول:

سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «يرد علي الحوض أهل بيتي و من أحبهم من امتي كهاتين-يعنى: السبابة و الوسطى-أحدهما تفضل على الاخرى» أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر و الفاجر، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد .

«حمل كل امرئ منكم مجهوده» «لا يكلف الله نفساً إلا وُسْعَهَا» (٢).

«و خفف عن الجهله» فعنهم عليهم السلام: يغفر للجاهل سبعين زلّة قبل أن يغفر للعالم زلّة. و يحتمل أن يكون المراد بالجهله فى كلامه ضعفه العقول، و فى الخبر: أن الله تعالى إنما يداق العباد على قدر ما آتاهم من العقول .

«رب رحيم» «و لا تفتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً» (٣)، «يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر» (٤).

«و دين قويم» «قل إننى هدانى ربى إلى صراطٍ مستقيمٍ ديناً قيمياً مله إبراهيم حنيفاً» (٥)، «و ما جعل عليكم فى الدين من حرجٍ» (٦).

«و إمام عليم» فى (مقاتل أبى الفرج) (٧): استأذن صعصعه عليه عليه السلام عائداً، فقال للاذن قل له عليه السلام: لقد كان الله فى صدرك عظيماً، و لقد كنت بذات الله عليماً. فأبلغه عليه السلام الاذن مقاتله، فقال عليه السلام قل له: و أنت كنت خفيف

ص: ٣٥

١-١ (١) الطلاق: ٣. [١]

٢-٢ (٢) البقره: ٢٨٦. [٢]

٣-٣ (٣) النساء: ٢٩. [٣]

٤-٤ (٤) البقره: ١٨٥. [٤]

٥-٥ (٥) الأنعام: ١٦١. [٥]

٦-٦ (٦) الحج: ٧٨. [٦]

٧-٧ (٧) المقاتل لأبى الفرج: ٢٢-٢٣.

المؤنه، كثير المعونه.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله - كما روى الخطيب وغيره -: أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها - و كما روى ابن عساكر وغيره -:

عليّ عيبه علمي. وقال سلمان الفارسي له صَلَّى اللهُ عليه وآله - كما روى الطبراني في معجمه الكبير -: يا رسول الله، لكل نبي وصي فمن وصيكي؟ فسكت عنه فلمّا كان بعد رآه قال: يا سلمان. فأسرع إليه فقال: لبيك. قال له: تعلم من وصي موسى؟ قال: نعم، يوشع. قال له: لم؟ قال: لأنّه كان أعلمهم يومئذ. فقال له: فإنّ وصيي و موضع سرّي و خير من أترك بعدى، ينجز عدّتي و يقضى ديني: عليّ بن أبي طالب.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله له - كما روى الكنجي الشافعي -: ليهنك العلم يا أبا الحسن! لقد شربت العلم شرابا و نهلتة نهلا. و قال ابن مسعود - كما روى أيضا -: انزل القرآن على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ و له ظهر و بطن، و إنّ عليّا عليه السلام عنده علم الظاهر منه و الباطن.

و روى أيضا عن أبي الطفيل قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليس من آيه إلاّ و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم جبل.

و كان عليه السلام يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا أعلم بطرق السماء من طرق الأرض، و لو ثبت لي الوساده لحكمت بين أهل التوراه بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينطق كلّ منها و يقول: حكم عليّ عليه السلام فيّ كما أنزل الله تعالى.

ثم العجب من إخواننا! كيف رجّحوا الامام الجهول - الذي لمّا أفحمته امرأه في أنفها فطس في صف النساء، لمّا أوعد عليّ الزيادة على مهر السنه

بقوله تعالى: «وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا» (١) قال: «ألا تعجبون من امرأه أصابت و إمام أخطأ»-على ذلك الإمام العليم؟ كيف خالفوا فطره العقول؟... «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٢) «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (٣).

كما أنّ العجب منهم! كيف تولوا تلك المرأة التي شمتت بموت هذا الامام و سجدت شكرا لقتله، و مدحت قاتله أشقى الآخريين؟ روى أبو الفرج في (مقاتله) (٤) عن إسماعيل بن راشد في اسناده قال: لَمَّا أَتَى عَائِشَةَ نَعَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمَثَّلَتْ:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَ اسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَىٰ كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من بنى مراد. فقالت:

فإن يك نائيا فلقد بغاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت ام سلمه: ألعلي عليه السلام تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني. ثم تمثلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق و كثره الألقاب

حتى تركت كأن قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب

و رواه الطبري (٥) مسندا عن أبي البختری قال: لَمَّا أَنْ جَاءَ عَائِشَةَ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَجَدَتْ.

ص: ٣٧

١-١ (١) النساء: ٢٠. [١]

٢-٢ (٢) يونس: ٣٥. [٢]

٣-٣ (٣) الزمر: ٩. [٣]

٤-٤ (٤) المقاتل لأبي الفرج: ٢٦.

٥-٥ (٥) تاريخ الطبري ١٥٠: ٥.

قلت: يقال لها: إذا نسيت جميع أقوال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ إِلَى احْتِضَارِهِ، كَيْفَ نَسِيتَ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِ: «اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ وَالِاهِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهِ» فَإِنْ كَانَ أَنْسَاهَا ضَعْفٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا، كَيْفَ نَسِيَهُ إِخْوَانَنَا، وَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَوَلَّى مِنْ عَادَاهِ اللَّهُ بِمَقْتَضَى مَعَادَاتِهَا لَهُ، وَ دَعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيَّ مَعَادِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ «أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ» وَ سُلْطَانِكُمْ .

«و اليوم عبره لكم» بما نزلني بي .

«و غدا مفارقكم» بالموت، و في (وصايا أبي حاتم السجستاني):

و أخبرونا لَمَّا غَيَّبَ الْحَسَنُ أَبَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَعِدَ الْمَنْبِرَ يَرِيدُ الْكَلَامَ فَخَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ، قَالَ رَجُلٌ: فَرَأَيْتَهُ كَذَلِكَ وَ أَنَا فِي أَصْلِ الْمَنْبِرِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَ كُنْتُ أَنْزَرُ النَّاسَ دَمْعَهُ مَا أَقْدَرُ أَنْ أَبْكِي مِنْ شَيْءٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ الْكَلَامَ تَخَنَّقَهُ الْعَبْرَةُ صَرَّتْ بَعْدَ مِنْ أَغْزَرَ النَّاسَ دَمْعَهُ، مَا أَشَاءُ أَنْ أَبْكِي مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِكَيْتٍ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْطَلَقَ - قَلْتُ: أَي لِسَانِهِ - فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، نَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ مَصَابِنَا بِأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا لَنْ نَصَابَ مِثْلَهُ أَبَدًا، وَ نَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ مَصَابِنَا بِخَيْرِ الْأَبَاءِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَا إِنِّي لَا أَقُولُ فِيهِ الْغَدَاةَ إِلَّا حَقًّا، لَقَدْ أَصِيبَتْ بِهِ الْبِلَادُ وَ الْعِبَادُ وَ الشَّجَرُ وَ الدُّوَابُّ، فَرَحِمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَ عَذَّبَ قَاتِلَهُ.

هذا، و في (تاريخ بغداد) (١): لَمَّا احْتَضَرَ الْوَاتِقُ جَعَلَ يَرُدُّ هَذِينَ الْبَيْتِينَ:

الموت فيه جميع الخلق مشترك لا سوقه يبقى بينهم ولا ملك

ما ضر أهل قليل في تفاقهم و ليس يغنى عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت، و ألصق خدّه بالأرض و جعل يقول: يا من

ص: ٣٨

لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

و فيه: قال محمّد الوائقي: كنت أحد من مَرَض الوائقي في علته إذ لحقته غشيه فما شككنا أنه قد مات، فقال بعضنا لبعض: تقدّموا فاعرفوا خبره. فما جسر أحد منهم يتقدّم فتقدّمت، فلمّا صرت عند رأسه و أردت أن أضع يدي على أنفه اعتبر نفسه لحقته إفاقه ففتح عينيه، فكادت أموت فرعا من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي، فراجعت إلى خلف و تعلّقت قبّعه سيفي بعتبه المجلس و عثرت به، فاتكأت عليه فاندق و كاد أن يدخل في لحمي و يجرحني، ثم خرجت فلبست منطقه اخرى و سيفا، و جئت حتى وقفت في مرتبتي ساعه، فتلّف الوائقي تلفا لم نشك فيه، فتقدّمت فشددت لحيه و غمضته و سجيته و وجهته إلى القبلة، و جاء الفراشون فأخذوا ما تحته ليردّوه إلى الخزان، لأنّ جميعه مثبت عليهم، و ترك وحده في البيت، و قال لى ابن أبى داود القاضى: إنا نريد أن نتشاعل بعقد البيعه، و لا- بد أن يكون أحدنا يحفظ الميت إلى أن يدفن، فاحبّ أن تكون ذلك الرجل. و كنت من أخصهم به في حياته، و ذلك أنّه اصطنعنى و اختصنى حتى لقبنى الوائقي باسمه، فقلت:

دعونى و امضوا. فرددت باب المجلس و جلست في الصحن عند الباب احفظه، و كان المجلس في بستان عظيم أجربه و هو بين بساتين، فحسست بعد ساعه في البيت بحركه أفرعتنى، فدخلت أنظر ما هي؟ فإذا بجردون من دوابّ البستان قد جاء حتى استلّ عين الوائقي فأكلها، فقلت: لا إله إلاّ الله، العين التي فتحتها منذ ساعه فاندق سيفي هيبه لها صارت طعمه لدابه ضعيفه! و في (تاريخ الجزرى) في وقايح سنه (٤٦٥): في أوّل هذه السنه قصد ألب أرسلان ما وراء النهر، فعقد على جيحون جسرا و عبر عليه في نيف و عشرين يوما، و عسكره يزيد على مائتى ألف فارس، فأتاه أصحابه

بمستحفظ قلعه يعرف بيوسف الخوارزمي و حمل إلى قرب سريره مع غلامين، فتقدم أن تضرب له أربعه أوتاد و شدّ أطرافه إليها، فقال يوسف، يا مخنث، مثلي يقتل هذه القتلته؟ فغضب ألب أرسلان و أخذ القوس و النشاب و قال للغلامين: خلياها. و رماه بسهم فأخطأه- و كان لا يخطى سهمه- فوثب يوسف يريده و السلطان على سده، فلما رأى يوسف يقصده قام عن السده و نزل عنها، فعرش فوق علي وجهه فبرك عليه يوسف و ضربه بسكين كانت معه في خاصرته، و كان سعد الدوله واقفا فجرحه أيضا جراحات، فقال السلطان لَمَّا جرح: ما من وجه قصدته و عدوّ أردته إلا- استعنت بالله عليه، و لَمَّا كان أمس صعدت على تلّ فارجت الأرض تحتى من عظم الجيش و كثره العسكر فقلت فى نفسى: «أنا ملك الدنيا و ما يقدر أحد على» فعجزنى الله بأضعف خلقه. مات فى العاشر من ربيع الأول فى تلك السنه، و كان اتسع ملكه جدّا و دان له العالم، و بحق قيل له: سلطان العالم .

«غفر الله لى و لكم» هكذا فى (المصريه (1) و ابن أبى الحديد (2) و لكن فى (ابن ميثم) (3) هذا الكلام قبل: «أنا بالأمس صاحبكم» .

«إن ثبتت» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (ثبتت) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«الوطأه» أى: موضع القدم.

«فى هذه المزلّه» -بفتح الزاى و كسرها-: موضع الزلل. جعل عليه السلام الدنيا مزلّه حيث لا ثبات لقدم الإنسان فيها، و هو فيها فى كلّ ساعه مظنه للوقوع

ص: ٤٠

١-١) الطبعة المصريه ٢:٤٥.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٩:١١٦.

٣-٣) شرح ابن ميثم ٣:٢٠٨. [١]

و السقوط فيها من آفاتها و مصيبتها، و أتى عليه السلام للثبوت فيها ب(إن) الموضوعه للشك، حيث إن ثبوت القدم في المنزل أمر مشكوك.

«فذاك» و زاد في نسخه ابن ميثم: «المراد».

«و إن تدحض» أي: تزلق.

«القدم» من موضع الحياه إلى محلّ الممات فلا بعد.

«فإنّا كنّا في أفياء» جمع فيء، و عن ربه: كلّما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء و ظلّ، و ما لم تكن عليه الشمس فهو ظلّ. و الأصل في الفيء:

الرجوع، فالظلّ يرجع من جانب إلى جانب.

«أغصان» مثل لعدم ثبات الدنيا، فإذا استظلّ الإنسان بغصن لم يطل الزمان حتى ينسخه الشمس بحركتها.

«و مهبّ» و في (ابن ميثم (1) و الخطيه): «و مهاب».

«رياح» مثل آخر لعدم الاعتبار بالحياه الدنيا، فكما أنّ نارا أو شمعها كانت في محلّ هبوب الرياح تذهب بها، كذلك حياه الإنسان في مقابل رياح حوادث الدهر، و لنعم ما قيل بالفارسيه:

این سیل متفق بکند روزی این درخت و این باد مختلف بکشد روزی این چراغ.

«و تحت ظلّ غمام» أي: سحاب .

«اضمحل في الجوّ» و الجو: ما بين السماء و الأرض.

«متلفقها» الشقق المنضمّه من الغمام بعضها إلى بعض .

«و عفا» أي: اندرس.

«في الأرض مخطها» موضع خطها. و قوله عليه السلام: و تحت ظلّ غمام...

ص: ٤١

أراها و إن كانت تحب فإنها سحابه صيف عن قليل تقشع

و قال ابن الدهان: ما الإنسان في دنياه إلا كبارقه تلوح، نفسه نفس توالى، و مدته مدى، و الروح ریح.

و قال بعضهم: إقبال الدنيا كالمامه ضيف، أو سحابه صيف، أو زياره طيف.

و في (الحليه): مات أخ لصله بن أشيم و هو في بيته يطعم، فجاء إليه رجل و نعا، فقال له: إنه كان نعى إلينا. فقال: ما سبقنى إليك أحد، فمن نعا؟ فقال: نعا الله تعالى، يقول: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (١).

و اعلم أن مرمى كلامه عليه السلام - مع كونه ضرب ضربه كما قال ضاربه اللعين: لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم - هو تنبيه الغافلين و هدايه الضالين و ردعهم عن محييه الدنيا المهلكه، كما كان عليه السلام في جميع أيام حياته في ليله و نهاره كذلك، فيقول لهم تاره: «أنا بالأمس صاحبكم و سلطانكم، و اليوم عبره لكم - بكونه ملقى على الأرض - و غدا مفارقكم بالرحله عن الدنيا». و اخرى يقول لهم: «ان تثبت الوطأه - إلى - و عفا في الأرض مخطها» فيخبرهم عن الإنسان و الموت، و أنه لا بد لكل إنسان أن يموت، و أنه لذاك السبع كالقوت، دون أن يريد شخصه عليه السلام فهو عليه السلام ذكر حكم الكلى و ذكر نفسه فردا له، بأنه ان تثبت الوطأه للإنسان في مزله الدنيا من آفه أصابته فهو شيء يريد الإنسان، حيث يحب الحياه طبعاً، و ان دئ حضت قدم الإنسان و مات فلا عجب و لا غرو و لا بدع، حيث إن الإنسان و ما يريد من الحياه كرجل استظل بفيء غصن أو ظلّ غمام، ليس ظلّهما إلا آفات، و كسراج في

مهيب رياح لم يعلم بقاؤه ساعات.

و لم يتفطن ابن أبي الحديد لمغزى مرامه عليه السلام فخبط و خلط و قال:

كلامه عليه السلام: «ثبت الوطأه...» يدلّ على أنّه عليه السلام بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنّه يموت من ضربته.

و معنى قوله: «فذاك» أى: إن سلمت فذاك الذى تطلبونه، يخاطب أهله و أولاده، و لا ينبغى أن يقال: فذاك ما أطلبه، لأنّه عليه السلام كان يطلب الآخره أكثر من الدنيا.

و قوله عليه السلام: «و غدا مفارقكم» لا يعنى غدا بعينه، و قوله عليه السلام لابن ملجم:

اريد حباه و يريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

و قوله عليه السلام لشيعته لما قالوا له: فهلاً تقتله؟: «كيف أقتل قاتلى»، و قوله عليه السلام فى البطّ الصائح خلفه فى المسجد ليله ضرب ابن ملجم له:

«دعوهن فإنّهنّ نوائح»، و قوله عليه السلام تلك الليله: «رأيت النبىّ صلّى الله عليه و آله فشكوت إليه ما لقيت من امته، فقال: ادع عليهم» و قوله عليه السلام: «لا اقتل محاربا و إنّما اقتل فتكا و غيله، يقتلنى رجل خامل الذكر» و ما جاء منه من هذا الباب من آثار كثيره كلّها لا يدلّ على أنّه يعلم الأمر مفضّلا.

و من الجائز أن يكون علم أنّ ابن ملجم هو الذى يقتله، و لم يعلم محققا أنّ هذه الضربه تزهد نفسه، بل كان يجوز أن يفيق ثم يكون قتله بعد على يده و إن طال الزمان.

و قوله فى البطّ، لعله علم أنّ تلك الليله يخرج و إن لم يعلم أنّه يموت منه، و النوائح قد ينحن على المجروح...

فموته عليه السلام من تلك الضربه كان أمرا معلوما لكلّ أحد، فإنّه ليس فى العاده أن يضرب أحد ضربه مثل ضربته و يعيش، كما ليس فى العاده أن

يعيش من قطع رأسه. و لو كان قال بدل خبطاته تلك: إنّه لم يكن علم أولاً إلاّ أنّه علم بعد-ياخبار أثير بن عمرو المتطيب أنّ الضربه و صلت إلى امّ رأسه، كما رواه أبو الفرج (١)، و بوصف ابن ملجم لضربه، فروى أبو الفرج عن عبد الله بن محمّد الأزدي قال: ادخل ابن ملجم على عليّ عليه السلام و دخلت عليه السلام في من دخل، فسمعتة يقول: «النَّفْسِ بِالنَّفْسِ»، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، و إن سلمت رأيت فيه رأيي». فقال ابن ملجم: و الله لقد ابتعته بألف و سممته بألف فإن خانني فأبعده الله. و قالت له امّ كلثوم: يا عدوّ الله إنني لأرجو ألا يكون عليّ أبي بأس. فقال لها: فأراك إنّما تبكين عليّ إذن! و الله لقد ضربته ضربه لو قسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم- كان له وجه ظاهري، و إلاّ فتعبيره عليه السلام بقوله: «إن أنا مت» و «إن سلمت» لبيان آداب الشرع و تعليم الناس تكاليفهم، بأنّه بمجرد ضربه يحتمل اداؤها إلى الموت لا يجوز قتل الضارب، و كيف و تواتر عنه عليه السلام و عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَتَلَهُ مِنْ ضَرْبِهِ عَلَى رَأْسِهِ تَخَضُّبٌ مِنْهَا لِحِيَّتِهِ؟! و روى (الأسد) (٢) مسنداً عن عمرو ذى مر قال: لَمَّا أَصِيبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالضَّرْبَةِ دَخَلَ عَلَيْهِ وَ قَدْ عَصَبَتْ رَأْسَهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْنِي ضَرْبَتَكَ.

فحلّها فقلت: خدش و ليس بشيء. قال: إنني مفارقكم. فبكت امّ كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي فلو ترين ما أرى لَمَّا بكيت. فقلت: يا أمير المؤمنين ما ذا ترى؟ قال: هذه الملائكة و فود و النبيون، و هذا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَقُولُ: يَا عَلِيُّ أَبْشِرْ، فَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ.

و في (مروج المسعودي) (٣): قيل: إنّ عليّاً عليه السلام لم ينم تلك الليلة، و إنّّه لم

ص: ٤٤

١-١) المقاتل لأبي الفرج: ٢٣.

٢-٢) اسد الغابه للجزري ٤: ٣٨. [١]

٣-٣) المروج للمسعودي ٢: ٤٢٥. [٢]

يزل يمشى بين الباب و الحجره و هو يقول: ما كذبت و لا كذبت، و إنها الليله التى وعدت. فلما صرخ بَطَّ كان للصبيان صاح بهن بعض من فى الدار، فقال عليّ عليه السلام: ويحك دعهنّ فأنهنّ نوائح- إلى أن قال- و خرج إلى المسجد و قد عسر عليه فتح باب داره- و كان من جذوع النخل- فاقتلعه و جعله ناحيه و انحل إزاره فشدّه و جعل ينشد:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك

و لا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

و كيف لم يكن علم عليه السلام ذلك و قد كان عليه السلام أخبر به كرارا، حتى إنّ شيعة كانوا يخبرونه بذلك من وصفه؟! ففى (إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان) (١): روى العلماء أنّ جويزيه بن مسهر وقف على باب القصر فقال: يا أمير المؤمنين. قيل له: نائم. فنادى: أيها النائم، استيقظ فو الذى نفسى بيده ليضربن ضربه على رأسك يخضب منها لحيتك، كما أخبرتنا بذلك من قبل. فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام فنادى: أقبل يا جويزيه حتى احدثك بحديثك. فأقبل فقال: و أنت- و الذى نفسى بيده- لتعتلن بك إلى العتل الزنيم، و ليقطن يدك و رجلك ثم لتصلبنّ تحت جذع كافر. فقطع زياد يده و رجله و صلبه تحت جذع ابن مكعب، و كان جذعا طويلا.

و بالجملة غايه ما يمكن أن يقال: إنّّه تعالى أخفى عليه عليه السلام وقوع الضربه عليه ساعه خروجه، لجرى مقاديره عليه كما على غيره من عباده، كما عرفت من الخبر المتقدم .

«و إنّما كنت جارا جاوركم بدنى أياما» و فى الخبر: إنّ الإنسان فى أهله كضيف نزل بقوم ليلا، و ارتحل عنهم صباحا.

ص: ٤٥

قال ابن أبي الحديد (١) في قوله عليه السلام: «جاوركم بدني أياما»: إشعار بما ذهب إليه الأكثر في النفس، وأن هويته الإنسان شيء غير هذا البدن.

قلت: بل فيه إشعار بأن روحه عليه السلام غير أرواحهم، لم يجاورهم بروحه بل جاورهم ببدنه.

روى الكليني (٢) عن جابر قال: سألت أبا جعفر عن علم العالم، فقال لي:

إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة وروح الشهوة، فروح القدس عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، وهذه الأرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنه لا تلهو ولا تلعب .

«و ستعقبون منى جثه خلاء» أى: خاليه من الروح .

«ساكنه بعد حراك» أى: حركه. والمراد شجاعته وقوته، وشجاعته كانت كما قال: لو تظاهرت العرب على قتالي لمتا وليت عنها، وقوته كانت كما قلع باب خيبر.

«و صامته بعد نطق» فى (القاموس): نطق نطقا و منطقا و نطقا: تكلم بصوت و حروف تعرف بها المعانى.

و قد قال معاوية فى نطقه عليه السلام: ما سنّ الفصاحه لقريش إلا علىّ. و قال عمر بن سعد يوم الطفّ لمتا خطبهم الحسين عليه السلام: لو تكلم يوما و ليله ما يعيى، إنّه ابن علىّ بن أبى طالب .

«ليعظكم هدوى» أى: سكونى و عدم قدرتى على الشخصوص.

«و خفوت» من: خفت الصوت: سكن، و منه قيل للميت: خفت، إذا انقطع كلامه.

ص: ٤٦

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٢٣: ٩. [١]

٢-٢) الكافى للكلينى ٢٧٢: ١ ح ٢. [٢]

«أطرافي» هكذا في (المصريه) بالفاء، و الصواب: (اطراقي) بالقاف، كما في (ابن أبي الحديد (1) و ابن ميثم (2) من (أطرق): أرخى عينه ينظر إلى الأرض.

و في (اسد الغابه) (3): بعث الأشعث بن قيس صبيحه ضرب علي عليه السلام ابنه قيس بن الأشعث لينظر كيف هو؟ فرجع و قال له: رأيت عينه داخلتين في رأسه.

«و سكون أطرافي» أي: الأعضاء الواقعة في الطرف، كاليد و الرجلين و الرأس .

«فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البلغ» لأنه وعظ عملا لا يحتمل كذبه .

«و القول المسموع» و في المثل الفارسي: شنيدن كي بود مانند ديدن.

في (تاريخ اليعقوبي) (4)- بعد ذكر أن الإسكندر غلب على دار ملك فارس و على فور ملك الهند و قتله لهما:- ثم رجع إلى أرض بابل بعد أن دّوخ الأرض، فلما صار في أداني العراق ممّا يلي الجزيره اعتل و مات، فصيره في تابوت ثم وقف عليه عظيم من الفلاسفه فقال: هذا يوم عظيم كشف الملك عنه، أقبل من شرّه ما كان مدبرا، و أدبر من خيره ما كان مقبلا، فمن كان باكيا على ملك فعلى هذا الملك فليبك، و من كان متعجبا من حادث فمن هذا الحادث فليتعجب.

ثم أقبل ذاك العظيم على من حضره من الفلاسفه، فقال: يا معشر الحكماء، ليقبل كلّ امرئ منكم قولاً يكون للخاصه معزيا و للعامه واعظا.

فقام كلّ واحد من تلامذه ارسطاطاليس فضرب بيده على التابوت، ثم قال أحدهم: أيها المنطيق ما أخرسك؟ أيها العزيز ما أذلّك؟ أيها القانص أنى

ص: ٤٧

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٦.

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٨.

٣- ٣) اسد الغابه ٤: ٣٧. [١]

٤- ٤) التاريخ لليعقوبي ١: ١٤٣. [٢]

وقعت موضع الصيد في الشرك؟ من هذا الذي قنصك؟ ثم قام آخر، فقال: هذا القوى الذي أصبح ضعيفا و قام آخر فقال: قد كانت سيوفك لا تجفّ و نجماتك لا تؤمن، و كانت مدائنك لا ترام، و كانت عطايك لا تبرح، و كان ضياؤك لا يكفّ فأصبح صوتك قد خمد، و نجماتك لا تخشى و أصبحت عطايك لا ترجى، و أصبحت سيوفك لا تنتضى و أصبحت مدائنك لا تمنع. ثم قام آخر فقال: هذا الذي كان للملوك قاهرا فقد أصبح اليوم للسوقه مقهورا. و قام آخر فقال: قد كان صوتك مرهوبا و كان ملكك غالبا، فأصبح الصوت قد انقطع و الملك قد اتضع. و قام آخر فقال: ألا امتنعت من الموت إذ كنت من الملوك ممتنعا؟ و هلا ملكت عليه إذ كنت عليهم مملكا؟ و قام آخر فقال: حرّكنا الإسكندر بسكونه و أنطقنا بصموته.

كان ملك الإسكندر اثنتي عشره سنه، و لما علم أنّ الموت نزل به كتب إلى امه يعزيها عن نفسه، و كتب في آخره: اصنعى طعاما و اجمعى من قدرت عليه من نساء أهل المملكه، و لا يأكل من طعامك من اصيب بمصيبه قط.

فعملت طعاما و جمعت الناس، ثم أمرتهم ألا يأكل من اصيب بمصيبه قط فلم يأكل أحد، فعلمت ما أراد، و حمل تابوته من العراق إلى الإسكندريه فتلقته امه بعظماء أهل المملكه، فلما رأتها قالت: يا ذا الذي بلغت السماء حكمته، و حاز أقطار الأرض ملكه، و دانت الملوك عنوه له، مالك اليوم نائما لا تستيقظ، و ساكتا لا تتكلم؟ من يبلغك عنى بأنك و عظنتى فاتعظت، و عزيتى فتعزيت؟ فعليك السلام حيا هالكا.

و كان عظم سلطانه و اعانتة الحكمه و العقل و المعرفه و كان ارسطاطاليس معلّمه.

و في (كامل الجزرى): لما مات عضد الدوله - و كان عاقلا فاضلا حسن

السياسه، كثير الإصابه، شديد الهيبه، بعيد الهّمه، ثاقب الرأى، محبًا للفضائل و أهلها، باذلا- فى مواضع العطاء، مانعا فى أماكن الحزم، ناظرا فى عواقب الامور، فقصد العلماء من كل بلد و صنفوا له الكتب، و منها الايضاح فى النحو، و الحجّه فى القراءات، و الملكى فى الطب، و التاجى فى التاريخ و غيرها، و عمل المصالح كالبيمارستانات و القناطر، و بنى سورا على المدينه- بلغ خبره بعض العلماء و عنده جماعه من أعيان الفضلاء، فتذاكروا الكلمات التى قالها الحكماء عند موت الاسكندر، فقال بعضهم: لو قلتم أنتم مثلها لكان ذلك يؤثر عليكم- فقال أحدهم: قد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها، و أعطها فوق قيمتها، و طلب الربح فيها، فخسر روحه فيها.

و قال الثانى: من استيقظ للدنيا فهذا نومه، و من حلم فيها فهذا انتباهه.

و قال الثالث: ما رأيت عاقلا- فى عقله، و لا- غافلا فى غفلته مثله، لقد كان ينقض جانبها و هو يظن أنه مبرم، و يغرم و هو يظن أنه غانم.

و قال الرابع: من جدّ للدنيا هزلت به، و من هزل راغبا عنها جدت له.

و قال الخامس: ترك هذه الدنيا شاغره، و رحل عنها بلا زاد و لا راحله.

و قال السادس: إنّ ماء اطفأ هذه النار لعظيم، و إنّ ريحا زعرت هذا الركن لعصوف.

و قال السابع: إنّما سلبك من قدر عليك.

و قال الثامن: أما لو كان معتبرا فى حياته لّمّا صار عبره فى مماته.

و قال التاسع: الصاعد فى درجات الدنيا إلى استفال، و النازل فى دركاتها إلى تعال.

و قال العاشر: كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك؟ و هلاّ اتخذت دونه جنّه تقيك؟ إنّ فى ذلك لعبره للمعتبرين .

«وداعيكم» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: (وداعى لكم) كما في بن أبي الحديد و ابن ميثم).

«وداع امرئ مرصد للتلقى» قال عليه السلام هذا لشيئته فهو ساقينهم من الكوثر، كما أنه ذائد عنه مخالفه.

روى المدائنى (٢): أن الحسن عليه السلام قال لمولى له: أتعرف معاويه بن حديج؟ قال: نعم. قال: إذا رأيته فاعلمنى. فرآه خارجا من دار عمرو بن حريث فقال له عليه السلام: هو هذا. فدعاه فقال له: أنت الشاتم عليا عليه السلام عند ابن آكله الأكباد؟ أما والله لئن وردت الحوض -و لن ترده- لترين عليا عليه السلام مشمرا عن ساقيه حاسرا عن ذراعيه يذود عنه المنافقين -و فى خبر- يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل.

و روى المفيد فى (أماله) (٣) عن الأصمغ قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام فى نفر من الشيعة -و كنت فيهم- فجعل الحارث يتأود فى مشيته، و يخطب الأرض بمحجنه -و كان مريضا- فأقبل عليه السلام عليه -و كانت له منزله عنده- فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر منى.

فقال عليه السلام له: ابششرك يا حارث! تعرفنى عند الممات و عند الصراط و عند الحوض و عند المقاسمه. قال الحارث و ما المقاسمه؟ قال عليه السلام: مقاسمه النار، اقسامها قسمه صحيحه، أقول: هذا وليى فاتركيه، و هذا عدوى فخذيه.

رواه عن جميل بن صالح عن الكابلى عن الأصمغ ثم قال: قال جميل:

و أنشدنى السيد الحميرى فى ما تضمنه هذا الخبر:

ص: ٥٠

١- ١) الطبعة المصريه ٢: ٤٦.

٢- ٢) المدائنى.

٣- ٣) الأمالى للمفيد: ٣- ح ٣ المجلس ١.

قول عليّ لحارث عجباً كم اعجوبه له حملاً

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلاً

يعرفني طرفه و أعرفه بنعته و اسمه و ما عملاً

و أنت عند الصراط تعرفني فلا تخف عثره و لا زللاً

أسقيك من بارد علي ظمأ تخاله في الحلاوه العسلاً

أقول للنار حين توقف للعرض دعيه لا تقربى الرجال

دعيه لا تقربيه أن له حبلاً بحبل الوصي متصلاً

قلت:الظاهر أنّ الحميرى استند في أشعاره إلى هذا الخبر و خبر الشعبي الآتى،فلا يخفى أن شعريه الأولين مضمون ذاك الخبر،فإنّ هذا الخبر و ان تضمّن أنّه عليه السلام قال:«تعرفنى عند الممات»لكن اقتصر فيه على محبّيه، مثل الحارث دون مخالفه،و إنما ذاك الخبر تضمّنهما.

و روى الكشى في (رجال) عن الشعبي:قال:قال الحارث الأعور:أتيت علياً عليه السلام ذات ليله فقال:يا أعور ما جاء بك؟فقلت جاء بي و الله حبك.فقال:أما إننى ساحتك لتشكرها،أما إنّه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب،و لا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره.

روى الشعبي عن الحارث هذا لأبي عمر البزاز،ثم لكونه ناصبياً قال له:

أما إنّ حبّه لا ينفحك و بغضه لا يضرك.

و قد ودّعه جمع من شيعته،روى (أماليا الشيخين) (1)عن الأصمغ قال:

لما ضربه اللعين عدونا نفر من أصحابنا،أنا و الحرث و سويد بن غفله و جماعه معنا فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا،فخرج إلينا الحسن عليه السلام فقال:يقول لكم أبى:انصرفوا.فانصرفوا غيرى،فاشتدّ البكاء في منزله

ص: ٥١

فبكيت، وخرج الحسن عليه السلام و قال: ألم أقل انصرفوا؟ فقلت: لا و الله لا يحملنى رجلى حتى أراه عليه السلام. و بكيت فدخل و خرج فقال: ادخل. فدخلت فاذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء و دمه نرف و اصفر وجهه، ما أدرى أوجهه اصفر أم العمامه؟ فأكببت عليه فقبلته و بكيت فقال لى: لا تبكى يا أصغ فإنها و الله الجنّه. فقلت: جعلت فداك إنى أعلم و الله أنك لتصير إلى الجنّه، و إنى أبكى لفقدانى إياك ...

«غدا ترون أيامى و يكشف لكم عن سرائرى و تعرفوننى بعد خلوّ مكانى و قيام غيرى مقامى» روى أحمد بن أبى طاهر البغدادى فى (بلاغاته) عن الشعبى، قال: استأذنت سوده بنت عماره بن اسك الهمدانىه على معاويه، فأذن لها فدخلت فقال لها: يا بنت اسك، أ لست القائله يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا بن عماره يوم الطعان و ملتقى الأقران

و انصر عليا و الحسين و رهطه و اقصد بهند و ابنها بهوان

إنّ الإمام أخو النبى محمّد علم الهدى و مناره الإيمان

فقه الحتوف و سر أمام لوائه قدما بأبيض صارم و سنان

قالت: إى و الله ما مثلى من رغب عن الحقّ أو اعتذر بالكذب. قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت حبّ علىّ و اتباع الحق. قال: فو الله ما أرى عليك من أثر علىّ شيئا. قالت: أنشدك الله و اعاده ما مضى و تذكر ما قد نسى. قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى! و ما لقيت من أحد ما لقيت من قومك و أخيك. قالت:

صدق فوك، لم يكن أخى ذميم المقام و لا خفى المكان، كان و الله كقول الخنساء:

و إن صخرًا لتأتّم الهداه به كأنه علم فى رأسه نار

قال: صدقت لقد كان كذلك. فقالت: مات الرأس و بتر الذنب، و بالله أسأل

اعفائي ممّا استعفيت منه. قال: قد فعلت، فما حاجتك؟ قالت: إنّك أصبحت للناس سيّدا ولأمرهم متقلّدا، والله سائلك عن أمرنا و ما افترض عليك من حقّنا، و لا يزال يقدم علينا من ينوء بعزّك و يبطش بسطانك، فيحصدنا حصد السنبل و يدوسنا دوس البقر و يسومنا الخسيسه و يسلبنا الجليله، هذا بسر بن أرطاه قدم علينا من قبلك فقتل رجالى و أخذ مالى، يقول لى فوهى بما استعصم الله منه و ألجأ إليه فيه، و لو لا الطاعه لكان فينا عزّ و منعه، فإنّما عزلته عنّا فشكرناك و إمّا لا فعرفناك. فقال لها معاويه: أ تهددني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردّك إليه، ينفذ فيك حكمه. فأطرقت تبكى ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على جسم تضمّنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغى به بدلا فصار بالحق و الإيمان مقرونا

قال: و من ذلك؟ قالت: علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه. قال: و ما صنع بك حتى صار عندك كذلك قالت قدمت عليه فى رجل و لاه صدقاتنا فكان بينى و بينه ما بين الغث و السمين، فأتيت عليّا عليه السلام لأشكو إليه ما صنع بنا، فوجدته قائما يصلى فلما نظر إلىّ انفتل من صلاته ثم قال لى برأفه و تعطف: ألك حاجه؟ فأخبرته الخبر فبكى ثم قال: اللهم إنّك أنت الشاهد علىّ و عليهم، إنى لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقك. ثم أخرج من جيبه قطعه جلد فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم «قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» (١) «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ» (٢) «وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ»

ص: ٥٣

[١-١] الأعراف: ٨٥. [١]

[٢-٢] الانعام: ١٥٢. [٢]

«مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» (١). إذا قرأت كتابي فاحفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك و السلام. فأخذته منه ما ختمه بطين و لا خزمه بخزام فقرأته. فقال لها معاوية لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأه على السلطان: فبطيئا ما تفظمون.

و رواه ابن عبد ربه في (عقده) (٢) و فيه: لمظكم ابن أبي طالب الجرأه و غرّكم قوله.

فلو كنت بؤابا على باب جنه لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

و غرّكم قوله:

ناديت همدان و الأبواب مغلقة و مثل همدان سنى فتحه الباب

كالهندوانى لم تفلل مضاربه وجه جميل و قلب غير و جاب

و فى الأول أيضا: قال سعيد بن حذافه: حبس مروان غلاما من بنى ليث فى جنايه فأثته جدّته امّ أبيه- امّ سنان بنت خيثمه المدحجيه- فكلمته فى الغلام فأغلظ لها فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه فانتسبت له، فقال لها:

مرحبا بك يا بنت خيثمه، ما أقدمك أرضى و قد عهدتكم تشنئين قربي و تحضين علىّ عدوى؟ قالت إنّ لبنى عبد مناف أخلاقا طاهره و أعلاما ظاهره، لا- يجهلون بعد علم و لا- يسفهون بعد حلم و لا- يعاقبون بعد عفو، فأولى الناس باتباع سنن آبائه لأنت. قال: صدقت نحن كذلك، فكيف قولك:

عزب الرقاد فمقلتي ما ترقد و الليل يصدر بالهموم و يورد

يا آل مذحج لا مقام فشّمروا إنّ العدو لآل أحمد يقصد

هذا علىّ كالللال يحفّه وسط السماء فى الكواكب أسعد

ص: ٥٤

[١- ١] هود: ٨٥-٨٦. [١]

[٢- ٢] العقد لابن عبد ربه ٣٤٦: ١. [٢]

خير الخلائق و ابن عمّ محمّد و كفى بذلك لمن شناه تهّدّد

ما زال مذ عرف الحروب مظفراً و النصر فوق لوائه ما يفقد

قالت: كان كذلك، و إنّنا لنطمع بك خلفاً. فقال رجل من جلسائه: كيف و هي القائله:

إمّا هلكت أبا الحسين فلم تنزل بالحق تعرف هاديا مهديا

فاذهب عليك صلاه ربك ما دعت فوق الغصون حمامه قمريا

قد كنت بعد محمّد خلفا لنا أوصى إليك بنا فكنت وفيا

فاليوم لا خلف تأمل بعده هيهات نمدح بعده إنسيّا

و روى الثانى عن عكرمه قال: دخلت عكرشه بنت الأطرش على معاويه متوكّنه على عكاز، فسلمت عليه بالخلافه ثم جلست فقال لها معاويه: الآن صرت عندك خليفه؟ قالت: نعم، إذ لا علىّ حى. قال: أ لست المتقلّده حمائل السيوف بصفّين - إلى أن قال - فكأنّى أراك على عصاك هذه و قد انكفأ عليك العسكر أن يقولوا: هذه عكرشه بنت الأطرش بن رواحه. فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله - إلى أن قال - قالت: إنّه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتردّ على فقرائنا، و إنّنا قد فقدنا ذلك فما يجبر لنا كسير و لا ينعش لنا فقير، فإن كان ذلك على رأيك فمثلك ينبه عن الغفله، و إن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخؤنه و لا استعمل الظلمه. قال معاويه: يا هذه، إنّه ينوبنا عن امور رعيتنا، امور تنبثق و بحور تنفهبق قالت: يا سبحان الله! و الله ما فرض الله لنا حقّا فجعل فيه ضررا على غيرنا، و هو علام الغيوب. قال معاويه: يا أهل العراق تبهكم علىّ بن أبى طالب فلم تطاقوا...

و روى عن أبى سهل التميمى قال: حجّ معاويه فسأل عن امرأه من بنى كنانه كانت تنزل بالحجون، يقال لها: دارمه الحجونيه، فاحضرت إليه، فقال:

تدرين لم بعثت إليك؟ قالت: لا. قال: لأسألك لم أحببت عليًا و أبغضتني، و واليته و عاديتني؟ قالت: أو تعفيني؟ قال: لا قالت: إذ أبيت فيائي أحببت عليًا على عدله في الرعيه و قسمه بالسويه، و أبغضتك على قتال من هو أولى بالأمر منك و طلبك ما ليس لك بحق، و واليت عليًا على ما عقد له النبي صلى الله عليه و آله من الولاء في الدين، و حبه المساكين، و إعظامه لأهل الدين، و عاديتك على سفكك الدماء و جورك في القضاء و حكمك بالهوى. فقال لها معاويه: يا هذه، هل رأيت عليًا؟ قالت: إي و الله. قال: كيف رأيتة؟ قالت: رأيتة - و الله - لم يفتنه الملك الذي فتنك، و لم تشغله النعمه التي شغلتك. قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم و الله، فكان يجلو القلب من العمى، كما يجلو الزيت الطست من الصدى. قال: صدقت، فهل من حاجه؟ قالت: أو تفعل؟ قال: نعم. قالت: تعطيني مائه ناقة حمراء فيها فحلها و راعيها. فأمر لها بذلك، و قال لها: أما و الله لو كان علي حيا ما أعطاك منها شيئا. قالت: لا و الله و لا وبره من مال المسلمين.

٤

الكتاب (٢٣)

و من كلام له عليه السلام قاله قبيل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا - وَ؟ مُحَمَّدٌ ص؟ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ - أَقِيمُوا هِدَايَةَ الْعُمُودَيْنِ - وَ أَوْقِدُوا هِدَايَةَ الْمِصْبَاحَيْنِ وَ خَلَاكُمْ ذَمًّا - أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ - وَ الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَدًا مُفَارِقُكُمْ - إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي - وَ إِنْ أَفْنُ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي - وَ إِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ - فَاعْفُوا «أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» (١) - وَ اللَّهُ مَا فَجَّأَنِي مِنْ

ص: ٥٤

[١ - ١] (١) النور: ٢٢. [١]

الْمَيُوتِ وَارِدُ كَرِهَتُهُ- وَ لَا- طَالِعَ أَنْكَرْتُهُ- وَ لَا- كُنْتُ إِلَّا- كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَ حِد- «وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» (١) قال الرضى: أقول: وقد مضى بعض هذا الكلام فى ما تقدّم من الخطب، إلا أنّ فيه هاهنا زياده أوجبت تكريره.

أقول: قد عرفت فى سابقه أنّ (الكافى - الكافى - و المروج - مروج الذهب -) روي مقداراً من زياده ذكرت هاهنا إلى قوله: «أَنَّ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» .

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام» - إلى - «لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ» هكذا فى (المصريه) (٢) و لكن فى (ابن ميثم) (٣): «و من كلام له عليه السلام قاله قبيل موته - لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ - وَ صِيَهُ» و فى (ابن أبى الحديد) (٤):

«و من كلام له عليه السلام قاله قبيل موته - لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ - عَلَى سَبِيلِ الْوَصِيهِ».

هذا، و فى (الصحاح) فى (جوب): و تجوب قبيله من حمير، حلفاء لمراد، و منهم ابن ملجم لعنه الله، قال الكميت:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ قَتِيلِ التَّجُوبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرَ

و هو وهم منه، و قتيلى التجيبى هو عثمان لا - هو عليه السلام، و البيت ليس للكميت و لم يتفطن لذاك (القاموس) مع تهالكه على تخطئته، و لكن تتبه له محشى (الصحاح). فقال: البيت للوليد بن عقبه، و صواب انشاده:

قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

وَ إِنَّمَا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الثَّلَاثَةَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ عُثْمَانُ، فَظَنَّ أَنَّهُ

ص: ٥٧

١- ١) آل عمران: ١٩٨. [١]

٢- ٢) الطبعه المصريه ٣: ٢٤.

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٣.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٤٣. [٢]

فى على فقال: التجوبى-بالواو-و إنما الثلاثة النبى و ابو بكر و عمر، لأن الوليد رثى بهذا الشعر عثمان و قاتله كنانة بن بشر التجيبى، و أما قاتل على فهو التجوبى. ثم نقل عن البكرى أن الأبيات لئله زوجه عثمان.

قلت: و صرح (الطبرى) (١) بأنها للوليد، و أنه ردّ عليه الفضل بن عباس فى أبيات و منها:

ألا إن خير الناس بعد محمد وصى النبى المصطفى عند ذى الذكر

و أول من صلى و صنو نبىه و أول من أرى الغواه لدى بدر

قوله عليه السلام: «وصيتى لكم -إلى- «و غدا مفارقكم» مرّ فى السابق لكن ليس هنا: «و أوقدوا هذين المصباحين» فى (ابن ميثم) (٢) و هو فى (ابن أبى الحديد) (٣)، و نقلته (المصريه) (٤) عنه، و فى (ابن ميثم) أيضا: «أنا بالأمس كنت صاحبكم».

«إن أبق فأنا ولى دمي، و إن أفن فالفناء ميعادى» فى (الإرشاد) (٥): لَمَّا ادخل ابن ملجم عليه عليه السلام نظر إليه ثم قال: النفس بالنفس، فإن مات فاقتلوه كما قتلنى، و إن أنا عشت رأيت فيه رأى. فقال ابن ملجم: و الله لقد ابتعته بألف و سممته بألف، فإن خاننى فأبعده الله. و نادته أم كلثوم: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين! قال: إنما قتلت أباك. قالت: يا عدوّ الله إننى لأرجو ألا يكون عليه بأس.

ص: ٥٨

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٤:٤٢٦.

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم ٤:٤٠٣. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٥:١٤٣. [٢]

٤-٤ (٤) الطبعه المصريه ٣:٢٤.

٥-٥ (٥) الإرشاد ١:٢١. [٣]

قال لها: فأراك إنما تبكين عليّ إذن؟! لقد والله ضربته ضربه لو قسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم. فأخرج من بين يديه عليه السلام وإنّ الناس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع وهم يقولون: يا عدوّ الله ما ذا فعلت؟ أهلكت أمّه محمّداً وقتلت خير الناس. وإنّه لصامت لم ينطق فذهب به إلى الحبس، وجاء الناس إليه عليه السلام فقالوا له: مرنا بأمرك في عدوّ الله، لقد أهلك الامه وأفسد المله.

فقال عليه السلام لهم: إن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن هلكت فاصنعوا ما يصنع بقاتل النبي: اقتلوه ثم حرّقوه بعد ذلك بالنار. فلمّا قضى عليه السلام نجه و دفن جلس الحسن عليه السلام وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجاء به، فلمّا وقف بين يديه قال له: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين وأعظمت الفساد في الدين. ثم أمر به فضربت عنقه، واستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعيه جثته منه لتتولى احراقها، فوهبها لها فأحرقتها بالنار.

«وإن أعف» على فرض بقائي.

«فالعفو لى قربه» قال تعالى: «وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» (١).

«و هو لكم حسنه فاعفوا» «وَأِنْ تَغْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٢).

«أ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» « من الآية (٢٢) من النور.

«و الله ما فجانى من الموت وارد كرهته، و لا طالع أنكرته» فى (العيون) (٣) نعى إلى الصادق عليه السلام ابنه إسماعيل - و هو أكبر أولاده - و هو يريد أن يأكل و قد اجتمع ندماءؤه، فتبسّم ثم دعا بطعامه و قعد مع ندمائه، و جعل يأكل

ص: ٥٩

[١ - ١] البقره: ٢٣٧. [١]

[٢ - ٢] التغابن: ١٤. [٢]

[٣ - ٣] العيون ب ٢: ٢ - ٣٠. [٣]

أحسن من أكله ساير الأيام و يحثّ ندمائه و يضع بين أيديهم، و يعجبون منه، لا يرون للحزن أثرا، فلما فرغ قالوا: يا بن رسول الله لقد رأينا عجايبا، أصبت بمثل هذا الابن و أنت كما نرى! قال: و مالي لا أكون كما ترون و قد جاءني خبر أصدق الصادقين: إنني ميت و إياكم، إن قوما عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم، لم ينكروا ما يخطفه الموت منهم، و سلموا لأمر خالقهم عز و جل.

«و ما كنت إلا- كقارب» قال الخليل- كما في (الصحيح)-: القارب: طالب الماء ليلا، و لا- يقال ذلك لطالب الماء نهارا. قال الجوهري: و قد أقرب القوم: إذا كانت إبلهم قوارب، فهم قابون، و لا يقال: مقربون. قال أبو عبيد: و هذا الحرف شاذ. «ورد» الماء.

«و طالب وجد» مطلوبه، قال الصادق عليه السلام- كما في (العيون)- (١): الموت للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه، و ينقطع التعب و الألم كله عنه.

«و ما عنده الله خيرٌ للأبّار» (٢) روى الصدوق في (أماله) (٣) عن حبيب بن عمرو قال: دخلت على علي عليه السلام فقلت له: ما جرحك هذا بشيء و ما بك من بأس. فقال لي: يا حبيب أنا و الله مفارقكم الساعة. فبكيت عند ذلك و بكت أم كلثوم و كانت قاعده عنده، قال لها: ما يبكيك يا بنيه؟ فقالت: ذكرت يا أبا أنك تفارقنا الساعة فبكيت عند ذلك. فقال: يا بنيه لا تبكي فو الله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت. قال حبيب فقلت: و ما ترى يا أمير المؤمنين؟ قال: يا حبيب أرى ملائكة السماوات و النبيين بعضهم في أثر بعض و قوفا إلى أن يتلقوني، و هذا أخى محمد رسول الله صلى الله عليه و آله جالس عندي يقول: أقدم فإن أمامك خير لك ممّا

ص: ٦٠

١-١ (١) عيون أخبار الرضا ٢١٣: ١٧. [١]

٢-٢ (٢) آل عمران: ١٩٨. [٢]

٣-٣ (٣) الأمالى للصدوق: ٢٦٢- ح ٢. [٣]

أنت فيه قال حبيب: فما خرجت من عنده حتى توفي، فلما كان من الغد و أصبح الحسن عليه السلام قام خطيباً على المنبر، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس في هذه الليلة نزل القرآن، و في هذه الليلة رفع عيسى، و في هذه الليلة قتل يوشع، و في هذه الليلة مات أمير المؤمنين عليه السلام و الله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الأوصياء و لا من يكون بعده، و إن رسول الله صلى الله عليه و آله كان ليعثه في السريه فيقاتل جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، و ما ترك صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائه درهم فضلت من عطائه، كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله.

و رواه (اسد الغابه) (١) إلى قوله: فإنّ أمامك خير ممّا أنت فيه عن عمرو ذى مرقال، و الأصل واحد، و أحدهما تحريف.

و روى الشيخان في (أماليهما) (٢) عن الأصمغ قال: لما ضربه عليه السلام ابن ملجم غدونا عليه، انا و الحرث بن سويد و سويد بن غفله و جماعه معنا، فقعنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم. فانصرف القوم غيرى و اشتد البكاء من منزله، فبكيت فخرج الحسن عليه السلام فقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟ فقلت: لا و الله يابن رسول الله، ما تتابعنى نفسى و لا تحملنى رجلى أن أنصرف، حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام. فلبثت فدخل و لم يلبث أن خرج فقال لى: ادخل. فدخلت فإذا هو عليه السلام مستند معصوب الرأس بعمامه صفراء قد نرف و اصفر وجهه، ما أدرى وجهه أصفر أم العمامه؟ فأكبت عليه فقبلته و بكيت، فقال لى: لا تبكى يا أصمغ فها و الله الجنه. فقلت له: جعلت فداك إنى أعلم و الله أنك تصير إلى الجنه، و إنّما أبكى لفقدانى إياك...

ص: ٦١

١- ١) اسد الغابه ٤: ٣٨.

٢- ٢) الأمالى للطوسى ١: ١٢٣، و [١] الأمالى للمفيد: ٣٥١- ح ٣ المجلس ٤٢.

و روى (١) الثاني في خبر: أن ابن ملجم ضربه و هو ساجد على الضربه التي كانت من عمرو، و احتمال عليه السلام فادخل داره، فقعدت لبايه عند رأسه و جلست أم كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: الرفيق الأعلى خير مستقرا، ضربه بضربه أو العفو إن كان ذلك، ثم عرق ثم أفاق فقال: رأيت النبي صلى الله عليه و آله يأمرني بالروح إليه عشاء- ثلاث مرات-.

و روى الفرحة عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: دفن مع أبيه نوح في قبره. قلت: من تولى دفنه؟ فقال:

النبي صلى الله عليه و آله مع كرام الكاتين، بالروح و الريحان.

و في (مطالب سؤال ابن طلحة الشافعي): و دخل ابن ملجم المسجد و رمى بنفسه بين النيام، و أذن علي عليه السلام و دخل المسجد فجعل ينبه من بالمسجد من النيام، ثم صار إلى محرابه فوقف فيه و استفتح و قرأ، فلما ركع و سجد سجده ضربه على رأسه ضربه وقعت على ضربه عمرو بن عبدود....

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي) نقلا- مقتله عليه السلام عن جمع من أهل السير منهم محمد بن إسحاق و هشام بن محمد و السدي: فلما حصل في المحراب هجموا عليه فضربه ابن ملجم و هو يقول «و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مَرْضَاتِ اللَّهِ» (٢) و هرب وردان و شبيب....

و في (أمالى الشيخ، الصفحة ٢٣٢) و بهذا الاسناد عن السجاد عليه السلام: لما ضرب عليه السلام كان مع ابن ملجم آخر وقعت ضربته على الحائط، و أمّا ابن ملجم فضربه فوقعت الضربه و هو ساجد على رأسه، على الضربه التي كانت،

ص: ٦٢

١- ١) أمالى الطوسي ١: ١٢٣. [١]

٢- ٢) البقره: ٢٠٧. [٢]

فخرج الحسن و الحسين عليهما السلام و أخذوا ابن ملجم و أوثقاه، و احتمل عليه السلام فادخل داره فقعدت لبايه عند رأسه و أم كلثوم عند رجله، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: الرفيق الأعلى خير مستقر و أحسن مقبلا...

و يأتي في الآتي زياده أعثم الكوفى، و فى (الاستيعاب) (١): فخرج عليه السلام لصلاه الصبح فبدره شبيب - إلى أن قال - و اختلفوا هل ضربه فى الصلاه أو قبل الدخول فيها؟ و هل استخلف من أتم بهم الصلاه أو هو أتمها؟ و الأكثر أنه استخلف جعده ابن هبيرة فصلّى بهم تلك الصلاه.

و مرّ فى العنوان الأول من الفصل خبر فضائل شهر رمضان (٢) عن النبىّ صلّى الله عليه و آله: «كأنّى بك و أنت تصلّى لرّبك و قد انبعث أشقى الأولين و الآخريين - شقيق عاقر ناقة ثمود - فضربك ضربه فخضب منها لحيتك» و هو الصحيح، يشهد له العقل، فكان ابن ملجم يصف ضربته بأنّه ضرب ضربه لو ضربها أهل المشرق و المغرب لهلكوا، و كان شحذ سيفه شهرا و سقاه السمّ شهرا، فلا بدّ أنّه احتاط لتمكّنه من ضربه كامله، و لو كان فى الطريق كيف أمكنه ذلك؟ قول المصنف: «قال الرضى: أقول» هكذا فى (المصريه) و كلّه زائد لعدم وجوده فى (ابن ميثم (٣) و الخطيه) و إنّما اقتصر ابن أبى الحديد على: «قال الرضى» إن شاء من نفسه.

«و قد مضى بعض هذا الكلام» من قوله «وصيتى لكم - إلى قوله - و غدا مفارقكم» .

«فى ما تقدم من الخطب» فى (١٤٥).

ص: ٦٣

١- ١) الاستيعاب ٣: ٥٩. [١]

٢- ٢) عيون أخبار الرضا ٧، [٢] فضائل شهر رمضان ١: ٢٣١ - ح ٥٣ ب ٢٨.

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٤: ٤٠٣.

«إِلَّا أَنْ فِيهَا هُنَا زِيَادَةٌ أُوجِبَتْ تَكَرُّرُهُ» مِنْ قَوْلِهِ: «إِنْ أَبَقَ...» .

٧

الكتاب (٤٧)

وَمِنْ وَصِيَّتِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ لَعْنَهُ اللهُ:

أَوْصَيْتُكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَ أَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَ إِنِّ بَعْتُكُمْ- وَ لَا تَأْسِفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا- وَ قُولَا بِالْحَقِّ وَ أَعْمَلَا لِلْآجِرِ- وَ كُونَا لِلظَّالِمِ خَصِيماً وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْناً- أَوْصَيْتُكُمْ وَ جَمِيعَ وَ لَعْدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي- بِتَقْوَى اللهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صِيَالِحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ- فَإِنِّي سَمِعْتُ حَدِيثاً ص يَقُولُ- صِيَالِحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عِيَامِهِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ- اللهُ اللهُ فِي الْآيَاتِمْ فَلَا تُعْبُوا أَفْوَاهَهُمْ- وَ لَا يَضِيَعُوا بِحَضْرَتِكُمْ- وَ اللهُ اللهُ فِي حَيْرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّتُهُ نَبِيَّتِكُمْ- مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورِّثُهُمْ- وَ اللهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ؟- لَا- يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ- وَ اللهُ اللهُ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ- وَ اللهُ اللهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تُخْلُوهُ مَا بَقِيْتُمْ- فَإِنَّهُ إِنْ تَرِكَ لَمْ تُنَاطِرُوا- وَ اللهُ اللهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ- وَ أَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ- وَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَ التِّيَادُلِ- وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّدَابُرَ وَ التَّقَاطُعَ- لَا- تَتْرُكُوا الْمَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ- فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ شَرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ

ص: ٦٤

يَا بَنِي عَزِيدِ الْمُطَّلَبِ؟ - لَا - أَلْفَيْنَكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا - تَقُولُونَ قِتْلَ؟ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قِتْلَ؟ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ - أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي - انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ - فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَهُ بِضَرْبِهِ - وَلَا يُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ - فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص؟ يَقُولُ - إِيَّاكُمْ وَ الْمَثَلَةَ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعُقُورِ أَقُولُ: رواه الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٥ ص ١٤٧ (١) و الاصبهاني الاصبهاني - كتاب الاصبهاني - و الكليني الكليني - كتاب الكليني - و الصدوق الشيخ الصدوق - من لا يحضره الفقيه - ج ٤ ص ١٣٨ تا ١٤١ ح ٢ باب ٨٦ (٢).

قال الأول: دعا عليه السلام حسنا و حسينا عليهما السلام فقال: اوصيكما بتقوى الله، و ألا تبغيا الدنيا و أن بغتكما، و لا تبكيا على شيء زوى عنكما، و قولاً الحق، و ارحما اليتيم، و أغيثا الملهوف، و اصنعا للآخره، و كونا للظالم خصما و للمظلوم ناصرا، و اعملا بما في الكتاب و لا - تأخذكما في الله لومه لائم. ثم نظر إلى محمّد بن الحنفية فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال:

فإني اوصيكم بمثله، و اوصيكم بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما و لا تقطع أمرا دونهما. ثم قال: اوصيكما به فإنه شقيقكما و ابن أبيكما، و قد علمتما أنّ أباكما كان يحبّه - إلى أن قال - فلما حضرته الوفاة أوصى - إلى أن قال - قال: ثم اوصيكم يا حسن و جميع ولدي و أهلي بتقوى الله ربكم «و لا تموتنّ إلا و أنتم مسيّلمون و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا» (٣) فإنني سمعت أبا القاسم صلّى الله عليه و آله يقول: إنّ صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة و الصيام. انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم، يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام فلا تعنوا أفواههم و لا يضيعن بحضرتكم، و الله الله في جيرانكم

ص: ٤٥

١-١ (١) تاريخ الطبري ١٤٧: ٥. [١]

٢-٢ (٢) الفقيه ١٣٨: ٤-١٤١ ح ٨٦٢.

٣-٣ (٣) آل عمران: ١٠٢-١٠٣. [٢]

فأنهم وصيّه نبيّكم صلّى الله عليه وآله ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنّه سيورثهم، والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلّوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنّها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذريّه نبيّكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيّكم فإنّ رسول الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معاشكم، والله الله في ما ملكت إيمانكم. ثم قال: الصلاة الصلاة، لا تخافن في الله لومه لائم يكمفيكم من أرادكم وبعي عليكم، وقلوا للناس كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلى الأمر شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعلّكم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرّق «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (١) حفظكم من أهل بيت و حفظ فيكم نبيّكم، استودعكم الله و اقرأ عليكم السلام و رحمه الله. ثم لم ينطق إلاّ- بلا- إله إلاّ الله حتى قبض، و ذلك في شهر رمضان سنة (٤٠)- إلى أن قال- و قال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون:

قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين. ألا لا يقتلنّ إلاّ قاتلي، انظر يا حسن إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربه بضربه، و لا تمثّل بالرجل فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثله و لو أنّها بالكلب العقور.

و روى الثّاني عن أبي مخنف عن عطيه بن الحرث عن عمر بن تميم و عمرو بن أبي بكار: أنّه عليه السلام لَمّا ضرب جمع له أطباء الكوفه- إلى أن قال في وصيته عليه السلام:-

ص: ٦٦

أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهل بيتى و من بلغه كتابى هذا بتقوى الله ربنا «و لا تموتنَّ إلا و أنتم مسلّمون و اعتصموا بحبلِ الله جميعاً و لا تفرّقوا» (١)، فإننى سمعت رسول الله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة و الصيام. و إن المبيره الحالقه للدين فساد ذات البيت، و لا- حول و لا- قوه إلا- بالله العلى العظيم. انظروا ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله فى الايتام فلا تغيرن أفواههم و لا يضيعوا بحضرتكم، و الله الله فى جيرانكم فإنها وصية رسول الله صلى الله عليه و آله ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، و الله الله فى القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، و الله الله فى الصلاة فإنها عماد دينكم. و الله الله فى بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا، و الله الله فى صيام شهر رمضان فإنه جنّه من النار، و الله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم، و الله الله فى زكاه أموالكم فإنها تطفى غضب ربكم، و الله الله فى ذريه نبيكم فلا- يظلمن بين أظهركم، و الله الله فى أصحاب نبيكم فان رسول الله صلى الله عليه و آله أوصى بهم، و الله الله فى الفقراء و المساكين فاشركوهم فى معاشكم، و الله الله فى ما ملكت ايما نكم. ثم قال:

الصلاه الصلاه، لا تخافوا فى الله لومه لائم فإنه يكفيكم من بغى عليكم و أرادكم بسوء. «قولوا للناس حسناً» (٢) كما أمركم الله، و لا- تتركوا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيولى الأمر غيركم و تدعون فلا- يستجاب لكم، عليكم بالتواصل و التبادل و التبار، و إياكم و التقاطع و التفرق و التدابر «و تعاوّنوا على البرّ و التّقوى و لا تعاوّنوا على الإثمّ و العُدوان» (٣).

ص: ٦٧

١- ١) آل عمران: ١٠٢-١٠٣. [١]

٢- ٢) البقره: ٨٣. [٢]

٣- ٣) المائده: ٢. [٣]

و مثله الكليني إلا أنه زاد بعد قوله «و لا يضيعوا بحضرتكم» فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: من عال يتيما حتى يستغنى أوجب الله عز و جل له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.

و زاد بعد قوله «لم تناظروا» و أدنى ما يرجع به من الله أن يغفر له ما قد سلف.

و زاد بعد قوله «بأموالكم و أنفسكم» و ألسنتكم فإنما يجاهد رجلان:

إمام هدى، أو مطيع له مقتد بهداه.

و فيه: الله الله في ذريته نبيكم، فلا يظلمنّ بحضرتكم و بين ظهرا نبيكم، و أنتم تقتدرون على الدفع عنهم.

و زاد بعد قوله «في أصحاب نبيكم»: الذين لم يحدثوا حدثا و لم يؤوا محدثا.

و زاد بعد قوله «أوصى بهم»: و لعن المحدث منهم و من غيرهم، و المؤوى للمحدث.

و فيه: الله الله في النساء و ما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: أوصيكم بالضعيفين: النساء و ما ملكت أيمانكم.

و فيه: فيوئى الأمر شراركم.

و في آخره: حتى قبض في ثلاث ليال من العشر الأواخر، ليله ثلاث و عشرين من شهر رمضان، ليله الجمعة سنة أربعين من الهجرة، و كان ضرب ليله إحدى و عشرين من شهر رمضان.

و قال الرابع (1) في رسم وصيه فقيهه: روى عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصيه علي عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام، و أشهد علي

ص: ٦٨

وصيته الحسين و محمدًا و جميع ولده و رؤساء أهل بيته و شيعته، ثم دفع إليه الكتاب و السلاح ثم قال: يا بنى أمرنى النبى صلى الله عليه و آله أن أوصى إليك، و أن أدفع إليك كتيبى و سلاحى كما أوصى إلى و دفع إلى كتيبه و سلاحه، و أمرنى أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين. ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: و أمرك النبى أن تدفع إلى ابنك على بن الحسين. ثم أقبل على ابنه على بن الحسين عليه السلام فقال: و أمرك النبى صلى الله عليه و آله أن تدفع وصيتك إلى ابنك محمد بن على، فأقرئه من رسول الله و منى السلام. ثم أقبل على ابنه الحسن فقال: يا بنى أنت ولى الأمر و ولى الدم، فإن عفوت فلك و إن قتلت فضربه مكان ضربه - إلى أن قال - ثم إنى أوصيك يا حسن و جميع ولدى و أهل بيتى و من بلغه كتابى من المؤمنين بتقوى الله ربكم «و لا تموتنَّ إلا و أنتم مسلمون و اغتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم» (١) فإننى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«صلاح ذات البيت أفضل من عامه الصلاة و الصيام» - إلى أن قال - ثم لم يزل يقول: «لا إله إلا الله» حتى قبض عليه السلام فى أول ليله من العشر الأواخر، آخر ليله إحدى و عشرين من شهر رمضان، ليله الجمعة لأربعين سنة مضت من الهجره.

و رواه (تحف العقول - تحف العقول - ص ١٩٧) (٢) إلا أنه قال: «كتابه إلى ابنه الحسن عليه السلام». و عن (كشف الغمه - كشف الغمه - ج ٢ ص ٥٧) (٣) و عن (أمالى الزجاج - الأمالى - الزجاج) أيضا روايته.

و روى (المروج - مروج الذهب - ج ٢ ص ٤٢٥) (٤) صدره و رواه كتاب (المعمرون أبو حاتم السجستاني - المعمرون - لأبى حاتم

ص: ٦٩

١- ١) آل عمران ١٠٢-١٠٣. [١]

٢- ٢) تحف العقول: ١٩٧.

٣- ٣) كشف الغمه ٥٧: ٢. [٢]

٤- ٤) المروج ٤٢٥: ٢.

السجستاني باسناده عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه، و بآخر صدره هكذا:

اوصيكمما بتقوى الله، و لا- تبغيا الدنيا و لا- تبكيا على شىء منها زوى عنكما، قولا الحق و ارحما اليتيم و أعينا الضايغ و أضيغا الجائع، و كونا للظالم خصما و للمظلوم عوننا، و لا تأخذكم فى الله لومه لائم.

و روى بعده باسناده عن جابر الجعفى عن الباقر عليه السلام هكذا: و إنى اوصيكم يا حسن و جميع ولدى و من بلغه كتابى هذا بتقوى الله ربكم «و لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا» فإنى سمعت حبيبى رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عام الصيام و الصلاة. انظروا ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، و الله الله فى الأيتام فلا تغيرن أفواههم بحضرتكم، و الله الله فى الضعيفين فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه و آله أن قال: اوصيكم بالضعيفين خيرا، و الله الله فى القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم، و الله الله فى الصلاة فإنها عمود دينكم، و الله الله فى الزكاه فإنها تطفى غضب ربكم عنكم، و الله الله فى صيام رمضان فإن صيامه جنه لكم من النار، و الله الله فى الحج فإن بيت الله إذا خلا لم تناظروا، و الله الله فى الفقراء و المساكين فشاركوهم فى معاشكم و أموالكم، عليكم يا بنى بالبرّ و التواصل و التبارّ، و إياكم و التقاطع و التدابر و التفترق، «و تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ» (١) حفظكم الله من أهل بيت.

و روى ذيله هكذا: و أخبرونا أنّ الحسن عليه السلام قال لابن ملجم لما أراد قتله: إنّ أبى قال: يا بنى إياكم أن تخوضوا فى دماء المسلمين و أن تقولوا: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ فى إلا قاتلى، و ضربه بضربه، فأياك يا حسن

ص: ٧٠

و المثلته، فإن رسول الله نهى عنها و لو بالكلب العقور.

قال: قال ابن ملجم و الله أن كان أبوك ما علمنا لعدلا فى الرضاء و الغضب إلا- ما كان من يوم صفين حين حكم فى دين الله، أفشك أبوك فى دينه؟ قال: فضره ضربه تلقاه بخنصره فقطعها، ثم ضربه اخرى فى الموضع الذى ضرب أباه فقتله.

قول المصنف: «لما ضربه ابن ملجم» فى (الإرشاد) (1) قال ابو بكر بن أبى عياش: لقد ضرب على عليه السلام ضربه ما كان فى الإسلام أعز منها- يعنى:

ضربه عمرو بن عبدود يوم الخندق- و لقد ضرب عليه السلام ضربه ما ضرب فى الإسلام أشأم منها- يعنى: ضربه ابن ملجم له عليه السلام- و لو كان المصنف قال:

«بعد ضربه عند احتضاره» كان أولى، فقد عرفت من الطبرى أنه لم ينطق بعد الوصيه إلا- بالهيله حتى قبض، و كذلك من روايه (الفقيه) (2).

قوله عليه السلام اوصيكمما بتقوى الله «و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يزوجه من حيث لا يحتسب» (3) «و لو أن أهيل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض» (4)، «إنما يتقبل الله من المتقين» (5)، «تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً» (6)، «و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجى الذين اتقوا»

ص: ٧١

١-١ (١) الإرشاد ١: ١٠٥. [١]

٢-٢ (٢) الفقيه ١: ١٣٩-٤-١٤١ ح ٢-ب رسم الوصيه ٨٦.

٣-٣ (٣) الطلاق: ٢-٣. [٢]

٤-٤ (٤) الأعراف: ٩٦. [٣]

٥-٥ (٥) المائدة: ٢٧. [٤]

٦-٦ (٦) مريم: ٦٣. [٥]

«وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا» (١).

«وَأَنْ لَا تَبْغِيَا» أَي: تَطْلُبَا.

«الدنيا و ان بغتكما» «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (٢)، «مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ» (٣) «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ» (٤).

و فى الخبر: تمثلت الدنيا للمسيح عليه السلام فى زى امرأه زرقاء، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا احصى. قال: اطلقوك؟ قالت: لا، بل كلاً قتلت. قال: ويح أزواجك الباقين! كيف لا يعتبرون بالماضين؟ و لنعم ما قيل بالفارسيه:

چه طفل با همه با زید بی وفايي کرد عجبتر آنکه نگشتند ديگران استاد

أيضا:

مجو درستی عهد از جهان سست نهاد که این عجوزه عروس هزار داماد است

أيضا:

بعشوة که سپهرت دهد ز ره مرو ترا که گفت که این زال ترک داستان گفت

أيضا:

ص: ٧٢

[١-١] (١) مريم: ٧١-٧٢. [١]

[٢-٢] (٢) الحديد: ٢٠. [٢]

[٣-٣] (٣) الكهف: ٤٥. [٣]

[٤-٤] (٤) الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧. [٤]

برو از خانه گردون به در و نان مطلب کین سیه کاسه در آخر بکشد مهمان را

و حبّ الدنيا رأس كل خطيئه.

«و لا- تأسفا على شيء منها زوى عنكما» «لَكَيْلًا- تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (١) «ودع عنك من همومها لما أيقنت به من فراقها».

«و قولاً للحق» هكذا في (المصريه) (٢). و الصواب: (بالحق) كما في (ابن أبي الحديد (٣) و ابن ميثم (٤) و الخطيه).

«كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَ الْأَقْرَبِينَ» (٥).

و في (الاستيعاب) (٦): قدم قيس بن خرشه القيسي على النبي صلى الله عليه و آله و قال له: ابايعك على ما جاءك من الله و على أن أقول بالحق. فقال له: يا قيس عسى أن يمر بك الدهر أن يليك و لاه لا تستطيع ان تقول لهم الحق. قال: لا و الله إلا وفيت.

فقال صلى الله عليه و آله إذن لا- يضرك بشر. قال: فكان قيس يعيب زيادا و ابنه عبيد الله بعده، فبلغ ذلك عبيد الله فأرسل إليه، فقال: أنت الذي تفتري على الله و على رسوله؟ فقال: لا و الله و لكن ان شئت أخبرتك بمن يفتري على الله و رسوله. قال و من هو؟ قال: من ترك العمل بكتاب الله و سننه نبيه. قال: و من ذلك؟ قال: أنت و أبوك و من أمر كما. قال: و أنت الذي تزعم أنه لا يضرك بشر؟ قال: نعم، قال: لتعلمن

ص: ٧٣

١- ١) الحديد: ٢٣. [١]

٢- ٢) الطبعه المصريه ٣: ٨٥.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٧. [٢]

٤- ٤) شرح ابن ميثم ١١٩: ٥.

٥- ٥) النساء: ١٣٥. [٣]

٦- ٦) الاستيعاب ٣: ٢٤٣. [٤]

اليوم أنك كاذب، إيتوني بصاحب العذاب. فمال قيس عند ذلك فمات.

وقال الصادق عليه السلام: ثلاث من المنجيات: القصد في الغنى و الفقر، و الخوف من الله في السرّ و العلن، و القول بالحق في الرضا و السخط.

أيضا: ثلاثه هم أقرب الخلائق إلى الله عز و جل يوم القيامة، حتى يفرغ الناس من الحساب: رجل لم يدعه غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، و رجل مشى بين اثنين فلم يمل من أحدهما على الآخر بشعيه، و رجل قال الحق في ماله و عليه.

«و اعمالا للأجر» هكذا في (المصريه (1) و ابن أبي الحديد (2) و ابن ميثم (3) و لكن في الخطيه: «للاخره».

و المراد واحد، فإنّ المراد بالأجر ثواب الآخره: قال تعالى: «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ» (4)، «وَ إِنَّ الْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» (5) «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (6).

و في الخبر: إذا دعيت إلى وليمه و جنازه فأجب الجنازه، لأنها تذكرك الآخره، و لا تجب الوليمه لأنها تذكرك الدنيا.

من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه.

أيضا: ليس ذئبان ضاريان أفسد لقطيعه غنم من حبّ مال الدنيا

ص: ٧٤

١- ١) الطبعة المصريه ٣: ٨٥.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٧.

٣- ٣) ابن ميثم ١١٩: ٥. [١]

٤- ٤) العنكبوت: ٦٤. [٢]

٥- ٥) غافر: ٣٩. [٣]

٦- ٦) القصص: ٨٣. [٤]

و جاهها لدين امرئ مسلم.

«و كونا للظالم خصما» «فَإِنْ بَعَثَ إِخِيْدَاهُمَا عَلَى الْآخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتَى تَبْغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللّهِ» (١)، «و لا تَزَكُّنَا إِلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» (٢).

و فى الخبر: أنّ قوما من بنى إسرائيل ممّن آمن بموسى جاءوا إلى فرعون لينتفعوا من ديناه إلى أن يفرج الله لموسى عليه السلام و أصحابه، فبقوا عنده حتى أذن الله تعالى فى هلاكه و غرقه، فركبوا خيولهم ليلحقوا بموسى فبعث الله تعالى ملكا ضرب وجوه خيولهم، و ردّهم إلى فرعون حتى غرقوا معه.

و فى الخبر: أنّ الصادق عليه السلام قال لعذافر: نبئت أنّك تعامل أبا أيوب و الربيع، فما حالك إذا نودى بك فى أعوان الظلمه؟ فوجم... فقال عليه السلام له:

خوّفتك بما خوّفنى الله به (٣).

أيضا: من عذر ظالما سلّطه الله عليه، و يكون شريكه فى الوزر. و يشهد له قوله تعالى: «فَعَقَرُوهَا» (٤)، و قوله «فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (٥).

«و للمظلوم عون» فى الخبر: ما من مؤمن يخذل أخاه و هو يقدر على نصرته إلا خذله الله فى الدنيا و الآخرة.

أيضا: إغاثة المظلوم من الفرائض، فمن لم يقدر على إغاثة فلا يحضر مشهد ظلمه.

ص: ٧٥

١- ١) الحجرات: ٩. [١]

٢- ٢) هود: ١١٣. [٢]

٣- ٣) الكافى ١٠٥: ٥ [٣] بتصرّف.

٤- ٤) هود: ٦٥، و الشعراء: ١٥٧، و الشمس: ١٤.

٥- ٥) آل عمران: ١٨٣. [٤]

و في (الكشي) (١): عن الرضا عليه السلام: أن حذيفه لما حضرته الوفاة - وكان آخر الليل - قال لابنته: أيه ساعه هذه؟ قالت: آخر الليل. قال: الحمد لله الذي بلغنى هذا المبلغ و لم اوال ظالما على صاحب حق، و لم اعاد صاحب حق .

«اوصيكمما و جميع ولدى و أهلى و من بلغه كتابى بتقوى الله» كَرَّرَ عليه السلام الأمر بالتقوى لأهميتها، و كان عليه السلام قلما يستقر به المنبر إلا أمر بها - و فى الخبر:

التقى رئيس الأخلاق - و يكفى فى أهميتها قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٢)، و قال تعالى: «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (٣).

«و نظم أمركم» و عنهم عليهم السلام: من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منا.

«و صلاح ذات بينكم، فإنى سمعت جدكما صلى الله عليه و آله» هكذا فى (المصريه (٤) و ابن أبى الحديد (٥) و لكن فى (ابن ميثم (٦) و الخطيه): «جدكما رسول الله صلى الله عليه و آله» و زاد (المصريه): «و سلم» و ليس فى غيرها.

«يقول صلاح ذات بين أفضل من عامه الصلاه و الصيام» و كان عليه السلام يقول:

«لئن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن أتصدق بدينارين» و يكفى فى أهميته قولهم عليهم السلام: «المصلح ليس بكاذب» مع تسميه الكذب فسوقا.

و كان الصادق عليه السلام يقول للمفضل: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعه فافتدها من مالى.

ص: ٧٦

١- (١) الكشي: ٣٦ ح ٧٢.

٢- (٢) البقره: ١٨٣. [١]

٣- (٣) الأعراف: ١٢٨. [٢]

٤- (٤) الطبعه المصريه ٣: ٨٥.

٥- (٥) شرح ابن أبى الحديد ٥: ١٧. [٣]

٦- (٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٢٠. [٤]

و عن أبي حنيفة سائق الحاج: مرّ بنا المفضّل و أنا و ختنى نتشاجر فى ميراث، فقال: تعالوا معى إلى المنزل. فأتيناها فأصلح بيننا بأربعمائه درهم، و قال: إنّها ليست من مالى و لكن أمرنى أبو عبد الله عليه السلام إذا نازع رجلا منّا أن أصلح بينهما من ماله.

و مرّ أنّ روايه أبى الفرج و الكلينى زاد: و ان المبيره الحالفه للدين فساد ذات البين .

«اللّٰه فى الأيتام» فى (مجالس ثعلب): قيل: أصل اليتيم: الغفله، و منه سمى اليتيم لأنّه يغفل عنه.

«فلا تغبوا» قال الجوهري: فلان لا يغبنا عطاؤه، أى: لا يأتينا يوما دون يوم، بل يأتينا كلّ يوم.

«أفواههم» و قد عرفت أنّ فى روايه أبى الفرج و الكلينى: فلا تغيرن أفواههم. قيل: أى لا تغيرن أفواههم بالجوع أو تكرار السؤال، لأنّ السائل ينضب ريقه و تنشف لهواته، فيتغير ريح فمه.

قلت: و الظاهر أنّ المراد بغب الأفواه: ما يعبر عنه بالفارسيه بقولهم:

«دهن آب كندن» فإنّهم إذا رأوا الأغنياء يأكلون الأطحمه اللذيذه و لا يطعمونهم، أو يذهبون بالفواكه المتنوّعه إلى بيوتهم و لا يعطونهم منها، يحصل لهم تلك الحاله.

«و لا يضيعوا بحضرتكم» و فى الخبر: اتى إليه عليه السلام غسل و تين من همدان و حلوا، فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رءوس الازقاق يلحقونها و هو يقسمها للناس قدحا قدحا، ف قيل له: ما لهم يلحقونها؟ فقال عليه السلام: إنّ الامام أبو اليتامى، و إنّما ألققتهم هذا برعايه الآباء.

وقد عرفت أنّ في روايه أبي الفرج و الكليني (١): قال عليه السلام: قال النبي صَلَّى الله عليه و آله:

من عال يتيما حتى يستغنى أوجب الله تعالى له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.

«و الله الله في جيرانكم، فإنّها وصيه نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنّه سيورّثهم» .

قال ابن أبي الحديد في خبر جابر: الجيران ثلاثة: جار له حق، و جار له حقّان، و جار له ثلاثة حقوق، فصاحب الحق الواحد جار مشرك لا رحم له، فحقّه حق الجوار، و صاحب الحقّين جار مسلم ليس بذى رحم، و ذو الثلاثة جار مسلم ذو رحم، و أدنى حق الجوار أن لا تؤذى جارك بقتا قدرك - أي:

شمّه - إلا أن تقتدح له منها.

قلت: و عن الكاظم عليه السلام: كان في بني إسرائيل رجل مؤمن، و كان له جار كافر، فكان يرفق بالمؤمن و يوليه المعروف، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتا في النار من طين، و قيل له: هذا بما كنت تفعل في الدنيا بجارك فلان بن فلان من الرفق و توليه المعروف.

و في (اعطاء أمان جهاد الكافي) (٢) عن الصادق عن أبيه عليه السلام: قرأت في كتاب لعليّ عليه السلام أنّ النبي صَلَّى الله عليه و آله كتب كتابا بين المهاجرين و الأنصار و من لحق بهم من أهل يثرب - إلى أن قال - إنّ الجار كالنفس غير مضار و لا آثم، و حرمة الجار على الجار كحرمة أمّه و أبيه...

هذا، و في (تاريخ بغداد) (٣): لَمَّا رجع عبد الله بن طاهر ذو اليمينين من

ص: ٧٨

[١ - ١] فقط الكليني: ٣٦٠. [١]

[٢ - ٢] الكافي ٣١: ٥ - ح ٥. [٢]

[٣ - ٣] تاريخ بغداد ٩: ٤٨٦. [٣]

الشام بغداد نظر إلى دخان مرتفع في جواره فقال: ما هذا الدخان؟ قيل:

يخبزون. فقال: و يحتاج جيراننا أن يتكلفوا ذلك؟ ثم دعا حاجبه فقال: امض و معك كاتب و احص جيراننا ممن لا يقطعهم عنّا شارع. فمضى فأحصاهم فبلغ عدد صغيرهم و كبيرهم أربعة آلاف نفس، فأمر لكل واحد منهم في كلّ يوم بمنوين خبزا و منّا لحم و من التوابل في كلّ شهر عشرة دراهم، و الكسوه في الشتاء مائه و خمسين درهما و في الصيف مائه درهم، و كان ذلك دأبه مدّه مقامه ببغداد، فلما خرج انقطعت الوظائف إلا الكسوه ما عاش.

و في (فتوح البلاذري): أراد رجل من بني دارم بيع داره فقال: أبيعها بعشره آلاف درهم ثمنها، و خمسه آلاف لجوار فيروز حصين. فبلغ ذلك فيروز فقال له: امسك عليك دارك. و أعطاه عشرة آلاف.

و في (عيون القتيبي) (1): بلغ ابن المقفع أنّ جارا له يبيع دارا له لدين ركه، و كان يجلس في ظلّ داره، فقال: ما قمت إذن بحرمه ظلّ داره إن باعها.

فحمل إليه ثمن الدار و قال له: لا تبعها.

و في (كنايات الجرجاني): الأصل في قولهم: «جار أبي داود» أنّ كعب بن مامه الايادي كان إذا جاوره رجل فمات و أراه، و إن هلك له شاه أو بعير أخلف عليه، فجاوره أبو داود الايادي الشاعر فصار يفعل به ذلك، فصارت العرب حمدت جارا حسن جواره قالوا: جار أبي داود، قال قيس بن زهير العبسي - حين جاور قرط بن أبي ربيعة الكلابي -:

اطوّف ما اطوّف ثم آوى إلى جار كاجار أبي داود

«و الله الله في القرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم» و لو لا العمل لكان مثلهم

ص: ٧٩

«مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» (١) ولو كانوا عملوا لعمرت دنياهم و آخرتهم، «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» (٢).

و يشكو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله من عدم عملهم فى القيامة: «وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» (٣). و قد وصَّى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله به أيضا مثله عليه السلام فقال للناس: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَ عِترتي أَهْلَ بَيْتِي، وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يردَا عَلَيَّ الحَوْضِ، وَ إِنَّهُمَا حَبْلَانِ مَمْدُودَانِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ اللَّهِ، وَ إِن تَمَسَّيْتُمَا بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوْا أَبَدًا» و لو كان حَيًّا لقاتل مسلمى اليوم كما قاتل الكفار فى حياته، لعدم عملهم بكتاب الله، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» (٤).

روى الواحدى عن ابن عباس: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَظْهَرَ رَسُولَهُ عَلَى مَكَّةَ أَتَى بَنُو عَمْرٍو بَنَ عَمِيرٍ مِّنْ ثَقِيفٍ وَ بَنُو الْمُغِيرَةِ مِّنْ مَخْزُومٍ - وَ كَانُوا يَرْبُونَ لِثَقِيفٍ - إِلَى عَتَابِ بْنِ أَسِيدٍ عَامِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ بَنُو الْمُغِيرَةِ: وَضَعَ عَلَى النَّاسِ غَيْرَنَا. وَ قَالَ بَنُو عَمْرٍو: صَوْلِحْنَا عَلَى أَنَّ لَنَا رَبَانًا. فَكَتَبَ عَتَابٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ...

و لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ قَالَ: أَلَا إِنَّ كُلَّ رَبَا مِّنْ رَبَا الْجَاهِلِيَةِ مَوْضُوعٌ، وَ أَوَّلُ رَبَا أَضَعَهُ رَبَا عَمَى الْعَبَّاسِ.

ص: ٨٠

[١ - ١] (١) الجمعة: ٥.

[٢ - ٢] (٢) المائدة: ٦٦.

[٣ - ٣] (٣) الفرقان: ٣٠.

[٤ - ٤] (٤) البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

و في (ذيل الطبرى) (١): قال زياد بن لييد: ذكر النبى صلى الله عليه وآله شيئا و قال: ذاك عند أوان ذهاب العلم. فقلنا: و كيف يذهب العلم و نحن نقرأ القرآن، و نقرئه أبناءنا و أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله ثكلتك امك زياد! ان كنت لأراك أفضل رجل بالمدينه، أو ليس هذه اليهود و النصارى يقرءون التوراه و الإنجيل و لا يعملون بشىء مما فيها؟! و روى (سنن أبى داود) عن ديلم الحميرى: قلت للنبي صلى الله عليه وآله: إنا بأرض بارده نعالج فيها عملا شديدا، و إنا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا و برد بلادنا. فقال: هل يسكر؟ قلت: نعم. قال: فاجتنبوه. قلت: إن الناس غير تاركيه. قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم.

و في (تاريخ بغداد) (٢): قال محمد بن على المدرانى وزير خمارويه بن أحمد ابن طولون: كنت اجتاز بتربه أبيه ابن طولون فأرى شيخا عنده يقرأ ملازما للقبر، ثم لم أره مدّه ثم رأيتَه فقلت: أ لست الذى كنت أراك عند قبر أحمد بن طولون تقرأ؟ فقال: بلى، كان ولينا فى هذا البلد، و كان له علينا بعض العدل - إن لم يكن الكلّ - فأحببت أن أصله بالقرآن. فقلت: فلم انقطعت عنه؟ فقال:

رأيتَه فى النوم و هو يقول: احب أن لا تقرأ عندى، ما تمرّ بى آيه ممّا تقرأ إلا قرعت بها، و يقال لى: أما سمعت هذه الآيه؟ «و الله الله فى الصلاه فإنها عمود دينكم» قال تعالى حكايه عن عيسى:

«و أوصانى بالصلاه و الرّكاه ما دُمْتُ حَيًّا» (٣)، و قال لنبىه صلى الله عليه وآله: «و أمرُ أهلك بالصلاه و اصطرِبْ عَلَيْهَا» (٤).

ص: ٨١

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥٧٥: ١١. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ بغداد ٨١: ٣. [٢]

٣-٣ (٣) مريم: ٣١. [٣]

٤-٤ (٤) طه: ١٣٢. [٤]

و فى الخير: أحبّ الاعمال إلى الله الصلاة، و هى آخر وصايا الأنبياء:

أيضا: لا تضيّعوا صلاتكم، فإنّ من ضيّع صلاته حشر مع قارون و هامان، و يدخل النار مع المنافقين.

أيضا: لا تنال شفاعتنا مستخفا بالصلاه.

«و الله الله فى بيت ربكم لا- تخلوه ما بقيتم فإنّه إن ترك لم تناظروا» فى (تنبيه المسعودى) (١): بطل الحج سنه (٣١٧) أيام المقتدر، فلم يحج أحد لدخول أبى طاهر القرمطى صاحب البحرين مكه، و لم يبطل الحج منذ كان الإسلام غير تلك السنه.

فى (التهذيب) (٢) عن ابراهيم بن ميمون قال: كنت عند أبى حنيفه جالسا فسأله رجل فقال: ما ترى فى رجل قد حجّ حجّه الإسلام، الحج أفضل أو العتق؟ قال أبو حنيفه: العتق. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كذب و الله و أثم، الحجّه أفضل من عتق رقبه و رقبه -حتى عدّ عشر رقبات- ثم قال: ويحه! أى عتق رقبه فيه طواف بالبيت و سعى بين الصفا و المروه و وقوف بعرفه و حلق الرأس و رمى الجمار، فلو كان كما قال لعطل الناس الحجّ، و لو فعلوا لكان ينبغى للإمام أن يجبرهم على الحجّ، إن شاءوا و إن أبوا، فإنّ هذا البيت إنّما وضع للحجّ.

و فى (الكافى) (٣) عن الصادق عليه السلام: من خرج من مكه و هو لا يريد العود إليها فقد اقترب أجله و دنا عذابه.

و عنه (٤) عليه السلام: لا يزال الدين قائما ما دامت الكعبه.

ص: ٨٢

١- ١) التنبيه للمسعودى ٣١٢: ٤، [١] ضمن الجزء الرابع من المروج.

٢- ٢) التهذيب ٥: ٢٢ ح ١٢، ٦٦-ب ٣.

٣- ٣) الكافى ٤: ٢٧٠ ح ٢. [٢]

٤- ٤) الكافى ٤: ٢٧١ ح ٤. [٣]

و عن (١) إسحاق بن عمار: أن رجلا استشارني في الحجّ، وكان ضعيف الحال فأشرت عليه ألاّ يحجّ، فحكى ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال لي: ما أخلقك أن تمرض سنه. فمرضت سنه.

«و الله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و أستمكم في سبيل الله» عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: من ترك الجهاد ألبسه الله عز و جل ذلّا و فقرا في معيشته، و محقا في دينه.

و عنه عليه السلام ما صلحت دنيا و لا دين إلاّ بالجهاد.

و في الخبر: جهاد النفس الجهاد الأكبر، و إنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال لقوم رجعوا من جهاد العدو: مرحبا بقوم قضوا الأصغر و بقى عليهم الأكبر .

«و عليكم بالتواصل و التبادل، و إياكم و التداير و التقاطع» عن النبيّ صلّى الله عليه و آله لا يزال امتي بخير ما لم يتخاذلوا و أدوا الأمانة و آتوا الزكاه، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط و السنين.

و في الخبر: إذا تهاجر اثنان ثلاثه أيام برئ الإمام منهما، و يغفر ليله القدر لجميع الناس إلاّ لأصناف منهم، من كان مهاجرا لأخيه.

و في الخبر: ليس شيء انكأ لا إبليس و جنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، و إنّ المؤمنين يلتقيان فيذكران الله تعالى، ثم فضلنا أهل البيت، فلا يبقى على وجه إبليس مضغه لحم إلاّ تحدرت، حتى إنّ روحه لتستغيث من شدّه ما تجد من الألم.

أيضا: لا يزال إبليس فرحا ما تهاجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكت ركبته و تخلعت أوصاله و نادى: يا ويله ما لقي من الثبور.

و روى (سنن أبي داود): أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله دخل المسجد و هم حلق، فقال:

ص: ٨٣

مالي أراكم عزيزين؟ قال الأعمش: كأنه يحبّ الجماعة.

«لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّي عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم» في (تاريخ يعقوبي) (١) قال النبي صلّى الله عليه وآله، لتأمرنّ بالمعروف ولتنهين عن المنكر، أو لأولينّ عليكم شراركم ولأجعلنّ أموالكم في أيدي بخلائكم ولأمنعنكم قطر السماء، ثم ليدعوني خياركم فلا استجيب لهم، ويستر حموني فلا أرحمهم، ويستسقوني فلا أسقيهم.

و في (الأغانى) (٢) عن حماد الرواية: ادخلت على أبي مسلم فاستنشدني فأنشدته قول الأفيوه:

تهدى الامور بأهل الرشد ما صلحت و ان تولت فبالاشرار تنقاد

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس. وقالوا: إنّه قتل ستمائه ألف صبيرا سوى ما فى حروبه.

و عن الصادق عليه السلام: ما قرب المنكر بين أظهر قوم لا يغيرونه إلا أوشك الله أن يعمّهم بعقاب من عنده.

و عنه عليه السلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما نصره الله و من خذلهما خذله الله، و إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليؤذن بوقاع من الله تعالى.

و فى الخير: أنّ الله تعالى ليعذب الجعل فى جحرها بحبس المطر من الأرض، لخطايا من بحضرته و قد جعل الله له السبيل و المسلك إلى محل أهل الطاعة.

و فى (بيان الجاحظ) عن النبي صلّى الله عليه وآله: أنّ قوما ركبوا سفينه فى البحر

ص: ٨٤

١- ١) تاريخ يعقوبي ٢: ١٠٨. [١]

٢- ٢) الأغانى ٧: ٥٧. [٢]

فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ما تصنع؟ فقال: هو مكاني أصنع فيه ما شئت. فإن أخذوا على يديه نجا و نجوا، وإن تركوه هلك و هلكوا.

و في (تفسير القمى) (١) عن الصادق عليه السلام: لما عملت بنو إسرائيل المعاصى و عتوا عن أمر ربهم، أراد أن يسلّط عليهم من يذلّهم، فأوحى إلى إرميا: ما بلد انتخبته من بين البلدان و غرست فيه من كرائم الشجر، فأخلف فأثبت خرنوبا؟ فأخبر إرميا أحبار بنى إسرائيل فقالوا: راجع ربّك ليخبرنا ما معنى هذا المثل؟ فصام إرميا سبعا فأوحى تعالى إليه: أمّا البلد فبيت المقدس، و أمّا ما أنبت فيها فبنو إسرائيل الذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصى و غيروا دينى و بدّلوا نعمتى كفرا، فبى حلفت لا بتليّتهم بفتنه يظلّ الحكيم فيها حيرانا، و لاسلّطن عليهم شر عبادى و لاده و طعاما، يسلّط عليهم بالحيره، فيقتل مقاتليهم و يسبى حريمهم و يخزّب بيتهم الذى يغترون به، و يلقي حجرهم الذى يفتخرون به على الناس فى المزابل مائه سنه. فأخبر إرميا أحبار بنى إسرائيل فقالوا له: راجع ربّك، إنّه ما ذنب المساكين و الضعفاء؟ فصام إرميا ثم أكل أكله فلم يوح إليه، ثم صام سبعا فأوحى إليه: لتكفّن عن هذا أو لأردنّ وجهك فى قفاك. ثم أوحى إليه: قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه. فقال إرميا: ربّ أعلمنى متى هو؟ حتى آتية و آخذ لنفسى و أهل بيتى أمانا منه. قال: إيت موضع كذا و كذا فانظر إلى غلام: أشدّهم زمانه و أخبثهم و لاده و شرّهم غداء، فهو ذاك. فأتى إرميا ذلك البلد فاذا هو بغلام زمن فى خان، على مزبله وسط الخان، و إذا له امّ تربي بالكسر و تفتها فى القصعه و تحلب عليه خنزيره لها، ثم تدنيه من ذلك الغلام فيأكله، فقال إرميا: إن كان

ص: ٨٥

فى الدنيا الذى وصفه الله تعالى فهو هذا.فدنا منه فقال له:ما اسمك؟قال:بخت النصر.فعرفه أنه فعالجه حتى برئ ثم قال له:تعرفنى؟قال:لا،إلا أنك رجل صالح.قال:أنا إرميا نبيّ بنى إسرائيل،أخبرنى الله أنه سيسلّطك على بنى إسرائيل،فتقتل رجالهم وتفعل بهم ما تفعل.فتاه فى نفسه فى ذلك الوقت،ثم قال له إرميا:اكتب لنا كتابا بأمان منك.فكتب له كتابا،و كان يخرج فى الجبل و يحتطب و يبيعه فى البلد،فدعا إلى حرب بنى إسرائيل فأجابوه-و كان مسكنهم فى بيت المقدس-و اجتمع إليه بشر كثير،فلما بلغ إرميا اقباله نحو بيت المقدس،استقبله على حمار له و معه الأمان الذى كتبه له،فلم يصل إليه من كثره جنوده و أصحابه،فصير الأمان على قصبه و رفعها،فقال:من أنت؟ فقال:إرميا النبيّ الذى بشرتك بأنك سيسلّطك الله على بنى إسرائيل،و هذا أمانك لى.قال:أما أنت فقد آمنتك،و أما أهل بيتك فأنا أرمى من هاهنا بيت المقدس،فإن وصلت رميتى إليه فلا أمان لهم عندى،و إن لم تصل فهم آمنون.

و انتزع قوسه و رمى نحو بيت المقدس،فحملت الريح الشابه حتى علقها فى بيت المقدس،فقال:لا أمان لهم عندى.فلما وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة،فإذا دم يغلى وسطه،كلما القى عليه التراب خرج يغلى،فقال:ما هذا؟ قالوا:هذا نبيّ كان لله فقتله ملوك بنى إسرائيل،و دمه يغلى،و كلما ألقينا عليه التراب خرج يغلى.فقال:لأقتلن بنى إسرائيل أبدا حتى يسكن هذا الدم.و كان دم يحيى،كان فى زمانه ملك جبار يزنى بنساء بنى إسرائيل،و كان يمرّ بيحيى فقال له يحيى:أتق الله أيها الملك،لا يحلّ لك هذا،فقال له مرأه-ممن يزنى بهن حين سكرا-:اقتله.فأمر أن يؤتى برأسه فأتوه به فى طشت،فكلّمه الرأس و قال له:يا هذا،أتق الله،لا- يحلّ لك هذا.ثم غلى الدم فى الطشت حتى فاض إلى الأرض،فخرج يغلى و لا يسكن،و كان بين قتل يحيى و خروج بخت

النصر مائه سنه، و لم يزل يقتلهم، و كان يدخل قريه قريه فيقتل الرجال و النساء و الصبيان و كل حيوان، و الدم يغلى حتى أفناهم فقال: بقي أحد من هذه البلاد؟ فقالوا: عجوز في موضع كذا و كذا. فبعث إليها فضرب عنقها على ذلك الدم فسكن، و كانت آخر من بقي .

ثم قال: يا بني عبد المطلب لا ألفينكم» أي: لا أجدنكم.

«تخوضون دماء المسلمين خوفا» فلو قتل جميع الناس رجلا بغير حق لأكبهم الله جميعا في النار.

«تقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين» فأهل الدنيا إذا قتل أحد كبرائهم يقتلون به عدّه القاتل، و غير القاتل و المحقق، و غير المحقق كان سويد بن ربيعه التميمي قتل أخا لعمر بن هند-ملك الحيره- و هرب، فقتل عمرو سبعة من ولده و حلف ليقتلن مائه من قومه، فقتل ثمانية و تسعين منهم إحراقا بالنار، فرأى رجلا- من براجم تميم الدخان يرتفع فقال: إن الملك يطعم الناس. فقصده فلمّا دنا قال له: من أنت؟ قال: من البراجم. قال: الشقيّ وافد البراجم. و أمر به فالقى في النار، ثم أتى بالحمراء بنت ضمرة فأحرقها، و تحلل من يمينه.

و لمّا قتل أبو لؤلؤه عمر، أتهم عبيد الله الهرمزان ملك تستر بشركته فقتله، فطلب أمير المؤمنين عليه السلام من عثمان أن يقوده فأبى: فلمّا بويع عليه السلام هرب عبيد الله إلى معاوية حتى قتل في صفين، و أتهم أيضا نصرانيا من أهل الحيره فقتله مع ابنه. قال البلاذري: قال عبيد الله للهرمزان: مرّ بنا إلى فرس لي. فمضى و عبيد الله خلفه فضربه بالسيف و هو غافل فقتله. و قال الواقدي:

و كان جفينة العبادي من أهل الحيره نصرانيا ظئرا لسعد بن أبي وقاص، فاتهمه عبيد الله بمشايعة أبي لؤلؤه، فقتله و قتل ابنه.

و فى (الطبرى) (١) كان عبيد الله يقول:

و الله لأقتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى- يعرض بالمهاجرين و الأنصار- و نزع سعد السيف من يده، بعد قتل جفينه- ظئره- و الهرمزان و ابنه أبى لؤلؤه.

و لما قتل مصعب أخوا عبيد الله بن زياد بن ظبيان، نذر عبيد الله ليقتلن به مائه من قريش، فقتل ثمانين ثم قتل مصعبا و جاء برأسه حتى وضعه بين يدى عبد الملك، فسجد عبد الملك، فهم أن يفتك به أيضا فارتدع و قال:

هممت و لم أفعل و كدت وليتنى فعلت و وليت البكاء حلائله

و قال:

قتلت من حى فھر بن مالك ثمانين منهم ناشئون و شيب

و كفى بهم رهن بعشرين أو يرى على من الاصبح نوح مسلب

و فى (الطبرى) (٢): فى حرب تميم و عبد الله بن خازم بخراسان فى سنة (٦٥). و كان الأشعث بن ذؤيب العدوى- أخو زهير- قتل فى تلك الحرب، فقال زهير لأخيه و به رمق: من قتلك؟ قال: لا أدرى، طعننى رجل على بر دون أصفر.

فكان زهير لا- يرى أحدا على بر دون أصفر إلا- حمل عليه، فمنهم من يقتله و منهم من يهرب، فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر، فكانت مخلاه فى العسكر لا يركبها أحد.

«ألا لا يقتلن بى إلا قتلى» روى (اسد الغابه) (٣) عن عبد الله بن سبع قال:

خطبنا على فقال: و الذى فلق الحبة و برأ النسمه، لتخضبن هذه من هذه. فقال

ص: ٨٨

١- (١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٣٩. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٦٢٦. [٢]

٣- (٣) اسد الغابه ٤: ٣٤. [٣]

رجل: لا يفعل ذلك أحد إلا أبرنا عترته. فقال: اذكر الله و أنشد ألا يقتل بى إلا قاتلى.

و فى (الطبرى) (1) قالت قطام لابن ملجم: إتنى أطلب لك من يشدّ ظهرك و يساعدك على أمرك. فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب، يقال له:

وردان، فكلمته فأجابها، و أتى ابن ملجم رجلا من أشجع، يقال له: شبيب بن بجره، فقال له: هل لك فى شرف الدنيا و الآخرة؟ قال: ما ذاك؟ قال: قتل علىّ.

قال: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئا إدا، كيف تقدر عليه؟ قال: أكمن له فى المسجد، فإذا خرج لصلاه الغداه شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا و أدركنا ثأرنا، و إن قتلنا فما عند الله خير. قال: ويحك! لو كان غير علىّ لكان أهون علىّ، قد عرفت بلاءه فى الإسلام و سابقته مع النبىّ صلى الله عليه و آله و ما أجدنى أنشرح لقتله.

قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهروان العباد الصالحين؟ قال: بلى. قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه، فجاءوا قطام و هى فى المسجد الأعظم معتكفه فقالوا لها: قد اجمع رأينا على قتل علىّ. قالت: فإذا أردتم ذلك فأتونى. ثم عاد إليها ابن ملجم فى الليله التى قتل فى صبيحتها فقال: هذه الليله التى و اعدت فيها صاحبى. فدعت لهم بحرير فعصبتهم به، و أخذوا أسيافهم و جلسوا مقابل السده التى يخرج منها علىّ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف فوق سيفه بعضاده الباب أو الطاق، و ضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف، و هرب وردان حتى دخل منزله فدخل عليه رجل من بنى أبيه و هو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير و السيف؟ فأخبره بما كان، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، و خرج شبيب نحو أبواب كنده فى الغلس، و صاح الناس فلحقه رجل من حضر موت، يقال له: عويمر، و فى يد شبيب السيف فأخذه و جثم

ص: ٨٩

عليه الحزرمي: فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه و سيف شبيب في يده خشي على نفسه، فتركه و نجا شبيب في غمار الناس، فشدوا على ابن ملجم فأخذوه، إلا أن رجلا من همدان-يكنى أبا ادماء-أخذ سيفه فضرب رجله فصرعه، و تأخر علي عليه السلام فرجع في ظهره جعده بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، ثم قال علي عليه السلام: علي بالرجل. فادخل عليه السلام قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحا، و سألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال عليه السلام: لا أراك إلا مقتولا به، و لا أراك إلا من شر خلقه.

و رواه الطبري هذه داله على قتل وردان مع ابن ملجم و فلت شبيب، و روى (إرشاد المفيد) (١) العكس، فقال: و مضى شبيب هاربا حتى دخل منزله و دخل عليه ابن عم له، فرآه يحل الحرير عند صدره، فقال له: ما هذا؟ لعلك قتلت أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول: لا، قال: نعم. فمضى و اشتمل على سيفه، ثم دخل عليه فضربه به حتى قتله-إلى أن قال- و أفلت الثالث و انسل بين الناس.

و مثله أبو الفرج (٢)، و كذا المسعودي في (المروج) (٣) إن لم يكن في النسخة تصحيف، و الصواب روايه الطبري من عدم قتل شبيب، ففي (كامل الجزري): لَمَّا أتى معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمقرب إليه و قال له: أنا و ابن ملجم قتلنا عليا. فوثب معاوية من مجلسه مذعورا حتى دخل منزله، و بعث إلى أشجع بأنني رأيت شيبا أو بلغني أنه يبأبي، لأهلكنكم، أخرجوه عن بلدكم.

ص: ٩٠

١-١ (١) إرشاد المفيد ٢٠:١. [١]

٢-٢ (٢) المقاتل لأبي الفرج: ٢١-٢٢.

٣-٣ (٣) المروج للمسعودي ٤٢٤:٢-٤٢٥.

و كان شبيب إذا جنّ عليه الليل خرج فلم يلتق أحدا إلاّ قتله، فلما ولي المغيرة الكوفة خرج عليه بالطف قريب الكوفة، فبعث إليه المغيرة خيلا عليها خالد بن عرفط - و قيل: معقل بن قيس - فاقتلوا، فقتل شبيب و قتل أصحابه.

و قريب منه في (تاريخ يعقوبى) (١)، و روى (الكامل للمبرد) (٢) أيضا:

قلت: شبيب، و كذا (تذكرة سبط ابن الجوزى) نقلا مقتله عليه السلام عن محمد بن إسحاق و هشام بن محمد و السدى و غيرهم، و كذا (كشف الغمّة) (٣) نقلا عن (مناقب الخوارزمى) مرفوعا إلى إسماعيل بن راشد.

و رواه الطبرى أيضا تضمّن أنّ الناس أخذوا ابن ملجم، فأخذ أبو ادعاء الهمداني سيفه فضرب رجله فصرعه.

و في (المقاتل) (٤) قال أبو مخنف: ذكرت همدان أنّ أبا ادعاء منهم أخذه.

و قال يزيد بن أبى زياد: أخذه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب و طرح عليه قطيفه، ثم صرعه و أخذ السيف من يده و جاء به.

و المسعودى جمع بينهما فقال: قال علىّ عليه السلام: لا يفوتتكم الرجل. فشدّ الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء و يتناولونه و يصيحون، فضرب ساقه رجل من همدان برجله، و ضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث وجهه فصرعه، و أقبل به إلى الحسن عليه السلام.

و روى (قرب الاسناد) (٥): أنّه عليه السلام لما ضرب وقع على ركبتيه و أخذه فالتزمه، حتى أخذه الناس.

ص: ٩١

١- (١) تاريخ يعقوبى ٢: ٢١٢. [١]

٢- (٢) الكامل للمبرد ١٦٧: ٢.

٣- (٣) كشف الغمّة ٥٤: ٢.

٤- (٤) المقاتل: ٢١.

٥- (٥) قرب الاسناد: ٦٧ [٢] عن الصادق ٧.

و روايه الطبرى و أبى الفرّج تضمّنت أنّ اللعين ضربه عليه السلام لَمَّا ورد المسجد.

و روى (أمالى الشيخ) (١): أنّه عليه السلام ضرب و هو ساجد، و كذا ذكر (تاريخ أعثم الكوفى) و فيه: أنّ ابن ملجم فرّ فأخذه رجل من عبد القيس، و كذا فى (مطالب سؤول ابن طلحه الشافعى)، و كذا روى (فضائل شهر رمضان) (٢) كما فى أوّل الفصل.

ثمّ ما فى (البحار) (٣) عن بعض الكتب: أنّهم قتلوا قطام أيضا، لم يذكره غيره، بل روى (أغانى أبو الفرّج) (٤) فى عمرو بن بانه: - أنّ كثيرا الشاعر كان غاليا فى التشيع و اخبر عن قطام صاحبه ابن ملجم فى قدمه قدمها الكوفه، فأراد الدخول عليها ليوبخها...

هذا و فى (أخبار الدينورى) (٥): خطب ابن ملجم إلى قطام ابنتها الرباب، و كان علىّ عليه السلام قتل أباه و أخاه و عمّاه يوم النهر، فقالت: لا ازوجك إلاّ على ثلاثة آلاف درهم و عبد و قينه و قتل علىّ عليه السلام. فأعطاها ذلك و أملاكها.

«انظروا» من الإنظار أى: امهلوا.

«إذا أنا متّ من ضربته هذه» و قد وصف اللعين ضربته كما فى (كامل المبرد) فقال: اشتريت سيفى بألف درهم، و ما زلت أعرضه فما يعيبه أحد إلاّ أصلحت ذلك العيب، و لقد أسقيته السمّ حتى لفظه، و لقد ضربته ضربه لو قسّمت على من بالمشرق و المغرب لأتت عليهم. و قال اللعين: لقد ابتعته بألف

ص: ٩٢

١- ١) الأمالى للشيخ ٣٧٥: ١.

٢- ٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣١ ح ٥٣ ب ٢٨.

٣- ٣) البحار ٢٩٨: ٤٢.

٤- ٤) الأغانى لأبى الفرّج ٢٨٣: ١٥.

٥- ٥) الأخبار للدينورى: ٢١٣. [١]

و سمّمته بألف، فإنّ خاني فأبعده الله. و قال لامّ كلثوم-لَمّا قالت: ارجو ألاّ يكون عليه بأس-: لقد ضربته ضربه لو قسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

«فاضربوه ضربه بضربه» و لابد أنّه عليه السلام قال بسيفه-لَمّا مرّ من خبر الطبري أن اللعين قال له عليه السلام: شحذته أربعين صباحا و سألت الله أن يقتل به شرّ خلقه، فقال عليه السلام له:- لا أراك إلاّ مقتولا به و أنت من شرّ خلقه.

و في (كامل المبرد) (١): أنّ الحسن عليه السلام دعا بعد أبيه باللعين، فقال له عليه السلام: إنّ لك عندي سرّاً. فقال الحسن عليه السلام: أتدرون ما يريد؟ يريد أن يقرب من وجهي فيعض اذني فيقطعها.

و روى الكليني عن عليّ بن إبراهيم العقيليّ: أنّه عليه السلام قال للحسن عليه السلام:

إذا أنا متّ فاقتل ابن ملجم و احفر له في الكناسه ثم ارم به، فإنّه واد من أوديه جهنّم.

و في (الطبري) (٢): أخذه الناس بعد قتله فأدرجوه في بوارى، ثم أحرقوه بالنار. و في (المقاتل) (٣): استوهبت أمّ الهيثم النخعيه جيفته من الحسن عليه السلام فوهبها لها فأحرقتها.

و في (المروج) (٤): و لَمّا أرادوا قتله قال عبد الله بن جعفر: دعوني حتى اشفي نفسي منه. فقطع يديه و رجله، و أحمى له مسمارا حتى إذا صار جمره كخله به، فقال: إنّك لتكحل عمّك بملمول بصاص. ثم إنّ الناس أدرجوه في بوارى ثم طلّوها بالنفط، و أشعلوا فيها النار فاحترق.

«و لا يمثّل بالرجل فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: إياكم و المثلّه و لو

ص: ٩٣

١-١) الكامل للمبرد ١٦٧: ٢. [١]

٢-٢) تاريخ الطبري ١٤٩: ٥. [٢]

٣-٣) المقاتل لأبي الفرج: ٢٦.

٤-٤) المروج ٤٢٦: ٢. [٣]

بالكلب العقور» في (الطبرى) (١): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ رَأَى بِحَمْزِهِ أَنَّ بَطْنَهُ بَقِرَ عَنْ كَبِدِهِ وَجَدَعَ أَنْفَهُ وَاذْنَاهُ قَالَ: لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن، لامثَلنَّ بثلاثين رجلا منهم. فلَمَّا رَأَى أصحابه غيظه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على ما فعل بعمه قالوا: لئن ظهرنا عليهم يوما من الدهر، لنمثَلنَّ بهم مثله لم يمثَلها أحد من العرب بأحد قط. فأنزل تعالى فى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» (٢). فعفا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَهَى عَنِ المِثْلِهِ.

هذا، وروى (أمالى الشيخ) (٣) عن الحسن بن عمران بن حصين قال: ما خطبنا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خطبه أبدا إلا أمرنا فيها بالصدقه و نهانا عن المِثْلِهِ. قال: إلا و إنَّ من المِثْلِهِ أن ينذر الرجل أن يخرم أنفه، و من المِثْلِهِ أن ينذر الرجل أن يحجَّ ماشيا، فمن نذر ذلك فليركب و ليهد بدنه.

و عنهم عليهم السلام: حلق اللحية من المِثْلِهِ، و من مثَل فعليه لعنة الله.

هذا، وروى (مقاتل أبى الفرج) (٤) بأسانيد: أَنَّ الحسن عليه السلام خطب بعد أبيه فقال: لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، و لقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى عليه السلام و توفى فيها يوشع وصى موسى عليه السلام، و ما خلف صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يتاع بها خادما لأهله. ثم خنفته العبره فبكى و بكى النَّاس معه،

ص: ٩٤

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥٢٨: ٢. [١]

٢-٢ (٢) النحل: ١٢٦. [٢]

٣-٣ (٣) الأمالى للشيخ ٣٦٩: ١. [٣]

٤-٤ (٤) مقاتل لأبى الفرج: ٣٢.

ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله باذنه، أنا ابن السّراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّهم تطهيرا، و الذين افترض موذّتهم في كتابه إذ يقول: «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَهُ نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» (١)، فاقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت.

و رواه المسعودى (٢) إلى قوله: «يشترى بها خادما لأهله».

و أقول: في قوله عليه السلام «و لقد يجاهد مع النبيّ صلّى الله عليه و آله فيقيه بنفسه» وقاه صلّى الله عليه و آله في مواضع و منها في احد حتى تعجب جبرئيل - كما في الطبرى - (٣) من عمله عليه السلام فقال النبيّ صلّى الله عليه و آله: إنّ هذه لهي المواساه. فقال صلّى الله عليه و آله: و ما يمنعه من مواساتي؟ فإنّه منى و أنا منه. فقال جبرئيل: و أنا منكما. فسمعوا صوتا:

لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على

و في قوله: «أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّهم تطهيرا» أنّ أئمتهم صاروا سببا لتقديم الشجره الملعونه في القرآن - معاويه و باقى بنى اميه - على ذاك البيت المقدّس.

و في قوله عليه السلام: «و الذين افترض موذّتهم في كتابه، أنّ الثلاثة صاروا سببا لتقديم من فرض لعنه - حسبما لعنهم النبيّ صلّى الله عليه و آله في المواطن و البراءه منهم - على من افترض مودتهم و الصلوات عليهم، و قد اعترف بذلك معاويه في كتابه إلى الحسن عليه السلام، كما رواه (مقاتل أبى الفرج) (٤).

هذا، و في (تاريخ أعثم الكوفى) عن الحسن عليه السلام قال: كنت جالسا على

ص: ٩٥

١ - ١) الشورى: ٢٣. [١]

٢ - ٢) المسعودى ٤٢٦: ٢.

٣ - ٣) تاريخ الطبرى ١٢٠: ٤ - ١٢١. [٢]

٤ - ٤) مقاتل لأبى الفرج: ٣٦ - ٣٧.

باب الدار ساعه وفاه أبى عليه السلام فسمعت هاتفا يقول لآخر: «أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فأجابه الآخر: ببل «مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١)، فسمعت هاتفا آخر يقول: حان وفاه وصي النبي صلى الله عليه وآله و خرب ركن الإسلام. فدخلت إلى أبي فإذا هو قد قضى.

و في (أخبار الدينوري) (٢): و دفن علي عليه السلام ليلا، و صلى عليه الحسن عليه السلام و كبر خمسا، فلم يعلم أحد أين دفن؟ هذا و قال عليه السلام: لا يمثّل بالرجل لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال كذا. و لكن لعن الله عبيد الله بن زياد كتب إلى عمر بن سعد- في جواب كتابه إليه: هذا حسين قد أعطاني عهدا أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى -: إني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه و لا- لتطاوله، و لا- لتمنيه السلامة و البقاء، و لا لتقعد له عندى شافعا، انظر فإن نزل حسين و أصحابه على الحكم و استسلموا، فابعث إلى بهم سلما، و ان أبو فازحف إليهم حتى تقتلهم و تمثّل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإذا قتلته فأوطئ الخيل صدره و ظهره، فإنه عاق مشتاق قاطع ظلوم، و ليس دهري في هذا أن يضرّ بعد الموت شيئا، و لكن عليّ قول لو قد قتلته فعلت هذا به.



الكتاب (٢٤)

و من وصيه له عليه السلام بما يعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين:

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ؟ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ - فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ - لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَ يُعْطِيَهُ الْأَمَنَةَ.

ص: ٩٤

[١ - ١] فصلت: ٤٠. [١]

[٢ - ٢] الأخبار للدينوري: ٢١٦. [٢]

مِنْهَا فَبِأَنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ؟ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ؟ - يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ - وَ يُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ - فَإِنْ حَدَّثَ؟ بِحَسَنِ؟ حَدَّثَ وَ؟ حُسَيْنٌ؟ حَتَّى - قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَ أَضِدْرَهُ مَضِي دَرَهُ - وَ إِنْ لِيْنِي؟ فَاطِمَةَ؟ مِنْ صِدْقِهِ؟ عَلِيٌّ؟ مِثْلَ الَّذِي لِيْنِي؟ عَلِيٌّ؟ - وَ إِنْ إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ - إِلَى ابْنِي؟ فَاطِمَةَ؟ ائْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ - وَ قُرْبَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؟ - وَ تَكْرِيمًا لِحُزْمَتِهِ وَ تَشْرِيْفًا لَوْضَاعَتِهِ - وَ يَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ - أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ - وَ يُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَ هُدَى لَهُ - وَ أَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَ دِيَّهِ - حَتَّى تُشَكِلَ أَرْضُهَا غَرَسًا - وَ مَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أُطُوفُ عَلَيْنَهُنَّ - لَهَا وَ لَمَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ - فَتَمْسُكُ عَلَى وَ لَمَدَهَا وَ هِيَ مِنْ حَظِّهِ - فَإِنْ مَاتَ وَ لَمَدَهَا وَ هِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ - قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرَّقُّ وَ حَرَّرَهَا الْعِتْقُ قَالَ الرَّضِيُّ:

قوله عليه السلام في هذه الوصية: «أن لا يبيع من نخيلها وديه» الوديه:

الفسيله، وجمعها ودي.

و قوله عليه السلام «حتى تشكل أرضها غراسا» هو من أفصح الكلام، و المراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل، حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها، فيشكل عليه أمرها، و يحسبها غيرها.

أقول: الأصل فيها و في ما اسقط منها - كما يشهد له قوله: «منها» - ما

رواه كتاب (وصايا الكافي الكليني-الكافي-كتاب الوصايا باب صدقاتهم عليهم السلام ج ٧ ص ٤٩ ح ٧) (١) باب صدقاتهم عليهم السلام عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام بوصيه أمير المؤمنين عليه السلام و هي:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به في ماله عبد الله على ابتغاء وجه الله، ليدخلني به الجنة و يصرفني به عن النار، و يصرف النار عنى «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» إنّه ما كان لى من مال ينبع يعرف لى فيها و ما حولها صدقه و رقيقها، غير أنّ رباحا و أبا نيزر و جبيرا عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل، فهم موالى يعملون فى المال خمس حجج، و فيه نفقتهم و رزقهم و أرزاق أهاليهم مع ذلك، و ما كان لى بوادى القرى كلّ من مال لبنى فاطمه و رقيقها صدقه، و ما كان لى بديمه و أهلها صدقه، غير أنّ زريقا له مثل ما كتبت لأصحابه و ما كان بآدينه و أهلها صدقه و الفقيرين كما قد علمتم صدقه فى سبيل الله، و إنّ الذى كتبت من أموالى هذه صدقه واجبه بتله حيّا أنا أو ميتا، ينفق فى كلّ نفقه يتغى بها وجه الله فى سبيل الله و وجهه، و ذوى الرحم من بنى هاشم و بنى المطلب و القريب و البعيد، و إنّه يقوم على ذلك الحسن بن علىّ، يأكل منه بالمعروف و ينفقه حيث يراه الله عز و جل، فى حل محلل لا حرج عليه فيه فإن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضى به الدين، فليفعل ان شاء و لا حرج عليه فيه، و إن شاء جعله سرى الملك، و إنّ ولد علىّ و موالىهم و أموالهم إلى الحسن بن علىّ، و إن كانت دار الحسن بن علىّ غير دار الصدقه فبدا له أن يبيعها، فليبيع إن شاء لا حرج عليه فيه، و إن باع فإنّه يقسم ثلاثه أثلاث، فيجعل ثلثها فى سبيل الله، و يجعل ثلثا فى بنى هاشم و بنى المطلب، و يجعل الثلث فى آل أبى طالب، و إنّه يضعه فيهم حيث يراه الله، و ان حدث بحسن حدث و حسين حّ فإنّه إلى حسين بن علىّ، و إنّ حسينا يفعل فيه

ص: ٩٨

مثل الذى أمرت به حسنا، مثل الذى كتبت للحسن، و عليه مثل الذى على الحسن، و إنّ لبنى ابنى فاطمه من صدقه على مثل الذى لبنى على، و إنّما جعلت الذى لبنى فاطمه ابتغاء وجه الله عز و جل و تكريم حرمه رسول الله صلى الله عليه و آله و تعظيمها و تشريفها و رضاها، و إن حدث بحسن و حسين فإنّ الآخر منهما ينظر فى بنى على، فان وجد فيهم من يرضى بهداه و اسلامه و امانته، فإنّه يجعله إليه إن شاء، و ان لم يرفيهم بعض الذى يريده، فإنّه يجعله إلى رجل من آل أبى طالب يرضى به، فإن وجد آل أبى طالب قد ذهب كبراؤهم و ذوو رأيهم، فإنّه يجعله إلى رجل يرضاه من بنى هاشم.

و أنّه يشرط على الذى يجعله إليه أن يترك المال على اصوله، و ينفق ثمره حيث أمرته به، من سبيل الله و وجهه و ذوى الرحم من بنى هاشم و بنى المطلب و القريب و البعيد، لا يباع منه شيء و لا يوهب و لا يورث، و إنّ مال محمّد بن على إلى ناحيه- و هو إلى بنى فاطمه- و إنّ رقيقى الذين فى صحيفه صغيره التى كتبت لى عتقاء.

هذا ما قضى به على بن أبى طالب فى أمواله هذه الغد من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله و الدار الآخرة، و الله المستعان على كلّ حال، و لا يحلّ لامرئ مسلم يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يقول فى شيء قضيته من مالى، و لا يخالف فيه أمرى من قريب و لا بعيد. أما بعد، فإنّ ولائى اللاتى أطوف عليهن السبعه عشر منهن امهات أولاد معهن أولادهن، و منهن حبالى و منهن من لا ولد لها، فقضائى فيهن إن حدث بى حدث: أنّه من كان منهن ليس لها ولد و ليست بحبلى، فهى عتيق لوجه الله عز و جل ليس لأحد عليهن سبيل، و من كان منهن لها ولد أو حبلى، فتمسك على ولدها و هى من حظّه، فإن مات ولدها و هى حيّه فهى عتيق ليس لأحد عليها سبيل. هذا ما قضى به على فى ماله الغد

من يوم قدم مسكن. شهد أبو سمر بن أبرهه و صعصعه بن صوحان و يزيد بن قيس و هياج بن أبي هياج، و كتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى، سنة سبع و ثلاثين.

و رواه (التهذيب - التهذيب - ج ٩ ص ١٤٦ ح ٦٠٨-٥٥ ب الوقف) (١) في أول وقوفه و صدقاته.

قول المصنف: «و من وصيّه له عليه السلام بما يعمل في أمواله» المفهوم من روايه (الكافي) و (التهذيب) المتقدمه أنّ بعض أمواله عليه السلام كان يبيع، و بعضها بوادي القرى، و بعضها بديمه و بعضها بآدينه، و بعضها بالقصيره أو الفقيرين، على اختلاف (التهذيب) و (الكافي)، و الصواب: الثاني.

ففي (المعجم) عن جعفر بن محمد عليه السلام: أنّ النبي صلّى الله عليه و آله أقطع عليا أربع أرضين: الفقيرين و بئر قيس و الشجرة. و من صدقاته عليه السلام: سويقه، فقال أبو الفرج: لما خرج محمد بن صالح الحسنى على المتوكل فظفر به، أخرب سويقه - و هي منزل للحسينين، و هي من صدقات أمير المؤمنين عليه السلام - و عقربها نخلا كثيرا و حرق منازل لهم بها، و أثر فيهم و فيها آثارا قبيحه.

و من صدقاته عليه السلام: يبيع، ففي (الكافي) (٢) عن الصادق عليه السلام: قسم النبي صلّى الله عليه و آله الفء فأصاب علي عليه السلام أرضا، فاحترف بها عينا فخرج ماء يبيع في السماء كهيته عنق البعير فسماها يبيع، فجاء البشير يبشر، فقال عليه السلام: بشر الوارث هي صدقه بته بتلاء في حجيج بيت الله و عابر سبيل الله.

و من صدقاته عليه السلام: داره في المدينة، و كتب في وقتها: تصدّق بداره في بنى زريق صدقه لا - تباع و لا - توهب و لا تورث، حتى يرثها الذي يرث السماوات

ص: ١٠٠

١- ١) التهذيب ١٤٦: ٩ ح ٦٠٨-٥٥ ب الوقف.

٢- ٢) الكافي ٥٤: ٧ ح ٩. [١]

و الأرض، و اسكن هذه الصدقه خالاته ما عشن و عاش عقبهن، فإذا انقضوا فهي لذوى الحاجه من المسلمين. رواه (الفقيه) (١).

و روى ابن طاوس (٢): إنّه عليه السلام وقف أمواله، و كانت غلته أربعين ألف دينار، و باع سيفه و قال: من يشتري سيفي؟ و لو كان عندي عشاء ما بعته.

و روى أحمد بن حنبل في (مسنده) (٣) أيضا بلوغ غلات صدقاته أربعين ألفا. «كتبها بعد منصرفه من صفين» انصرافه عليه السلام من صفين كان في صفر (٣٧) فكان رحيلهم بعد كتابه الصلح.

و في (الطبرى) (٤): كتبت الصحيفة- فى ما قيل- يوم الأربعاء (١٣) صفر سنة (٣٧) و منه يظهر أنّ الأصح فى تاريخ الخبر سنة سبع و ثلاثين، كما فى (الكافى) دون سبع و ثلاثين، كما فى (التهديب).

و يشهد له أيضا قول المبرد فى (كامله) (٥): روى أنّ عليّا عليه السلام لما أوصى إلى الحسن عليه السلام فى وقف أمواله و أن يجعل فيها ثلاثه من مواليه، وقف فيها عين أبى نيزر و البغيغه، هذا غلط لأنّ وقفه لهذين الموضوعين لسنتين من خلافته.

قوله عليه السلام: «هذا ما أمر به عبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين» هكذا فى (المصريه) أخذنا من (ابن أبى الحديد) (٦) و ليس فى (ابن ميثم) (٧) كلمه «عبد الله».

ص: ١٠١

١-١ (١) الفقيه ١٨٣: ٤ ح ٢٣ ب ١٢٨.

٢-٢ (٢) كشف المحججه لابن طاوس: ١٢٤. [١]

٣-٣ (٣) ذكره المجلسى ٤١: ٢٦. [٢]

٤-٤ (٤) تاريخ الطبرى ٥٦: ٥-٥٧. [٣]

٥-٥ (٥) الكامل للمبرد ١٧٢: ٢. [٤]

٦-٦ (٦) شرح ابن أبى الحديد ١٤٦: ١٥. [٥]

٧-٧ (٧) شرح ابن ميثم ٤٠٥: ٤. [٦]

«ابتغاء وجه الله ليولجته» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم [١](#)) و الخطيه): «ليولجني».

«به الجنة، و يعطيه» و في (ابن ميثم): «و يعطيني».

«به» هكذا في (المصريه) و ليس في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم).

«الامنه» في (كامل المبرد) [٢](#) قال أبو نيزر: جاءني عليّ عليه السلام و أنا أقوم بالضيعتين: عين أبي نيزر و البغيغه- إلى أن قال- ثم أخذ عليه السلام المعول و عاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها و جعل يههمهم، فانتالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال: أشهد الله أنّها صدقه، عليّ بدواه و صحيفه. فعجلت بها إليه فكتب بعد البسملة: هذا ما تصدّق به عليّ أمير المؤمنين، تصدّق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر و البغيغه على فقراء أهل المدينة و ابن السبيل، ليقى الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة لا تباعا و لا توهبا حتى يرثهما الله و هو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن و الحسين فهما طلق و ليس لأحد غيرهما. فركب الحسين عليه السلام دين فحمل إليه معاويه بعين أبي نيزر مائتي الف دينار، فأبى أن يبيع و قال: إنّما تصدّق بها أبي ليقى الله بها وجهه حرّ النار، و لست بائعها بشيء. و صحّ عندي أنّ أبا نيزر من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيرا، فأتى النبيّ صلّى الله عليه و آله فأسلم و كان معه في بيوته، فلمّا توفي النبيّ صلّى الله عليه و آله صار مع فاطمه و ولدها عليها السلام .

«منها» قد عرفت من الروايه ما حذف منها.

«و إنّهُ يقوم بذلك الحسن بن عليّ، يأكل منه بالمعروف و ينفق في المعروف» هكذا في (المصريه) و الصواب: (و ينفق منه في المعروف) كما في (ابن أبي

ص: ١٠٢

١-١) ابن ميثم.

٢-٢) الكامل للمبرد ١٧٣:٢. [١]

الحديد (١) و ابن ميثم و الخطيبه).

ثم قد عرفت أنّ روايه (الكافي) بدلت قوله: «و ينفق في المعروف» بقوله:

«و ينفقه حيث يراه الله عز و جل، في حل محل لا حرج عليه فيه». و مثله (التهذيب) لكن فيه: «و ينفقه حيث يريد الله...».

«فإن حدث بحسن حدث» أي: موت.

«و حسين حى، قام بالأمر بعده و أصدره مصدره» في روايه (الكافي) و (التهذيب) بدلت قوله: «قام بالأمر بعده...» بقوله: «فإنه إلى حسين بن عليّ و إنّ حسيناً يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسناً، و له مثل الذي كتبت للحسن و عليه مثل الذي علي الحسن».

«و إنّ لبنى فاطمه» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (و إنّ لابني فاطمه) كما في (ابن أبي الحديد (٣) و ابن ميثم) (٤) و في روايه (الكافي): «و ان لبنى ابني فاطمه».

«من صدقه عليّ مثل الذي لبنى عليّ» و بنو عليّ عليه السلام من غير فاطمه عليها السلام العباس و جعفر و عبد الله و عثمان من أمّ البنين بنت حزام الكلابي، قتلوا مع الحسين عليه السلام بالطف، و عبيد الله و ابو بكر من ليلى بنت مسعود النهشلي، قتل عبيد الله بالمدار، قتله أصحاب المختار، و قتل ابو بكر بالطف، و يحيى من أسماء بنت عميس، و منها أيضا في قول عون، و في آخر محمّد الأصغر، و عمر من أمّ حبيب بنت ربيعه التغلبيه، و محمّد الأوسط من امامه بنت ابن العاص

ص: ١٠٣

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٤:٤٠٥.

٢-٢ (٢) الطبعه المصريه ٣:٢٦.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد.

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٤:٤٠٦.

العشمى - كما فى الطبرى) (١) - و محمّد الأكبر و هو ابن الحنيفه من خوله بنت جعفر الحنفى، و العقب إنّما كان لثلاثه منهم: ابن الحنيفه و العباس و عمر.

«و إني إنّما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمه ابتغاء وجه الله، و قربه إلى رسول الله، و تكريما لحرمة، و تشريفا لوصلته» قال ابن أبى الحديد (٢): فى هذا رمز و إزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله مع وجود من يصلح للأمر منهم، أى: كان الأليق بالمسلمين و الأولى أن يجعلوا الرياسه لأهله بعده قربه النبى صلى الله عليه و آله و تكريما لحرمة و طاعه له، و أنه لقدره أن تكون ورثته سوقه يليهم الأجانب و من ليس من شجرته و أصله، ألا ترى أنّ هيبه الرساله و النبوه فى صدور الناس أعظم إذا كان السلطان و الحاكم فى الخلق من بيت النبوه، و ليس يوجد مثل هذه الهيبة و الجلال فى نفوس الناس إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوه؟ قلت: إنّ إخواننا بدلوا الناموس الإلهى فى الأنبياء و خلفائهم، ألم يقل الله تعالى فيهم عامه: «ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ» (٣)؟ ألم يقل فى ابني رسول الله صلى الله عليه و آله مع أبيهما و امهما: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (٤)؟ ألم يقل فيهم: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (٥)؟

ص: ١٠٤

١- ١) تاريخ الطبرى ١٥٣: ٥. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٤٩: ١٥. [٢]

٣- ٣) آل عمران: ٣٤. [٣]

٤- ٤) الأحزاب: ٣٣. [٤]

٥- ٥) آل عمران: ٦١. [٥]

ألم يقل نبيهم صَلَّى اللهُ عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وما أن تمسّ بكتفكما بهما لن تضلّوا أبدا؟ أو لم يقل نبيهم صَلَّى اللهُ عليه وآله: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح: من ركبها نجا و من تركها غرق؟ إلى غير ذلك ممّا يكفي كلّ واحد منها في إتمام الحجّة عليهم.

و أمّا ما في (الطبرى) (١): «ذكر أنّ جندب بن عبد الله دخل على عليّ عليه السلام فقال له: إن فقدناك -و لا نفقدك- بايع الحسن؟ فقال: ما أمركم و لا -أنهاكم، أنتم أبصر» فالإمام إمام بايعه النَّاس أم لم يبايعه كالنبيّ نبي بايعه النَّاس أم لا، و إنّما البيعه التزام و تعهد بنصرهم كما بايع الأنصار النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله ليله العقبة، و كما بايعه المهاجرون و الأنصار تحت الشجرة، مع أنّه عليه السلام قال لهم: «أنتم أبصر، إنّنا أهل بيت نبيكم و أنا كُنّا أحق من غيرنا» و علم عدم وفائهم ببيعتهم لو بايعوه، كما لم يفوا ببيعتهم عليه السلام، و كيف، و نكث طلحه و الزبير من عسرتهم و ستهم ببيعتهم عليه السلام.

و قد روى أبو الفرج في (مقاتله) (٢): أنّ الحسن عليه السلام خطب النَّاس بعد أبيه عليه السلام و قال لهم -بعد وصف أبيه بأنّه كان يقاتل جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، و لم يسبقه الأوّلون بعمل و لا يدركه الآخرون بعمل-:

أيّها النَّاس، من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمّد، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّهم تطهيرا، و من الذين

ص: ١٠٥

١- ١) تاريخ الطبرى ١٤٦: ٥. [١]

٢- ٢) مقاتل لأبى الفرج: ٣٢-٣٣.

افترض الله مودتهم في كتابه: «وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَهُ نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» (١) فاقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت.

و روى أبو الفرج أيضا: أن الحسن عليه السلام لما سلم الأمر إلى معاوية أمره أن يخطب و ظن أنه سيحصر، فقال في خطبته: إنما الخليفة من سار بكتاب الله و سنّه نبيّه صلى الله عليه و آله، و ليس الخليفة بالجائر، ذلك ملك ملكا يمتنع فيه قليلا ثم تنقطع لذته و تبقى تبعته: «وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» (٢).

و روى: أن الحسن عليه السلام قال لسفيان بن الليل: إن النبي صلى الله عليه و آله قال: «يرد على الحوض أهل بيتي و من أحبهم كهاتين - يعني: السبابتين - أو كهاتين - يعني: السبابه و الوسطى - أحدهما على الأخرى» أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البرّ و الفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد صلى الله عليه و آله.

و روى أبو الفرج: أن الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية كتابا - و في كتابه بعد ذكر وفاه جدّه صلى الله عليه و آله و دفع قريش باقى العرب عن ادعاء خلافته بكون النبي صلى الله عليه و آله من قريش - ثم حاججنا قريشا بمثل ما حاجت به العرب فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانصاف و الاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد صلى الله عليه و آله و أولياؤه إلى محاجتهم و طلب النصف منهم، باعدونا و استولوا بالاجتماع على ظلمنا و مراغمتنا و العنت منهم لنا، فالموعد الله و هو الولي النصير، و قد تعجّبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا و سلطان نبينا - إلى أن قال - كتب معاوية في جوابه: رأيتك صرحت بتهمه أبي بكر الصديق و عمر الفاروق و أبي عبيده الأمين... فتبته لحقيقه الأمر إن كنت لا تتناوم.

ص: ١٠٦

١ - ١) الشورى: ٢٣. [١]

٢ - ٢) الأنبياء: ١١١. [٢]

و روى محمد بن يعقوب في (كافيه) (١) مسندا عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: فرض الله على العباد خمسا أخذوا أربعا وتركوا واحده-إلى أن قال بعد ذكر الأربع: الصلاة و الزكاه و الصوم و الحج التي أخذوها، و الواحدة التي تركوها:الولاية،و أن عليًا لما حضره الموت دعا ولده:-

و كانوا اثني عشر ذكرا فقال لهم:يا بنى إن الله تعالى قد أبى إلا أن يجعل في سنه من يعقوب،و إن يعقوب دعا ولده و كانوا اثني عشر ذكرا فأخبرهم بصاحبهم،ألا و إنني أخبركم بصاحبكم:ألا إن هذين الحسن و الحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه و آله فاسمعوا لهما و أطيعوهما و ازروهما،فإنني قد ائتمنتهما على ما ائتمنتي عليه النبي صلى الله عليه و آله من دينه الذي ارتضاه لنفسه.

هذا و في (الإرشاد) (٢) عن الزبير بن بكار قال:كان الحسن بن الحسن واليا على صدقات علي عليه السلام في عصره،فصار يوما الحجاج-و هو إذ ذاك أمير المدينة-فقال له الحجاج:أدخل عمر بن علي معك في صدقه أبيه فإنه عمك و بقيه أهلك.فقال له الحسن:لا اغتير شرط علي عليه السلام و لا ادخل فيها من لم يدخله.فقال له الحجاج:إذن ادخله أنا معك.فنكص الحسن عنه حين غفل ثم توجه إلى عبد الملك،فوقف ببابه يطلب الإذن فمرّ به يحيى بن ام الحكم،فسأله عن مقدمه فأخبره،فقال له:إنني سأنفعك عند عبد الملك.فلما دخل الحسن على عبد الملك رحّب به،و كان الحسن قد أسرع إليه الشيب،و يحيى في المجلس،فقال له عبد الملك:لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمّد،فقال له يحيى:و ما يمنعه؟شيبه أمانى أهل العراق،يفد عليه الركب يمنونه الخلافة.فأقبل إليه الحسن و قال له:بئس و الله الرفد رفدت،ليس كما قلت و لكننا أهل بيت يسرع

ص:١٠٧

(١-١) الكافي ١:٢٩٠ ح ٦. [١]

(٢-٢) الإرشاد ٢:٢٣. [٢]

إلينا الشيب. و عبد الملك يسمع فأقبل عليه و قال له: هلمّ بما قدّمت له. فأخبره بقول الحجاج، فقال: ليس ذلك له، سأكتب إليه كتابا لا يتجاوزة. فكتب إلى الحجاج: و أحسن صلّه الحسن. فلمّا خرج من عنده لقيه يحيى، فقال له الحسن:

ما هذا الذى وعدتني به؟ فقال يحيى: ايها عنك فو الله لا يزال يهابك، و لو لا هيبتك ما قضى لك حاجه، و ما ألوّتك رفا.

هذا، و كما جعل عليه السلام أمر صدقاته إليهما عليهما السلام لكونهما ابني رسول الله صلّى الله عليه و آله و إلى بنيهما بعدهما، كذلك جعلت الصدّيقه عليها السلام أمر صدقاتها إليهما عليهما السلام و إلى بنيهما بعده عليه السلام: ففى (الكافى) (١) عن أبى بصير: قال لى أبو جعفر: ألا اقرئك وصيه فاطمه عليها السلام؟ قلت: بلى. فأخرج كتابا فقراه: هذا ما أوصت به فاطمه بنت محمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله أوصت بحوايطها السبعه:

العواف و الدلال و البرقه و المثيب و الحسنى و الصافيه و ما لام إبراهيم إلى على بن أبى طالب عليه السلام فان مضى على عليه السلام فإلى الحسن عليه السلام فان مضى الحسن عليه السلام فإلى الحسين عليه السلام فان مضى الحسين، فإلى الأكبر من ولدى، شهد الله على ذلك و المقداد بن الأسود و الزبير بن العوام، و كتب على بن أبى طالب .

«و يشترط على الذى يجعله إليه أن يترك المال على اصوله» حسب قضيه الوقف.

«و ينفق من ثمره حيث أمر به، و هدى له» و الوقف على حسب ما يوقفها صاحبها.

«و ألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى» ينبع و ديمه و وادى القرى و غيرها.

«وديه» أى: نخله صغيره.

ص: ١٠٨

«حتى تشكل أرضها غراسا» وقد فسره المصنّف .

«و من كان من إمامي اللائي أطوف عليهن» قال الواقدي- كما في (تذكرة السبط-: ترك علي عليه السلام أربعة حرائر: امامه و أسماء و أم البنين و ليلى التميميه، و ثمانى عشره أمّ ولد.

«لها ولد أو هي حامل فتمسك» بلفظ المجهول، أى: تحبس تلك السريه.

«على ولدها» أى: تباع عليه.

«و هي من حظّه» قد عرفت أنّ روايه الكليني: فان ولاندى اللاتى أطوف عليهن السبع عشره منهنّ امّهات أولاد معهنّ أولادهن، و منهنّ حبالى، و منهنّ من لا ولد له، فقضائى فيهنّ إن حدث بى أنّه من كان منهنّ ليس لها ولد و ليست بحبلى، فهى عتيق لوجه الله عز و جل، ليس لأحد عليهنّ سبيل، و من كان منهنّ لها ولد أو حبلى فتمسك على ولدها، و هي من حظّه. فأسقط المصنّف على تلك الروايه بين قوله: «أطوف عليهن» و قوله: «لها ولد» فقرات.

هذا، و عد مصعب الزبيرى فى (نسب قريشه) إحدى عشره بنتا بناته عليه السلام كلّ واحده لامّ ولد، و هن: زينب الصغرى و أمّ كلثوم الصغرى و رقيه و أمّ هانى و أمّ الكرام و أمّ جعفر- و اسمها جمانه- و أمّ سلمه و ميمونه و خديجه و فاطمه و امامه. كما أنّه عد فى بنيه عليه السلام محمّد الأصغر، و قال: درج.

و لابد بمقتضى كلامه عليه السلام أنّ بعضا من البنات كانت وقت وفاته عليه السلام حملا، و لم يعين ذلك فى التاريخ.

و لا يبعد أن يكون ثمانى عشر- فى خبر الواقدي المتقدم- مصحف «اثنتى عشره» فيتفق كلام الواقدي و الزبيرى.

ثم إذا كانت اثنتا عشره من إمامه امّهات أولاد وقت وفاته عليه السلام و كان الجميع سبع عشره، تكون خمس منهنّ غير ذات ولد و غير حامل،

أعتقهن عليه السلام معجلات بمقتضى تلك الروايه.

«فإن مات ولدها و هي حيّه فهي عتيقه،قد افرج عنها الرّق،و حررها العتق» و ليست كالتى مات ولدها فى حياه سيدها تعود رقا،و أمّا ما نسبوا إليه عليه السلام من بيع امّهات الأولاد بعد مواليهن فبهتان،و إنّما فعل عليه السلام ذلك فى من اشترى جاريه نسيّه و أولدها،و مات و لم يخلف بقدر ثمنها،فتباع فى ثمن رقبتها.

قول المصنّف: «قال الرضى» هكذا فى (المصريه) (١) و ليس من كلام المصنّف بدليل خلّو (الخطيه) عنه،و إنّما هو من انشاء الشّراح،و فى (ابن ميثم) (٢):«قال السيد».و فى (ابن أبى الحديد) (٣):«قال السيد الرضى».

«قوله عليه السلام فى هذه الوصيّه: (أن)» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

(و ان) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«لا يبيع من نخيلها» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (من نخيلها) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«و ديّه الوديه» هكذا فى (المصريه) (٤) و الصواب: (فإن الوديه) كما فى (ابن أبى الحديد (٥) و ابن ميثم (٦) و الخطيه).

«الفسيله» أى:صغير النخل،و قالوا:الفحل من الفصيل و الفحال من الفسيل.

«و جمعها» ودى على وزن فعيل،و الظاهر أنّ مراده بالجمع الجنس.

ص: ١١٠

١- (١) الطبعه المصريه ٣:٢٦.

٢- (٢) شرح ابن ميثم ٤:٤٠٦.

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٥:١٤٨. [١]

٤- (٤) الطبعه المصريه ٣:٢٦.

٥- (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٥:١٤٨. [٢]

٦- (٦) شرح ابن ميثم ٤:٤٠٦.

«و قوله عليه السلام (حتى تشكل أرضها غراسا) هو» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن ميثم و الخطيه): «فهو» و حينئذ فهو بتوهم
أما، (ابن أبي الحديد):

«و في قوله عليه السلام: حتى تشكل أرضها غراسا هو».

«من أفصح الكلام -إلى- و يشكل عليه أمرها و يحسبها غيره» قال جرير:

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجله حتى ماء دجله أشكل

و الأشكل دم فيه بياض و حمرة سمى به لالتباسه.

ص: ١١١

الفصل السادس و الثلاثون: في الموت

اشاره

ص: ١١٣

مرّ في آخر عناوين النبوه العامه قوله: (و لو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سلماً و إلى دفع هول الموت سيلاً لكان ذلك سليمان بن داود) إلى آخر ما مرّ، و فيه عناوين.

١

الخطبه (٢٠)

و من كلام له عليه السلام:

فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَيْتُمْ مَيَّا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ - لَجَزَعْتُمْ وَ وَهَلْتُمْ وَ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ - وَ لَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا - وَ قَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ - وَ لَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ أَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ - وَ هُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ - وَ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتُمْ الْعَبْرُ - وَ زَجَرْتُمْ بِمَيَّا فِيهِ مُزْدَجَرٌ - وَ مَيَّا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بِعِيدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ أَقُولُ: رواه (الكافي الكليني - الكافي - أواخر كتاب الحجّه باب ما يجب من حقّ الإمام و حقّ الرعيه ج ١ ص ٤٠٥ ح ٣) في أواخر كتاب حجّته في (باب ما يجب من حقّ

ص: ١١٥

الإمام وحقّ الرّعيه) مع زياده و نقصان (١).

روى عن محمد بن يحيى، عن بعض أصحابنا عن هارون بن مسلم عن مسعده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تختانوا ولا تكتم و لا تغشوا هدايتكم و لا تجهلوا أئمتكم و لا تصدعوا عن جبلكم فتفشلوا و تذهب ربحكم، و على هذا فليكن تأسيس أموركم، و ألزموا هذه الطريقه فإنكم لو عايتم ما قد عاين من مات منكم ممّن خالف ما تدعون إليه، لبدرتم، و خرجتم و لسمعتهم، و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، و قريب ما يطرح الحجاب! و قال (الخوئي): المستفاد من الكافي أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طويله (٢) و هو كما ترى .

«فإنكم لو عايتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم» بكسر الهاء أى:

فزعتم، و فى (الصحيح): و هل يوهل، و هو وهل، و مستوهل، قال القطامى يصف إبلا (٣): - و ترى لجيظتهنّ عند رحيلنا و هلا كأنّ بهنّ جنّه أولق

(٤) روى (الكافي) (٥) فى نوادر جنائزه عن السيكونى عن الصادق عليه السلام: إنّ الميّت إذا حضره الموت أو ثقه ملك الموت و لو لا ذلك ما استقرّ (٦).

و روى (٧) عن الصادق عليه السلام أيضا فى خبر فى سؤال الملكين بعد ذكر

ص: ١١٦

١-١) الكافي، الكليني ١: ٤٠٥ ح ٣. [١]

٢-٢) شرح نهج البلاغه للخوئي ٣: ٢٩٩ الخطبه ٢٠.

٣-٣) الصحيح للجوهري [٢] ماده (وهل).

٤-٤) لسان العرب لابن منظور ٢: ٤٢٦. [٣]

٥-٥) الكافي للكليني ٣: ٢٥٠ ح ٢. [٤]

٦-٦) الكافي للكليني ٣: ٢٥٠ ح ٢. [٥]

٧-٧) الكافي للكليني ح ٣: ٢٣٩. [٦]

سؤال المؤمن قال: وينادي مناد كذب عبيدي، افرشوا له في قبره من النار و ألبسوه من ثياب النار، و افتحوا له بابا من النار حتى يأتينا و ما عندنا شر له، فيضربانه بمرزبه ثلاث ضربات، ليس منها ضربه إلا تطاير قبره نارا، لو ضربت بتلك المرزبه جبال تهامه لكانت رميما! ثم قال عليه السلام: و يسلط الله عليه في قبره الحيات تنهشه نهشا، و يسمع عذابه من خلق الله إلا الجن و الإنس، قال:

و إنه ليسمع خفق نعالهم و نفض أيديهم و هو قوله عز و جل: «يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» (١).

و روى عنه عليه السلام: أنه سئل عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟ فقال: إن رب الأرض هو رب الهواء فيوحى الله عز و جل الى الهواء، فيضغطه ضغطه أشد من ضغطه القبر (٢).

و روى عنه عليه السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام اشتكى عينه فعاده النبي صلى الله عليه و آله فإذا هو يصيح فقال له: أجزعا أم و جععا؟ فقال: ما وجعت قط أشد منه! فقال النبي صلى الله عليه و آله: إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر، نزل و معه سفود من نار، فيتزع روحه به! فتصيح جهنم! فاستوى علي عليه السلام جالسا فقال: يا رسول الله أعد علي حديثك فلقد أنساني و جعي، هل يصيب ذلك أحدا من امتك؟ قال: نعم، حاكم جائر، و آكل مال اليتيم ظلما، و شاهد زور (٣).

و عن أبي جعفر عليه السلام: أن فتية من أولاد ملوك بنى اسرائيل كانوا متعبدين، و كانت العباده فيهم، و أنهم خرجوا يسرون في البلاد ليعتبروا، فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه الساقى ليس يتبين منه إلا رسمه،

ص: ١١٧

١- ١) الكافي للكلينى ٣: ٢٣٩ ح ١٢، و [١] الآيه ٢٧ من سوره إبراهيم. [٢]

٢- ٢) الكافي للكلينى ٣: ٢٤١ ح ١٧. [٣]

٣- ٣) المصدر نفسه ٣: ٢٥٣ ح ١٠. [٤]

فقالوا: لو دعونا الله الساعة، فينشر لنا صاحب هذا القبر، فسألناه كيف وجد طعم الموت؟ فدعوا الله (الى أن قال): فخرج رجل أبيض الرأس و اللحية ينفذ رأسه من التراب فرعا شاخصا بصره الى السماء، فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا: دعوناك فنسألك، فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسع و تسعين سنه ما ذهب عني ألم الموت و كربته، و لا خرج مراره طعم الموت من حلقي! فقالوا له: أنت يوم متّ على ما نرى أبيض الرأس و اللحية؟ قال: لا، و لكن سمعت الصيحه، اخرج، و اجتمعت تربته عظامي الى روحى خرجت فرعا شاخصا بصرى مهطعا الى صوت الدّاعى فايّض لذلك رأسى و لحيتى (١) و فى (عرائس الثعلبي): أنّ يحيى بعد لبسه برنس الصّوف، و مدرعه الشّعر و إقباله على العباده حتى أكلت المدرعه لحمه، نظر الى نحل جسمه فبكى، فأوحى تعالى إليه: أ تبكى على ما نحل من جسمك؟ و عزّتى و جلالى لو أطلعت على النّار أطلّعه لتدرّعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح! فبكى حتى أكل الدّمع لحم خديّه و بدت أضراسه (٢).

«و لكن محجوب عنكم ما عاينوا» مرّ فى خبر (و يسمع عذابه من خلق الله إلا الجن و الإنس) (٣) و كان عليه السلام نفسه يقول: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا (٤) و كان عليه السلام يعبد الله تعالى عباده رجل وجهه بين الجنّه و النّار .

«و قريب ما يطرح الحجاب» بوصول الموت، فليس بين الإنسان و ما وعده الله من الثواب و العقاب إلا أن يبلغ النّفس الحلق، و الموت قريب.

و فى (الأغانى): -دخل أراطاه بن سهيبه على عبد الملك، فقال له: كيف

ص: ١١٨

١-١ (١) المصدر نفسه ٣:٢٦٠ ح ٣٨. [١]

٢-٢ (٢) عرائس المجالس للثعلبي: ٣٧٧ و هو روايه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله.

٣-٣ (٣) الكافي للكلىنى ٣:٢٤٠ ح ١٢. [٢]

٤-٤ (٤) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٧:٢٥٢.

حالك؟-وقد كان اسنّ-فقال:ضعفت أوصالي،وقلّ مالي،وقلّ منّي ما كنت أحبّ كثرته و كثر منّي ما كنت أحبّ قلته.قال:فكيف أنت في شعرك؟فقال:

والله ما أطرب،و لا أغضب،و لا أرغب،و لا أرهب و ما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع،و على أنّي القائل:

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطه الحديد

و ما تبغى المتيه حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

و أعلم أنّها ستكزّ حتى توفّي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال:بل توفّي نذرها بك ويلك!مالي و لك.فقال:لا ترع،فإنما عنيت نفسي و كان أرتأه أيضا يكتني أبا الوليد،فسكن عبد الملك،ثم استعير باكيا ثم قال:أما و الله على ذلك،لتلمنّ بي (١).

و المراد، أنّ بعد طرح الحجاب تعانين ما عاينوا قال ابن أبي الحديد (٢):

هذا الكلام يدلّ على صحّ القول بعذاب القبر،و أصحابنا كلّهم يذهبون إليه، و ان شئع عليهم أعداؤهم من الأشعريه و غيرهم.قال:و يمكن أن يعنى به ما كان يقوله عن نفسه أنّه لا يموت ميّت حتى يشاهده حاضرا،و الشيعه تذهب الى هذا القول و تعتقده و تروى عنه عليه السلام شعرا قاله للحارث الأعور الهمداني:- يا حار همدان من يمّت يرني من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفني طرفه و أعرفه بعينه و اسمه و ما فعلا

أقول للنار و هي توقد للعرض ذريه لا تقربى الرّجلا

ذريه لا تقربيه إنّ له حبالا بحبل الوصيّ متصلا

(٣)

ص:١١٩

١- (١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٣:٣١.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١:٢٩٨. [١]

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١:٢٩٨. [٢]

قال: و ليس هذا بمنكر، إن صحَّ أنه عليه السلام قاله عن نفسه، ففي الكتاب العزيز ما يدلُّ على أنَّ أهل الكتاب لا يموت منهم ميِّت حتَّى يصدَّق بعيسى عليه السلام، و ذلك قوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» (١).

قال كثير من المفسِّرين: معنى ذلك أنَّ كلَّ ميِّت من اليهود و غيرهم من أهل الكتب السالفه إذا احتضر رأى المسيح عليه السلام عنده فيصدَّق به من لم يكن في أوقات التكليف مصدِّقا به (٢).

قلت: لم يرو الشيعه نفس الشعر له عليه السلام بل مضمونه، و أنما نظَّم الحميري مضمون كلامه عليه السلام. فروى الشيخان (المفيد و الطوسي) باسنادهما عن جميل بن صالح عن الكلبي عن الأصبغ: أنَّ الحارث دخل عليه عليه السلام و كانت له منزله، فقال عليه السلام له: و ابشرك يا حارث تعرفني عند الممات، و عند الصراط، و عند الحوض، و عند المقاسمه، قال: و ما المقاسمه؟ قال عليه السلام: مقاسمه النار، أقول: هذا وليي فاتركيه، و هذا عدوي فخذيه ثم قال جميل: و أنشدني السيّد الحميري في ما تضمّنه هذا الخير- ثم نقل أبياته و أولها:

قول عليّ لحارث عجب كم ثم أعجوبه له حملا

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا

و أنت عند الصراط تعرفني فلا تخف عثره و لا زللا

اسقيك من بارد علي ظمأ تخاله في الحلاوه العسلا

(٣)

ص: ١٢٠

[١- ١] النساء: ١٥٩. [١]

[٢- ٢] مجمع البيان للطبرسي ١٣٧: ٣.

[٣- ٣] الأمالى للمفيد: ٣ ح ٣. و نقله المجلسي في البحار ١٧٩: ٦، و [٢] الأمالى للطوسي: ٦٢٥ ح ١٢٩٢. [٣]

و كيف كان، قال محمد بن علي بن بابويه في (اعتقاداته):

اعتقادنا في المساءله في القبر أنّها حقّ لا بدّ منها، فمن أجاب بالصّواب فاز بروح و ريحان في قبره و جتّه نعيم في الآخره، و من لم يأت بالصّواب فله نزل من حميم في قبره و تصليه جحيم في الآخره، و أكثر ما يكون عذاب القبر من النميمه، و سوء الخلق، و الاستخفاف بالبول، و أشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين، أو شرطه حجّام، و يكون ذلك كفّاره ما بقى عليه من الذنوب التي تكفّرها الهموم و الغموم و الأمراض، و شدّه الفزع عند الموت، فإنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله كفّن فاطمه بنت أسد في قميصه عند ما فرغت النساء من غسلها، و حمل جنازتها على عاتقه فلم يزل تحت جنازتها حتّى أوردها قبرها، ثمّ وضعها و دخل القبر و اضطجع فيه ثمّ قام فأخذها على يديه، و وضعها في قبرها، ثمّ انكبّ عليها يناجيها طويلاً و يقول لها: ابنك، ابنك! ثمّ خرج و سوّى عليها التراب ثم انكبّ على قبرها، فسمعتة و هو يقول: اللهم إني استودعتك إياك، ثمّ انصرف، فقال المسلمون: يا رسول الله! إنّنا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل اليوم، فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب! إنّها كانت تكون عندها الشىء فتوثرنى به على نفسها، و ولدها و أنّى ذكرت القيامة و أنّ الناس يحشرون عراه فقالت: و اسوأته! فضمنت لها أن يبعثها الله كاسيه و ذكرت ضغطه القبر فقالت: و اضعفاه! و كفنتها بقميصي و اضطجعت في قبرها لذلك، و انكبت عليها فلقتتها ما تسأل عنه، و أنّها سئلت عن ربّها فقالت: الله، و سئلت عن نبيّها فأجابت، و سئلت عن وليّها و إمامها فارتجّ عليها فقلت لها:

«ابنك ابنك» (١).

ص: ١٢١

هذا، و رفع «قريب» لكونه خبرا لقوله: (ما يطرح الحجاب) بمعنى طرحه و يجوز نصب قريب بالمصدرية بأن يكون الأصل (و يطرح الحجاب قريبا ما).

«و لقد بصّيرتم إن أبصرتهم» و المراد: أنه و ان كان ما توعدون به محجوبا عنهم بالعين إلا أنهم قد اندروا به، بما يرفع العذر. و الإبصار قد يجيء بمعنى البصيره كما فى قوله تعالى: «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً» (١) و قد يجيء بمعنى الرؤيه بالبصر كما فى هذا المورد .

«و اسمعتم إن سمعتم و هديتم إن اهتديتم» «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اخْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» (٢).

و فى الأثر أنّ شابا من الأنصار كان يأتى ابن عباس، فيكرمه فقيل له:

إنّه شابّ سوء يأتى القبور فينبشها بالليالى، فقال: إذا كان ذلك فأعلمونى، فخرج الشابّ فى بعض الليالى يتخلّل القبور، فأعلم ابن عباس، فخرج لينظر ما يكون من أمره و وقف ناحيه حيث لا يراه الشابّ، فدخل قبرا قد حفر، ثم اضطجع فى لحدّه و نادى بأعلى صوته: يا ويلي إذا دخلت لحدى وحدى، و نطقت الأرض من تحتى و قالت: لا مرحبا بك و لا أهلا! كنت أبغضتك و أنت على ظهري، فكيف و قد صرت فى بطنى، ويحى إذا نظرت الى الأنبياء و قوفا، و الملائكة صفوفافمن عدلك غدا من يخلّصنى، و من المظلومين من يستنقذنى، و من عذاب النار من يجيرنى؟ عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربّى مرّه بعد اخرى، فلم يجد عندى صدقا و لا وفاء، قال: و جعل يردّد هذا الكلام و يبكى، ثم خرج، فلما خرج التزمه ابن عباس، و عانقه، ثم قال له: نعم

ص: ١٢٢

[١-١] النمل: ١٣. [١]

[٢-٢] المائدة: ٩٢. [٢]

التباش أنت، ما أنبشك للذنوب و الخطايا (١).

«بحق أقول لكم لقد جاهر تكم العبر» في (الصحاح): المجاهره: المبادأه، و العبره بالكسر، الاسم من الاعتبار. و مجاهره العبر: مشاهدته الإنسان تقلب الدنيا بأهلها صباحا و مساء، و تغيراتها ليلا و نهارا .

«و زجرتم بما فيه مزدجر» في (الصحاح): الزجر: المنع و النهي، يقال:

زجره و ازدجره فانزجر و ازدجر (٢) إلخ، و الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى:

«و لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ» (٣) و قال تعالى بعد قصه كل من قوم نوح و عاد و ثمود و لوط: «و لَقَدْ يَسْرُونَ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» (٤).

«و ما يبلغ عن الله بعد رسل السيماء إلا البشر» أى: رسل الأرض و خلفاؤهم «و قالوا لو لا أنزل عليه ملك و لو أنزلنا ملكا لفضي الأمر ثم لا ينظرون و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و لبسنا عليهم ما يلبسون» (٥).

٢

الخطبه (٦٢)

و من خطبه له عليه السلام:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ - وَ ابْتَاعُوا مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ - وَ تَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ - وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمْ - وَ كُونُوا قَوْمًا صِيحَّ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا - وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ

ص: ١٢٣

١- ١) الأمالى للصدوق: ١٩٩، و [١] نقله المجلسى فى البحار ١٣٠: ٦ ح ٢٤. [٢]

٢- ٢) الصحاح للجوهرى: [٣] ماده (زجر).

٣- ٣) القمر: ٤ و ٥. [٤]

٤- ٤) القمر: ١٥-١٧-٢٢-٣٢. [٥]

٥- ٥) الأنعام: ٨ و ٩. [٦]

فَاسْتَبَدَّلُوا- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى- وَ مَا بَيْنَ أَعْدِكُمْ وَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ- إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ- وَ إِنَّ غَايَةَ تَنْقِصِهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِيمُهَا السَّاعَةُ- لَجْدِيرَةٌ بِقِصْرِ الْمُدَّةِ- وَ إِنَّ غَايَةَ يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ- اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لِحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ- وَ إِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ- لِمُسْتَحَقِّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ- فَتَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا- مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا- فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصِيحَ نَفْسِهِ وَ قَدَمَ تَوْبَتِهِ وَ غَلَبَ شَهْوَتَهُ- فَإِنَّ أَجَلَ مَسِيئَتِهِ عَنْهُ وَ أَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ- وَ الشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرَكِّبَهَا- وَ يُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا- حَتَّى تَهْجُمَ مَيِّتَتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا- فَيَا لَهَا حَسِيرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً- وَ أَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ- نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ- أَنْ يَجْعَلَنَا وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ- وَ لَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً- وَ لَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَ لَا كَابَةً أَقُولُ:نسبها ابن قتيبة في (عيونه)الى المأمون في خطبه الجمعة (١)و تبعه ابن عبد ربّه في (عقده ابن عبد ربّه-العقد الفريد-ج ٢ ص ١٨٠) إلا أنه بعد نقل ذلك عنه عليه السلام يعلم أنّ المأمون حفظها من خطبه كما كان غيره من الخطباء يحفظون خطبه عليه السلام،و يخطبون بها و عدم النسبه أعم،و هذا نظير أن يخطب الخطباء بعد تأليف النهج بخطبه بدون نسبه (٢).

«و اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ» ذكر عباد الله لبيان وجوب اتقائه تعالى،فإن العبد يجب عليه اتقاء مولاه و الأمر باتقائه تعالى في الكتاب العزيز كثير،منها:

ص:١٢٤

١- ١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢:٢٥٣. [١]

٢- ٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢:١٨٠. [٢]

«وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» (١) «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» (٢) «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (٣) «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٤) «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» (٥) «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (٦) «وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (٧) «وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (٨).

«و بادروا آجالكم بأعمالكم» «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٩).

«وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسِيرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْلَا أَنَّنِي كَزَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (١٠).

«و ابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم» ابتاعوا هنا: أمر، وإن كان لفظ الماضي مثله، والأصل فيه إفتعلوا بالكسر و أصل الماضي أفتعلوا بالفتح «ما عندكم»

ص: ١٢٥

[١ - ١] المائدة: ٩٦. [١]

[٢ - ٢] المائدة: ٨٨. [٢]

[٣ - ٣] المائدة: ٥٧. [٣]

[٤ - ٤] المائدة: ٨. [٤]

[٥ - ٥] المائدة: ٤. [٥]

[٦ - ٦] المائدة: ٢. [٦]

[٧ - ٧] الحجرات: ١٠. [٧]

[٨ - ٨] آل عمران: ٢٠٠. [٨]

[٩ - ٩] المنافقون الزمر: ١٠-١١. [٩]

[١٠ - ١٠] (١٠-٥٩): ٥٥.

«يَنْفَعُ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» (١) «و تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (٢) «و الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا» (٣).

«و تَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ» قال ابن أبي الحديد (٤): جَدَّ بفلان إذا ازعج و حثَّ على الرَّحِيلِ.

قلت: لم يذكر ما قاله لعه، و الأقرب أنه نظير قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ» (٥). أي: ما قيل لكم من المبادره و ابتياع الباقي و الترحل، عن جد لا هزل .

«و استعدّوا للموت فقد أظلكم» - في الديوان المنسوب إليه عليه السلام:

الام تجرّ أذيال التّصابي و شبيك قد نضا برد الشباب

بلال الشّيب في فوديك نادى بأعلى الصوت حى على الذّهاب

خلقت من التراب و عن قريب تغيب تحت أطباق التراب

طمعت إقامه فى دار ظعن و لا تطمع فرجلك فى الزّكاب

و أرخيت الحجاب فسوف يأتى رسول ليس يحجب بالحجاب

أعامر قصرك المرفوع أقصر فأنك ساكن القبر الخراب

(٦) و للأخطل:

و نفس المرء ترصدها المنايا و تحدّ رحوله حتى يصابا

إذا أمرت به التفت عليه أحدّ سلاحها ظفرا و نابا

ص: ١٢٦

[١-١] النحل: ٩٦. [١]

[٢-٢] الأنعام: ٩٤. [٢]

[٣-٣] الكهف: ٤٦. [٣]

[٤-٤] شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١٤٦: ٥. [٤]

[٥-٥] الطارق: ١٣-١٤. [٥]

[٦-٦] الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام: ٨٣.

و اعلم أنّى عمّا قليل ستكسونى جنادل أو ترابا

(١) «و كونوا قوما صييح بهم فانتبهوا» فانتبهوا-بفتح الباء-و لا تكونوا كاللذين قال تعالى فيهم: «و لو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة و كلمهم الموتى و حشرنا عليهم كلّ شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا» (٢).

لنا ملك ينادى كلّ يوم لدوا للموت و ابنوا للخراب

(٣).

و لنعم ما قيل بالفارسيه:

مرا در منزل جانان چه جای امن چون هر دم جرس فریاد می دارد که بر بنید محملها

(٤) «و علموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا» قال مؤمن آل فرعون لقومه:

«يا قوم إنّما هذه الحياه الدنيا متاع و إنّ الآخره هى دار القرار» (٥)، و قال صالح عليه السلام لقومه: «أ تتركون فى ما هاهنا آمينين فى جنات و عيون و زروع و نخل طلّعها هضيم و تنحون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله و أطيعون و لا تطيعوا أمر المسرفين اللذين يفسدون فى الأرض و لا يصلحون» (٦).

«فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثا» «أ فحسبتم أنّما خلّقناكم عبثا و أنّكم إلينا لا ترجعون» (٧).

«و لم يترككم سدى» فى (الصباح): السدى بضم السين: المهمل، يقال إبل

ص: ١٢٧

١-١ (١) ديوان الأخطل: ٥٤.

٢-٢ (٢) الأنعام: ١١١. [١]

٣-٣ (٣) بحار الأنوار للمجلسى ١٨٠: ٨٢. [٢]

٤-٤ (٤) ديوان حافظ الغزل: ١.

٥-٥ (٥) المؤمنون: ٣٩. [٣]

٦-٦ (٦) الشعراء: ١٤٦-١٥٢. [٤]

٧-٧ (٧) المؤمنون: ١١٥. [٥]

سدى أى: مهمله، و بعضهم يقول: سدى بالفتح... (١) «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكْ نُطْفَهُ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» (٢).

«و ما بين أحدكم و بين الجنّه و النار إلا الموت أن ينزل به» أن ينزل به، بدل اشتغال من الموت، قال تعالى بعد ذكر نزول الموت بالإنسان: «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقٌّ» (٣).

«و إن غايه تنقصها اللحظه و تهدمها الساعه لجديره بقصر المدّه» فى (الصحاح) الغايه:مدى الشىء، و الجمع:غاي مثل ساعه، و ساع (٤) و الساعه:

الوقت الحاضر، و الجمع:الساع و الساعات، قال القطامى:

و كنا كالحريق لدى كفاح فيخبو ساعه و يهب ساعا

(٥) فى (المصباح):الساعه:الوقت من ليل أو نهار، و العرب تطلقها و تريد بها الوقت (٦) و الحين و إن قل و عليه قوله تعالى: «لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» (٧). و فى (الصحاح):فلان جدير بكذا، أى:خلاق (٨)...

شبه عليه السلام بقاء الإنسان فى الدنيا بغايه قصيره، و بلغ من قصرها أن

ص:١٢٨

١-١ (١) الصحاح للجوهرى [١]ماده(سدا).

٢-٢ (٢) القيامه:٣٦-٤٠. [٢]

٣-٣ (٣) الواقعه:٨٨-٩٥. [٣]

٤-٤ (٤) الصحاح للجوهرى: [٤]ماده(غيا).

٥-٥ (٥) الصحاح، [٥]ماده(سوع)كذلك لسان العرب لابن منظور ٤٣١:٦. [٦]

٦-٦ (٦) المصباح المنير للفيثورى:٣٥٦ماده(سوع).

٧-٧ (٧) الأعراف:٣٤. [٧]

٨-٨ (٨) الصحاح ماده(جدر).

تؤثر فيها اللحظة، و في تفسير «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» (١) المراد: أنه تعالى يعدّ أنفاسهم الباقية في الدنيا فلا يجاوزون نفسا ممّا قدّرت لهم، و قال البحرى:

و ما لبث من يغدو و في كلّ لحظة له أجل في مدّه العمر قاتل

(٢) «و أنّ غائبا يحدوه» في (الصحاح): الحدو: سوق الإبل و الغناء لها، و قد حدوت الإبل حدوا و حداء، و يقال للشّمال: حدواء لأنّها تحدو الشّـ حاب أى تسوقه (٣)، الجديدان الليل و النهار في الصحاح قولهم: لا- أفعله ما اختلف الجديدان و ما اختلف الأجدان، يعنى الليل و النهار (٤).

و كلّ يوم مضى أو ليله سلفت فيها النفوس الى الآجال تزدلف

(٥) «لحرىّ بسرعه الأوبه» في (الصحاح): هو حرى أن يفعل بالفتح أى: خليق و جدير، لا يثنى، و لا يجمع، و إذا قلت هو حر بكسر الراء أو حرىّ على فعيل تثيت و جمعت، و آب أى: رجع أوبا و إيابا و أوبه، قال ابن أبى الحديد:

الغائب المشار إليه هو الموت و قيل: هو الإنسان يسوقه الجديدان الى الدار ٢ التى هى داره الحقيقيه و هى الآخره، و هو فى الدنيا غائب على الحقيقه عن داره التى خلق لها (٦)، و قال ابن ميثم: المراد به الإنسان، و أمّا الموت فلا- يحتمله لفظ الأوبه لأنّه لم يكن، حتّى يرجع (٧)، و قال (الخوئى): لئما كان الإنسان مسبوqa بالعدم، سمى حلول الموت بالأوبه، إلا أنّ توصيفه بكون الليل

ص: ١٢٩

١-١ (١) مريم: ٨٤. [١]

٢-٢ (٢) ديوان البحرى ٢: ٥٨ يرثى أبا سعيد.

٣-٣ (٣) الصحاح، [٢] ماده (حدا).

٤-٤ (٤) الصحاح [٣] ماده (جدد).

٥-٥ (٥) المصدر نفسه ماده (حرا).

٦-٦ (٦) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٥: ١٤٥. [٤]

٧-٧ (٧) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ٢: ١٦٥.

و النهار حاديين له لا يخلوا عن بعد (١)...

قلت: التحقيق أنّ الإنسان لمّا كان خلق للموت، فالموت من أول وجوده كان مقارنا له، إلا أنّ الأجل أي: مدّه قدّر له فيها العيش في الدّنيا حال بينه وبينه، فكأنّه غاب بالأجل عنه، فإذا حدا الجديدان الأجل يصدق سرعه أوبه الموت من غيبته. و بالجمله كما أنّه عليه السلام شبّه في فقره السابقه مدّه بقاء الإنسان في الدنيا بغايه قصيره جدا شبّه عليه السلام هنا الموت بمن غاب عنك من أعداءك ثم يرجع إليك سريعا بحدو الجديدين له، و في عنوان وصيّته عليه السلام لابنه: و اعلم، أنّ من كانت مطيّته الليل و النهار، فإنّه يسار به، و إن كان واقفا، و يقطع المسافه و إن كان مقيما و ادعا .

«و إنّ قادمًا يقدم بالفوز و الشّقوه» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: «أو الشّقوه»، كما في (ابن أبي الحديد (٣) و ابن ميثم (٤) و الخطيه (٥).

«لمستحقّ لأفضل العده» قال ابن ميثم (٦): القادم: الإنسان حين يقدم على ربّه، و تبعه (الخوئي) (٧).

قلت: بل المراد به الموت أيضا، فكما شبّهه فيما سبق تاره بغايه قصيره و اخرى بغائب عنك يرجع إليك، شبّهه عليه السلام هنا بمن يقدم عليك من محلّ آخر بالفوز إن أحسنت الاستعداد له، و الشّقوه، إن أسأت الاستعداد له. قال تعالى:

ص: ١٣٠

١-١ شرح نهج البلاغه للخوئي ٤:٤٠٤ بتصرف.

٢-٢ الطبعه المصريه المصححه: ١٦٣ بلفظ (أو الشّقوه).

٣-٣ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ٥:١٤٥. [١]

٤-٤ شرح نهج البلاغه لابن ميثم ٢:١٦٥. [٢]

٥-٥ النسخه الخطيه: ٤١.

٦-٦ شرح نهج البلاغه لابن ميثم ٢:١٦٥.

٧-٧ شرح نهج البلاغه للخوئي ٤:٤٠٤.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» (١).

«يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَ يَصِلَى» (٢).

«فتزودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا» «الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ» (٣).

«فاتقى عبد ربه» تفریح تبیینی لتزود فى اليوم يكون محرزا به النفس فى الغد، قال تعالى: «وَ لَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» (٤)، «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (٥) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (٦) «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا» (٧) «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» (٨) «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَبِيتُهُ»

ص: ١٣١

[١-١] (١-١) الليل: ٥-١١. [١]

[٢-٢] (٢-٢) الانشقاق: ٦-١٢. [٢]

[٣-٣] (٣-٣) الأنعام: ٨٢. [٣]

[٤-٤] (٤-٤) الحشر: ١٨. [٤]

[٥-٥] (٥-٥) البقرة: ١٩٧. [٥]

[٦-٦] (٦-٦) آل عمران: ١٠٢. [٦]

[٧-٧] (٧-٧) مريم: ٧١-٧٢. [٧]

[٨-٨] (٨-٨) آل عمران: ١٩٨. [٨]

«تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعِدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ» (١) «وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» (٢) هذا وقال ابن أبي الحديد: وروى «اتقى عبد ربّه» بلا فاء، بتقدير هلاً.

قلت: إنّما معنى هلاً مراد، لا أنّه يقدر لفظه! «نصح نفسه» في (الصّيحاح) عن ابن الأعرابي: نصحت الإبل الشّرب تنصح نصوحاً، إذا صدقته. و أنصحتها أنا: أرويتها، و أنشد:

هذا مقامى لك حتى تنصحى رياً، و تجتازى بلاط الأبطح

و منه: التوبة النصوح و هى الصّيدقة، «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (٣).

«قدم توبته» فى نسخه (ابن أبى الحديد) (٤) (وقدم)، لكن فى (ابن ميثم) (٥) و(الخنوئى) (٦) بدون واو فىكون تفسيراً لنصح النفس، «وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ» (٧) «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» (٨).

ص: ١٣٢

[١-١] الزمر: ٢٠. [١]

[٢-٢] الزمر: ٧٣-٧٤. [٢]

[٣-٣] التحريم: ٦. [٣]

[٤-٤] شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٥٦: ٢٠.

[٥-٥] شرح نهج البلاغه لابن ميثم ١٦٥: ٢-١٦٦. [٤]

[٦-٦] شرح نهج البلاغه للخنوئى ٤٠٤: ٤.

[٧-٧] النساء: ١٨. [٥]

[٨-٨] التحريم: ٨. [٦]

«و غلب شهوته» هكذا فى نسخه (ابن أبى الحديد) (١) و فى (ابن ميثم) (٢) و (الخوئى) (٣)، غلب شهوته، «و أما من خاف مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» (٤).

«فإن أجله مستور عنه» «و أجلٌ مُسمّى عنده» (٥) فى (الطبرى): لَمَّا احتضر المعتصم جعل يقول: إنى اخذت من بين هذا الخلق (٦).

«و أمله خادع له» «ذُرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِبُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَغْلَبُونَ» (٧) فى (الطبرى): قال المعتصم: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت! (٨)، و كان عمره ستا و أربعين أو سبعا و أربعين أو ثمانيا و أربعين، قال هو ثامن الخلفاء و الثامن من ولد العباس و مات عن ثمانيه بنين و ثمانى بنات و ملك ثمان سنين و ثمانيه أشهر!! «و الشيطان موكل به» قال ابن ميثم (٩): قال النبى صلى الله عليه و آله: ما من مولود يولد إلا و يولد معه قرين من الشيطان.

قلت: و روى القمى (١٠)، فى قوله تعالى: «الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي»

ص: ١٣٣

١- ١) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٥٦: ٢٠. [١]

٢- ٢) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ١٦٦: ٢. [٢]

٣- ٣) الخوئى ٤٠٤: ٤.

٤- ٤) النازعات: ٤٠-٤١. [٣]

٥- ٥) الأنعام: ٢. [٤]

٦- ٦) تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ٢٧١: ٥. [٥]

٧- ٧) الحجر: ٣. [٦]

٨- ٨) تاريخ الامم و الملوك للطبرى ٢٧١: ٥. [٧]

٩- ٩) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ١٦٦: ٢.

١٠- ١٠) تفسير القمى ٤٥٠: ١. [٨]

«يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» (١)، للشيطان على قلب ابن آدم خرطوم مثل خرطوم الخنزير، يوسوس لابن آدم إذا أقبل على الدنيا و ما لا يحب الله، فإذا ذكر الله تعالى انخنس، (يريد يرجع) ثم أخبر أنه من الجنّ و الإنس فقال:- «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» (٢) قال: وقال أيضا: ما من قلب إلا و له اذنان على إحداهما ملك مرشد، و على الاخرى شيطان مفتن، هذا يأمره، و هذا يزجره، و كذلك من النَّاسِ شيطان يحمل النَّاسِ على المعاصي كما يحمل الشَّيْطَانُ مِنَ الْجِنِّ (٣).

و في الخبر: إن إبليس تراءى لموسى عليه السلام في الطور حين أراد مناجاه الله تعالى فقال له: أطمع فيّ و أنا في هذا المقام؟ قال: نعم! كما طمعت في أبيك آدم و هو في الجنّة .

«يَزِينُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا» و لعله محرف (ليركبها)، «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ» (٤) «تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَ لِيَهُمُ الْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٥).

«و يميته التوبه ليسوفها» في (الصحاح): تقول: سوفته، إذا قلت له مره بعد مره (سوف أفعل)، و قولهم: فلان يقتات السوف، أى: يعيش بالأمانى،

ص: ١٣٤

١- ١) الناس: ٤-٥. [١]

٢- ٢) الناس: ٦. [٢]

٣- ٣) تفسير القمى ١: ٤٥٠ [٣] كذلك أورده الكليني في الكافي ٢: ٢٦٦ و [٤] نقله المجلسي في بحار الأنوار ٢٠٥: ٦٣. [٥]

٤- ٤) الحجر النحل: ٣٩-٤٤. [٦]

٥- ٥) ٦٣.

و حكى أبو زيد سَوِّف الرَّجُلَ أَمْرِي إِذَا مَلَكَتْهُ أَمْرُكُ... (١).

قال ابن أبي الحديد: وقد روى «ليسوفها» بكسر الواو وفتحها، و الضمير في الرواية الاولى يرجع إلى نفسه، وقد تقدّم ذكرها بكلمات يسيره.

و يجوز أن يعنى به: ليسوف التوبه، إلى أن قال: و من روى بفتح الواو جعله فعل ما لم يسم فاعله، و تقديره: و يمني الشيطان التوبه، أى: يجعلها فى امتيته ليكون مسؤفا إياها، أى: يعد من المسوفين المخدوعين (٢)...

قلت: بل يتعين كون (ليسوفها) بكسر الواو بصيغه المعلوم كما فى (ليركبها) فى الفقره قبل، و إنما المعنى ليسوف التوبه، و إنما وقع ابن أبى الحديد فى هذا الحيص بيص أنه رأى أن (الصحيح) قال: سوفته... كما مر فتوهم أن التوبه لم يمكن أن تكون مسوفه، بل يسوف شخص بها و لذا قال بعد: و يجوز أن يعنى به: ليسوف التوبه، كأنه جعلها مخاطبه فيقول لها:

سوف أوقعك... فتكلف تصحيحه بما قال، مع أنه لا دلالة فى (الصحيح) على الحصر، فكما يقال: سوف فلان فلانا يقال: سوف فلان الأمر الفلانى، و أما قوله: (من روى بفتح الواو)... فمع كون ما قاله بلا محصل، يلزم أن يكون (يسوف) متعديا إلى مفعولين مع أنه بمعنى (سوف افعل) يكون متعديا الى واحد، و أما بمعنى تملك غيرك أمرك إن تحققت حكاية أبى زيد و إن كان متعديا الى مفعولين، إلا أنه لا ربط له هنا، و كيف كان فروى الصدوق (٣) عن الصادق عليه السلام قال: لما نزلت «و الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» (٤) صعد إبليس جبلا يقال له (ثور) فصرخ بأعلى

ص: ١٣٥

١-١ (١) الصحاح للجوهري [١] ماده (سوف).

٢-٢ (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ١٤٧: ٥. [٢]

٣-٣ (٣) المجالس للصدوق: ٢٩٧ و نقله المجلسى فى بحار الأنوار ١٩٧: ٦٣: روايه ٦ باب ٣. [٣]

٤-٤ (٤) آل عمران: ١٢٥. [٤]

صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها، فقام عفريت فقال: أنا لها بكذا وكذا قال: لست لها! فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقام الوسواس الخناس، و قال: أنا لها! قال: بماذا؟ قال:

أعدهم و أمّئهم حتّى يواقعوا الخطيئه فإذا واقعوا الخطيئه أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها. فوكله بها إلى يوم القيامة (١).

«حتى تهجم منيته عليه» في (الصحاح): المنا: القدر، و الميته: الموت، لأنها مقدّره (٢).

«اغفل ما يكون عنها» قال ابن ميثم (٣): أغفل حال (٤)، و قال (الخوئي):

منصوب بنزع الخافض، أى: فى أغفل حاله (٥).

قلت: بل الصواب كونه مفعولا فيه فلا يحتاج إلى تقدير (فى)، و قالوا فى قولهم: (انتظرته صلاة العصر) إنّ (صلاه)، مفعول فيه، أى: فى وقت صلاه العصر، و فى قولهم: (لا- أكلّمك هبيرة بن قيس) (هبيرة) مفعول فيه أى: مدّه غيبه هبيرة، و أمّا الحالّيه، فالحال يجب أن تكون نكرة و (اغفل ما يكون عنها) فى معنى (اغفل كونه عنهما).

«فيا لها حسره على ذى غفله» هكذا فى (المصريه) (٦) و الصواب: (على كلّ ذى غفله) كما فى (ابن أبى الحديد (٧) و ابن ميثم (٨) و الخطيئه) (٩).

ص: ١٣٦

١- ١) المجالس للصدوق: ٢٩٧ نقله المجلسى فى البحار ١٩٧: ٦٣ ح ٦. [١]

٢- ٢) الصحاح للجوهري ماده (ضا).

٣- ٣) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ١٦٦: ٢.

٤- ٤) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ١٦٦: ٢.

٥- ٥) شرح نهج البلاغه للخوئي ٣٩٦: ٤.

٦- ٦) شرح نهج البلاغه لمحمد عبده: ١٦٤.

٧- ٧) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد بلفظ (على ذى غفله) ١٤٥: ٥.

٨- ٨) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ١٦٦: ٣. [٢]

٩- ٩) النسخه الخطيئه: ٤١.

«أن يكون عمره عليه حجّه» يقال في (يا) هنا، أنّها لنداء ما لا يجيب، تشبيها بمن يعقل نحو قوله تعالى: «يا حَسِيرَةً عَلَى الْعِبَادِ» (١) وزياده الضمير مع الجار هنا للتعظيم و التعجب، وقال ابن أبي الحديد: لها في (فيا لها) أما منادى مستغاث و إما مستغاث لأجله، و المستغاث محذوف، أي: أدعوكم أيها الرجال لتقضوا العجب من هذه الحسره (٢).

قلت: الأحسن ألا يسمّى مثله مستغاثا به، و لا لأجله بل هو للتعجب، كقول الشاعر: (يا لك من قبره بمعمر) فصّرح الجوهري بأنّه نداء تعجب، قال (الخوئي) - (أن يكون) بدل من (كلّ ذى غفله). قلت: بدل من (حسره) كما لا يخفى. و كيف كان فقال تعالى: «وَ أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَ أَسْأَلُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ» (٣)، «وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَهُ وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاحِرِينَ» (٤).

«و تؤدّيه أزيامه إلى شقوه» قال تعالى: «وَ هُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» (٥).

«نسأل الله سبحانه أن يجعلنا و إيّاكم ممّن لا تبطره نعمه» في (الصحاح) البطر: الأشر (٦)، و هو شدّه المرح، و قد بطر بالكسر يبطر - أي: بالفتح - و أبطره

ص: ١٣٧

[١ - ١] يس: ٣٠. [١]

[٢ - ٢] شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١٤٧: ٥. [٢]

[٣ - ٣] الزمر: ٥٤. [٣]

[٤ - ٤] الزمر: ٥٥-٥٦. [٤]

[٥ - ٥] فاطر: ٣٧. [٥]

[٦ - ٦] الصحاح للجوهري مادّه (بطر).

المال... قال تعالى: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ بِطُرُقٍ مَعِيشَتِهَا فَتَلَكُ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» (١).

«ولا- تقصير به عن طاعه ربه غايه» الغايه و ان كانت بمعنى النهايه، إلا- أن المراد بها ها هنا المقاصد و الثمرات، لأنها نهايات الأفعال و الأعمال، «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» (٢).

«ولا تحلّ به بعد الموت ندامه و لا كآبه» في (المصباح): كئيب يكأب من باب تعب كآبه بمدّ الهمزه، وكأبا و كآبه مثل سبب و تمره، أي: حزن أشدّ الحزن (٣)، قال تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٤)، «وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» (٥)، «فَدَخَلَ حَسِبَةَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسِبَتْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ» (٦)، «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أ فَلَآ تَعْقِلُونَ» (٧).

هذا و روى (الإرشاد) عنه عليه السلام خطبه اخرى و في ذيلها (٨)، جعلنا الله و إياكم

ص: ١٣٨

١- ١) القصص: ٥٨. [١]

٢- ٢) التوبة: ٢٤. [٢]

٣- ٣) المصباح المنير [٣] للفيتوري ماده (كئيب).

٤- ٤) الأنعام: ٢٧. [٤]

٥- ٥) الأنعام: ٣٠. [٥]

٦- ٦) الأنعام: ٣١. [٦]

٧- ٧) الأنعام: ٣٢. [٧]

٨- ٨) الإرشاد للمفيد: ٢٢٨. [٨]

مَمَّنْ لَا تَبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَقْمَةٌ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَ لَهُ وَ بِيَدِهِ الْخَيْرُ « وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (١).

٣

الخطبة (٧٤)

و من خطبه له عليه السلام:

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى - وَ دُعَى إِلَى رَشَادٍ فَمَدَّنَا وَ أَخَذَ بِحُجْرَتِهِ هَيَادٍ فَنَجَا - رَاقِبَ رَبَّهُ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصًا وَ عَمِلَ صَالِحًا - اِكْتَسَبَ مَذْخُورًا وَ اجْتَنَبَ مَحْذُورًا - رَمَى غَرَضًا وَ أَحْرَزَ عَوْضًا كَابَرَ هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مُنَاهُ - جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَى عُمْدَةَ وَفَاتِهِ - رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغُرَاءَ وَ لَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ - اِعْتَنَمَ الْمَهْلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ أَقُولُ: كُلُّ فَقْرٍ مِنَ الْخُطْبَةِ وَ هِيَ عَشْرُونَ دَرَّةً يَتِيمَةٌ وَ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ، رَوَى (رَوْضَةُ الْكَافِي - الْكَلِينِي - الْكَافِي - الرُّوضَةُ ج ٨ ص ١٧٠ ح ١٩٣) فِي خُطْبَةٍ فِيهَا بَعْضُ هَذِهِ الْفَقَرَاتِ مَسْنُودَةٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: خُطِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ، الضَّارِّ النَّافِعِ الْجَوَادِّ الْوَاسِعِ، أَلِيٌّ أَنْ قَالَ: - أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَكُمْ بَدَارٌ وَ لَا قَرَارٌ إِنَّمَا أَنْتُمْ فِيهَا كَرَكِبٍ عَرَسُوا فَأَنَاخُوا ثُمَّ اسْتَقَلُّوا، فَعَدُّوا وَ رَاحُوا، وَ خَلُّوا خَفَافًا لَمْ يَجِدُوا عَمَّا مَضَى نَزُوعًا، وَ لَا إِلَى مَا تَرَكَوا رَجُوعًا، جَدَّ بِهِمْ فَجَدُّوا، وَ رَكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا فَمَا اسْتَعَدُّوا، حَتَّى إِذَا أَخَذَ بِكُفِّهِمْ وَ خَلَصُوا إِلَى دَارِ قَوْمٍ جَفَّتْ أَقْلَامُهُمْ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ خَبْرٌ، وَ لَا - أَثْرٌ، قَلَّ فِي الدُّنْيَا لِبَثْمِهِمْ وَ عَجَلِ إِلَى الْآخِرَةِ بَعْثِهِمْ، فَأَصْبَحْتُمْ حُلُولًا فِي دِيَارِهِمْ ظَاعِنِينَ عَلَى آثَارِهِمْ، وَ الْمُطَايَا تَسِيرُ بِكُمْ سِيرًا مَا فِيهِ أَيْنٌ وَ لَا تَفْتِيرُ نَهَارَكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ دُؤْبًا، وَ لِيَلِكُمْ بَارِوَا حَكْمًا

ص: ١٣٩

١ - (١) المائدة: ١٢٠، [١] الروم: ٥٠، [٢] الشورى: ٩، [٣] الحديد: ٢، [٤] التغابن: ١، [٥] الملك: ١. [٦]

و هوب، فأصبحتم تحلون من حالهم حالا و تحتذون من مسلكهم مثالا... «فَلَا تَعَزَّيْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» (١) فَإِنَّمَا أَنْتُمْ فِيهِ سَفَرٌ، حلول الموت بكم نزول، تنتضل فيكم مناياه، و تمضى بأخباركم مطاياه، الى دار الثواب و العقاب، و الجزاء و الحساب، فرحم الله امرأ راقب ربّه، و تنكب ذنبه، و كابر هواه، و كذب مناه، امرأ أزم نفسه من التقوى بزمام، و أجمها من خشيه ربها بلجام، فقادها الى الطاعه بزمامها، و قرعها عن المعصيه بلجامها، رافعا الى المعاد طرفه، متوقعا في كل آن حتفه، دائم الفكر، طويل السهر، عزوفا عن الدنيا، سايا كدوحا، لآخرته متحافظا، امرأ جعل الصبر مطيه نجاته، و التقوى عدّه وفاته، و دواء أجوائه، فاعتبر و قاس، و ترك الدنيا و الناس، يتعلم للتفقه و السداد، و قد و قر قلبه ذكر المعاد، و طوى مهاده، و هجر و ساده، منتصب على أطرافه، داخل في أعطافه، خاشعا لله - عزّ و جلّ - يراوح بين الوجه و الكفين خشوع في السرّ لربّه، لدمعه صيب و لقلبه وجيب، شديده آسالة، و ترتعد لخوف الله - جلّ ذكره - أوصاله، قد عظمت في ما عند الله رغبته و اشتدت منه رهبته، راضيا بالكفاف من أمره، يظهر دون ما يكتف، و يكتفى بأقلّ ممّا يعلم، اولئك و دائع الله في بلاده، المدفوع بهم عن عبادته، لو أقسم أحدهم على الله - جلّ ذكره و تعالى - لأبزه، أو دعا على أحد نصره، يسمع إذا ناجاه، و يستجيب له إذا دعاه، جعل الله العاقبه للتقوى، و الجنّه لأهلها مأوى، دعاؤهم فيها أحسن الدعاء سبحانهك اللهم (٢)...

قوله عليه السلام: «رحم الله امرأ سمع حكما فوعى» - أي: سمع حكمه من العلوم فحفظها و جعل أذنه و عاء لها، قال تعالى: «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ»

ص: ١٤٠

١ - ١) لقمان: ٣٣، [١] فاطر: ٥، [٢]

٢ - ٢) الكافي للكلينى ١٧٠: ٨ ح ١٩٣، [٣]

«فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ» (١).

«و دعى إلى رشاد فдна» قال تعالى: «قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» (٢) و ذمّ تعالى قوما فقال: «وَ إِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَ إِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» (٣).

«و أخذ بحجزه هاد فنجا» قال الجوهرى:--حجزه الأزار: معقده، و حجزه السراويل التى فيها التكه (٤). روى (أمالى الصدوق): أن الصادق عليه السلام كان كثيرا ما يقول:

علم المحجّه واضح لمريده و أرى القلوب عن المحجّه فى عمى

و لقد عجبت لهالك و نجاته موجوده و لقد عجبت لمن نجا

(٥) و قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدِهْ» (٦).

«راقب ربّه» قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (٧) «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» (٨)، و عن الصادق عليه السلام: من أشدّ ما افترض الله على عباده، ذكره على كلّ حال، ليس سبحانه الله، و الحمد لله، و لا إله إلاّ الله، و الله أكبر فقط، و لكن إذا ورد عليك شىء من أمر الله أخذت به، و إذا ورد عليك شىء نهى

ص: ١٤١

١-١ (١) الزمر: ١٧-١٨. [١]

٢-٢ (٢) الجن: ١-٢. [٢]

٣-٣ (٣) الأعراف: ١٤٦. [٣]

٤-٤ (٤) الصحاح للجوهرى [٤]ماده (حجر).

٥-٥ (٥) الأمالى للصدوق: ٣٩٦ ح ٤. [٥]

٦-٦ (٦) الأنعام: ٩٠. [٦]

٧-٧ (٧) النساء: ١. [٧]

٨-٨ (٨) الرعد: ٣٣. [٨]

اللَّهِ عَنْهُ تَرَكَتَهُ (١)، وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَبْدُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ بَلَاءٍ وَ قِضَاءٍ وَ نِعْمَةٍ، فَعَلِيهِ فِي الْبَلَاءِ مِنَ اللَّهِ الصَّبْرُ فَرِيضُهُ، وَ عَلَيْهِ فِي الْقِضَاءِ مِنَ اللَّهِ التَّسْلِيمُ، وَ عَلَيْهِ فِي النَّعْمِ مِنْهُ تَعَالَى الشُّكْرُ (٢).

«وَ خَافَ ذَنْبَهُ» فِي (الْخِصَالِ) عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ ابْلِسَ قَالَ لِجُنُودِهِ، إِذَا اسْتَمَكْتُمْ مِنْ ابْنِ آدَمَ فِي ثَلَاثٍ لَمْ أَبَالِ مَا عَمَلٌ فَإِنَّهُ مِنْهُ غَيْرٌ مَقْبُولٌ: إِذَا اسْتَكْثَرَ عَمَلُهُ، وَ دَخَلَهُ الْعَجَبُ وَ نَسِيَ ذَنْبَهُ (٣).

«قَدَّمَ خَالِصًا» «إِلَّا- عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ أَوْلَيْكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَغْلُومٌ فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَ لَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ» (٤).

«وَ عَمَلٌ صَالِحًا» قَالَ تَعَالَى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ» (٥).

«اكتسب مذخورا» «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» (٦) «وَ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَ أَكْبَرُ أَجْرًا» (٧).

«وَ اجْتَنِبْ مَحْذُورًا» «وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» (٨) «وَ يَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ»

ص: ١٤٢

١- ١) الخصال للصدوق: ١٣٢ ح ١٣٩، ب ٣.

٢- ٢) المصدر نفسه: ٨٦ ح ١٧، ب ٣.

٣- ٣) المصدر نفسه: ١١٢ ح ٨٦، ب ٣.

٤- ٤) الصافات: ٤٠-٤٩. [١]

٥- ٥) الأنبياء: ٩٤. [٢]

٦- ٦) النحل: ٩٦. [٣]

٧- ٧) المزمّل: ٢٠. [٤]

٨- ٨) الشورى: ٣٧. [٥]

«كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» (١) «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُم مَدْخَلًا كَرِيمًا» (٢).

«رمى غرضا و أحرز عوضا» قال ابن أبي الحديد: رمی غرضا أى: قصد الحق كمن یرمی غرضا یقصدہ، لا من یرمی فى عمیاء لا یقصد شیئا بعینه (٣).

قلت: بل كلامه عليه السلام استعاره فى تشبيهه من استبق الى الخيرات و استحق الجنات بمن رمی فى وقت الزمايه، و أصاب الهدف و استحق العوض الذى جعلوه لمصیب الهدف. فالغرض الهدف الذى یرمی فيه و هو مفعول به، و ابن أبى الحديد توهمه مفعولا له، قال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (٤) «وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسٍ فِيهَا خَيْرٌ وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» (٥).

«كابر هواه» قال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (٦) و فى (باب اتباع هوى الكافى) عن النبى صلى الله عليه و آله: يقول الله تعالى: و عزتى و جلالى! لا يؤثر عبد هواه على هواى الا شئت عليه أمره، و لبست عليه ديناه، و شغلت قلبه بها، و لم أعطه منها إلا ما قدرت له، و عزتى و جلالى لا يؤثر عبد هواى على هواه إلا استحفظته ملائكتى

ص: ١٤٣

١-١ (١) النجم: ٣١-٣٢. [١]

٢-٢ (٢) النساء: ٣١. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٧٢: ٦. [٣]

٤-٤ (٤) الواقعة: ١٠-١١. [٤]

٥-٥ (٥) فاطر النازعات: ٣٢-٣٥. [٥]

٦-٦ (٦) ٤١-٤٠.

و كَفَلت السموات و الأرض رزقه، و كنت له وراء تجاره كلّ تاجر و أتته الدنيا راغمه (١)، و عن الصادق عليه السلام: احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من أتباع الهوى و حصائد ألسنتهم (٢)، و كان عليه السلام يقول:

لا تدع النَّفس و هواها فإنَّ هواها في رداها

و ترك النَّفس و ما تهوى أذاها و كفَّ النَّفس عمَّا تهوى دواها

(٣) «و كَذَّب مناه» لِإِنَّ تصديق المنى سبب الهلاك «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَ لِكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمْ الْأمانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» (٤).

«جعل الصبر مطية نجاته» في (الصحاح): المطية مأخوذ من المطو و هو المد، في (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال: الجنه محفوفه بالمكاره و الصبر، فمن صبر (٥) على المكاره في الدنيا دخل الجنه، و جهنم محفوفه باللذات و الشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها و شهوتها دخل النار (٦)، و عن الصادق عليه السلام: إذا دخل المؤمن قبره، كانت الصلاه عن يمينه و الزكاه عن يساره و البرّ مظلّ عليه و تنحى الصبر ناحيه، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاه و الزكاه و البرّ: دونكم صاحبكم، فإن

ص: ١٤٤

١-١ (١) الكافي للكليني ٢:٣٣٥ ح ٢. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٢:٣٣٥ ح ١. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر نفسه ٢:٣٣٦ [٣] ملحق ح ٤.

٤-٤ (٤) الحديد: ١٣-١٤. [٤]

٥-٥ (٥) الصحاح للجوهري ماده (مطو).

٦-٦ (٦) الكافي للكليني ٢:٨٩ ح ٧. [٥]

عجزتم عنه فأنا دونه (١)، و عنه عليه السلام: إنَّ الله تعالى أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، و ابتلى قوما بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمه.

و عنه عليه السلام من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له أجر مثل ألف شهيد (٢). و عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: سيأتى على النَّاس زمان لا- ينال الملك إلا فى القتل و التجبر، و لا الغنى إلا بالغصب و البخل، و لا المحبته إلا باستخراج الدين و اتباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى و صبر على البغضه و هو يقدر على المحبته، و صبر على الذل و هو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي (٣).

«و التَّقوى عدّه وفاته» «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» (٤)، «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ» (٥).

«ركب الطريقه الغراء» فى (المصباح): الغره فى الجبهه: بياض فوق الدرهم، و رجل أغرّ صبيح أو سيد فى قومه (٦) قال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» (٧).

«و لزم المحبّه البيضاء» فى (الصباح): المحبّه: جاده الطريق، قال

ص: ١٤٥

١-١) المصدر نفسه ٢:٩٠ ح ٨. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٢:٩٢ ح ١٧. [٢]

٣-٣) المصدر نفسه ٢:٩١ ح ١٢. [٣]

٤-٤) فصلت: ٣٠. [٤]

٥-٥) فصلت: ٣١-٣٢. [٥]

٦-٦) المصباح المنير للفيتورى: ٤٤٥ ماده (الغره).

٧-٧) الليل: ٥-٧. [٦]

تعالى: «وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (١).

«اغتنم المهل» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر فإنك لا تدري ما يحدث (٢)، و عنه عليه السلام: إذا هم أحدكم بخير أو صله فإن عن يمينه و شماله شيطانين فليبادر لا يكفاه عن ذلك (٣).

«و بادر الأجل» «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٤).

«و تزود من العمل» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: إن الله تعالى ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة و ان الله تعالى خفف الشر على أهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة (٥).

٤

في الخطبه (٨١)

و منها:

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لَتَعِيَ مَا عَنَاهَا - وَ أَبْصَارًا لَتَنْجَلُو عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا - مُلَائِمَةً لِأَخْتَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا وَ مُدَدٍ عُمَرِهَا - بِأَبْدَانٍ قَسَائِمِهِ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا - فِي مُجَلَّلَاتِ نِعْمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مَنِّهِ وَ حَوَاجِرِ عَافِيَتِهِ - وَ قَدَرٍ لَكُمْ أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ -

ص: ١٤٤

١-١ (١) الأنعام: ١٥٣. [١]

٢-٢ (٢) الكافي للكليني ٢:١٤٢ ح ٣. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر نفسه ٢:١٤٣ ح ٨. [٣]

٤-٤ (٤) المنافقون: ١٠-١١. [٤]

٥-٥ (٥) الكافي للكليني ٢:١٤٣ ح ١٠. [٥]

و خَلَفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِيَيْنِ قَبْلَكُمْ- مِنْ مُسِيئَاتِهِمْ خَلَقْتُمْ خَلْقَهُمْ وَ مُسْتَفْسِحِ خَنَاقِهِمْ- أَرْهَقْتُمْ الْمَنَايَا دُونَ الْأَمَالِ وَ شَدَّبْتُمْ عَنْهَا تَحْزُمَ الْأَحْيَالِ- لَمْ يَمَهِّدُوا فِي سِيْلَامِهِ الْأَبْيَادِ- وَ لَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْمَأْوَانِ فَهَيْلٌ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضِهِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ- وَ أَهْلُ غَضَارِهِ الصَّحْحِ إِلَّا- نَوَازِلَ السَّقَمِ- وَ أَهْلُ مِيدَةِ الْبَقَاءِ إِلَّا- آوَنَهُ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزَّيَالِ- وَ أَرْوَفِ الْإِنْتِقَالِ وَ عَزْرِ الْقَلْقِ وَ أَلَمِ الْمَضَضِ وَ غُصِيصِ الْجَرَضِ- وَ تَلَفْتِ الْإِسْتِغَاثَةَ بِنُضِيرِهِ الْحَفْصَةَ وَ الْأَقْرِيَاءِ- وَ الْمَاعِزَةَ وَ الْقُرْنَائِ فَهَيْلٌ دَفَعَتِ الْأَقَارِبَ- أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبَ وَ قَدْ غَوَدَرَ فِي مَحَلِّهِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا- وَ فِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ- وَ أَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ وَ عَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ- وَ مَحَا الْحِدَاثَانَ مَعَالِمَهُ وَ صَارَتِ الْأَجْسَادُ شَجَبَةً بَعْدَ بَضْتِهَا- وَ الْعِظَامُ نَخْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا- وَ الْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا- مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا- وَ لَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا أَوْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَ الْآبَاءِ وَ إِخْوَانَهُمْ وَ الْأَقْرِيَاءِ- تَحْتِدُونَ أَمْثَلَتَهُمْ وَ تَزَكِّيُونَ قِدَّتَهُمْ وَ تَطْنُونَ حِيَادَتَهُمْ- فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لَا هَيْبَةَ عَنْ رُشْدِهَا- سِيَالِكُهُ فِي غَيْرِ مَضْمَارِهَا كَأَنَّ الْمَعْنَى سِوَاهَا- وَ كَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا - إِلَى أَنْ قَالَ (و منها في صفه خلق الإنسان) أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ شُغْفِ الْأَسْتَارِ- نُطْفَهُ دِهَاقًا وَ عَلَقَهُ مِحَاقًا- وَ جَنِينًا وَ رَاضِعًا وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا- ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَ لِسَانًا لَافِظًا وَ بَصَرًا لَاحِظًا- لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا وَ يُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا- حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَى مِثَالُهُ- نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا وَ خَبِطَ سَادِرًا مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ- كَادِحًا سَعِيًّا لِدُنْيَاهُ فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرْبِهِ- ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيئَهُ

وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً - فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيْبًا وَ عَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيْرًا - لَمْ يُفِدْ عَوْضًا وَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا - دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَيْتَةِ فِي عُبْرِ جِمَاحِهِ وَ سَيْنِنِ مِرَاحِهِ - فَظَلَّ سَادِرًا وَ بَاتَ سَاهِرًا فِي غَمْرَاتِ الْأَلَامِ - وَ طَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَ الْأَسِيْقَامِ بَيْنَ أَخِ شَقِيْقٍ وَ وَالِدِ شَقِيْقٍ - وَ دَاعِيَةِ بِالْوَيْلِ جَزَعًا وَ لَادِمِهِ لِلصَّدْرِ قَلْقًا - وَ الْمَرْءِ فِي سِيْكَرِهِ مُلْهِيَةً وَ غَمْرِهِ كَارِثَةً - وَ أَنَّهُ مُوجِعٌ وَ حَزِيْبٌ مُكْرِبٌ وَ سَوْفَهُ مُتْعَبٌ - ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا وَ حَزِيْبٌ مُنْقَادًا سِيْلَسًا - ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيْعٌ وَ صَبٌّ وَ نَضْوٌ سِيْقَمٌ - تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ الْوَالِدَانِ وَ حَشْدَةُ الْبَاخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ - وَ مُنْقَطِعَ زُوْرَتِهِ حَتَّى إِذَا انصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَ رَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ - أُفْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِيُبْهَتَهُ السُّؤَالِ وَ عَيْثَرَهُ الْإِمْتِحَانِ - وَ أَعْظَمَ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةُ نَزْوُلِ الْحَمِيْمِ - وَ تَضْيِيقُ الْجَحِيْمِ وَ فُوْرَاتِ السَّعِيْرِ - وَ سُوْرَاتِ الزَّفِيْرِ لِأَنَّ فُتْرَةَ مُرِيْحَهُ - وَ لَا دَعَاةَ مُزِيْحَهُ وَ لَا قُوَّةَ حِيْاجِزِهِ وَ لَا مَوْتَهُ نَاجِزَهُ وَ لَا سِنَنَهُ مُسِيْلِيَّةً - بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَ عِيْدَابِ السَّاعَاتِ - إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الَّذِينَ عَمَّرُوا فَنَعِمُوا وَ عُلِّمُوا فَفَهَّمُوا - وَ أَنْظَرُوا فَلَهَّوْا وَ سِيْلَمُوا فَنَسُوا - أَمْهَلُوا طَوِيْلًا - وَ مُنِحُوا جَمِيْلًا - وَ حَزِرُوا أَلِيْمًا وَ وَعِدُوا جَسِيْمًا - احذَرُوا الذُّنُوْبَ الْمُوْرَطَةَ وَ الْعُيُوْبَ الْمُسْخَطَةَ - أُولَى الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْعَافِيَةِ وَ الْمَتَاعِ - هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ - أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ أَمْ لَا - «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أَمْ أَيْنَ تُصَيَّرُونَ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ - وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَ الْعَرْضِ - قَيْدُ قَدِّهِ مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ - الْمَآْنُ عِيَادَ اللَّهِ وَ الْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ - فِي فَيْئِهِ الْإِرْشَادِ وَ رَاحِهِ الْأَجْسَادِ وَ بَاحِهِ الْإِحْتِسَادِ - وَ مَهْلِ الْبَقِيَّةِ وَ أَنْفِ الْمَشِيَّةِ وَ إِنْظَارِ التَّوْبَةِ - وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ قَبْلَ الضَّنْكِ وَ الْمَضِيْقِ -

وَ الرَّؤْعِ وَ الرَّهْوَاقِ وَ قَبِيلِ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ - وَ أَخَذَهُ الْعَزِيزُ الْمُقْتَدِرِ وَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ لَمَّا خَطَبَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ اقْشَعَرَّتْ لَهَا الْجُلُودُ، وَ بَكَتِ الْعَيُونَ وَ رَجَفَتِ الْقُلُوبُ، وَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَسْمَى هَذِهِ الْخُطْبَةَ الْغَزَاءَ (١).

أقول : «جعل لكم أسماعا لتعي ما عنها» الأصل في الوعي: جعل الأذن وعاء لما سمع قال تعالى: «وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَتْهُ» (٢) و عنها أى: أهمها و فى الخبر: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (٣).

«و أبصارا لتجلو عن عشاها» قال تعالى: «وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (٤) «وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» (٥) و فى (المصباح): عشى أى: ضعف بصره، فهو أعشى، و المرأه عشواء (٦).

«و أشلاء جامعها لأعضائها» قال ابن أبى الحديد: أراد بالأشلاء: الأعضاء الظاهره، و بالأعضاء: الجوارح الباطنه (٧)، و هو كما ترى فالضمير فى (أعضائها) راجعه الى (الأشلاء) و الباطنه ليست للظاهره حتى يضاف إليها بل كل منهما مضاف الى الإنسان و الصواب أن يقال: إن المراد بالأشلاء، الأعضاء الكبيره، و بالأعضاء: الأعضاء الصغيره كاليد الجامعه للعضد و الذراع و الكف، و الأصل فى الشلو عضو يرفعه، فقال الفيروز ابادى

ص: ١٤٩

١- ١) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٧٦: ٦. [١]

٢- ٢) الحاقه: ١٢. [٢]

٣- ٣) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٧٨: ٦. [٣]

٤- ٤) النحل: ٧٨. [٤]

٥- ٥) السجده: ٩. [٥]

٦- ٦) المصباح المنير للفيتورى: ٤١٢ (العشى).

٧- ٧) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٥٨: ٦. [٦]

«ملائمه لأحنائها» أي: لجوانب تلك الأشلاء، قال المفضل للصادق عليه السلام:

صف لي نشو الأبدان في نموها حالا- بعد حال حتى يبلغ التمام و الكمال قال عليه السلام: أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين و لا تناله يد تدبره، حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه و صلاحه من الأحشاء و الجوارح و العوامل إلى ما في تركيب أعضائه، من العظام و اللحم و الشحم و العصب و المخ و العروق و الغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه و هو ثابت على شكل و هيئه لا تتزايد و لا تنقص، إلى أن يبلغ أشده أن يدم عمره أو يستوفى مدته قبل ذلك، هل هذا إلا من لطيف التدبير و الحكمة (٢)؟! «في تركيب صورها و مدد عمرها» قال الصادق عليه السلام: ففكر يا مفضل! في أعضاء البدن أجمع و تدبير كل منها للمآرب، فاليدان للعلاج، و الرجلان للسعي، و كذلك جميع الأعضاء إذا ما تأملت و أعملت فكرك فيها وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب و حكمه (٣)! «بأبدان قائمه بأرفاقها» قال الصادق عليه السلام: ففكر يا مفضل! في وصول الغذاء إلى البدن، و ما فيه من التدبير، فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه و تبعث بصفوه إلى الكبد في عروق دقاق و اشجه بينها، قد جعلت كالمصفاي للغذاء لكيلا- يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، و ذلك أن الكبد رقيقه لا تحتمل العنف، ثم أن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما، و ينفذه إلى البدن كله في

ص: ١٥٠

١-١) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ١٦٧٨ ([١] الشلو).

٢-٢) التوحيد للمفضل بن عمر: ١٢.

٣-٣) المصدر نفسه: ١١.

مجار مهياًه لذلك بمنزله المجارى التى تهياً للماء ليطرد فى الأرض كلها و ينفذ ما يخرج منه من الخبث و الفضول الى مغائص قد اعدت لذلك،فما كان منه من جنس المره الصفراء جرى الى المراره،و ما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال،و ما كان من البله و الرطوبه جرى الى المثانه، تأمل حكمه التدبير فى تركيب البدن،و وضع هذه الأعضاء منه مواضعها،و إعداد هذه الأوعيه فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر فى البدن،فتسقمه و تنهكه،فتبارك من أحسن التقدير و أحكم التدبير (١).

«و قلوب رائده» أى:طالبه،من راد الكلاء،أى:طلبه.

«لأرزاقها» فى (العلل)عن الصادق عليه السلام:إن منزله القلب من الجسد، بمنزله الإمام من الناس،الواجب الطاعه عليهم،ألا ترى أن جميع جوارح الجسد شرط للقلب و تراجمه له مؤديه عنه،الاذنان و العينان و الأنف و الفم و اليدان و الرجلان و الفرج،فإن القلب إذا هم بالنظر فتح الرجل عينيه،و إذا هم بالاستماع فتح مسامعه فسمع،و إذا هم بالشم استنشق بأنفه،فأدى تلك الرائحه الى القلب،و إذا هم بالنطق تكلم باللسان،و إذا هم بالحركه سعت الرجلان،و إذا هم بالشهوه تحرك الذكر،فهذه كلها مؤديه عن القلب (٢).

«فى مجللات نعمه» فى (الصحيح):جلل الشىء تجليلاً،أى:عم (٣)،قال الصادق عليه السلام:اعتبر يا مفضل!بعظم النعمه على الإنسان فى مطعمه و مشربه و تسهيل خروج الأذى،أليس من حسن التقدير فى بناء الدار أن يكون الخلاء فى أستر موضع منها،فكذا جعل سبحانه المنفذ للخلاء من الإنسان فى أستر

ص:١٥١

١-١) المصدر نفسه:١١-١٢.

٢-٢) علل الأحكام للصدوق ١:١٠٩ ح ٨ ب ٩٦.

٣-٣) الصحيح للجوهري(جلل).

موضع منه، فلم يجعله بارزا من خلفه، و لا - ناشزا من بين يديه، بل هو معيَّب في موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقى عليه الفخذان، و يحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم يتواريانه، فاذا احتاج الإنسان إلى الخلاء، و جلس تلك الجلسة، ألقى ذلك المنفذ منه منصبًا مهيبًا لانحدار الثقل، فتبارك من تظاهرت آلاؤه و لا تحصى نعمائوه! (١) «و موجبات منه» روى (الخصال) عن الصادق عليه السلام: يقول عزّ و جلّ: إنّي تطوّلت على عبادى بثلاث: ألقى عليهم الرّيح بعد الرّوح، و لو لا ذلك ما دفن حميم حميما، و ألقى عليهم السّلوه بعد المصيبة، و لو لا ذلك لم يتهنّ أحد منهم بعيشه، و سلّطت هذه الدّابه على الحنطه و الشّعير و إلّا ذلك لكنزوها كما يكتزون الذهب و الفضه (٢)، و فى خبر آخر منّ عليهم بالسّتر و لولاه لما دفن كثير من الناس و لألقوهم على المزابل (٣).

«و حواجز عافيه» هكذا فى (المصريه) (٤) و هو غلط، و الصواب: ما فى غيرها.

«عافيته» ثم (عافيته) بلفظ المفرد فى النسخ و مقتضى الفقرات التى قبله كونه مصحّف عافياته، و كيف كان فى (الصحيح): (العافيه دفاع الله تعالى عن العبد) (٥) و فى الخبر: (إذا نظرت إلى مبتلى تقول فى نفسك من دون أن تسمعه: الحمد لله الذى عافانى ممّا ابتلاك به و لو شاء لفعل بى ذلك) (٦) و فى

ص: ١٥٢

١-١) التوحيد للمفضل بن عمر: ٢٠.

٢-٢) الخصال للصدوق: ١٦٢ ح ٨٧.

٣-٣) التوحيد للمفضل بن عمرو: ١٩.

٤-٤) الطبعة المصريه، شرح محمد عبده: ١٩٢.

٥-٥) الصحيح للجوهري ماده (عفا).

٦-٦) الكافي للكلىنى ٢: ٩٧ ح ٢٠. [١]

الخير: أن يوسف عليه السلام لو كان سأل ربه العافية من المصريات بدون سجن لعافاه و لكنه «قال رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» (١)، فصرف عنه كيدهن بما سأل .

«و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم» قال تعالى: «وَ أَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ» (٢) وقال الصادق عليه السلام: تأمل يا مفضل في ما ستر عن الإنسان من علمه بمدّه حياته! فإنه لو عرف مقدار عمره و كان قصير العمر، لم يتهنأ بالعيش مع ترقّب الموت و توقّعه لوقت قد عرفه، بل كان بمنزله من قد فنى ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر و الوجل من فناء ماله، على أنّ الّذى يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال، لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، و من أيقن بفناء العمر استحکم عليه اليأس، و إن كان طويل العمر ثمّ عرف ذلك، وثق بالبقاء، و انهمك في اللذات و المعاصي، و عمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب في آخر عمره، و هذا مذهب لا- يرضاه تعالى من عباده، ألا ترى لو أنّ عبدا لك عمد على أنّه يسخطك سنه و يرضيك يوما لم تقبل ذلك منه، و لم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح، فإن قلت: أو ليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثمّ يتوب فتقبل توبته؟ قلنا:

إنّ ذلك شيء يكون لغلبة الشهوات، و تركه مخالفتها من غير أن يقدرها في نفسه، و يبني عليه أمره، فيصفح الله عنه، و يتفضّل عليه بالمغفرة، فأما من قدّر أمره على أن يعصى ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلك، فأنا يحاول خديعه من لا يخادع بأن يتسلّف التلذذ في العاجل، و يعد نفسه التوبه في الآجل، و لأنّه قد لا يفى، فإنّ التزوع من الترفّه و التلذذ و لا سيما عند الكبر و ضعف البدن أمر

ص: ١٥٣

[١-١] يوسف: ٣٣. [١]

[٢-٢] الأنعام: ٢. [٢]

صعب، مع أنه لا يؤمن على الإنسان مع مدافعتة بالتوبه، أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب.

فكان خير الأشياء للإنسان أن يستتر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت، فيترك المعاصى و يؤثر العمل الصالح، فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته يقارف الفواحش و ينتهك المحارم! قلنا: إن وجه التدبير فى هذا الباب هو الذى جرى عليه الأمر، فإن كان الإنسان مع ذلك لا- يرعوى و لا ينصرف عن المساوىء، فأتما ذلك من مرحة و قساوه قلبه لا من خطأ فى التدبير كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فإن كان المريض مخالفا لقول الطبيب لم تكن الإساءة للطبيب بل للمريض، و لئن كان مع ترقبه للموت كل ساعه لا يمتنع عن المعاصى، لو كان وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج الى الكبائر الفظيعة، ثم إنه و إن كان صنف يلهون عنه فإن صنفًا ينزعون به عن المعاصى و يؤثرون العمل الصالح و يوجدون بالأموال و العلائق النفسه فى الصدقه فلم يكن من العدل ان يحره هؤلاء به لتضييع أولئك (١).

«و خَلَّفَ لَكُمْ عبراً من آثار الماضين قبلكم» قال تعالى بعد ذكر طوفان نوح:

«و لَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» (٢).

«و من مستمتع خلاقهم» فى (الصحاح):- الخلاق: النصيب (٣).

«و متفسح خناقهم» و الفسحة: السعه، و الخناق: مجرى النفس و الحلق و يقال: أخذ بخناقه و مخنقه (٤)، و فى (القاموس): خانقين بلد بسواد بغداد لأن

ص: ١٥٤

١- (١) التوحيد للمفضل بن عمرو: ٢٩-٣٠.

٢- (٢) القمر: ١٥. [١]

٣- (٣) الصحاح للجوهري ماده (خلق).

٤- (٤) المصدر نفسه ماده خنق (١).

النعمان خنق به عدى بن زيد العبادى (١)، قال تعالى فى فرعون و قومه: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَهُ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ كَذَلِكَ وَ أَوْزَنَّا قَوْمًا آخِرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» (٢).

«أرهقتهم المنايا دون الآمال» فى (الصحاح): رهقه بالكسر غشيه (٣) و المتية: الموت، لأنها مقدره و الجمع المنايا .

«و شدّبهم عنها تخزّم الآجال» فى الطبعتين المصريتين جعل «شدّب بهم» كلمتين (شدّب) كلمه و (بهم) كلمه (٤) و الصواب: كونه كلمه واحده من التشذيب كما فى (ابن أبى الحديد) و غيره (٥) من قولهم شدّب الشجره، و نخل مشذب، و تشدّبوا أى: نفرّقوا، و التخرّم: الاستيصال، قال تعالى: «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ» (٦).

«لم يمهّدوا فى سلامه الأبدان» و فى الخبر: اغتتموا خمسا قبل خمس، الصّحه قبل السّقم ... (٧).

«و لم يعتبروا فى انف الأوان» فى (الصحاح): (انف كلّ ١٣١٣١ شىء أوله و الأوان الحين) (٨).

ص: ١٥٥

١- ١) القاموس للفيروز آبادى: ١١٣٨ [١] ماده (خنق) مؤسسه الرساله.

٢- ٢) الدخان: ٢٥-٢٩. [٢]

٣- ٣) الصحاح للجوهري ماده (رهق).

٤- ٤) الطبعتان المصريتان (المصححه و غير المصححه) المصححه: ١٩٣.

٥- ٥) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٥٧: ٦.

٦- ٦) سبأ: ٥٤. [٣]

٧- ٧) من وصايا الرسول إلى أبى ذر الغفارى، أورده الطوسى فى أماليه، و نقله المجلسى فى البحار ٧٧: ٧٧ و [٤] هو بلفظ (اغتم) و ليس (اغتموا).

٨- ٨) الجوهري، الصحاح، ماده (أنف).

فى الخبر: إنَّ آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المنهية ذكر أنه نهى عنها، فذهب لينتحي من الشجرة، فأخذت الشجرة برأسه فجزّته اليها وقالت له: أفلا كان فرارك منى قبل أن تأكل منى! (١) «فهل ينتظر أهل بضاضه الشباب إلاّ حوانى الهرم» فى (الصحاح): رجل بضّ أى: رقيق الجلد ممتل (٢)، و الحوانى: جمع الحين. روى الخطيب عن جعفر البرمكى، أنّ السيفاح نظر فى المرآه، و كان من أجمل الناس وجها فقال: اللهم إنى لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: (أنا الملك الشاب) و لكنى أقول:

(اللهم عمّرنى طويلا- فى طاعتك ممتعا بالعافيه) فما استتمّ كلامه حتّى سمع غلاما يقول لآخر: (الأجل بينى و بينك شهران و خمسه أيام) فتطير فما مضت الأيام حتّى أخذته الحمى حتّى مات بعد شهرين و خمسه أيام توفّى و هو ابن ثلاث و ثلاثين (٣).

«و أهل غضاره الصّحه إلاّ نوازل السّقم» فى (الصحاح): الغضاره: طيب العيش (٤). فإذا لم يبادر فى وقت صحّته فأىّ شىء يستطيع وقت ابتلائه بالأسقام .

«و أهل مدّه البقاء إلاّ آونه الفناء» الآونه: جمع أوان مثل أزمه و زمان، و فى الخبر اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك و حياتك قبل موتك (٥) -الخبر- و هل تنتظر أن يأتىك: جبرئيل و يقول لك: -يأتىك فى الساعه الفلانيه عزرائيل؟

ص: ١٥٦

١- ١) بحار الأنوار للمجلسى ١١٨٨: ١١ ح ٤٥ ب ٣. [١]

٢- ٢) الصحاح: (بضض).

٣- ٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠: ٤٩ [٢] ترجمه (٥١٧٨).

٤- ٤) الصحاح: (غضض).

٥- ٥) بحار الأنوار للمجلسى ٧٧: ٧٧. [٣]

«مع قرب الزّيال» في (الصّحاح): زايله مزايله و زبالا إذا فارقه (١).

«و أزوف الانتقال» أي: دنوّه .

«و علز القلق» في (الصّحاح): مات فلان علزا: أي وجعا قلقا لا ينام (٢).

«و ألم المضض» في (الصّحاح): أمضني الجرح إذا وجعك (٣).

«و غصص الجرض» جرض بريقه أي: ابتلعه على همّ و حزن، و في (شعراء القتيبي): لقي عبيد بن الأبرص النعمان في يوم بؤسه - و كان يقتل كلّ من لقيه ذاك اليوم - فقال له: هلاّ - كان ذا لغيرك، أنشدني! فربّما أعجبنى شعرك قال: (حال الحريض دون الحريض) قال انشدني: (أقفر من أهله ملحوب) فقال:

أقفر من أهله عبيد فالיום لا ييدى و لا يعيد

فقتله و لطح بدمه الغريين و كان بناهما على نديميه له (٤) - «و تلفت الاستغاثه» في (القاموس): «لفته، لواه و صرفه عن رأيه و منه الالتفات و التلفت» (٥) و في (الجمهره): الأصل في الالتفات لئ العنق (٦).

«بنصره الحفده و الأقرباء» في (الصّحاح) الحفده: الأعوان و الخدم و قيل:

ولد الولد (٧).

«و الأعزّه و القرناء» من كان لا يفارقه، و في (الكافي) عنه عليه السلام: إنّ

ص: ١٥٧

١-١ (١) الصّحاح: (١ [زيل]).

٢-٢ (٢) الصّحاح: (٢ [علز]).

٣-٣ (٣) الصّحاح: (مضض).

٤-٤ (٤) الشعر و الشعراء لابن قتيبه: ١٤٤ طبع ليدن. [٣]

٥-٥ (٥) القاموس للفيروز آبادي: (لفت).

٦-٦ (٦) الجمهره لابن دريد: ٤٠٥ (٤ [ت ف ل]).

٧-٧ (٧) الصّحاح: (٥ [حفد]).

ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا و أول يوم من أيام الآخرة، مثل له ماله و ولده و عمله، فيلتفت الى ماله فيقول له: و الله إن كنت عليك حريصا شحيحا فمالى عندك؟ فيقول: خذ منى كفنك، فيلتفت إلى ولده فيقول: و الله إنى كنت لكم محبا و عنكم محاميا فمالى عندكم؟ فيقولون نؤدّيك إلى حفرتك، نواريك فيها، فيلتفت إلى عمله و يقول له: كنت فيك زاهدا و كنت على ثقيل فمالى عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك و حشرك حتى اعرض أنا و أنت على ربك (١).

«فهل دفعت الأقارب أو نفعت النّواحب» في (الصّحاح): (النّحيب رفع الصوت بالبكاء) (٢) قالوا: احتضر رجل فصاحت ابنته ففتح عينيه، و هو يكيد بنفسه فقال:

عزاء لا أبا لك إنّ شيئا تولّى ليس يرجعه الحنين

و في (المعجم): ما رأى أحد و فى من الإعظام و الإجلال بعد موته، ما و فيه الصّاحب، فأنه لما جهّز و وضع فى تابوته و اخرج على أكتاف حامله للصّلاه عليه، قام الناس، بأجمعهم فقبلوا الأرض بين يديه، و خرّقوا ثيابهم و لطموا وجوههم و بلغوا فى النّحيب عليه جهدهم (٣).

«و قد غودر فى محلّه الأموات» فى (الطبرى): كسرت الأتراك على قبر محمد بن بغا ألف سيف) و كذا يفعلون بالسّيد منهم إذا مات (٤).

«رهينا» لنعم ما قيل بالفارسيّه: (عاقبت منزل ما وادى خاموشان است).

ص: ١٥٨

١- (١) الكافى للكلينى ٣: ٢٣١ ح ١. [١]

٢- (٢) الصّحاح للجوهري (نحب).

٣- (٣) معجم الادباء للحموى ٦: ٢٧٥ ترجمه (إسماعيل بن عباد). [٢]

٤- (٤) تاريخ الامم و الملوك للطبرى ٥: ٤٧٦ [٣] أحداث سنه (٢٥٦).

«و فى ضيق المضجع وحيدا» قال تعالى: «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (١).

«قد هتكت الهوامّ جلده» فى (الصباح): الهامه واحده الهوامّ ولا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأحناش (٢).

«و أبلت النّواهك جدّته» فى (المصباح): بلى الثوب خلق فهو بال و نهكته الحمى هزلته، و جدّ الشىء صار جديدا (٣).

«و عفت العواصف آثاره» يجوز فى (عفت) التخفيف و التّشديد و هو هنا متعدّد و يجوز مجيئه لازما، فى (الصباح): عفت الريح المنزل، و عفا المنزل يعفو-درسته، و درس يتعدّى و لا يتعدّى-و عفت الريح الدّار شدّد للمبالغه (٤).

«و محا الحدثان معالمه» فى (الصباح): المعالم، الأثر ليستدلّ به على الطريق (٥).

«و صارت الأجساد شحبه بعد بضتها» فى (الصباح): شحب جسمه إذا تغير (٦)، و مرّ أنّ البضّ: امتلاء الجلد .

«و العظام نخره بعد قوتها» نخر العظم بالكسر بلى و تفتّت .

«و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها» قال فى (الصباح): العبء بالكسر الحمل، و الجمع الأعباء أنشد أبو زيد:

ص: ١٥٩

١- ١) الأنعام: ٩٤. [١]

٢- ٢) الصباح: [٢] همم).

٣- ٣) المصباح للفيتورى: ٧٨ (بلى).

٤- ٤) الصباح: (عفا).

٥- ٥) الصباح: (علم).

٦- ٦) الصباح: (شحب).

الحامل العبء الثقيل عن الجاني بغير يد ولا شكر

(١) قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (٢).

«موقفه بغيب أنبائها» قال متمم بن نويرة في أخيه مالك:

فلما تفرقنا كآتي و مالكا لطول اجتماع لم نبت ليله معا

(٣) وفي الديوان:

أمرّ على رسم القريب كأنما أمرّ على رسم امرئ ما أناسه

(٤) «لا- تستزاد من صالح عملها ولا- تستعتب من سيئ زللها» فإثما الاستزاده والاستعتاب قبل الموت، فكلّ يوم ملك ينادى

الأحياء: «يا صاحب الخير أتمّ وأبشر، ويا صاحب الشرّ انزع وأقصر».

«أو لستم أبناء القوم والآباء» المراد بالقوم، المقبورون الموصوفون.

«و اخوانهم و الأقرباء» قال الأمير الميكالي:

و كيف يلدّ طعم العيش نفس غدات أترابها تحت التراب

«تحتذون أمثلتهم» في (الصحاح): احتذى مثاله أي: اقتدى به (٥).

«و تركبون قدّتهم» في (الصحاح): القدّه: الطريقه .

«و تطئون جادّتهم» (٦) في (الصحاح): الجدد: الأرض الصلبة، والجادّه:

معظم الطريق (٧).

ص: ١٦٠

١- ١) الصحاح: ([١] عبا).

٢- ٢) المدثر: ٣٨. [٢]

٣- ٣) لسان العرب لابن منظور ٣٦٦: ١٢. [٣]

٤- ٤) ديوان أمير المؤمنين: ٧٩.

٥- ٥) الصحاح: (حذا).

٦- ٦) الصحاح: (قدد).

«فالقلوب قاسيه عن حظها لاهيه عن رشدها سالكه في غير مضمارها» قال تعالى: «وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرِهِ مِنْ هَذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ» (١).

«كَأَنَّ الْمَعْنَى سِوَاهَا» و الموت يأتى بعد ذلك كله و كأنه يعنى بذاك سوانا

«و كأنَّ الرّشد في إحراز دنياها» فيؤمّنون معاشهم و يخوّفون معادهم مع أنّه يجب أن يقولوا:(اللّهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا و لا تجعل الدّنيا أكبر همّنا) و في (الروضه) عن جابر الأنصاري: «مرّ بنا النبي صلّى الله عليه و آله حين رجع من حجّه الوداع و هو على ناقته و نحن في نادينا فوقف و قال: «ما لى أرى حبّ الدّنيا غلب على كثير من الناس حتّى كأنّ الموت في هذه الدنيا على غيرهم كتب، و كأنّ الحقّ في هذه الدّنيا على غيرهم و جب، و حتّى كأنّ لم يسمعوا و يروا الأموات قبلهم، سيبلهم سبيل قوم سفر عمّا قليل إليهم راجعون يبيّثونهم أجداثهم و يأكلون تراثهم فيظنّون أنّهم مخلمدون بعدهم. هيهات هيهات! ما يتعظّ آخرهم بأولهم لقد جهلوا و نسوا كلّ واعظ في كتاب الله و أمنوا شرّ كلّ عاقبه سوء، و لم يخافوا نزول فادحه و بوائق حادثه (٢) ...»

قوله عليه السلام: «أم هذا الّذى أنشأه في ظلمات الأرحام» في الآيه السادسة من سوره الزمر «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصْرَفُونَ» (٣).

«و شغف الاستار» في (الصحيح): «الشغاف: غلاف القلب و هو جلده دونه

ص: ١٤١

١- ١) المؤمنون: ٦٢-٦٣. [١]

٢- ٢) الكافي للكليني ١٦٨: ٨ ح ١٩٠. [٢]

٣- ٣) الزمر: ٦. [٣]

كالحجاب» والمراد بها البطن و الرحم و المشيمه (١).

«نطفه دهاقا» قيل: و يروى (دفاقا) و هو الأنسب لفظا. قال تعالى:

«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ» (٢)، و إلاّ - فالدهاق أيضا يأتي بمعناه، ففي (الصحيح): (أدهقت الماء أفرغته إفراغا شديدا) (٣) كما يأتي بمعنى الإمتلاء، كما في قوله تعالى: «وَ كَأَسَا دِهَاقًا» (٤) و حيث أنّ المراد نطفه في الرّحم، فالدهاق بمعنى الإمتلاء أنسب معنى لأنّ فيه تجتمع نطفه الرّجل و المرأه قال تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ» (٥)، و قال عزّ و جلّ:

«يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» (٦).

«و علقه محاقا» يجوز في ميم المحاق الحركات الثلاث، و المحق: تلف الشيء و نقصانه كما في (الجمهره) (٧)، فإن قيل: إنّ المحق لا يختصّ بالعلقه، بل يلحق النطفه قبلها و المضغه بعدها و إنّما لا يلحق العظام، قال تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» (٨). فلم اقتصر فيه عليها؟ قلت: لأنّه عليه السلام اقتصر من مراتب التحوّل على النطفه و العلقه و وصف النطفه بالدهق فبقى المحق للعلقه، فإن قيل: لم اقتصر عليه السلام عليهما مع تعدّد

ص: ١٦٢

١-١ (١) الصحيح: (شغف).

٢-٢ (٢) الطارق: ٥-٦. [١]

٣-٣ (٣) الصحيح: (دهق).

٤-٤ (٤) النبأ: ٢٤. [٢]

٥-٥ (٥) الإنسان: ٢. [٣]

٦-٦ (٦) الطارق: ٧. [٤]

٧-٧ (٧) الجمهره لابن دريد: ٥٦٠ (٥) [قحم].

٨-٨ (٨) المؤمنون: ١٢-١٤. [٥]

التحوّلات حسبما ذكر في تلك الآيه؟ قلت: لأنه اقتصر بهما على خلق الإنسان في مواضع اخر دون المضغه و ما بعدها، قال تعالى: «خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ» (١) وقال: «مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ» (٢)، «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» (٣).

فإن قيل: لم جعل العاطف في تلك الآيه في جعل النطفه في قرارها و في خلقها علقه (ثم) و في خلق العلقه مضغه و خلق المضغه عظاما و كسوه العظم اللحم (الفاء) مع أنّ المدّه في صيروره النطفه علقه-أربعين يوما كما في كلّ من صيروره العلقه مضغه-و المضغه عظاما و كسوه العظام اللحم، و لذا قال القمى بعد الآيه: سته أجزاء و ستّ استحالات و في كلّ جزء و استحالته ديه محدوده-ففى النطفه عشرون ديناراً، و فى العلقه أربعون، و فى المضغه ستون، و فى العظم ثمانون، و فى كسوته مائه، فإذا استهلّ فالديه كامله.

قلت: ليس المراد بجعل النطفه في قرارها الرّحم بل الصّلب و الترائب، و بين النطفه ثمّه و صيرورتها بعد انتقالها فى الرحم علقه مدّه متراخيه فأتى بثّم كما أنّ فى صيروره السلاله-و هى الخلاصه من الطعام-نطفه، أيضا مدّه متراخيه، أمّا إنشاؤه خلقاً آخر، بمعنى نفخ الرّوح فيه و إن كان بعد كسوه العظام اللحم بلا فصل إلاّ أنّه لما كان من واد اخر أتى أيضا بثّم .

«و جنينا» الجنين: الولد ما دام فى البطن، و الجمع الأجنّه قال تعالى: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» (٤).

ص: ١٦٣

[١-١] الطارق: ٦.

[٢-٢] عبس: ١٨-١٩.

[٣-٣] العلق النجم: ٣.

[٤-٤] ٣٢.

«و راضعا» قال تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِتَهُ الرِّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» (١).

«وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (٢). و يستفاد من الجمع بين الآيتين أقل مدّة الحمل و هو ستّة أشهر- إذا أتمّت الرضاعة حولين- و أكثرها- و هو تسعة أشهر- إذا لم تتمّ و اقتصر على أحد و عشرين شهرا (٣).

«وليدا و يافعا» فى (فقه لغه الثعالبي): «قال ابن الأعرابي: يقال للصبى إذا ولد: رضيع و طفل ثم فطيم ثم دارج ثم حفر ثم يافع ثم شرح ثم مطبخ ثم كوكب (أيضا) ما دام فى الرحم فهو جنين و إذا ولد فهو وليد و ما دام لم يستتمّ سبعة أيّام فهو صديغ لأنّه لا يشتدّ صدغه إلى تمام السبعة و ما دام يرضع فهو رضيع ثم إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم ثم إذا غلظ و ذهب عنه فزاره الرضاع فهو جحوش» و المفهوم منه أنّ الوليد فى أوّل التولّد مع أنّ كلامه عليه السلام دال على أنّه بعد الرضاع (٤).

«ثمّ منحه قلبا حافظا» أى: أعطاه .

«و لسانا لافظا» هكذا فى (المصريه) (٥)، و فيها سقط فزاد (ابن أبى الحديد (٦) و ابن ميثم (٧) و الخطيبه) (٨) بعده .

«و بصرا لاحظا» قال تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ»

ص: ١٦٤

١- (١) البقره: ٢٣٨. [١]

٢- (٢) الاحقاف: ١٥. [٢]

٣- (٣) تفسير القمى ٢: ٤٣٠. [٣]

٤- (٤) فقه اللغه للثعالبي: ١٩ ب ١٤. [٤]

٥- (٥) الطبعه المصريه المصححه: وردت فيها العبارة، راجع صفحه ١٩٦.

٦- (٦) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٦٩: ٦.

٧- (٧) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ٢٦١: ٢.

٨- (٨) النسخه الخطيبه: ٥٣.

« وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » (١).

«ليفهم معتبرا» قال تعالى: «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (٢)، «وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (٣).

«و يقصر مزدجرا» في (الصحيح): «أقصرت عنه: كفتت و نزعت مع القدره، و الرّجر: المنع و النهي، يقال زجره و از درجه فانزجر و ازدرجر» (٤) «وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ» (٥).

«حتّى إذا قام اعتداله و استوى مثاله» ورد في (الصحيح): استوى الرّجل إذا انتهى شبابه (٦).

«نفر مستكبرا» في (الصحيح): نفر الشيء من الشيء: تجافيه عنه و تباعده منه (٧).

«و خبط سادرا» في (الصحيح): «خبط البعير الأرض بيده: ضربها، و منه قيل: (خبط عشواء) و هي الناقه التي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئا (٨)، و السادر: المتجبر و الذي لا يبالي ما صنع. في الخبر في تفسير قوله تعالى: «أ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» (٩) إنه تويخ لابن ثمانى عشر

ص: ١٦٥

١- ١ (١ - البلد: ٨-١٠). [١]

٢- ٢ (٢ - النور: ٤٤). [٢]

٣- ٣ (٣ - النحل: ٧٨). [٣]

٤- ٤ (٤ - الصحيح: [٤] قصر).

٥- ٥ (٥ - القمر: ٤). [٥]

٦- ٦ (٦ - الصحيح: [٦] سوا).

٧- ٧ (٧ - الصحيح: نفر).

٨- ٨ (٨ - الصحيح: [٧] خبط).

٩- ٩ (٩ - فاطر: ٣٧). [٨]

سنه (١)، وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» (٢)، «وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» (٣).

«ماتحا في غرب هواه» المتح: الاستقاء، والغرب بالتحريك: الدلو العظيمه - قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (٤).

«كادحا سعيا لندياه» في (الصحاح): الكدح: العمل و السعى و الخدش و الكسب يقال: هو يكدح في كذا، أي: يكد (٥).

«فِي لَدَاتِ طَرَبِهِ» قال تعالى «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ بِطُرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسِيكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» (٦).

و في (الأغانى): قيل لأبى طمحان القينى، و كان فاسقا: ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليله الدير نزلت بديرائيه فأكلت عندها طفيشلا بلحم خنزير و شربت من خمرها و زيت بها و سرقت كساها ثم انصرفت عنها - و الطفيشل: نوع من المرق (٧).

و فيه: اجتمع يحيى بن زياد و مطيع بن اياس و جمع، فشرَبوا أياما تباعا، فقال لهم يحيى ليله و هم سكارى: ويحكم! اما صلينا منذ ثلاثة أيام، فقوموا بنا

ص: ١٦٦

١-١ (١) مجمع البيان للطبرسى ٢٤٨:٤ (الجزء ٢٢). [١]

٢-٢ (٢) يس: ٧٧-٧٩. [٢]

٣-٣ (٣) بنى اسرائيل: ٦٧. [٣]

٤-٤ (٤) الجاثية: ٢٣. [٤]

٥-٥ (٥) الصحاح: [٥] كدح).

٦-٦ (٦) القصص: ٥٨. [٦]

٧-٧ (٧) الأغانى لأبى الفرج الاصفهاني ٧:١٣.

حَتَّى نَصَلِّيَ، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَامَ مَطِيعٌ فَأَذَّنَ وَ أَقَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَتَقَدَّمُ؟ فَتَدَافَعُوا ذَلِكَ، فَقَالَ مَطِيعٌ لِلْمَغْتِيَةِ: تَقَدَّمِي فَصَلِّي بِنَا. فَتَقَدَّمتَ تَصَلِّي بِهِمْ، عَلَيْهَا غَلَاظُهُ رَقِيقُهُ مَطِيبُهُ بِلَا- سُرَاوِيلٍ، فَلَمَّا سَجَدتَ بَانَ هَنَاهَا، فَوَثَبَ مَطِيعٌ وَ هِيَ سَاجِدَةٌ، فَكَشَفَ عَنْهُ وَ قَبَلَهُ، فَقَطَعُوا صَلَاتَهُمْ وَ ضَحَكُوا وَ عَادُوا إِلَى مَشْرِبِهِمْ! (١) «و بدوات أربه» في (الصحاح): «بدا له بداء، أى: نشأ له فيه رأى، و هو ذو بدوات» (٢) و الأرب: الحاجه- قال أبو الطمحن:

الا عللاني قبل نوح التوائح و قبل نشوز النفس بين الجوانح

و قبل غد يا لهف نفسى على غد إذا راح أصحابى و لست برائح

(٣) «لا يحتسب رزيه» الأصل في الرزيه الهمز، قال الجوهري: -المرزئه:

المصيبه و كذلك الرزيه، و الجمع الرزايا (٤)، قال تعالى: «و بدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» (٥).

«و لا- يخشع تقيته» «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق و لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ففسدت قلوبهم و كثير منهم فاسقون» (٦).

«فمات في فتنته» أى: مفتوتيته، و عكسه قالوا في «بأيكم المفتون» (٧) المفتون بمعنى الفتنه.

ص: ١٦٧

١- ١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٣: ٣٢٦.

٢- ٢) الصحاح: (١] بدا).

٣- ٣) الأغاني ١٣: ١٢. [٢]

٤- ٤) الصحاح: (رزا).

٥- ٥) الزمر: ٤٧. [٣]

٦- ٦) الحديد: ١٦. [٤]

٧- ٧) القلم: ٦. [٥]

«غريرا» أى: مغرورا غافلا .

«و عاش فى هفوته» أى: زلته.

«يسيرا» جعله (الخوئى) ظرف زمان، أى: زمانا يسيرا، و الأقرب كونه مصدرا أى: عاش عيشا يسيرا .

«لم يفد عوضا» من حياته التى سلبت منه .

«و لم يقض مفترضا» ممّا فرضه خالقه عليه، و الأصل فيه قوله تعالى:

«قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ» (١).

«دهمته المتيه» أى: فاجأه الموت.

«فى غبرّ جماحه» فى (الجمهره): غبر كلّ شىء باقيه و كذلك غبره- و الجموح من الرجال: الذى يركب هواه فلا- يمكن ردّه (٢) قال الشاعر:

خلعت عذارى جامحا ما يردنى عن البيض أمثال الدّمى زجر زاجر

(٣) «و سنن مراحه» فى (الصحاح): امض على سننك و سننك أى: على وجهك، و المرح شدّه الفرح و النشاط و الاسم المراح بكسر الميم (٤).

«فظلّ سادرا» أى: يمضى نهاره بالتحير .

«و بات ساهرا» أى: يقضى ليله بعدم النوم.

«فى غمرات الآلام» أى: شدائد الأوجاع.

ص: ١٦٨

١-١ (١) عبس: ١٧-٢٣. [١]

٢-٢ (٢) الجمهره لابن دريد: ٣٢٠ (٢) [٢] (رغب).

٣-٣ (٣) ابن منظور، لسان العرب ٢: ٣٤٦. [٣]

٤-٤ (٤) الصحاح: [٤] ماده (سنن).

«و طوارق الأوجاع و الأسقام» فى (الصحيح): أتى فلان طروفا أى: بلبل (١).

«بين أخ شقيق» فى (الصحيح): إذا انشقّ الشىء بنصفين فكلّ نصف شقيق الآخر و منه قيل (فلان شقيق فلان) أى: أخوه (٢).

«و والد شقيق» أى: عطوف. فى (الأغانى) مات ابن لأرطاه بن سهيه فجزع عليه حتىّ كاد عقله يذهب، فأقام على قبره، و ضرب بيته عنده لا يفارقه حولا و قال:

هل أنت ابن سلمى إن نظرتك رائح مع الركب أو غاد غداه معى

و عن أبى عبيده، أنّ ارطاه كان يجىء الى قبر ابنه عشيا فيقول: هل أنت رائح معى يا ابن سلمى؟ ثمّ ينصرف، فيغدو عليه، و يقول له مثل ذلك حولا، ثمّ تمثّل قول لييد:

الى الحول ثمّ اسم السّلام عليكما و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٣).

«و داعيه بالويل جزعا» من امّه و اخته .

«و لادمه للصدر قلعا» من امرأته و ابنته، و فى (الصحيح): «لدمت المرأة وجهها، ضربته و التدام النساء ضربهنّ صدورهنّ فى النياحه و امّ ملدم، كنيه الحمى» (٤).

«و المرء فى سكره ملهيه» عن امّيه و أبيه و امرأته و بنيه، و فى روايه (ملهته) و هو أقرب لفظا الى قوله بعد (كارثه)، و الملهته، المعطشه.

«و غمره كارثه» أى: شدّه بالغه النّهايه قال تعالى: «و لَوْ تَرَىٰ إِذِ الظّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَايِكَةُ بَاسِيَةً يُرْجَوْنَ أَيْدِيَهُمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ»

ص: ١٦٩

١-١ (١) الصحيح: (طرق).

٢-٢ (٢) الصحيح: ([١] شفق).

٣-٣ (٣) الأغانى لأبى الفرج الاصفهاني ٣٩:١٣-٤٠.

٤-٤ (٤) الصحيح: ([٢] لدم).

«عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» (١) وقوله: (كارثه) يردّ قول الأصمعي «لا يقال كرته بل أكرثه و كذلك يردّه قول رؤبه (وقد يجلى الكرب الكوارث).

«و أنّه موجعه» للعوّاد، قال ذو الرّمّه: (كما أنّ المريض الى عوّاده الوصب) (٢).

«و جذبه مكربه» قال ابن ميثم أي: جذب الملائكه للروح و تلك الجذبه تعود الى ما يجده الميت حال النزح و هو عبارته عن ألم ينزل بنفس الروح فيستغرق جميع أجزائه المنتشره في جميع أعماق البدن من كلّ عرق و عصب و جزء، و من أصل كلّ شعره و بشره، و لا تسألن عن بدن يجذب منه كلّ عرق من عروقه و قد يمثّل ذلك بشجره شوك ادخلت في البدن ثم جذبت منه فهي الجذبه المكربه (٣).

«و سوقه متعبه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ الميت إذا حضره الموت أو ثقته ملك الموت و لو لا ذلك ما استقرّ (٤). و عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ» (٥): إنّ ابن آدم إذا حلّ به الموت قال هل من طيب، «وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» (٦) و أيقن بمفارقة الأحباب «وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ» (٧) التفت الدنيا بالآخره ثم «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» (٨).

ص: ١٧٠

١-١ (١) الأنعام: ٩٣. [١]

٢-٢ (٢) لسان العرب لابن منظور ١: ٢٤١. [٢]

٣-٣ (٣) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ٢: ٢٦٤. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي للكليني ٣: ٢٥٠ ح ٢. [٤]

٥-٥ (٥) القيامة: ٢٧. [٥]

٦-٦ (٦) القيامة: ٢٨. [٦]

٧-٧ (٧) القيامة: ٢٩. [٧]

٨-٨ (٨) القيامة: ٣٠. [٨]

«ثم ادرج في أكفانه ملبسا» يقال: ألبس فلان، إذا سكت غمًا .

«و جذب منقادا سلسا» في (الطبري) لَمَّا دخل المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة، نظر في صدر البيت العذى نزل فيه فإذا مكتوب فيه:

أبا جعفر حانت و فاتك و انقضت سنوك و أمر الله لا بدّ واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من حرّ المنيه مانع

فدعا بالمتولّي لإصلاح المنازل فقال له: ألم آمرك ألاّ يدخل المنزل أحد من الدّعار! قال: و الله! ما دخله أحد منذ فرغ منه فقال، اقرأ ما على صدر البيت مكتوبا، قال: ما أرى شيئا فدعا برئيس الحجبه فقال: اقرأ ما على صدر البيت، قال: ما أرى شيئا. فالتفت إلى حاجبه فقال: اقرأ لي آيه من كتاب الله فتلا:

«و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (٢) فأمر بفكيه فوجئا، و قال له ما وجدت شيئا تقرأه غير هذه الآية؟ فأمر بالرحيل عن ذلك المنزل تطيرا و ركب فرسا فلما كان في الوادي الذي يقال له سقر-و كان آخر منزل بطريق مكّه- كبا به الفرس فدقّ ظهره و مات فدفن ببئر ميمون. قال الرّبيع لما قضى المنصور، أمرت بالخيم فضربت و بالفساطيط فهيتت، و عمدت إلى المنصور فألبسته الطويله و الدّرّاعه و سندته و ألقيت في وجهه كلّ رقيقه يرى منها شخصه و لا يفهم أمره و أدنيت أهله من الكله، حيث لا يعلم بخبره و يرى شخصه، فوقف بالموضع الذي أو همتهم أنّه يخاطبني ثمّ خرجت فقلت: إنّ الخليفه مفيق و يقول أحبّ أن تجددوا بيعه المهدي فلم يبق أحد إلاّ بايع! ثمّ دخلت و خرجت مشقوق الجيب لا طما رأسى، فقال بعض من حضر ويلي

ص: ١٧١

١- (١) الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣٢. [١]

٢- (٢) الشعراء: ٢٢٧. [٢]

عليك ابن شاه-يريد الربيع لأنَّ أمّه ماتت في رضاعه فارضته شاه-فبلغ المهدي ما فعلت، فقال: يا عبد! ألم يمنعك جلاله الخليفة أن فعلت ما فعلت به.

قال محمّد النوفلي دخلنا و هو على سريره في أكفانه مكشوف الوجه فحملناه حتّى أتينا به مكّه ثلاثه أميال فكأثني أنظر إليه أدنو من قائمه سريره نحمله فتحركت الرّيح فتطير شعر صدغيه و ذلك أنّه قد و فرّ شعره للحلق حتى أتينا به حفرته (١).

«ثم ألقى على الأعواد» المراد بالأعواد:الجنّازة،و في (الجمهره):(و ذو الأعواد رجل من العرب كان قد أسنّ و هو الذي قرعت له العصا و كانت العرب تتحاكم إليه و كان يحمل في محفّه فسّمى ذا الأعواد لذلك،و صار مثلاً،قال الأسود بن يعفر:

و لقد علمت خلاف ما تّبأتني أنّ السبيل سبيل ذي الأعواد

(٢) «رجيع وصب» في (الصحاح):الرجيع من الدّوابّ ما رجعت من سفر إلى سفر و هو الكالّ و الانثى الرجيعه و الجمع الرجائع،و الوصب:المرض (٣).

«و نضو سقم» في (الصحاح):النضو بالكسر:البعير المهزول و الجمع أنضاء (٤).

«تحمله حفده الولدان» في (الصحاح):الحفده:الأعوان و الخدم و قيل ولد الولد (٥).

«و حشده الإخوان» في (الصحاح):رجل محشود،إذا كان الناس

ص:١٧٢

١-١ (١) الطبري،تاريخ الامم و الملوك ٣٤٥:٦. [١]

٢-٢ (٢) الجمهره لابن دريد ٦٦٧:٢.و [٢] جاء ذكر بيت الشعر في لسان العرب أيضا [٣] ٩:٤٦٢.

٣-٣ (٣) الصحاح: [٤]رجع).

٤-٤ (٤) الصحاح: (نضا).

٥-٥ (٥) الصحاح حقد:().

يستخفون لخدمته لأنه مطاع فيهم (١).

«إلى دار غربته» في دعاء أبي حمزه: و ارحم في ذلك البيت الجديد غربتي (٢).

«و منقطع زورته» (منقطع) اسم المكان، و الزوره: مصدر زاره، كالزياره، و في ذلك الدعاء وجد على منقولا قد نزلت بك وحيدا في حفرتي (٣).

«حتى إذا انصرف المشيع» لجنازته .

«و رجع المفجع» هكذا في (المصريه) (٤)، و نقله (ابن أبي الحديد (٥) و ابن ميثم (٦) و الخوئي) (المفجع) (٧) و هو الصحيح، فالمفجع: الموت و إنما من يتوجع للميت هو المفجع و لا يصح إطلاق المفجع عليه بدون التاء إلا مع تشديد الفاء بأن يكون معلل المفجع. و في (فهرست النجاشي) في محمد بن أحمد بن عبد الله البصرى الشاعر، و له شعر كثير في أهل البيت عليهم السلام يذكر فيه أسماء الأئمة عليهم السلام و يتفجع على قتلهم حتى سمي المفجع (٨) و قد قال في بعض شعره:

إن يكن قيل لى المفجع نزا فلعمري أنا المفجع هماً

«اقعد في حفرتي نجياً» في (الصباح): النجى على فعيل: الذى تسارّه لبهته السؤال. في (المصباح): (بهت بالضم و الكسر دهش و تحير و بهته بالفتح

ص: ١٧٣

١- ١) الصباح: (حشد).

٢- ٢) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزه الثمالي، [١] عباس القمي: ٣٥١. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه: ٣٥١. [٣]

٤- ٤) في الطبعة المصريه المصححه [المفجع]: ١٩٧.

٥- ٥) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ٢٧٠: ٦.

٦- ٦) شرح ابن ميثم ٢٦٠: ٢، الخطبه ٦٠.

٧- ٧) شرح نهج البلاغه لحبيب الله الخوئي ٢٦: ٦.

٨- ٨) رجال النجاشي للطوسي: ٣٦٤.

بيتهته بالفتح فيبت (١) (بالبناء للمفعول) (٢) و بهته السّؤال، من إضافه الصّفه أى:

لسؤال باهت .

«و عثره الامتحان» و العثره: الزلّه - و فى (مسأله قبر الكافى) عن الصادق عليه السلام: يجىء الملكان حين يمدفن، أصواتهما كالزّعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف يخطّان الأرض بأنياهما و يطآن فى شعورهما و يسألان الميّت، من ربّك؟ و ما دينك؟ فإذا كان مؤمنا قال: الله ربّى - إلى أن قال - فيقولان له: نم نومه لا حلم فيها و يفسح له فى قبره تسعه أذرع و يفتح له باب إلى الجنّه و يرى مقعده فيها، و إذا كان الرّجل كافرا دخلا عليه و اقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس فيقولان له: من ربّك؟ و ما دينك؟ و ما تقول فى هذا الرّجل الذى بين ظهرانىكم؟ فيقول: لا أدرى! فيخيلان بينه و بين الشيطان فيسلط عليه فى قبره تسعه و تسعين تينا لو أنّ واحدا منها نفخ فى الأرض ما أنتببت شجرا أبدا! و يفتح له باب إلى النّار و يرى مقعده فيها (٣).

و عنه عليه السلام: إنّ المؤمن إذا اخرج من بيته شيّعه الملائكه إلى قبره، يزدحمون عليه، و تقول له الأرض: مرحبا بك و أهلا! أما و الله، لقد كنت أحبّ أن يمشى علىّ مثلك، لترينّ ما أصنع بك، فيوسع له مدّ بصره، و يدخل عليه فى قبره ملكا القبر - إلى أن قال - فيقولان و من إمامك؟ فيقول فلان فينادى مناد من السماء صدق عبدى أفرشوا له من الجنّه، و افتحوا له بابا إلى الجنّه و ألبسوه من ثياب الجنّه حتّى يأتينا و ما عندنا خير له، ثمّ يقال له: نم نومه العروس، و إن كان كافرا تلعه الملائكه الى قبره، و تقول له الأرض: لا مرحبا بك و لا أهلا، أما

ص: ١٧٤

١ - ١) الصحاح: (نجا).

٢ - ٢) المصباح المنير للفيتورى: ٨٠، ماده (بهت).

٣ - ٣) الكافى للكلىنى ٣: ٢٣٦ ح ٧. [١]

والله، لقد كنت أبغض أن يمشى عليّ مثلك لا جرم لترينّ ما أصنع بك اليوم فتضيق عليه حتى تلتقى جوانحه ثم يدخل عليه ملكا القبر فيقعدانه و يلقيان فيه الروح الى حقويه، فيقولان له من ربك؟- إلى أن قال- و يسأله الله عليه في قبره الحيات تنهشه نهشا و الشيطان يغمه غمًا و يسمع عذابه من خلق الله إلا الجنّ و الإنس و إنه ليسمع خفق نعالهم و نفض أيديهم (١) و هو قوله تعالى:

«يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْمَآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» (٢) هذا و قال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام: «اقعد في حفرته نجيا» تصريح بعذاب القبر و قال قاضي القضاة: أنكر المعتزله أن يكون عذاب القبر دائما، و الأقرب في الأخبار أنه في الأوقات المقارنه للدفن، و الذي أعرفه من مذهب كثير من شيوخنا قبله أنه يكون بين النفختين (٣)، قلت لنا أمران: سؤال، و عذاب و ثواب، فالسؤال إنما يكون بعد الدفن، و يدلّ عليه كلامه عليه السلام هنا «حتى إذا انصرف المشيع و رجع المفجع اقعد في حفرته نجيا» و أمّا الثواب و العقاب فيدومان من الدفن الى يوم البعث! ففى خبر أبى بكر الحضرمى عن الباقر عليه السلام قال: فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة، و يفتح للكافر باب من النار و لا يزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة، و أخبارنا دالّة على أنّ السؤال مختصّ بالمؤمن المحض، و الكافر المحض و الباقر يهملون إلى يوم القيامة، و روى ذلك الكافى فى خبر عن أبى بكر الحضرمى عن الباقر عليه السلام و فى آخر عن الصادق عليه السلام، و فى خبر عن بكير عن الباقر عليه السلام، و فى خبر عن محمّد بن مسلم، و فى آخر عن عبد الله بن سنان عن

ص: ١٧٥

١- (١) الكافى للكلينى ٣: ٢٣٩ ح ١٢. [١]

٢- (٢) ابراهيم: ٢٧. [٢]

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٧٤: ٦. [٣]

الصادق عليه السلام: فلا - بدّ من تقييد المطلقات (١)، روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: يسأل الميّت في قبره عن خمس، عن صلاته و زكاته و حجّه و صيامه و ولايته أهل البيت، فتقول الولايه من جانب القبر للأربع ما دخل فيكّن من نقص فعليّ تمامه (٢) و عنه عليه السلام أنّ المؤمن إذا دخل في قبره كانت الصلاه عن يمينه و الزكاه عن يساره و البرّ مظلّ عليه و يتنحّى الصبر ناحيه فإذا دخل عليه الملكان قال الصبر للصلاه و الزكاه دونكما صاحبكما فإن عجزتما عنه فأنا دونه، هذا و ورد عذاب غير مترتب على السؤال و هو الضغطة (٣) ففي (الكافي) عن أحدهما عليه السلام لما ماتت رقيه بنت النبي صلّى الله عليه و آله قال: الحقى بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون و أصحابه، و فاطمه عليها السلام على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر و النبي صلّى الله عليه و آله يتلقاه بثوبه و قال: إنّي لأعرف ضعفها و سألت الله تعالى أن يجيرها من ضمه القبر (٤)، و عن الصادق عليه السلام قال: ما أقلّ من يفلت من ضغطه القبر! إنّ رقيه لما قتلها عثمان وقف النبي صلّى الله عليه و آله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه و قال للناس ذكرت هذه و ما لقيت، و رقت لها و استوهبتها من ضمه القبر (٥)، و روى أنّ النبي صلّى الله عليه و آله خرج في جنازه سعد بن معاذ و قد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع النبي صلّى الله عليه و آله رأسه إلى السماء ثم قال:

مثل سعد يضمّ ا قيل: أيستخفّ بالبول؟ قال: معاذ الله! إنّما كان في زعاره من خلقه على أهله، و عنه عليه السلام: سئل هل يعذب المصلوب عذاب القبر، فقال عليه السلام:

إنّ الله يأمر الهواء أن يضغطة ضغطة أشدّ من عذاب القبر، إنّ ربّ الأرض هو

ص: ١٧٦

١-١) الكافي للكليني ٣:٣٧ ح ٨ [١] رواه عن الحضرمي و نقله المجلسي في البحار ٢٦٢: ١. [٢]

٢-٢) الكافي للكليني ٣:٢٤١ ح ١٥ و [٣] فيه: و ولايته إيّانا أهل البيت.

٣-٣) المصدر نفسه ٣:٢٤٠ ح ١٣. [٤]

٤-٤) المصدر نفسه ٣:٢٤١ ح ١٨. [٥]

٥-٥) المصدر نفسه ٣:١٣٦ ح ٦. [٦]

ربّ الهواء (١)، و في اعتقادات الصدوق-و أكثر ما يكون عذاب القبر من النميمه و سوء الخلق و الاستخفاف بالبول و أشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطه حجام و يكون ذلك كفّاره لما بقى عليه من الذنوب التي لم تكفّرهما الهموم و الغموم و الأمراض و شدّه النزاع عند الموت، فإن النبي صلّى الله عليه و آله كفّن فاطمه بنت أسد في قميصه و حمل جنازتها على عاتقه و لم يزل تحت جنازتها حتّى أوردّها قبرها و اضطجع فيه، ثم قام فأخذها على يديه حتّى وضعها في القبر، ثم انكبّ عليها يناجيها طويلاً. و يقول لها: ابنك ابنك! ثم خرج و سوى التراب عليها ثم انكبّ على قبرها و هو يقول: (لا إله إلاّ الله اللهم إنّني استودعها إياك) فقال له المسلمون: رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل، فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إن كانت ليكون عندها شيء فتؤثرني به على نفسها و ولدها و إنّني ذكرت يوم القيامة و حشر الناس عراه فقالت:

و اسوأها! فضمنت لها أن يبعثها الله كاسيه و ذكرت ضغطه القبر فقالت:

و اضغطتاه! فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك فكفّنتها بقميصي و اضطجعت في قبرها لذلك و انكبت عليها فلقنتها ما تسأل عنه، و إنّها سئلت عن ربّها فأجابت، و عن نبيّها فأجابت، و عن إمامها فارتجّ عليها فقلت: ابنك! ابنك! فقالت: ولدي إمامي فانصرفا عنها و قالوا: لا- لا- سبيل لنا عليك نومي كما تنام العروس في خدرها ثم ماتت موته ثانيه، و تصديق ذلك في كتاب الله تعالى: «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَخِيْمِنَا اثْنَتَيْنِ» (٢).

«و أعظم ما هنالك بليّه نزول» هكذا في (المصريه) و الصواب: (نزل) كما

ص: ١٧٧

١- (١) المصدر نفسه ٢٣٦: ٣ ح ٦. [١]

٢- (٢) الاعتقادات للصدوق: ٣٧، و [٢] الآية ١١ من سوره المؤمن. [٣]

فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١) و أيضا الحميم ليس مكانا ينزل بل شراب أهل العذاب.

«الحميم و تصليه الجحيم» فى (اعتقادات الصدوق) (اعتقادنا فى المسأله فى القبر أنها حق فمن أجاب بالصواب فاز بروح و ريحان فى قبره و بجنّه نعيم فى الآخره، و من لم يجب بالصواب فله نزل من حميم فى قبره و تصليه جحيم فى الآخره (٢).

«و فورات السعير» فى (الصحاح): (فارت القدر تفور فورا و فورانا:

جاشت) و منه قولهم: (ذهبت فى حاجه ثم أتيت من فورى) أى: من قبل أن أسكن، و فوره الحرّ: شدّته و السعير: النار) (٣) «و للذّين كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بُئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَ هِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بلى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فى ضلالٍ كَبِيرٍ وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فى أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ» (٤).

«و سورات الزّفير» فى (الصحاح): (سوره الشّراب: و ثوبه فى الرّأس، و سوره السلطان: سطوته و اعتداؤه) (٥)، قال تعالى: «وَ اعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعيراً إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَ زَفيراً وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ تَبُوراً لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ تَبُوراً وَاحِداً»

ص: ١٧٨

١- ١) الطبعة المصرية المصححة: ١٩٨، و ابن أبى الحديد ٦: ٢٧٠، و [١] ابن ميثم ٢٠: ٢٦٠ (نزول) و النسخه الخطيبه: ٥٤.

٢- ٢) الاعتقادات للصدوق: ٣٧. [٢]

٣- ٣) الصحاح: [٣] فور).

٤- ٤) الملك: ١١-٦. [٤]

٥- ٥) الصحاح: [٥] سور).

«وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» (١) لكن فقره «و سورات الزّفير» تفرّدت بها (المصريه) و ليست في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«لا فتره مريحه» الفتره: الانكسار و الضعف يقال: فتر الحرّ، و يقال أراحه الله فاستراح، في سورة الزخرف: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يَفْتَرُونَ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» (٣).

«و لا- دعه مزيجه» في (الصحاح) الدّعه: الخفض، و الهاء عوض من الواو تقول منه ودع الرّجل بالضم فهو وديع أى: ساكن، و رجل متّدع: صاحب دعه و راحه، و زاح الشىء: بعد و ذهب و أزاحه غيره (٤).

«و لا قوّه حاجزه» أى: مانعه، قال تعالى: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ» (٥).

«و لا موته ناجزه» في (الصحاح): نجز الشىء بالكسر أى: انقضى و فنى، و التّاجز: الحاضر، يقال: بعته ناجزا بناجز كقولك: يدا بيد (٦)... قال تعالى: «لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» (٧) «وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ» (٨).

«و لا سنه مسليه» في الصحاح: الوسن: التّعاس، و السنه مثله، و سلّاني

ص: ١٧٩

١- ١) الفرقان: ١١-١٤. [١]

٢- ٢) لا وجود للعبارة في الطبعة المصريه المصححه: ١٩٨، و وردت في شرح ابن أبي الحديد ٢٤٠: ٦، و النسخه الخطيه: ٥٤٠.

٣- ٣) الزخرف: ٧٤-٧٦. [٢]

٤- ٤) الصحاح: (٣) ودع).

٥- ٥) الطارق: ٩-١٠. [٤]

٦- ٦) الصحاح: (٥) نجز).

٧- ٧) فاطر: ٣٦. [٦]

٨- ٨) الزخرف: ٧٧. [٧]

من همّ تسليه و أسلاني أي: كشفه (١)، قال تعالى: «وَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَ هُمْ يَصِطْرُخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» (٢).

«بين أطوار الموتات» (وَيَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى) (٣) و لما ألبس امرؤ القيس حله مسمومه و أشرف على الموت، قال:

فلو أنّها نفس تموت جميعه و لكنّها نفس تساقط أنفسا

(٤) «و عذاب الساعات» أي: ساعه بعد ساعه بلا انقطاع .

«إنا بالله عائدون» قال تعالى «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا» (٥).

«عباد الله! أين الذين عمّروا فنعّموا» قال تعالى، في حق آل فرعون: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» (٦) و في ديوان الأعشى:

ألم تروا إرما و عادا أودى بها الليل و النهار

بادوا فلما ان تادوا قفى على آثارهم قدار

ص: ١٨٠

١-١ (١) الصحاح: (و سن).

٢-٢ (٢) فاطر: ٣٦-٣٧. [١]

٣-٣ (٣) الأعلى: ١١-١٣. [٢]

٤-٤ (٤) ديوان أمير المؤمنين: ٨٧.

٥-٥ (٥) الفرقان الدخان: ٦٥-٦٦. [٣]

٦-٦ (٦) ٢٩-٢٥.

و قبلهم غالت المنايا طسما و لم ينجها الحذار

و حلّ بالحى من جديس يوم من الشرّ مستطار

و أهل غمدان جمعوا للدّهر ما يجمع الخيار

فصبّحتهم من الدواهى جائحه عقبها الدّمار

و قد غنوا فى ظلال ملك مؤيد عقلهم جفار

و أهل جوّ أت عليهم فأفسدت عيشهم فباروا

و مرّ حدّ على وبار فهلكت جهره و بار

(١) «و علّموا ففهموا» هكذا فى جميع النسخ، و لابدّ من كونه تصحيفا لأنّه عليه السلام فى مقام الدّم و لا- يبعد كون (ففهموا) محرّف، (فوهموا) قال تعالى:

«و أمّا ثمودُ فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذّتهم صاعقه العذاب الهون بما كانوا يكسبون» (٢).

«و أنظروا فلهموا» «ما يأتيتهم من ذكرٍ من ربّهم محدثٍ إلاّ استمعوه و هم يلعبون لاهية قلوبهم» (٣)، «لا- يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيتهم بعته و هم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرّون» (٤)، «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلاً سوف تعلمون ثم كلاً سوف تعلمون» (٥).

«و سلموا فنسوا» «و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون» (٦).

ص: ١٨١

١-١) ديوان الأعشى: ٨١.

٢-٢) فصلت: ١٧. [١]

٣-٣) الأنبياء: ٢-٣. [٢]

٤-٤) الشعراء: ٢٠١-٢٠٣. [٣]

٥-٥) التكاثر: ١-٤.

٦-٦) الحشر: ١٩. [٤]

«امهلوا طويلاً» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام: إن الله تعالى أهبط ملكاً إلى الأرض فلبث فيها دهراً طويلاً ثم عرج إلى السماء فقبل له ما رأيت فقال:

عجائب! أو أعجب ما رأيت عبداً متقلباً في نعمتك يأكل رزقك ويدعى الربوبية فعجبت من جرأته عليك و من حلمك عنه! قال تعالى له: من حلمي عجبت؟ قد أمهلته أربعمائه سنة لا يضرب عليه عرق ولا يريد من الدنيا شيئاً إلا ناله ولا يتغير عليه فيها مطعم ولا مشرب (١) و قال تعالى: «فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤُودًا» (٢)، «و ذُرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَ مَهْلُهُمْ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَ جَحِيمًا وَ طَعَامًا ذَا غُصْبَةٍ وَ عَذَابًا أَلِيمًا» (٣).

«و منحوا جميلاً» أي: أعطوا، و قال تعالى في قارون: «وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ» (٤) و في الوليد بن المغيرة: «ذُرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَ بَيْنَيْنِ شُهُودًا وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا» (٥)، و في القرون الماضية: «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَ جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أُنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ» (٦).

«و حدّروا أليماً» أي: عذاباً اليماء، و الأليم بمعنى المؤلم كما يأتي السميع بمعنى المسمع، و قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» (٧)، «وَ قَالَ الَّذِينَ»

ص: ١٨٢

١- ١) الخصال للصدوق: ٤١-٣١ ح.

٢- ٢) الطارق: ١٧. [١]

٣- ٣) المزمّل: ١١-١٣. [٢]

٤- ٤) القصص: ٧٦. [٣]

٥- ٥) المدثر: ١١-١٤. [٤]

٦- ٦) الأنعام: ٦. [٥]

٧- ٧) فاطر: ٢٤. [٦]

«فِي النَّارِ لِحْزَنِهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوْ لَمْ تَك تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» (١)، «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ» (٢).

«و وعدوا جسيما» أى: ثوبا جسيما، قال تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون فى ما قال لقومه: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ» (٣).

«احذروا الذنوب المورطه» أورطه و ورطه: أوقعه فى الورطه أى: الهلاك، و قال تعالى: «كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (٤) «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» (٥)، «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالُوا لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» (٦).

«و العيوب المسخطه» «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ»

ص: ١٨٣

١- ١) المؤمن: ٤٩-٥٠. [١]

٢- ٢) هود: ٢٥-٢٦. [٢]

٣- ٣) المؤمن: ٤٠. [٣]

٤- ٤) الأنفال: ٥٢. [٤]

٥- ٥) القمر: ٥١. [٥]

٦- ٦) العنكبوت: ٣١-٣٤. [٦]

«وَأَذْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» (١)، «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ» ...

«لَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسِهِمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» (٢).

«أولى الأبصار و الأسماع و العافيه و المتاع» قال ابن ميثم: خصّ أولى المتاع، لأن أهل الاستمتاع بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل الله.

قلت: بل خصّهم لأنهم بالمتاع يتمكّنون من الإنفاق في سبيل الله حتّى يستحقّوا الدرجات الرفيعه (٣) قال تعالى: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٤). فكما أنّ كونهم أولى الأبصار و الأسماع و العافيه أنسب بتوجّهم لتحصيل الآخره كذلك كونهم أولى المتاع، فإنّ الكلّ على مساق واحد و ممّا ذكرنا يظهر لك ما فى قول (الخوئى) أيضا خصّ أولى المتاع بما منّ به عليهم من المتاع و الأولاد الموجه للإعراض عن العقبى و الرغبه إلى الدنيا (٥)... فإنّه و إن كانت علائق الدنيا من المال و الولد

ص: ١٨٤

١- ١) محمّد: ٢٧-٢٨. [١]

٢- ٢) المائدة: ٧٨-٨١. [٢]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٢٤٨: ٢. [٣]

٤- ٤) السجده: ١٦-١٧. [٤]

٥- ٥) شرح نهج البلاغه للخوئى ٦٨: ٦.

موجه لسيان الآخره، كما قال تعالى: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» (١) إلا أنه في مقام آخر، وحينئذ فكلامه عليه السلام هنا نظير ما ورد: (اغتنموا خمسا قبل خمس: و عد منها الغنى قبل الفقر).

«هل من مناص أو خلاص» في (الصحاح): (ناص عن قرنه ينوص نوصا و مناصا أي: فرّ و راغ (٢) قال تعالى: «وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ» (٣) أي: ليس وقت تأخر و فرار، و المناص أيضا الملجأ و المفز .

«أو معاذ أو ملاذ» اسما مكان من (عاذ يعوذ) و (لاذيلوذ).

«أو فرار أو محار» المحار: المرجع، قال تعالى: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصِيرُ وَ خَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيَّنَ الْمَفْرُ كَلًّا- لا- وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ آخَرَ» (٤). قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ قال ثمامه: سمعت جعفر بن يحيى يقول: (الكتابه ضم اللفظه إلى أختها، ألم تسمعوا إلى قول شاعر لشاعر- و قد تفاخرا-: أنا أشعر منك، لأنني أقول البيت و أخاه، و أنت تقول البيت و ابن عمه! (٥) و ناهيك حسنا قول علي عليه السلام: (هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار).

«أم لا؟» ليس في (ابن أبي الحديد) و لكنّه في (ابن ميثم و الخوئي المصريه) (٦). و كيف كان قال تعالى: «يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَئِذٍ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي»

ص: ١٨٥

١-١ (١) التغابن: ١٥. [١]

٢-٢ (٢) الصحاح: (٢) [نوص].

٣-٣ (٣) ص: ٣.

٤-٤ (٤) القيامه: ٧-١٣. [٣]

٥-٥ (٥) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ٢٧٧:٦، و [٤] كزر في ١٢٥:١٣.

٦-٦ (٦) وردت العبارة في شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ٢٧٥:٦ كما وردت في شرح الخوئي ٦:٦٥ و [٥] الطبعه المصريه: ١٩٩.

«مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصَّ بِلَيْتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى نَزَاعَهُ لَلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ» (١).

«فَأَنى تُؤْفَكُونَ» فى (الصحيح): الأفك مصدر أفكه يأفكه أى: قلبه و صرفه و منه قوله تعالى «قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا» (٢) «عَمَّا وَحَدَّثْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» و قال عروه بن اذينه: إن تك عن أحسن الصنيعه مأفوكا فى آخرين قد افكوا، أى: إن لم توفق لإحسان فأنت فى قوم قد صرفوا عن ذلك، و قال أبو زيد:

المأفوك المأفون: و هو الضعيف العقل و الرأى، و قوله تعالى: «يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ» قال مجاهد: أى: يؤفن عنه من أفن (٣). قال تعالى: «اللَّهُ يَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنى تُؤْفَكُونَ» (٤)، «اللَّهُ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَعَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» (٥)، «ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» (٦)، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ» (٧)، «وَ لئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنى يُؤْفَكُونَ» (٨).

ص: ١٨٤

١-١ (١) المعارج: ١١-١٨. [١]

٢-٢ (٢) الإحقاف: ٢٢. [٢]

٣-٣ (٣) الصحيح: [٣] أفك).

٤-٤ (٤) يونس: ٣٤. [٤]

٥-٥ (٥) المؤمن: ٦١. [٥]

٦-٦ (٦) المؤمن: ٦٢-٦٣. [٦]

٧-٧ (٧) فاطر: ٣. [٧]

٨-٨ (٨) الزخرف: ٨٧. [٨]

«أم أين تصرفون» «ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون» (١).

«أم بماذا تعترون» «يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرركم الحياة الدنيا ولا يعرنتكم بالله الغرور» (٢)، «يا أيها الناس اتقوا ربكم واخلشوا يوماً لا يجزى والشد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرركم الحياة الدنيا ولا يعرنتكم بالله الغرور» (٣)، «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (٤) «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (٥).

«وإنما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض قيد قدده» في (الصحيح):

(تقول: بينهما قيد رمح - بالكسر - وقاد رمح، أى: قدر رمح (٦)، قال تعالى:

«وَتَرَكْتُمْ مَا كَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (٧). قال المسعودي: بنى الزبير داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت - وهو سنة (٣٣٢) - تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم، وابتنى أيضاً دوراً

ص: ١٨٧

[١ - ١] المؤمن: ٦٩. [١]

[٢ - ٢] فاطر: ٥. [٢]

[٣ - ٣] لقمان: ٣٣. [٣]

[٤ - ٤] الحديد: ٢٠. [٤]

[٥ - ٥] آل عمران: ١٨٥. [٥]

[٦ - ٦] الصحيح: (٦) [قود].

[٧ - ٧] الأنعام: ٩٤. [٧]

بمصر و الكوفه و الإسكندريه، و بلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار و خلف ألف فرس و ألف عبد و ألف أمه و خططاً بحيث ذكرنا من الأمصار. و كذلك طلحه ابنتى داره بالكوفه المشهوره به هذا الوقت بدار الطلحيين و كان غلته من العراق كل يوم ألف دينار، و قيل: أكثر، و بناحية سراه أكثر، و شيد داره بالمدينه و بناها بالآجر و الجصّ و الساج. و كذلك عبد الرحمن بن عوف، ابنتى داره و وسّعها، و كان على مربطه مائه فرس و له ألف بعير و عشره آلاف من الغنم و بلغ بعده ربع ثمن ماله أربعة و ثمانين ألفاً. و ذكر سعيد ابن المسيب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفتوس، غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمه مائه ألف دينار، و خلف يعلى بن اميه خمسمائه ألف دينار و ديونا على الناس و عقارات و غير ذلك من التركة ما قيمته مائه ألف دينار (١).

«متعفراً» هكذا فى (المصريه) و الصواب (٢): (متعفراً) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«على خده» فى (الصحيح): (انعفر الشىء: تترب، و الخدّ فى الوجه و هما خدان) (٤) و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: إذا أردت أن تدفن الميت، فليكن أعقل من نزل فى قبره عند رأسه، فليكشف خده الأيمن حتى يفضى به الأرض، و يدنى فمه إلى سمعه و يقول: اسمع، افهم - ثلاث مرّات - الله ربك و محمّد نبيك، و الإسلام دينك، و فلان إمامك، اسمع و افهم، أعد عليه

ص: ١٨٨

١-١) مروج الذهب للمسعودى ٣:٣٣٢. [١]

٢-٢) شرح نهج البلاغه لمحمّد عبده: ٦٤.

٣-٣) أورد ابن ميثم العبارة كالمصريه ٢:٢٦٧ (متعفراً). الخطيه كما أورد المصنف: ٥٥، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٦:٢٧٥.

٤-٤) الصحيح: ماده (عفر).

«الآمن عباد الله و الخناق مهمل» في (الصحيح): و موضع الخناق من العنق فخنق بالشدّيد يقال: بلغ به المخنق و أخذت بمخنقه و كذلك الخناق-بالضمّ- يقال: أخذ بخناقه و الخناق-بالكسر- حبل يخنق به (٢)، و على ما ذكره فيجوز في قوله: (و الخناق مهمل) الضمّ أى الحلق مهمل لم يأخذه ملك الموت و الكسر أى: الحبل مهمل لم يلقه ملك الموت على الحلق، و الأوّل أظهر قال تعالى: «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَ التَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» (٣).

«و الروح مرسل» في (الصحيح): الروح يذكّر و يؤنث (٤).

«في فينه الإرشاد» في (الصحيح): (الفينات: الساعات، و يقال: لقيته الفينه بعد الفينه أى: الحين بعد الحين، و ان شئت قلت: لقيته فينه بعد فينه) (٥)... ثمّ الصواب (في فينه الارتياد) كما نسبه ابن أبى الحديد إلى روايه فلا- مناسبه للإرشاد هنا، بل للارتياد، و ارتياد الكلاء- طلبه، فيكون المراد: جدّوا في ساعات يمكنكم فيها تحصيل خصب لثلاً- تقفوا في جذب و لا- معنى لأن يقال: اعملوا في أوقات يمكنكم فيها إرشاد غيركم .

«و راحه الأجساد» (و اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبيل أن يأتيكم العذاب بغتة و أنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت»

١-١ (١) الكافي ١٩٥:٣ ح ٥. [١]

٢-٢ (٢) الصحيح: [٢] مادّه (خنق).

٣-٣ (٣) القيامة: ٢٦. [٣]

٤-٤ (٤) الصحيح: [٤] (روح).

٥-٥ (٥) الصحيح [٥] (فين:).

«فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ» (١)، «أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (٢).

«و باحه الاحتشاد» في (الصحاح): باحه الدار: ساحتها، وحشدوا:

اجتمعوا و كذلك احتشدوا، و ليست فقره (و باحه الاحتشاد) (٣) في (ابن ميثم و ابن أبي الحديد و الخطيه) (٤)، و لعل (المصريه) (٥) أخذتها من حاشيه مأخوذه من مستند العنوان .

«و مهل البقيّه» الإضافه بمعنى (فى) أى: ليعمل فى مهل له فى بقيه العمر .

«و انف المشيّه» «إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا» (٦) «ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَا بَاءً» (٧) و أنف المشيّه) بالفتح و السكون أولها كقولهم: (أنف الجبل) - و إنما قولهم: (روضه أنف) لم ترع من قبل و (جاريه أنف) لم تحض من قبل - بالضمّتين - لا هنا كما توهمه (الخوئى) (٨).

«و إنظار التوبه» قال تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» (٩).

ص: ١٩٠

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٧٦: ٦. الزمر: ٥٥-٥٦. [١]

٢- ٢) الزمر: ٥٨. [٢]

٣- ٣) الصحاح: (بوح).

٤- ٤) شرح نهج البلاغه لابن ميثم ٢٦٧: ٢، و الخطيه: ٥٥.

٥- ٥) المصريه: ١٩٩.

٦- ٦) المزمّل: ١٩. [٣]

٧- ٧) النبأ: ٣٩. [٤]

٨- ٨) شرح نهج البلاغه لحبيب الله الخوئى ٦٦: ٦ (اللغه).

٩- ٩) النساء: ١٧-١٨. [٥]

«و انفساح الحوبه» قال ابن أبي الحديد: الحوبه: الحاجه، قال الفرزدق:

فهب لى خنيسا و احتسب فيه مته لحوبه أم ما يسوغ شرابها

(١) و تبعه ابن ميثم و (الخوئى) (٢).

قلت: ان الحوبه و ان كانت قد تأتى بمعنى الحاجه إلا أنها فى كلامه عليه السلام بمعناها الأشهر و هو الإثم بقريته قرينتها (التوبه) و المراد بانفساح الحوبه انفساح التخلص عن الإثم و سعته و حينئذ فهو نظير دعاء الهلال (و وفقنا فيه للتوبه و اعصمنا فيه من الحوبه). - «قبل الضنك» أى: الشده يقال: هو فى ضنك من العيش.

«و المضيق» قال تعالى: «حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ» (٣).

«و الزروع و الزهوق» فى الصحاح: الزروع بالفتح: الفزع، و زهقت نفسه زهوقا، خرجت (٤)، «و لَوْ تَرَى إِذِ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» (٥)، «و لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُعْزَوْنَ عَذَابِ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» (٦).

«و قبل قدوم الغائب المنتظر» قال ابن أبي الحديد و تبعه ابن ميثم

ص: ١٩١

١- ١) لسان العرب لابن منظور ٣: ٣٧٤. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٧٧، [٢] شرح ابن ميثم ٢: ٢٦٧، شرح الخوئى ٦: ٦٦.

٣- ٣) المؤمن: ٦٤-٦٥. [٣]

٤- ٤) الصحاح: (روع).

٥- ٥) سبأ: ٥١. [٤]

٦- ٦) الأنعام: ٩٣. [٥]

قلت: بل ملك الموت «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (٢)، و عن الباقر عليه السلام قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّ ملكاً من الملائكة كان له عند الله منزله عظيمه فتعجب عليه فأهبطه، فأتى إدريس فقال له: إنّ لك من الله منزله، فاشفع لي فصلّي إدريس ثلاث ليال لا يفتر و صام أيامها لا يفطر ثم طلب إليه في السّحر في الملك فقال له الملك: أعطيت سؤلِكَ قد اطلق لي جناحي و أنا أحبّ أن أكافيك، فأطلب إليّ حاجه، فقال له:

تريني ملك الموت لعلّي انس به فإنّه ليس يهنأ لي مع ذكره شيء فبسط جناحه ثم قال له اركب فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا فقيل له اصعد، فاستقبله بين السماء الرابعه و الخامسه، فقال الملك: يا ملك الموت مالي أراك قاطبا قال: كنت تحت ظلّ العرش فأمرت أن أقبض روح آدمي بين السماء الرابعه و الخامسه فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه (٣) قال عزّ و جلّ: «وَرَفَعْنَا مَكَانًا عَلِيًّا» (٤) - و عن جابر الجعفي سألت أبا جعفر عليه السلام عن لحظه ملك الموت قال: أما رأيت الناس يكونون فتعتر بهم سكته فما يتكلّم أحد منهم فتلك لحظه ملك الموت حيث يلحظهم (٥)، و عن الصادق عليه السلام ما أهل بيت شعر و لا وبر إلّا و ملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرات (٦).

«و أخذهُ العزيز المقتر» الأصل فيه قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ»

ص: ١٩٢

١- ١) انظر ابن ميثم ٢: ٢٦٧ و [١] الخوئي ٨: ٦٦.

٢- ٢) السجده: ١١. [٢]

٣- ٣) الكافي للكليني ٢: ٢٥٧ ح ٢٦. [٣]

٤- ٤) مريم: ٥٧. [٤]

٥- ٥) الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣١. [٥]

٦- ٦) المصدر نفسه ٣: ٢٥٦ ح ٢٢. [٦]

«النُّذْرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ» (١).

قول المصنّف: «و في الخبر إنّه لما خطب عليه السلام بهذه الخطبه اقشعرت لها الجلود»، اقشعرت: اضطربت و تزلزلت قال الشاعر في رثاء هشام بن المغيرة المخزومي:

فأصبح بطن مكّه مقشعرا كأنّ الأرض ليس بها هشام

و لما ضرب عمر أبا سفيان بالدرّه قالت له هند: «لربّ يوم لو ضربته لاقشعرت بطن مكّه» (٢) و تفسير (النهايه) الثاني بقوله (تقبضت و جمعت) (٣) كما ترى، ففي (القاموس): -اشعرت جلده: أخذته رعده (٤).

«و بكت العيون و رجفت القلوب» رجفت الأرض اضطربت شديدا .

«و من الناس من يسمّى هذه الخطبه الغراء» في (الصحاح): الغرّه بالضمّ: بياض في جبهه الفرس فوق الدرهم، و الأغرّ: أبيض (٥)، و رجل أغرّ:

شريف.

٥

في الخطبه (٨٣)

و منها:

فَمَاتَعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ - وَ اعْتَبِرُوا بِالْمَاءِ السَّوَاطِعِ - وَ ازْدَجِرُوا بِالنُّذْرِ الْبَوَالِغِ - وَ انْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَ الْمَوَاعِظِ - فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتُمْ مَحَالِبَ الْمَيِّهِ - وَ انْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمِّيِّهِ - وَ دَهَمْتُمْ مَفْطَعَاتُ الْأُمُورِ

ص: ١٩٣

١-١ (١) القمر: ٤١-٤٢. [١]

٢-٢ (٢) لسان العرب لابن منظور ١١:٤١. [٢]

٣-٣ (٣) النهايه للجزري ٤:٦٦. [٣]

٤-٤ (٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ٥٩٤ (اقشعرت).

٥-٥ (٥) الصحاح: (٤) غرر).

وَالسِّيَاقَهُ إِلَى «الْوَرْدِ الْمَمْرُودِ» - وَ «كُلَّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ» - سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَ شَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا «فَاتَّعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ» قَالَ تَعَالَى: «قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مثنًى وَ فُرَادًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» (١)، «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (٢)، «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» (٣).

«يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (٤).

«واعتبروا بالآي السواطع» الآي: جمع الآيه، و الأصل في الآيه: الأويه بفتحتين و معناها العلامة-قال تعالى في فرعون: «فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَ عَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ» (٥).

ص: ١٩٤

١-١ (١) سبأ: ٤٦. [١]

٢-٢ (٢) آل عمران: ١٣. [٢]

٣-٣ (٣) الحشر: ٢. [٣]

٤-٤ (٤) النور: ٤٤. [٤]

٥-٥ (٥) النازعات: ٢٠-٢٢. [٥]

«و از دجروا بالنذر البوالغ» «و لقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مژدجر حكمة بالغه فما تغن النذر» (١)، «هذا نذير من النذر الأولى» (٢)، «و ما تغني الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون» (٣) «كذبت ثمود بالنذر» (٤)، «كذبت قوم لوط بالنذر» (٥)، «و لقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر» (٦)، «و لقد جاء آل فزعون النذر» (٧)، «و اذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف و قد خلت النذر من بين يديه و من خلفه إلا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» (٨) و في سورة القمر بعد ذكر كل من قوم نوح و عاد و ثمود «فكيف كان عذابي و نذري» (٩) و بعد ذكر قوم لوط «و لقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي و نذري و لقد صبحتهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي و نذري» (١٠).

«و انتفعوا بالذكر و المواعظ» «و كلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك و جاءك في هذه الحق و موعظه و ذكرى للمؤمنين» (١١) و في الآثار:

سل الأرض فقل لها من شق أنهارك و غرس أشجارك و جنى ثمارك؟ فإن لم

ص: ١٩٥

[١-١] (١) القمر: ٤-٥. [١]

[٢-٢] (٢) النجم: ٥٦. [٢]

[٣-٣] (٣) يونس: ١٠١. [٣]

[٤-٤] (٤) القمر: ٢٣. [٤]

[٥-٥] (٥) القمر: ٣٣. [٥]

[٦-٦] (٦) القمر: ٣٦. [٦]

[٧-٧] (٧) القمر: ٤١. [٧]

[٨-٨] (٨) الاحقاف: ٢١. [٨]

[٩-٩] (٩) القمر: ١٦ و ٢١ و ٣٠. [٩]

[١٠-١٠] (١٠) القمر: ٣٧-٣٩. [١٠]

[١١-١١] (١١) هود: ١٢٠. [١١]

تجيبك حواراً، أجابتك اعتباراً (١).

«فكان قد علقتم مخالبا المتيه» المخلب للسباع بمنزله الظفر للإنسان و المتيه: الموت، قال الهذلي:

و إذا المتيه انشبت اظفارها الفيت كل تميمه لا تنفع

(٢) «و انقطعت منكم علائق الامتيه» الامنيه واحده الاماني، تقول: منه تمنيت الشيء، قال تعالى: «و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل انهم كانوا في شك مريب» (٣).

«و دهمتكم مفضعات الامور» أي: فاجأتكم الامور المفضعه، و في المصباح:

فضع الأمر و أضع: جاوز الحد في القبح (٤) «و جاءت سكره الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد» (٥).

«و السيقه إلى الورد المورود» «و سبق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى و لكن حقت كلمه العذاب على الكافرين» (٦). و قال في فرعون: «يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار و بس الورد المورود و أتبعوا في هذه لعنه و يوم القيامة بس الرقد المرفود» (٧).

ص: ١٩٦

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١:٢١١. [١]

٢-٢ (٢) لسان العرب لابن منظور ٢:٥٤. [٢]

٣-٣ (٣) سبأ: ٥٤. [٣]

٤-٤ (٤) المصباح المنير للفيثوري ٢:١٥٣ (فضع).

٥-٥ (٥) ق: ١٩.

٦-٦ (٦) الزمر: ٧١. [٤]

٧-٧ (٧) هود: ٩٨-٩٩. [٥]

«و كل نفس معها سائق وشهيد» هكذا في النسخ، ولعل الأصل: «و جاءت كل نفس معها سائق وشهيد» (١)، كما هو لفظ الآية -

«سائق يسوقها إلى محشرها» «إلى ربك يومئذ المساق» (٢)، «و نسوق المجرمين إلى جهنم وزداً» (٣).

«و شاهد يشهد عليها بعملها» قال تعالى: «و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين و عن الشمال قييداً ما يلفظ من قول إلا لمدية رقيب عتيد» (٤)، «و أشرقت الأرض بنور ربها و وضعت الكتاب و جاء بالنبين و الشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون و وقيت كل نفس ما عملت و هو أعلم بما يفعلون» (٥).

٦

الخطبه (٢٠٢)

و من كلام له عليه السلام كان كثيرا ينادى أصحابه:

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ - وَ أَقْلُوا العُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا - وَ انْقَلِبُوا بِصَالِحٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ - فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَهُ كَنُودًا وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً - لَا بِيَدٍ مِنَ العُرُودِ عَلَيْهَا وَ العُقُوفِ عِنْدَهَا - وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ المَيِّتِ نَحْوَكُمْ دَائِبَةٌ - وَ كَانَكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ - وَ قَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطَعَاتُ العُمُورِ وَ مُعْضَلَاتُ

ص: ١٩٧

(١-١) ق: ٢١.

(٢-٢) القيامة: ٣٠. [١]

(٣-٣) مريم: ٨٦. [٢]

(٤-٤) ق: ١٦-١٨.

(٥-٥) الزمر: ٦٩-٧٠. [٣]

المُحْدُورِ-فَقَطُّعُوا عَلائِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى (و قد مضى شيء من هذا الكلام في ما تقدّم بخلاف هذه الرواية).

أقول: رواه الصدوق في (أمالیه الشيخ الصدوق-الأمالی-ص ٤٠٣ ح ٧ المجلس ٧٥) و المفید فی (إرشاده الشيخ المفید-الإرشاد-ص ٢٨٨ ح ١ و أمالیه الشيخ المفید-الأمالی-ص ١٩٨ ح ٣٢) مع اختلاف روى الأول في (الصحيح) عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام:

(كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة إذا صَلَّى العشاء الآخرة ينادى النَّاس ثلاث مَرَّات حَتَّى يسمع أهل المسجد: أيها الناس تجهّزوا رحمكم الله! فقد نودى فيكم بالرحيل فما التعرّج على الدنيا بعد نداء فيها بالرحيل، تجهّزوا رحمكم الله! و انقلبوا بأفضل ما بحضرتكم من الزّاد و هو التقوى، و اعلّموا أنّ طريقكم إلى المعاد، و ممّركم على الصّيراط، و الهول الأعظم أمامكم على طريقكم عقبه كؤوده و منازل مخوّفه مهوله لا بدّ لكم من الممرّ عليها و الوقوف فيها، فإنّما برحمه من الله فنجاه من هولها و عظم خطرها و فظاعه منظرها و شدّه مخترها، و إمّا بهلكه ليس بعدها انجبار) (١)، و رواه المفید فی (أمالیه) باسناده عن جابر عنه عليه السلام مثله (٢)، و قال في (إرشاده): و من كلام له عليه السلام في التزوّد للآخرة و أخذ الأهبه للقاء الله تعالى و الوصية للناس بالعمل الصالح ما رواه العلماء بالأخبار و نقله أصحاب السّير و الآثار أنّه عليه السلام كان ينادى في كلّ ليلة حين يأخذ الناس مضاجعهم للمنام بحيث يسمعه كافه أهل المسجد و من جاوره من النَّاس (تزوّدوا رحمكم الله فقد نودى فيكم بالرحيل و أقفوا العرجه على الدّنيا و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد فإنّ امامكم عقبه كؤودا و منازل مهوله لا بدّ من الممرّ بها و الوقوف عليها فإنّما برحمه من الله نجوت من فظاعتها و إمّا هللكه ليس بعدها انجبار، يا لها حسره! على ذى غفله أن يكون

ص: ١٩٨

١- (١) الأمالی للصدوق: ٤٠٣ ح ٧ المجلس ٧٥، [١] الإرشاد للمفید: ٢٨٨ ح ١، [٢] الأمالی للمفید: ١٩٨ ح ٣٢.

٢- (٢) الأمالی للمفید: ١٩٨ ح ٣٢.

عمره عليه حجّه و تؤدّيه أيّامه إلى شقوه، جعلنا الله و إياكم ممّن لا تبطره نعمه و لا تحلّ به بعد الموت نغمه، فإنّما نحن به وله، و بيده الخير، و هو على كلّ شيء قدير (١).

قول المصنّف: «كان كثيرا ينادى به أصحابه» هكذا في (المصريه) (٢) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (كثيرا ما) (٣) و قد عرفت من مستنداته أنّه عليه السلام كان ينادى به أصحابه كلّ ليلة بعد العشاء الآخره.

قوله عليه السلام: «تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل» و روى (الاکمال و الغيبه): عن محمد بن علي بن الأسود القمّي: أنّ أبا جعفر العمري رضی الله عنه حفر لنفسه قبرا و سواه بالساج فسألته عن أمره فقال: قد أمرت أن أجمع أمری فمات بعد ذلك بشهرين، و عن علي بن أحمد الدّلال القمّي قال: دخلت علي أبي جعفر محمّد بن عثمان رضی الله عنه يوما لأسلم عليه فوجدته و بين يديه ساجه و نقّاش ينقش عليها و يكتب آيا من القرآن و أسماء الأئمّه عليهم السلام علي حواشيها فقلت له: يا سيدي ما هذه الساجه؟ فقال هي لقبري أوضع عليها- أو قال: اسند اليها و أنا في كلّ يوم أنزل فيه فأقرأ جزءا من القرآن فأصعد فإذا كان يوم كذا من شهر كذا من سنه كذا صرت إلى الله تعالى و دفنت فيه و هذه الساجه معي، فأثبت ما ذكره فما تأخر الأمر حتّى اعتلّ فمات في اليوم الّذي ذكر و دفن فيه (٤)، و في الخبر: سئل عليه السلام عن التجهّز للموت فقال عليه السلام: أداء الفرائض و اجتناب المحارم و الاشتغال على المكارم (٥) و في الخبر: (عجبا لقوم حبس

ص: ١٩٩

١-١ (١) الإرشاد للمفيد: ٢٨٨ ح ١. [١]

٢-٢ (٢) الطبعه المصريه المصححه بلفظ (كثيرا ما): ٤٦١.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١١. [٢] شرح ابن ميثم و كذلك النسخه الخطيه ٤-٢٠٤: ٧.

٤-٤ (٤) إكمال الدين للصدوق: ٥٠٢، و الغيبه للطوسي: ٣٦٥.

٥-٥ (٥) الأمالی للصدوق: ٦٧. [٣]

أولهم عن آخرهم، ثم نودى فيهم بالرحيل و هم يلعبون (١) و في (عيون القتيبي) - قال إعرابي:

و ما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلا بعدهم و تقدّموا

و قال آخر:

و إنا و اخوانا لنا قد تابعوا لكالمغتنى و الرائح المتهجر

(٢) و قال أبو نؤاس:

سبقونا إلى الرحيل و إنا لبالأثر

«و أقلوا العرجه على الدنيا» أى: اجعلوا عرجتكم قليلا، يقال: (عرج فلان على المنزل إذا حبس مطيته عليه و أقام) و عنهم عليهم السلام: (صلّ كلّ صلاه تصلّيها صلاه مودّع و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) (٣).

«و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد» «يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله و لتتنظروا أنفس ما قدّمتم لغيد و اتّقوا الله إنّ الله خير بما تَعْمَلُونَ» (٤). و في خبر:

كان فى بنى اسرائيل مجاعه حتّى نبشوا الموتى فأكلوهم، فنبشوا قبرا فوجدوا فيه لوحا فيه: «أنا فلان النبي ما قدّمناه وجدناه و ما أكلناه ربحناه و ما خلفناه خسرناه» (٥).

«فإنّ أمامكم عقبه كؤودا» فى (الصحاح): -العقبه: واحده عقاب الجبال (٦) و عقبه كؤود و كأداء: شاقّه المصعد، فى الخبر: أنّ بين الدنيا و الآخره ألف

ص: ٢٠٠

[١-١] الكافي ٣:٢٥٨ ح ٢٩. [١]

[٢-٢] عيون الاخبار لابن قتيبه ٣:٦١. [٢]

[٣-٣] ورد فى الفقيه (ما يشابهه) ٣:٣٠٣ ح ٩١٦.

[٤-٤] الحشر: ١٨. [٣]

[٥-٥] الأمالى للصدوق: ٣٦١ و [٤] نقله المجلسى فى بحار الأنوار ١٣٧:٧٣ ح ٢. [٥]

[٦-٦] الصحاح: (عقب).

عقبه أهونها و أيسرها الموت (١)، في (عرائس الثعلبي): عبد الله تعالى يحيى حتى أكلت مدرعه الشعر لحمه، و بكى حتى أكل الدّم لحم خديه و بدت أضراسه، فقال له زكريا: ما يدعوك لهذا يا بني؟ إنما سألت ربّي أن يهبك لي لتقرّ بك عيني. قال: أنت أمرتني بذلك يا أبة قال: و متى؟ قال: أ لست القائل أنّ بين الجنّه و النّار عقبه كؤودا لا- يقطعها إلّا- الباكون من خشيه الله تعالى، قال:

بلى، فجد و اجتهد (٢).

و في (اعتقادات الصدوق): (كلّ عقبه باسم فرض أو أمر أو نهى، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبه فرض و كان قصير فيه حبس عندها، و طولب بحقّ الله فيها، فإن خرج منه بعمل صالح قدّمه أو برحمه تداركته نجّى منها إلى عقبه اخرى، فلا يزال يدفع من عقبه و يحبس عند كلّ عقبه فيسأل عمّا قصير من معناها فان سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحيا حياه لا يموت فيها أبدا و يسعد سعادته لا شقاوه معها، و سكن في جوار الله مع أنبيائه و حججه و الصّديقين و الشهداء و الصالحين من عباده، و إن حبس على عقبه فطولب بحقّ قصير فيه فلم ينجّه عمل صالح قدّمه و لا أدركه منه تعالى رحمه زلّت به قدمه على العقبه، فهوى في نار جهنّم، و هذه العقبات كلّها على الصّراط، منها:

عقبه الولاية، يوقف جميع الخلايق عندها فيسألون عن ولايه أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السلام من بعده فمن أتى بها نجا و جاوزه، و من لم يأت بها بقى فهوى، و ذلك قوله تعالى: «وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ» (٣) و منها: عقبه المرصاد، و هو قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِمِرْصَادٍ» (٤)، يقول تعالى: (لا يجوزني ظلم ظالم)

ص: ٢٠١

١-١ (١) الفقيه ١: ١٣٤ ح ٣٥٩.

٢-٢ (٢) العرائس للثعلبي: ٣٧٧ و قد مرّ قسم من الروايه في صفحه ٤.

٣-٣ (٣) الصافات: ٢٤. [١]

٤-٤ (٤) الفجر: ١٤. [٢]

و منها:عقبه الرّحم و منها:عقبه الأمانه و منها:عقبه الصلاه و باسم كلّ فرض أو أمر أو نهى عقبه يحبس عندها العبد فيسأل عن كلّ واحده) (١)و فى الخير:

جاء عيسى إلى قبر يحيى-و كان سأل ربّه أن يجييه-فدعاه فقال له:ما تريد منّى؟قال:تؤنسنى كما كنت فقال:ما سكنت عنّى حراره الموت و أنت تريد تن تعيدنى إلى الدّنيا و تعود علىّ حراره الموت فتركه فعاد إلى قبره (٢).

«و منازل مخوفه مهوله لابّد من الورود عليها و الوقوف عندها» و من تلك المنازل الموت،و فى (الكافى)عن الصادق عليه السلام:إنّ الميّت إذا حضر الموت أو ثقه ملك الموت و لو لا- ذلك ما استقر (٣)،و مرّ خبر عيسى عليه السلام مع يحيى عليه السلام، و منها:دخول القبر،و فى (الكافى)عن يونس،قال:حديث سمعته عن الكاظم عليه السلام ما ذكرته و أنا فى بيت إلاّ ضاق علىّ،يقول:إذا أتيت بالميّت إلى شفير قبره فأمهله ساعه فإنّه يأخذ أهبتة للسؤال (٤)،و منها:ضغطة القبر،و فى (الكافى):سئل أبو عبد الله عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟فقال:إنّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء،فيوحى إلى الهواء فيضغطه ضغطه هى أشدّ من ضغطه القبر (٥)،و عنه عليه السلام:خرج النّبىّ صلّى الله عليه و آله فى جنازه سعد بن معاذ و قد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع النّبىّ صلّى الله عليه و آله رأسه إلى السّماء ثمّ قال:مثل سعد يضمّ،قال أبو بصير للصادق عليه السلام:أ كان يستخفّ بالبول؟فقال:معاذ الله!إنّما كان زعاره فى خلقه على أهله (٦).و عنه عليه السلام:إنّ رقيه لمّا قتلها عثمان قال

ص:٢٠٢

[١- ١) الاعتقادات للصدوق:٤٩. [١]

[٢- ٢) الكافى ٣:٢٦٠ ح ٣٧. [٢]

[٣- ٣) المصدر نفسه ٣:٢٥٠ ح ٢. [٣]

[٤- ٤) المصدر نفسه ٣:١٩١ ح ٢. [٤]

[٥- ٥) المصدر نفسه ٣:٢٤١ ح ١٧. [٥]

[٦- ٦) المصدر نفسه ٣:٢٣٦ ح ٦. [٦]

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ذَكَرْتَ هَذِهِ وَ مَا لَقِيتَ فَرَقَقْتَ لَهَا وَ اسْتَوْهَبْتَهَا مِنْ ضَمَمِهِ الْقَبْرِ، وَ مِنْهَا: الْخُرُوجُ إِلَى الْمَحْشَرِ، وَ مِنْ شَدَّةِ هَوْلِهِ يَقُولُونَ: «يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» (١).

و روى (الكافي): أن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين و كانت العبادة في أولاد ملوكهم، فخرجوا يسرون ليعتبروا فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه السيافى فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسألناه- إلى أن قال- فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس و اللحية ينفذ رأسه من التراب فزعا شاخصا بصره إلى السماء فقالوا له: متّ يوم متّ و أنت على ما نرى؟ قال: لا، و لكن لما سمعت الصيحة (اخرج) اجتمعت تربه عظامى فخرجت فزعا شاخصا بصرى مهطعا إلى صوت الداعى فايضّ لذلك رأسى و لحيتى (٢).

و منها: طول يوم القيامة و شدّته، ففي سورة المعارج «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ نَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَ لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبْصَرُونَ نَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ» (٣) قال القمى فى تفسير الآيه الأولى: فى القيامة خمسين موقفا كل موقف ألف سنة (٤).

ص: ٢٠٣

١- (١) الكافي ٣: ٢٣٦ ح ٦، و الآيه ٥٢ [١] من يس.

٢- (٢) المصدر نفسه ٣: ٢٦١ ح ٣٨. [٢]

٣- (٣) المعارج: ٤-١٤. [٣]

٤- (٤) تفسير القمى ٢: ٣٨٦. [٤]

«و اعلموا أنّ ملاحظ المتّيّه منكم دانيه» هكذا في (المصريه) (١) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): (دائبه) (٢)، فهو الصحيح، و في (الكافي): عن جابر سألت أبا جعفر عليه السلام عن لحظه ملك الموت فقال: أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعريضهم السكته فما يتكلم منهم أحد فتلك لحظه ملك الموت حيث يلحظهم (٣).

«و كأنكم بمخالبتها و قد نشبت فيكم» و المخلب للسباع بمنزله الظفر للإنسان و نشب الشيء فيه: علق فيه، قال طرفه:

لعمر ك ان الموت ما أخطأ الفتى لكا الطول المرخي و ثنيه باليد

(٤).

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و يتصفّحهم كلّ يوم خمس مرّات (٥)، و عنه عليه السلام الأرض بين يدي ملك الموت كالقصعه يمدّ يده منها حيث يشاء (٦).

«و قد دهمتكم مفضعات الامور» مرّت فقره في سابقه.

«و معضلات المحذور» هكذا في (المصريه) (٧) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٨) «و مضلعات المحذور» و في (الصحاح): (الضلع بالتحريك):

الاعوجاج خلقه تقول: منه ضلع بالكسر، و ضلع بالفتح، أي: مال، و جمل مضلع

ص: ٢٠٤

١- (١) الطبعة المصريه: ٤٦٢.

٢- (٢) ابن أبي الحديد ٥: ١١ (١) [دائبه] و ابن ميثم ٧: ٤ (٢) [دائبه].

٣- (٣) الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣١. [٣]

٤- (٤) ابن منظور، لسان العرب ٢: ١٤٨. [٤]

٥- (٥) الكافي ٣: ١٣٧ ح ٣. [٥]

٦- (٦) المصدر نفسه ٣: ٢٥٦ ح ٢٤. [٦]

٧- (٧) المصريه: ٤٦٢.

٨- (٨) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١١ و شرح ابن ميثم ٧: ٤ (معضلات).

أى: مثل (١) و المضلعات من ضلع بالفتح لا بالكسر كما توهمه ابن أبي الحديد فإنه لا يتعدى، و ظلع أى: صار أعرج و أعضل أى: أشكل و فى (الكافى) فى قوله تعالى: «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ» (٢)، ذلك ابن آدم إذا حلَّ به الموت، قال: هل من طيب؟ و فى قوله تعالى: «وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» (٣) أيقن بمفارقة الأحبه، و فى قوله تعالى: «وَ التَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» (٤) التفت الدنيا بالآخره و فى قوله تعالى: «إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمَسَاقُ» (٥) المصير إلى رب العالمين (٦).

«فقطعوا علائق الدنيا» «يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون» (٧) «قل إن كان آباؤكم و أبناءكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتكموها و تجارته تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله و رسوله و جهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره و الله لا يهدي القوم الفاسقين» (٨). «و إذا رأوا تجارة أو لهوا أنفضوا إليها و تركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو و من التجارة و الله خير الرازقين» (٩).

ص: ٢٠٥

١- ١) الصحاح: (ضلع).

٢- ٢) القيامة: ٢٦-٢٧. [١]

٣- ٣) القيامة: ٢٨. [٢]

٤- ٤) القيامة: ٢٩. [٣]

٥- ٥) القيامة: ٣٠. [٤]

٦- ٦) الكافى ٣: ٢٥٩ ح ٣٢. [٥]

٧- ٧) المنافقون: ٩. [٦]

٨- ٨) التوبه: ٢٤. [٧]

٩- ٩) الجمعة: ١١. [٨]

«بِزَادِ التَّقْوَى» «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» (١).

قول المصنّف: -و قد مضى شيء من هذا الكلام في ما تقدّم بخلاف هذه الرواية أشار إلى قوله في (٨١) «فكأن قد علقتم مخالب الميتة و انقطعت منكم علائق الأمانة و دهمتكم مفضعات الامور»... كما مرّ في سابقه (٢) -

٧

في الخطبة (١٣٠)

منها:

فإنه و الله الجِدُّ لا اللَّعْبُ - وَ الْحَقُّ لا الكَذِبُ - وَ مَا هُوَ إِلاَّ الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ - وَ أَعْجَلَ حَادِيَهُ - فَلَا يُعْرَنُكَ سِوَاكَ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ - فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ - مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَ حَيَّرَ الْإِقْلَالَ - وَ أَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَ اسْتَبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزَعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ - وَ أَخَذَهُ مِنْ مِأَمِنِهِ - مَحْمُولًا - عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَآيَا - يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ - حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ - وَ إِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ - أَمْيَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا - وَ يَنْبُونَ مَسِيدًا وَ يَجْمَعُونَ كَثِيرًا - كَيْفَ أَضْيَبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا - وَ مَيَا جَمَعُوا بُورًا - وَ صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ - وَ أَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ - لاَ فِي حَسَبِهِ يَزِيدُونَ - وَ لاَ مِنْ سَيِّئِهِ يَسِيئُونَ - فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ - وَ فَازَ عَمَلُهُ فَاهْتَبَلُوا هَبْلَهَا - وَ اعْمَأَمُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا - فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ - يَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَحَازًا - لِتَرْوِدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْفَرَارِ - فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ - وَ قَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ

ص: ٢٠٦

(١ - ١) مريم: ٦٣. [١]

(٢ - ٢) راجع صفحہ ٦٨.

أقول: قوله: «فإنه والله الجد لا- اللب» فيه من التأكيد ما لا- مزيد عليه لكون المخاطبين عمل المنكر أشد الإنكار و(الجد) هنا بالكسر لأنه نقيض الهزل و اللب، واما الجد بالفتح فهو الحط، و الجد بالضم: البئر .

«و الحق لا الكذب» في الخبر: لم يخلق الله يقينا أقرب إلى الشك من الموت (1).

أو مل أن أعيش و ان يومي بأول أو بأهون أو جبار

أو التالي دبار أو فيومي بمونس أو عروبه أو شبار

(2) و هي أسماء الأسبوع من أحد إلى السبت في الجاهلية .

«و ما هو إلا الموت قد اسمع داعيه» هكذا في (المصريه) (3) و الظاهر زياده (قد) لخلو (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي) عنه (4)، و في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: ينادى مناد في كل يوم (ابن آدم لد للموت و اجمع للفناء و ابن للخراب) (5) هذا و واضح ان (أسمع) و (أعجل) ماضيان و (داعيه) و (حاديه) بسكون الياء فيهما فاعلان لهما، و المفعول مقدر أي: أسمع داعي الموت التماس و أعجلهم حاديه و قال (الخوئي): - «أسمع» و «أعجل» منصوبان على الحال اما لفظا لو كان (أفعل) بصيغه التفضيل فيكون «داعيه» و «حاديه» مجرورين بإضافه (أفعل) إليهما من باب اضافه الصفه إلى مفعوله و لو كان

ص: ٢٠٧

١- ١) وردت الروايه في الخصال: لم يخلق الله (عزّ و جلّ) يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت، الخصال ١: ١٤ و نقله المجلسي في البحار ١: ١٢٧. [١]

٢- ٢) بحار الأنوار للمجلسي ٥٢: ٥٩ [٢] كذلك لسان العرب ٢٨٥: ٤. [٣]

٣- ٣) الطبعه المصريه المصححه بلا(قد): ٣٠١.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٦٩: ٨ و [٤] شرح ابن ميثم ٣: ١٥ (قد)، و شرح الخوئي ٢٩٣: ٨ ح ١٣٢.

٥- ٥) الكافي ٢٥٥: ٣ ح ١٩. [٥]

«أسمع» فعلا ماضيا ف- «داعيه» منصوب بالمفعوليه (١)...و في كلامه كما ترى أوهام فاحشه، فأى معنى للتفضيل هنا فهل يصح أن يقال: الموت أسمع من داعيه و أعجل من حاديه؟ كما أنه على الماضى لا معنى لأن يقال: أسمع الموت داعيه و اعجل حاديه، و فى (الأغانى): اصطحب نبيه المغنى عند عييد الله بن غسان فقال له: أى شىء تشتهى؟ قال كبد غزال فأطعمه فلما استوفى أكله استلقى لينام فحرّكوه، فإذا هو ميت! فجزعوا، و بعث عييد الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فقالت: لا بأس عليكم! هو رابع أربعة ولدتهم كانت هذه ميتتهم جميعا و ميته أبيهم من قبلهم (٢)... و قيل بالفارسيه (ناگهان بانگى برآمد خواجه مرد) و فى (الحليه)، عن زيد بن السلمى: أن النبى صلى الله عليه و آله كان إذا أنس غفله أو غره نادى فيهم بصوت رفيع: أتتكم المتيه راتبه لازمه اما بشقاوه و اما بسعاده (٣).

«و أعجل حاديه» فى (الصحاح): (الحدو) سوق الإبل و الغناء لها و يقال للشمال حدواء لأنها تحدوا السحاب أى: تسوقه (٤)، و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» (٥) المراد تعداد عدد الأنفاس لا الأيام فالآباء و الامهات يحصون أيام ولدهما .

«فلا- يغزّتك سواد الناس من نفسك» فى (اسد الغابه): عاش حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام هو و أبأوه كلّ منهم مائه و عشرين سنه، و لا يعرف فى العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد و عاش كلّ منهم مائه و عشرين سنه،

ص: ٢٠٨

١-١ (١) شرح الخوئى ٢٩٣: ٨.

٢-٢ (٢) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١٦٢: ٦.

٣-٣ (٣) حليه الأولياء لأبى نعيم الاصفهانى ٣٠٤: ٧.

٤-٤ (٤) الصحاح: [١] حدد مريم).

٥-٥ (٥) ١٨.

و ذكر عند عبد الرحمن بن حسان عمر أبيه و أجداده فاستلقى على فراشه و ضحك فمات و هو ابن ثمان و أربعين سنة (١)؛ و فى (الكافى): أن السجّاد و الباقر عليهما السّلام كانا إذا رأيا جنازه قالا: (الحمد لله الذى لم يجعلنى من السواد المخترم) و قال تعالى حاكيا عن المؤمنين قولهم فى القيامة للمنافقين:

«وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ عَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْعِزُّورُ» (٢) و فى (الطبرى):

لما احتضر المعتصم جعل يقول: أنى أخذت من بين هذا الخلق لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت! و جعل يقول: ذهبت الحيل ليست حيله، حتى أصمت، و سمع الحسن البصرى جاريه تبكى على قبر أبيها و هى تقول:

يا أبه لم أر مثل يومك فقال: الذى لم يرو الله مثل يومه أبوك! و سمع عمر بن عبد العزيز خصيا للوليد على قبره و هو يقول: يا مولاى ما ذا لقينا من بعدك! فقال له عمر: أما و الله لو اذن له فى الكلام لأخبر أنه لقى بعدكم أكثر ممّا لقيتم بعده (٣)، هذا و قال ابن ميثم: يعنى لا يغزّرك من نفسك الأماره بالسوء و سوستها و استغفّالها لك عن ملاحظه الموت سواد الناس (٤)، و قال ابن أبى الحديد: «من» فى «من نفسك» بمعنى الباء، أى: لا يغزّرك الناس بنفسك و صحتك و شبابك، و اما متعلّقه بمحذوف تقديره متمكنا من نفسك و راكنا إليها (٥)، و كلّ منهما كما ترى بلا محضّل، و واضح أن المراد دفع الوهم، بأنّ الإنسان فى كلّ وقت يرى عددا لا يحصون فيقول، كما لم يمت هؤلاء الجمع الكثير لا أموت أنا بأنّ ذلك لا يصير سببا لاغتراره لأنّ السواد يحصل

ص: ٢٠٩

١-١) اسد الغابه لابن الأثير ٧:٢. [١]

٢-٢) الحديد: ١٤. [٢]

٣-٣) تاريخ الامم و الملوك للطبرى ٣١٤:٧.

٤-٤) شرح ابن ميثم ٣:١٥١. [٣]

٥-٥) شرح ابن أبى الحديد ٨:٢٦٩. [٤]

من كثير من الناشئين العذرين نشأوا بعده و قليل من العذرين كانوا فى سنه أو أكثر منهم بقليل، و لو بدل توجه بصره إلى السواد الكلى بتوجه بصيرته إلى أشخاص أهل بيته، و عشيرته، و أصدقائه، و أهل حرفته، و سائر طبقات بلده لتوحش و تبدل اغتراره بالاعتبار .

«فقد رأيت من كان قبلك ممن جمع المال» مأخوذ من قوله تعالى: «الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» (١) قال ابن ميثم و تبعه الخوئى (٢):

أنه بيان لقوله: (فلا يغرنك) و الصواب: كونه بياناً لقوله: (ما هو إلا الموت) كما أن قوله: (لا يغرنك) دفع توهم يرد على قوله: (ما هو إلا الموت).

«و حذر الأقلال» أى: الافتقار.

«و أمن العواقب طول أمل و استبعاد أجل» (طول و استبعاد)، منصوبان تعليلاً فإنه المتبادر، لا بدل (من) كما احتمله ابن أبى الحديد (٣).

قال أبو العتاهيه:

كلنا نأمل مداً فى الأجل و المنايا هن آفات الأمل

لا يغرنك أباطيل المنى و الزم القصد وضع عنك العلل

إنما الدنيا كظلّ زائل حلّ فيها راكب ثم رحل

(٤) «كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه» فى (الصحيح): أزعجه: أقلقه و قلعه عن مكانه (٥).

«و أخذه من مأمنه» قال تعالى حاكياً عن قول صالح لقومه: «أَتُتْرَكُونَ فِى»

ص: ٢١٠

١-١ (١) الهمزة: ٢-٣. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم فى ٣: ١٥١ و شرح الخوئى فى ٨: ٣٠٠.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٦٩. [٢]

٤-٤ (٤) البيت الأخير منسوب للإمام على عليه السلام الديوان: ١٢٥.

٥-٥ (٥) الصحيح: (زعج).

«ما هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ» (١) قال المخيل السعدى:

و لئن بنيت لى المشقر فى عنقاء تقصر دونها العصم

لتنقبن عني المتيه ان الله ليس كحكمه حكم

(٢) «محمولا على أعواد المنايا»:

كل ابن انثى و ان طالت سلامته يوما على آله الحدباء محمول

(٣) «يتعاطى به الرجال الرجال حملا- على المناكب و إمساكا بالأنامل» فى (الكافى) عن الكاظم عليه السلام: السنه فى حمل الجنازه أن تستقبل السرير بشقك الأيمن فتلزم الأيسر بكفك الأيمن ثم تمرّ عليه إلى الجانب الآخر، و تدور من خلفه إلى الجانب الثالث من السرير، ثم تمرّ عليه إلى الجانب الرابع ممّا يلى يسارك (٤)، و عن الصادق عليه السلام: تبدأ فى حمل السرير من الجانب الأيمن ثم تمرّ عليه من خلفه إلى الجانب الآخر ثم تمرّ حتى ترجع إلى المتقدّم كذلك دوران الرّحى عليه (٥). هذا و الظاهر أنّ «حملا» و «إمساكا» حالان من الفاعل و المفعول ليتعاطى و أفرادهما لكونهما مصدرين، و المصدر لا يثنى و لا يجمع و ان كان بمعنى الوصف، كما هنا، فإنّ الأصل حاملين له على المناكب و ممسكين له بالأنامل و لا مجال لكونهما مفعولا له كما احتمله (٦) الخوئى لأنّ التعاطى لا يكون للحمل و الإمساك بل للاشتراك فى فضل الحمل أو لرفع

ص: ٢١١

١- ١) الشعراء: ١٤٦-١٤٨. [١]

٢- ٢) لسان العرب ١٦٣: ٧. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه ٧٣: ٣. [٣]

٤- ٤) الكافى ١٦٨: ٣ ح ١. [٤]

٥- ٥) المصدر نفسه ١٦٩: ٣ ح ٤. [٥]

٦- ٦) شرح الخوئى ٢٩٧: ٨.

التعب عمّن حمّله قبل (١).

«أما رأيتم الذين يأملون بعيدا و بينون مشيدا» في (الصحاح): المشيد:

المعمول بالمشيد، و الشيد بالكسر كل شيء طليت به الحائط من جصّ أو بلاط و المشيد بالشدّيد: المطوّل، و قال الكسائي المشيد للواحد من قوله تعالى:

«وَقَصْرِ مَشِيدٍ» (٢) و المشيد للجمع من قوله تعالى: «فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ» (٣).

«و يجمعون كثيرا» «كَلَّا- إِنَّهَا لَطَى نَزَاعَهُ لِلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى وَ جَمَعَ فَأُوَعَى» (٤) و قال تعالى في قارون: «فَحَسِبْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِيهِ أَنْ يُنْصِرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ» (٥).

«كيف» هكذا في (المصريه) (٦) و الكلمه زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٧).

«أصبحت بيوتهم قبورا و ما جمعوا بورا» أي: هالكا قال الأسود بن يعفر:

ما ذا أوّمل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد اياذ

أهل الخورنق و السدير و بارق و القصر ذى الشرفات من سنداد

نزّلوا بأنقره يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد

أرض تخيرها لطيب مقلها كعب بن مامه و ابن أمّ دواد

جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

ص: ٢١٢

١-١ (١) شرح الخوئي ٢٩٧: ٨.

٢-٢ (٢) الحج: ٤٤.

٣-٣ (٣) الصحاح: (١[شيد]) والآيه ٨٢ من سوره النساء.

٤-٤ (٤) المعارج: ١٥-١٨. [٢]

٥-٥ (٥) القصص: ٨١. [٣]

٦-٦ (٦) المصريه المصححه لا وجود لهذا اللفظ: ٣٠٢.

٧-٧ (٧) شرح ابن أبي الحديد ٢٦٩: ٨ و [٤] شرح ابن ميثم ١٥٠: ٣ [٥] كيف) و الخطيه: ١١١.

فأرى النعيم و كل ما يلهى به يوما يصير إلى بلى و نفاذ

(١) «و صارت أموالهم للوارثين» قال تعالى فى فرعون و قومه: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَهُ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ كَذَلِكَ وَ أَوْزَنَّاها قَوْمًا آخِرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كَانُوا مُنْظَرِينَ» (٢). هذا و فى (المعمّرين لأبى حاتم): سئل عبيد الجرهمى، و كان عاش ثلاثمائة سنه، عن أعجب شىء رآه فقال: أتى نزلت بحى من قضاءه فخرجوا بجنازه رجل من عذره يقال له حريث بن جبلة فخرجت معهم حتى إذا واروه انتدبت جانبا و عيناي تذر فان، ثم تمثلت شعرا كنت رويته قبل:

و بينما المرء فى الأحياء مغتبطا إذ صار فى الأمس تعفوه الأعاصير

حتى إذا لم يكن إلا تذكره و الدهر أيه ما حال دهارير

بيكى الغريب عليه ليس يعرفه و ذو قرابته فى الحى مسرور

و ذاك آخر عهدي من أخيك إذا ما المرء ضمّنه اللحد الخناسير

الخناسير: المشيعون، فقال رجل: من قائلها؟ قلت: لا أدري، قال: قائلها هذا ألمذى دفناه! إن هذا ذو قرابته أسر الناس بموته، و أنك الغريب لا تعرفه تبكى عليه (٣).

«و أزواجهم لقوم آخرين» فى (المعجم): كان المتوكّل و هب جاريه من جواريه حسنه كامله يقال لها: (صاحب) أحمد بن حمدون، فلما مات تزوجت، قال أبو على بن يحيى المنجم: فرأيتة فى النوم و هو يقول:

أبا على ما ترى العجائبا أصبح جسمى فى التراب غائبا

ص: ٢١٣

١- ١) ذكرها الأصفهاني فى الأغاني ١٦: ١٣-١٧، و [١] ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٢٩: ٣، و [٢] بعضه ابن منظور فى لسان العرب ٣٨٤: ١. [٣]

٢- ٢) الدخان: ٢٥-٢٨. [٤]

٣- ٣) المعمرون و الوصايا لأبى حاتم: ٥٢.

(١) و فى (الأغانى) تزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو امّ هشام بنت عبد الله بن عمر، و كانت من أجمل نساء قريش و كان يجد بها و جدا شديدا- فمرض مرضته التى هلك فيها فجعل يديم النظر إليها و هى عند رأسه فقالت له:

انّك لتنظر نظر رجل له حاجه. قال: أى و الله، إنى لى إليك حاجه لو ظفرت بها لهان علىّ ما أنا فيه قالت: و ما هى؟ قال: أخاف أن تزوجى بعدى! قالت: فما يرضيك؟ قال: أن توثقى لى بالأيمان المغلظه فحلفت له بكلّ يمين سكنت إليها نفسه ثم هلك فلما قضت عدتها خطبها عمر بن العزيز- و هو أمير المدينه- فأرسلت إليه ما أراك إلا و قد بلغتك يمينى، فأرسل إليها: لك مكان كلّ عبد و أمه عبدان و أمتان، و مكان كلّ علق علقان، و مكان كلّ شىء ضعفه فتزوجته (٢).

«لا فى حسنه يزيدون» «حتى إذا جاء أجدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّى أعمل صالحاً فيما تركت كلاً إنّها كلمه هو قائلها و من ورائهم بزخ إلى يوم يُبعثون» (٣)، «فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كُنّا نعمل قد خسروا أنفسهم و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون» (٤)، «و هم يصيطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كُنّا نعمل أ و لم نعمل ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير» (٥).

«و لا من سيئه يستعتبون» أى: يسترجعون قال تعالى: «و قيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا و ماؤاكنم النار و ما لكم من ناصرين ذلكنم»

ص: ٢١٤

١- ١) معجم الادباء للحموى ٢٠٠٨: ٢ [١] ترجمه (أحمد بن حمدون).

٢- ٢) الأغانى للأصفهاني ٣٩: ١٣-٣٨. [٢]

٣- ٣) المؤمنون: ٩٩-١٠٠. [٣]

٤- ٤) الأعراف: ٥٣. [٤]

٥- ٥) فاطر: ٣٧. [٥]

«بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَ عَزَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» (١)، «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» (٢).

«فمن اشعر التقوى قلبه» أى: جعل التقوى شعار قلبه، والشعار ما ولى الجسد من الثياب.

«بَرَزَ مهله» قال ابن أبى الحديد: المهمل: شوط الفرس (٣) وإنما قال الجوهري: (بَرَزَ الرجل: فاق على أصحابه و كذلك الفرس إذا سبق) (٤) وهو كما ترى لا- يفهم منه أكثر من أن (بَرَزَ الفرس) بمعنى سبق الفرس. و الصواب: أن المهمل: التقدم فى الخير، وفى (المغرب): المهمل بالتحريك: التقدم، و به كنى أبو مهمل عروه بن عبد الله ابن قشير الجعفى (٥)، و فى (النهاية): فلان ذو مهمل، أى:

تقدم فى الخير، و لا يقال فى الشَّرِّ، ثم لا وجه لنصب «مهله» بعد كون قوله بعد ذلك: «و فاز عمله» بالرفع (٦).

«و فاز عمله» «و الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ» (٧).

«فاهتبلوا هبلها» أى: اغتتموا غنيمتها فيكون «هبلها» مفعولا به و يكون «اهتبلوا هبلها» مساوقا لقوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُ عِدَّةً» و مما ذكرنا يظهر لك

ص: ٢١٥

١-١ (١) الجاثية: ٣٤-٣٥. [١]

٢-٢ (٢) الروم: ٥٧. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢٦٩: ٨. [٣]

٤-٤ (٤) الصحاح: (٤) [برز].

٥-٥ (٥) المغرب لأبى الفتح ١٩٤: ٢.

٦-٦ (٦) النهاية لابن الأثير ٣٣٥: ٤ (مهمل).

٧-٧ (٧) المؤمنون: ٦٠-٦١. [٥]

ما فى قول ابن أبى الحديد: هبلها منصوب على المصدر كأنه من هبل مثل غضب غضبا (١) و ما فى قول ابن ميثم: هبلها مصدر مضاف إلى ضمير التقوى مؤكّد للفعل أى: أحكموها إحكامها (٢). فلو كان «هبلها» مفعولا- مطلقا لقال: فاهتبلوا لها اهتبالا، و بالجمله لا ريب أن هبلها مثل عملها فى قوله بعد :

«و اعملوا للجنّه عملها» «و أمّا مَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَمِإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (٣) «الَّذِينَ هُمْ فِي صِيْلَاتِهِمْ خاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتغىٰ وَراءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا» (٤)، «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» (٥) و فى الخبر: من أحبّ أن تكون الجنّه مسكنه و مأواه فلا يدع زياره المظلوم (٦).

«فإنّ الدنيا لم تخلق لكم دار مقام» بالضمّ أى: إقامه .

«بل خلقت لكم مجازا» فى (الصحاح): (جعل الأمر مجازا إلى حاجته، أى:

طريقا و مسلكا (٧).

ص: ٢١٦

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٦٩: ٨. [١]

٢- ٢) شرح ابن ميثم.

٣- ٣) النازعات: ٤٠-٤١. [٢]

٤- ٤) المؤمنون: ٢-١١. [٣]

٥- ٥) الحاقه: ٢٢-٢٤. [٤]

٦- ٦) كامل الزيارات للصدوق: ٢ و [٥] نقله المجلسى فى البحار ٩٨: ٦٦ ح ٥٧. [٦]

٧- ٧) الصحاح: (٧ [جوز]).

«لَتُرَوِّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ» «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لَتُنظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (١).

«فكونوا منها على أوفاز» فى (الصحيح): الوفز: العجله، يقال: نحن على أو فاز، أى: على سفر (٢).

«و قَرَّبُوا الظهور للزيال» فى (المغرب): يستعار الظهر للدَّابَّة و الرَّاحله، و منه (و لا ظهرا بقى)، و الزيال: مصدر زایل كالمزايله و هو المفارقة (٣)، قال النبى صلى الله عليه و آله: مالى و للدينا إنما مثلى و مثلها كمثل راكب رفعت له شجره فى يوم صائف، فقال-من القيلولة- تحتها، ثم راح و تركها.



الخطبه (٢١٦)

و من كلام له عليه السلام بعد تلاوته «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» :

يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ وَ زُورًا مَا أَعْفَلَهُ- وَ خَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ- لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَى مُدِّكِرٍ وَ تَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ- أَفِمَصَارِعِ آيَاتِهِمْ يَفْخَرُونَ- أَمْ بَعْدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثِرُونَ يَزْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوْثٍ وَ حَرَكَاتٍ سَيَكْنُثُ- وَ لَأَنْ يَكُونُوا عِبْرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا- وَ لَمَّا أَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابِ ذَلِّهِ- أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزِّهِ- لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ- وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِى غَمْرِهِ جَهَالَهُ- وَ لَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ- وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ- ذَهَبُوا

ص: ٢١٧

١-١ (١) الحشر: ١٨. [١]

٢-٢ (٢) الصحيح: (وفز).

٣-٣ (٣) المغرب لأبى الفتح ٢: ٢٥.

فِي الْأَرْضِ ضَالًّا وَ ذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا- تَطُّونَ فِي هَامِهِمْ وَ تَسْتَتِنُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ- وَ تَزْعُونَ فِيمَا لَفَّظُوا وَ تَسْكُنُونَ فِيمَا
 خَرَّبُوا- وَ إِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَ نَوَاحٍ عَلَيْكُمْ- أَوْلَيْكُمْ سَيْفٌ غَايَتُكُمْ وَ فُرَاطٌ مَنَاهِلُكُمْ- الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ-
 وَ حَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَ سَوْقًا سَيْلُوكُوا فِي بُطُونِ الْبُرْزَخِ سَبِيلًا سَلَطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ- فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَ شَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ-
 فَأَصْبَحُوا فِي فُجُوتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ- وَ ضَةً مَارًا لَا يُوجِدُونَ- لَا يُفْزِعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ- وَ لَا يَحْزَنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ- وَ لَا
 يَحْفَلُونَ بِالرَّوَاغِفِ وَ لَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ- عُيْبًا لَا يَنْتَظِرُونَ وَ شُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ- وَ إِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا وَ أَلْفًا فَافْتَرَقُوا- وَ
 مَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَ لَا بُعِيدِ مَحَلِّهِمْ- عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَ صَيَّمَتْ دِيَارُهُمْ- وَ لَكِنَّهُمْ سَيَقُوا كَأَسَا يَدَلَّتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا- وَ بِالسَّمْعِ
 صَمَمًا وَ بِالْحَرَكَاتِ سَيُكُونًا- فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصَّفْهِ صَيَّرَعَى سَيِّبَاتٍ- جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَسُونَ وَ أَحِبَّاءٌ لَا يَتَرَاوِرُونَ- بَلِيَّتٌ بَيْنَهُمْ عُرَا
 التَّعَارُفِ- وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ- فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَ هُمْ جَمِيعٌ- وَ بِجَانِبِ الْهَجْرِ وَ هُمْ أَخِلَاءٌ- لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَيِّبًا وَ لَا
 لِنَهَارٍ مَسَاءً- أَى الْجَدِيدِينَ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَيَّرَمَدًا- شَاهَدُوا مِنْ أخطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَحَ مِمَّا خَافُوا- وَ رَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا
 قَدَّرُوا- فَكَلَّمْنَا الْعَمَائِينَ مُدَّتْ لَهُمْ- إِلَى مَيَّاءِهِ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ- فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا- لَعَبُّوا بِصَفِّهِ مَا شَاهَدُوا وَ مَا
 عَايَنُوا- وَ لَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ- لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ- وَ سَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانَ الْعُقُولِ- وَ تَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ
 جِهَاتِ النُّطْقِ- فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَ خَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ- وَ لَيْسْنَا أَهْدَامَ الْبَلَى وَ تَكَاءَ دَنَا

ضَيْقِ الْمَضْجَعِ - وَ تَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ وَ تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ - فَاَنْمَحَتْ مَحَاسِنُ اَجْسَادِنَا وَ تَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا - وَ طَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ اِقَامَتُنَا - وَ لَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا وَ لَا مِنْ ضَيْقٍ مُتَّسِعًا - فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ بِعَقْلِكَ - أَوْ كَشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغَطَاءِ لَكَيْتَ - وَ قَدْ ارْتَسَيْتَ بِأَسْمَاعِهِمْ بِأَلْهَوَامٍ فَاسَيْتَكَّتْ - وَ اَكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسِفَتْ - وَ تَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا - وَ هَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا - وَ عَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بَلَى سَيِّمَجَهَا - وَ سَيَّهَلَ طَرُقَ الْأَفْهِ إِلَيْهَا - مُسْتَسِيَلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ وَ لَا قُلُوبَ تَجْرَعُ - لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَ أَقْدَاءَ عُيُونٍ - لَهُمْ فِي كُلِّ فِطَاعَةٍ صِفَةٌ حَالٌ لَا تَنْتَقِلُ - وَ غَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي - فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزٍ جَسِيدٍ وَ أُنِيقٍ لَوْنٍ - كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِيًّا تَرَفٍ وَ رَيْبٍ شَرَفٍ - يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ - وَ يَفْزَعُ إِلَى السُّلُوهِ إِنْ مُصِّبَهُ نَزَلَتْ بِهِ - ضَمْنَا بِغَضَارِهِ عَيْشِهِ وَ شَحَا حَهُ بِلَهْوِهِ وَ لَعِبَهُ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَ تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ - فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسِيكُهُ - وَ نَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ - وَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثْبٍ - فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ وَ نَجِيٌّ هَمٌّ مِمَّا كَانَ يَجِدُهُ - وَ تَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ عَلَلَّ أَنْسَ مِمَّا كَانَ بِصِحَّتِهِ - فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطْبَاءُ - مِنْ تَسْيِكِينَ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَ تَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ - فَلَمْ يُطْفِئِ بِيَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَهُ - وَ لَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَهُ - وَ لَا اعْتَدَلَ بِمَمَازِجٍ لِتَلْكَ الطَّبَائِعِ - إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ دَاءٍ - حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَ ذَهَلَ مُمَرِّضُهُ - وَ تَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَتِهِ دَائِهِ - وَ خَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ - وَ تَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيًّا خَبِرَ يَكْتُمُونَهُ - فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ وَ مُمْنٌ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ - وَ مُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى

فَقَدِيدِهِ - يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِيَيْنِ مِنْ قَبْلِهِ - فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا - وَ تَرَكَ الْأَجْبَهُ - إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ - فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فُطْنَتِهِ وَ يَبَسَتْ رُطُوبُهُ لِسَانِهِ - فَكَمْ مِنْ مُهَمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ - وَ دُعَاءٍ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ - مِنْ كَبِيرٍ كَمَا أَنْ يُعْظَّمُ أَوْ صَغِيرٍ كَمَا أَنْ يَرْحَمُهُ - وَ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُشْتَتِرَقَ بِصَتَمِهِ - أَوْ تُغْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا أَقُولُ: قول المصنّف: (و من كلام له عليه السلام بعد تلاوته «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» في (أسباب نزول الواحدى): قال مقاتل و الكلبي: نزلت في حنين من قريش بنى عبد مناف و بنى سهم، كان بينهم لحا فتعاندا الساده و الأشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيّدا و عزا و أعظم نفرا، و قال بنو سهم مثل ذلك فكثّرهم بنو عبد مناف ثم قالوا: نعدّ موتانا حتّى زاروا القبور، فعدّوا موتاهم فكثّرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهليه.

و قال قتاده: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بنى فلان و بنو فلان أكثر من بنى فلان، ألهاهم ذلك حتّى ماتوا ضلالا (1)، هذا و قال ابن أبى الحديد بعد عنوان هذه الخطبه: هذا موضع المثل (ضلعا يا ظليم و إلا فالتخويه) من أراد أن يعظ و يخوف و يقرع صفاه القلب، و يعرف الناس قدر الدنيا و تصرفها بأهلها، فليأت بمثل هذه الموعظه في مثل هذا الكلام الفصيح و إلا فليمسك، فإنّ السيّكوت أستر، و العيّ خير من منطلق يفضح صاحبه. و من تأمل هذا الفصل علم صدق معاويه في قوله فيه عليه السلام: (و الله ما سنّ الفصاحه لقريش غيره) و ينبغى لو اجتمع فصحاء العرب قاطبه في مجلس، و تلى عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرّقاع في قوله: (قلم أصاب من الدّواه

ص: ٢٢٠

مدادها)ف قيل لهم في ذلك، فقالوا: (إننا نعرف موضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن). و إنني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود و النمر، ثم يخطب في ذلك الموضوع بعينه، إذا أراد المواعظ بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان اللابسى المسوح الذين لم يأكلوا لحما، و لم يريقوا دما، فتارة يكون في صورته بسطام بن قيس الشيباني و عتيبه بن الحارث اليربوعي، و عامر بن الطفيل العامري، و تارة يكون في صورته سقراط الحبر اليوناني، و يوحنا المعمدان الإسرائيلي، و المسيح بن مريم الإلهي. و أقسم بما يقسم به الامم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة و إلى الآن أكثر من ألف مره، ما قرأتها قط إلا و أحدثت عندي روعه و خوفا و عظه، و أثرت في قلبي و جيبا و في أعضائي رعد، و لا تأملتها إلا و ذكرت الموتى من أهلي و أقاربي و أرباب ودي، و خيلت في نفسي أنني أنا ذلك الشخص الذي وصف حاله و كم قد قال الواعظون و الخطباء و الفصحاء في هذا المعنى، و كم وقفت على ما قالوه و تكرر وقوفي عليه، فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي، فإما أن يكون ذلك لعقيدتي في قائله، أو نيه القائل كانت صالحه، و يقينه كان ثابتا، و إخلاصه كان محضا خالصا (1).

«يا له مراما ما أبعد» جمع عليه السلام بين نداء التعجب في قوله: «يا له مراما» و فعل التعجب في قوله «ما أبعد» تنبيها على أن هذا المرام و هذا المقصد من التفاخر بالموتى في غاية التعجب.

«و زورا ما أغفله» قال ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي، يعنى عليه السلام

ص: ٢٢١

(١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٥٢: ١١. [١]

بالزور الزائرين للمقابر (١) واستندوا إلى قول الجوهرى: (الزور: الزائرون).

قلت: بل «زورا» مصدر زاره، كما صرح به الفيروز آبادى، ولو كان جمعا لقال: ما أغفلهم و أيضا لم يصح جمعا إلا مع روايه (يا مراما) (٢) كما قال (ابن ميثم) أنّ به روايه كما أنه لا يناسب قوله (مراما) قبل بلفظ المفرد و «خطرا» بعد كذلك. و فى (المعجم): كان سليمان بن عبد الملك عسكر بدابق - قرب حلب - و عزم ألا يرجع حتى يفتح القسطنطينيه أو تؤدى الجزيه، فشتا بدابق شتاء بعد شتاء، إذ ركب عشيه من يوم جمعه، فمرّ بالتلّ الذى يقال له اليوم (تلّ سليمان) فرأى عليه قبرا، فقال: قبر من؟ قالوا: عبد الله بن مسافع العبدرى فقال: يا ويحه! لقد أمسى قبره بدار غربه، و مرض سليمان فى أثر ذلك و مات و دفن إلى جانب ذاك القبر فى الجمعه التى تليه! (٣).

«و خطرا ما أفضعه» فى الصحاح: الخطر: الإشراف على الهلاك، و فطع الأمر (بالضمّ) شنيع جاوز المقدار (٤).

«لقد استخلوا منهم أى مذكر» قال ابن أبى الحديد: قال الراوندى: (يعنى وجدوا موضع التذكّر خاليا من الفائده) (٥) و الصحيح أنّه عليه السلام أراد ذكر من خلا - من آبائهم، أى: مضى، و استخلى فلان فى حديثه، أى: حدّث عن أمور خاليه، و المعنى أنّه عليه السلام استعظم ما يوجه حديثهم عمّا خلا و عمّن خلا من أسلافهم و آثار أسلافهم من التذكير، فقال عليه السلام أى مذكر و واعظ فى ذلك!

ص: ٢٢٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١١:١٤٥ و شرح ابن ميثم ٤:٥٩ و شرح الخوئى ١٤:٢١٣ ح ٢١٩.

٢- ٢) القاموس المحيط للفيروز آبادى: ٥١٥ (الزور).

٣- ٣) معجم البلدان للحموى ٢:٤١٦. [١]

٤- ٤) الصحاح: (خطر).

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١١:١٤٥. [٢]

و قال ابن ميثم: (يعنى اتخذوا تخليه الذكر دأبهم و شأنهم) (١). و قال الخوئى:

المفعول محذوف أى: استخلوا الديار يعنى أنّ الزائرين المتفاخرين بالأموال و جدوا الديار خاليه منهم حال كونهم كاملين فى التذكير، و الكل كما ترى.

و الصواب: أن يقال أنه لما كان فى الموتى اذكار عظيم للتوجه إلى الآخرة و هم جعلوهم سببا للتوجه إلى الدنيا كأنهم طلبوا من الموتى أن يجعلوا محلّ اذكارهم خاليا منه (٢). و فى (الصحاح): استخلاه محلّه، أى: سأله أن يخليه له (٣)، و يناسب ما قلناه، قوله بعد: «و تناوشوهم من مكان بعيد» و ممّا ذكرنا يظهر لك أنّ (مذكر) اسم مكان لا اسم فاعل أو مصدر ميمى.

«و تناوشوهم من مكان بعيد» فى (الصحاح): التناوش التناول (٤)، و قوله تعالى: «وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ» (٥) أى: أنى لهم تناول الإيمان فى الآخرة و قد كفروا به فى الدنيا، يعنى لو كانوا أرادوا كون تناوشهم ممكنا لتناوشوهم من مكان قريب (٦)، و هو الاعتبار بهم و أمّا الافتخار بهم، فهو التناوش من بعيد، و هو أمر غير معقول! «أ فبمصارع آبائهم يفخرون» الأصل فى المصارع ما تهطل من الأغصان، و سقط على الأرض، و يقال لكلّ طريح، القتيل و غيره.

«أم بعيد الهلكى يتكاثرون» قال الشاعر فى افتخار بنى تغلب بعمر بن كلثوم و قصيدته:-

ص: ٢٢٣

١- ١) شرح ابن ميثم ٤: ٥٨ (٢١٢).

٢- ٢) شرح الخوئى ١٤: ٢١٤ (٢١٩).

٣- ٣) الصحاح: (خلا).

٤- ٤) الصحاح: (١) [نوش].

٥- ٥) سبأ: ٥٢. [٢]

٦- ٦) الصحاح: (٣) [نوش].

الهي بنى تغلب عن كل مكرمه قصيده قالها عمرو بن كلثوم

يفخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

(١) «يرتجعون منهم أجسادا خوت» لا- يبعد أن يكون (خوت) بالتشديد، من قولهم خوت النجوم إذا مالت للمغيب، أى: يرون ارتجاع أجساد مالت للمغيب و الانهدام و أميا (خوت) بالتخفيف فلا- مناسبة لها، ف قيل فى قوله تعالى: «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً» (٢) أى: خاليه و ساقطه.

«و حر كات سكتت» فى (الطبرى): هتف بالمنصور هاتف من قصره:

اما و ربّ الشكون و الحرك انّ المنايا كثيره الشرك

ما اختلف الليل و النهار و لا دارت نجوم السماء فى الفلك

الا لنقل السلطان من ملك إذا انقضى ملكه إلى ملك

حتى يصيرانه إلى ملك ما عز سلطانه بمشترك

ذاك بديع السماء و الأرض و المرسى الجبال المسخر الفلك

(٣) فقال: هذا و الله أو ان أجلى ! «و لأن يكونوا عبدا أحق من أن يكونوا مفتخرا» فى (صفيين نصر): مضى على عليه السلام نحو سباط حتى انتهى إلى مدينه بهر سير، و إذا رجل من أصحابه يتمثل بقول التميمي:-

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام أفلا قلت: «كم تركو من جنات و عُيون و زروع و مقام كريم و نعمه كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين فما»

ص: ٢٢٤

١- ١) الأغاني ٥٤: ١١. [١]

٢- ٢) النمل: ٥٢. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٣٤٦: ٦. [٣]

«عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْتَظِرِينَ» (١) إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا وَارْثِينَ، فَأَصْبَحُوا مَوْرُوثِينَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَشْكُرُوا النِّعْمَةَ فَسَلَبُوا دَنِيَاهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ.

إِيَّاكُمْ وَ كَفَرِ التَّعَمُّ لَا يَحِلُّ بِكُمْ التَّنَقُّمُ (٢).

«وَلَأَن يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَاتُ ذَٰلِكَ أَحَجَىٰ مِنْ أَن يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عَزَّةٍ» «يَهْبِطُوا» أَي: يَنْزِلُوا وَ الْجَنَابُ: فَنَاءُ الدَّارِ وَ أَحَجَىٰ، أَي: أَجْدَرُ وَ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فِي مَوْتِ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيِّ:

يَا عَيْنُ فَايَكِي لِلْوَلِيدِ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَهَا: لَا تَقُولِي هَكَذَا، وَ لَكِنْ قُولِي: «وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ» (٣).

«وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرِهِ جِهَالَهُ» الضَّرْبُ هُنَا بِمَعْنَى السَّبَاحَةِ، بِقَرِينَةِ الْغَمْرِ، وَ هُوَ شَدَّةُ مَاءِ الْبَحْرِ، كَقَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ: (كَأَنِّي ضَارِبٌ فِي غَمْرِهِ لَعِبٌ) (٤).

«لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ» الْأَعْشَى: الَّذِي لَا يَبْصُرُ بِاللَّيْلِ، وَ الْعَشْوَاءُ: النَّاقَةُ الَّتِي لَا تَبْصُرُ أَمَامَهَا فَهِيَ تَخْبِطُ بِيَدِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَ رَكِبَ فُلَانٌ الْعَشْوَةَ إِذَا خَبِطَ أَمْرُهُ عَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرِهِ جِهَالَهُ .

«وَ لَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تَلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ» فِي (الصَّحَاحِ): كَلَّ بَقَعَهُ بَيْنَ الدَّوْرِ وَاسِعِهِ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ عَرَصَهُ، وَ الْجَمْعُ الْعَرَصَاتُ،

ص: ٢٢٥

[١- ١] الدخان: ٢٥-٢٩. [١]

[٢- ٢] وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٢. [٢]

[٣- ٣] ق: ١٩.

[٤- ٤] لسان العرب ٣٩: ٨. [٣]

«لقلت ذهبوا في الأرض ضلّالا» من قوله تعالى: «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» (٢) أي: خفينا لا يعرف موضعنا، وقال ابن المعتز:

كأنّ خواتيما من الطين بينهم فليس لها حتى القيامة من فضّ

(٣) «و ذهبتم في أعقابهم جهّالا» الأعقاب: جمع العقب بكسر القاف، مؤخر القدم .

«تطئون في هامهم» من وطأ الشيء برجله، قال ابن أبي الحديد: أخذ أبو العلاء معنى كلامه عليه السلام فقال:

خفف الوطء ما أظنّ أديم الأرض إلّا من هذه الأجساد

ربّ لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تراحم الأضداد

و دفين على بقايا دفين من عهود الآباء و الأجداد

صاح هذى قبورنا تملأ الأرض فأين القبور من عهد عاد

سر إن اسطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رقاب العباد

(٤) «و تستبتون في أجسادهم» أي: تطلبون الإثبات في الزرع في أجسادهم و قال ابن أبي الحديد: و روى (و تستبتون) أي: تنصبون

الأشياء الثابتة كالعمد و الأساطين للأوطان في أجساد الموتى (٥).

«و ترتعون فيما لفظوا» من رعت الماشية: أكلت ما شاءت، و من لفظ الشيء من فمه: رماه، قال ابن أبي الحديد: يجوز أن يريد عليه

السلام أنّكم تأكلون ما

ص: ٢٢٤

١-١ (١) الصحاح: (عرض).

٢-٢ (٢) السجده: ١٠. [١]

٣-٣ (٣) ديوان ابن المعتز: ٢٩٢.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٨، [٢] كذلك جواهر الأدب: ٤٥٧.

٥-٥ (٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٨. [٣]

تركوه و أن يريد انكم تأكلون الفواكه التي تنبت في أجزاء ترابيه خالطها الصديد الجارى من أفواههم (١).

«و تسكنون ما خرّبوا» قيل: يجوز أن يريد عليه السلام في مساكن خرّبوها بترك العباده و ان يريد في مساكن أخلوها، و أطلق الخراب عليه مجازاً، و الثانى أقرب، و أنّما يطلق التخريب بترك العباده على بيت الآخره لا بيوت الدنيا.

«و إنّما الأيام بينكم و بينهم» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) (٢) و انما فى (ابن ميثم و الخطيه) (٣) «بينهم و بينكم».

«بواك و نوائح عليكم» فى خبر الحسن بن الجهم قلت للرضا عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عرف قاتله و الليله التي يقتل فيها، و قوله لَمَّا سمع صياح الأوزّ فى الدار: (صوائح تتبعها نوائح) (٤)... و فى (الطبرى): كان المهدي جالساً فى عليّه فى قصر بما سبدان يشرف من منظره فيها على سفله و كانت جاريته (حسنه) قد عمدت إلى كمثرتين كبيرتين فجعلتهما فى صينيّه و سمّت واحده منهما و هى أحسنهما و أنصجهما فى أسفلها، و ردّت القمع فيها و وضعتها فى أعلى الصينيّه، و كان المهدي يعجبه الكمثرى و أرسلت بذلك مع وصيفه لها جاريه المهدي يتخطّأها تريد بذلك قتلها! فمرّت الوصيفه بالصينيّه التي فيها تلك الكمثرى بحيث يراها المهدي من المنظره فلَمَّا رأى معها الكمثرى دعا بها، فمدّ يده إلى الكمثرى التي فى أعلى الصينيّه، فأكلها فلَمَّا وصلت إلى جوفه صرخ جوفى! و سمعت حسنه الصوت فجاءت تلمطم وجهها و تبكى و تقول:

أردت أن أنفرد بك فقتلتك، فهلك من يومه، فرجعت (حسنه) و أنّ على قبتها

ص: ٢٢٧

١-١ شرح ابن أبى الحديد ١١:١٤٧. [١]

٢-٢ الطبعة المصريه ٤٣٨ و شرح ابن أبى الحديد ١١:١٤٧. [٢]

٣-٣ شرح ابن ميثم كالمصريه ٣:٥٥، و الخطيه (كما ذكر): ٢١٤.

٤-٤ الكافي ١:٢٥٩ ح ٤. [٣]

المسوح فقال أبو العتاهيه فى ذلك:

رحن فى الوشى و أصبحن عليهنّ المسوح كلّ نطّاح من الدهر له يوم نطوح

لست بالباقى و لو عمرت ما عمّر نوح فعلى نفسك نح ان كنت لا بدّ تنوح

(١)و عن على بن يقطين قال: كنّا مع المهدي بما سبدان فأصبح يوما فقال:

إنّى أصبحت جائعا فأتى بأرغفه و لحم بارد مطبوخ فأكل منه، ثم قال: إنّى داخل البهو و نائم فيه فلا تتبهونى حتى أكون أنا الذى أنتبه و دخل البهو فنام، و نمنا نحن فى الدار فانتبهنا ببكائه فقمنا إليه مسرعين فقال: أما رأيتم ما رأيتم؟ قلنا ما رأينا شيئا، قال: وقف على الباب رجل لو كان فى مائه ألف ما خفى علىّ و أنشد:

كأنى بهذا القصر قد باد أهله و أوحش منه ربه و منازله

و صار عميد القوم من بعد بهجه و ملك إلى قبر عليه جنادله

فلم يبق إلاّ ذكره و حديثه تنادى عليه معولات حلاله

فما أتت عليه عشره حتى مات (٢).

«أولئك سلف غايتكم» فى (عيون القتيبي): سأل زياد رجلا بالبصره: أين منزلك؟ قال واسط، قال: مالك من الولد؟ قال: (تسعه)، فلمّا قام قيل لزياد:

كذبك فى كلّ ما سألته، ماله إلاّ ابن و منزله بالبصره، فلمّا عاد إليه قال له زياد:

قلت لى تسعه و منزلك بواسط؟ قال: نعم. قال: خبّرت بغير ذلك قال: صدقت و صدقوك، دفنت تسعه بنين فهم لى، ولى اليوم ابن واحد و لست أدرى أى يكون

ص: ٢٢٨

١- (١) تاريخ الطبرى ٣٩٣:٦، و [١] الشعر ورد فى الديوان: ٦٧.

٢- (٢) مروج الذهب للمسعودى ٣٢٣:٣. [٢]

لى أم لا؟ فإما منزلى فإلى جانب الجبان بين أهل الدنيا و أهل الآخرة، فأى منزل أوسط منه قال: صدقت و قال الشاعر:-

لا يبعد الله أقواما لنا ذهبوا أفناهم حدثان الدهر و الأمد

نمدّهم كلّ يوم من بقيتنا و لا يثوب إلينا منهم أحد

(١) هذا و فى الخبر: كان النبى صلّى الله عليه و آله إذا مرّ على القبور قال: السلام عليكم من ديار قوم مؤمنين، و أنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢).

«و فرّاط مناهلكم»، الفرّاط: جمع فارط، و الفارط: السابق إلى الماء، و المناهل: موارد الماء، و تسمّى المنازل التى فى المفاوز على طريق السفار مناهل لأنّ فيها الماء. هذا، و فى الخبر الصلاة على الأطفال: (اللهم اجعله لأبويه و لنا فرطا) (٣).

«الذين كانت لهم مقاوم العزّ» فى (الصحاح): المقوم: الخشب التى يمسكها الحرّاث (٤).

«و حلبات الفخر» فى (الصحاح): الحلبه- بالتسكين- خيل تجمع للسباق لا تخرج من اصطبل واحد، كما يقال للقوم إذا جاءوا للنصر من كلّ أوب، قد أحلبوا (٥).

«ملوكا و سوقا» السوق جمع السّوقه: الرّعيه، قال زهير: (نالا الملوك و بدّا هذه السّوقا) (٦). قالوا: مرّ الاسكندر بمدينه قد ملكها سبعة من بيت واحد

ص: ٢٢٩

١- ١) عيون الأخبار لابن قتيبه ٣: ٦٦. [١]

٢- ٢) الكافى ٣: ٢٢٩ ح ٧. [٢]

٣- ٣) الفقيه ١: ١٦٧ ح ٤٨٦.

٤- ٤) الصحاح: [٣] قوم).

٥- ٥) الصحاح: [٤] حلب).

٦- ٦) لسان العرب ٦: ٤٣٨. [٥]

و بادوا، فسأل: هل بقي من نسلهم أحد؟ قالوا: واحد يلزم المقابر، فدعا به فقال له: لم تلزم المقابر؟ قال أردت أن أميز عظام الملوك من عظام غيرهم فوجدتها سواء، قال: هل لك أن تلزمني حتى أنيلك بغيتك؟ قال: لو علمت أنك تقدر على ذلك للزمتك، قال: وما بغيتك؟ قال: حياه لا موت معها، قال: لن أقدر على ذلك، قال: فدعني أطلبه ممن يقدر عليه (١). وقالوا: لئما فتح خالد بن الوليد عين التمر، سأل عن بنت النعمان بن المنذر فدلّ عليها فأتاها - وكانت عمياء - فسألها عن حالها، فقالت: لقد طلعت علينا الشمس و ما شيء يدبّ تحت الخورنق إلاّ تحت أيدينا، ثم غربت و قد رحمنا كلّ من يدور به و ما بيت دخلته حبره إلاّ و دخلته عبره ثم قالت:

و بينا نسوس الناس و الأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقه نتصّف

فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّب تارات بنا و تصرّف

فقال قائل: قاتل الله عدى بن زيد! الكائن ينظر إليها حين يقول:

إن للدهر صرعه فاحذرنها لا تبيتنّ قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى و لقد كان آمنا مسرورا

(٢) و قال عدى بن زيد:

أين كسرى كسرى الملوك انوشروان، أم أين قبله سابور؟

و بنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

و اخو الخضر إذ بناه و إذ دجله تجبى إليه و الخابور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

شاده مرمرًا و جلّله كلسا فللطير في ذراه و كور

ص: ٢٣٠

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١١:١٥٨. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ١١:١٧٠. [٢]

و تبين ربّ الخورنق إذ أشرف يوماً و للهدى تفكير
سرّه حاله و كثره ما يملك و البحر معرضاً و السدير
فارعوى قلبه و قال فما غبطه حتى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح و الملك و الامر و ارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جفّ فألوت به الصبا و الدبور

(١) و قالوا: دخل ابن عباس على عبد الملك يوم قرء، و هو على فرش يكاد يغيب فيها، فقال: يا ابن عباس! إنني لأحسب اليوم بارداً
قال: أجل، و أنّ ابن هند عاش في مثل ما ترى، عشرين أميراً و عشرين ملكاً ثم هو ذاك على قبره ثمامه تهترّ، فيقال: إنّ عبد الملك
أرسل إلى قبر معاوية فوجد عليه ثمامه نابته (٢).

«سلخوا في بطون البرزخ سبيلاً» في (الصحاح): البرزخ: ما بين الدنيا و الآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات دخل البرزخ
(٣).

«سلطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم و شربت من دمائهم» لبعضهم:

و المنايا آكلات شاربات للأنام شبت يا هذا و ما ترك أخلاق غلام

و قالوا: قال الرضى:

و لقد مررت ببرزخ فسألته أين الأولى ضمّتهم أرجاؤه

مثل المطي بواركا أجداته يسفى على جنباتها بوغاؤه

ناديته فخفى على جوابه بالقول إلا ما زقت أصداؤه

من ناظر مطروقه الحاظه أو خاطر مطلوله سوداؤه

أو واجد مكظومه زفرائه أو حاقد منسيه شحناؤه

ص: ٢٣١

١-١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٩١:٣. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧٠:١١. [٢]

٣-٣) الصحاح: [٣] برزخ).

و مسندين على الجنوب كأنهم شرب تخازل بالطلّي أعضاؤه

تحت الصعيد لغير اشفاق إلى يوم القيامة يضمّمهم أحشاؤه

أكلتهم الأرض التي ولدتهم أكل الضّروس حلت له اوأوه

(١).

و قال الشاعر:

ربّ ركب قد أناخوا عندنا أكل الدّهر عليهم و شرب

«فأصبحوا في فجوات قبورهم» الفجوه:الفرجه و المتّسع بين الشّيين، و فجوه الدار:ساحتها.

«جمادا لا- ينمون» و الجماد كما لا- ينمو، لا- ينقص و لكنّهم ينقصون، و في (الكافي) عن عمّار الساباطي:سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الميّت يبلى جسده قال:

نعم، حتّى لا- يبقى لحم و لا عظم إلّا طينته التي خلق منها فإنّها لا تبلى تبقى في القبر مستديره حتّى يخلق منها كما خلق أوّل مرّه (٢)، قال ابن أبي الحديد:

و روى «لا ينمون» من النميمه، و هي الهمس و الحركة (٣).

«و ضمّارا لا يوجدون» في (الجمهره):الضمّار:خلاف العيان، و المراد أنّهم مستورون في القبور و لا يوجدون ظاهر أبدا كالأحياء الذين قد يكونون مستورين ثم يوجدون ظاهرين (٤)، هذا و قال (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي):كلّ ما لا يرجى من الدين، و كلّ ما لا تكون منه على ثقّه يقال له الضّمار، و هو كما ترى فلا مناسبه له هنا (٥).

«لا يفزعهم ورود الأهوال» من تسلّط عدوّ أو حدوث قحط أو بروز مرض

ص:٢٣٢

١- ١) ديوان الشريف الرضى ١:٣٢-٣٣، و [١] ذكره الخوئي في شرحه في ١٤:٢٠٩ ح ٢١٩.

٢- ٢) الكافي ٣:٢٥١ ح ٧. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١١:١٥. [٣]

٤- ٤) الجمهره لابن دريد ٢:٧٥ (ر ض م).

٥- ٥) شرح ابن أبي الحديد ١١:١٥٠ و [٤] شرح ابن ميثم ٤:٥٩ (٢١٢) و [٥] الخوئي ١٤:٢٠٩ (اللغه).

أو غيرها من أهوال الدنيا.

«و لا يحزنهم تنكر الأحوال» كما يحزن أهل الدنيا به قال الأعشى:

و أنكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

(١) «و لا يحفلون بالرواجف» أى: لا يباليون بالزلزال.

«و لا يأذنون» أى: لا يستمعون، و الأصل فيه عمل الاذان عملها.

«للقواصف» أى: الشدائد من ريح قاصف: شديده الهبوب، و رعد قاصف: شديد الصوت.

«غيبا لا ينتظرون» و كل غائب يؤب و غائب الموت لا يؤب

و فى المثل: (حتى يؤب القارطان) (٢) قال أبو ذؤيب:

و حتى يؤب القارطان كلاهما و ينشر فى القتلى كليب لوائل

(٣) القارظ: ورق السلم يدبغ فيه، و القارظ: الذى يجتنيه، قالوا: فخرج رجلا من عنزه فى طلبه فلم يرجعا فضرب بهما المثل، و قال بعضهم لابنته عند الموت:

فرجى الخير و انتظرى إيابى إذا ما القارظ العنزى آبا

(٤) و قال سراقه فى لبيد:

و تم إياب القارظين و ذى البرد

و كان المثلم قتل رجلا من الخوارج، و كان يتجر فى اللقاح، فدسوا له من قال له: فهل لك فى لقحه كذا و كذا، فأخذه إلى دورهم فقتلوه فقال أبو الأسود:

ص: ٢٣٣

١-١ ديوان الأعشى: ١٠٤.

٢-٢ (٢) للعنزى كما ذكر ابن منظور فى لسان العرب ١٤: ٨٦. [١]

٣-٣ (٣) لسان العرب ١١: ١١٧. [٢]

٤-٤ (٤) لسان العرب ١١: ١١٨ و [٣] هو لبشر.

و آليت لا أسعى إلى ربّ لقحه أساومها حتى يثوب المثلم

«و شهودا لا يحضرون» عن النابغه:

حسب الخليلين أنّ الأرض بينهما هذا عليها و هذا تحتها بالي

(١) و للبحترى:

هجود لم يسئل بهم حفى و لم تقلب لضجعتهم جنوب

(٢) و لمطيع بن اياس فى صاحبه يحيى بن زياد:

و ارى عينى مذ غاب يحيى بدلت من نومها بالسهاد

و سدته الكفّ منى ترابا و لقد أرثى له من و ساد

بين جيران أقاموا صموتا لا يحIRON جواب المنادى

(٣) «و إنّما كانوا جميعا فتشتتوا و الأفا فاقترقوا» فى (معارف القتيبي): قال أبو صالح صاحب التفسير: ما رأينا بنى آدم قطّ أبعد قبورا

من بنى العباس لأمّ الفضل - مات الفضل بالشّام و عبد الله بالطائف و عبيد الله بالمدينه و قثم بسمرقند و معبد بأفريقيه (٤) -، و قال الخوئى: قال الشاعر:

و كنا باجتماع كالثريا ففرقنا الزمان بنات نعش

(٥) «و ما عن طول عهدهم و لا - بعد محلهم عميت أخبارهم» كما يتفق للأحياء تعمى أخبارهم، إمّا عن طول عهدهم و إمّا عن

بعد محلهم، قا متمم بن نويرة فى أخيه مالك:

و كنا كندمانى جذيمه حقه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ص: ٢٣٤

١- ١) ديوان النابغه الديقانى: ٢٠٦.

٢- ٢) ديوان البحترى و هو يرثى غلامه قيصر ٢: ٨٠.

٣- ٣) الأغانى ١٣: ٢٩٨. [١]

٤- ٤) المعارف لابن قتيبه: ١٢٢. [٢]

٥- ٥) الخوئى ١٤: ٢١٩.

فلَمَّا تفرَّقنا كَأَنِّي و مالكا لَطول اجتماع لم نبت ليله معا

(١) «و صمّت ديارهم» صمم الديار مجاز، كعمى الأخبار، في (إرشاد المفيد):

لَمَّا مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمه بنت الحسين عليه السلام على قبره فسطاطا و كانت تقوم الليل و تصوم النهار، فلَمَّا كان رأس السنّه قالت لمواليها: إذا أظلم الليل قوّضوا هذا الفسطاط، فلَمَّا أظلم الليل سمعت قائلا يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا (٢).

«و لكنّهم سقوا كأسا» قيل لا تسمّى الكأس كأسا إلا و فيها الشراب، و قال الشاعر:

من لم يمت عبطه يمت هرما للموت كأس و المرء ذاتقها

(٣) و قالوا بالفارسيه:

رهائي نيست كس را از اين جام و از اين مي

«بدلتهم بالتطوق خرسا» و لنعم ما قيل بالفارسيه:

در اين قفس كه بصحراش داده ره صياد خموشي است چرا طوطي شكر خارا

و قال البحتری:

ضجيع مسندين بكفر توئي خفوت مثل ما خفت الشروب

(٤) «و بالسّمع صمما و بالحركات سكونا» في المروج: تكلم ثلاثون فيلسوفا في موت الإسكندر... إلى أن قال: و قال أحدهم: ربّ

حريص على سكوتك إذ لا تسكت، و هو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلم، و قال آخر: إنّ الذي كانت

ص: ٢٣٥

١-١ (١) الأغاني ٣٠٨: ١٥. [١]

٢-٢ (٢) الإرشاد للمفيد ٢٢: ٢. [٢]

٣-٣ (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٩٠: ٥ و [٣] الشاعر هو اميه بن أبي الصلت.

٤-٤ (٤) ديوان البحتری ٨٠: ٢ يمدح غلامه قيصر.

الآذان تنصت له قد سكت، فليتكلم الآن كل ساكت، وقال آخر: هذا الذى دار كثيرا و الآن يقتر طويلا (١)، و فى (عيون القتيبي): كان مالك بن دينار يخرج كل خميس إلى القبور و يقول:

ألا حى القبور و من بهنّه و جوه فى القبور أحبهنّه

فلو أنّ القبور سمعن صوتى اذا لأجبننى من وجدهنّه

و لكن القبور صمتن عنى فأبت بحسره من عندهنّه

(٢) «فكأنهم فى ارتجال الصفة» ارتجال الشىء: ابتداءه من غير تهيئه.

«صرعى سبات» صرعى جمع صريع: المطروح على الأرض، و السبات (بالضمّ): النوم أو خفيّه، أو ابتداءه فى الرأس حتى يبلغ القلب، قال ابن أبى الحديد: قال الرضى فى هذا المعنى:

مغف و ليس للذّه اغفاؤه مغض و ليس لفكره إغضاؤه

(٣) «جيران لا- يتآسون و أحبّاء لا يتزاورون» فى (فصول ابن الصبّاغ المالكي) عن جابر الأنصارى قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فلتىّا هممت ان أقوم قال: أنا معك فلبس نعليه و ألقى ازاره على منكبيه، و خرجنا فذهب بنا إلى الجبانه، فسلم على أهل القبور، فسمعت ضجّه و هجّه و هدّه فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين! فقال: هؤلاء بالأمس كانوا معنا و اليوم فارقونا، إن تسأل عن أحوالهم فهم اخوان لا- يتزاورون و أوداء لا- يتعاودون. ثم خلع نعليه و حسر عن ذراعيه، و قال: يا جابر! اعطوا من دنياكم الفانيه لآخرتكم الباقيه، و من حياتكم لموتكم، و من صحتكم لسقمكم، و من غناكم لفقركم، اليوم أنتم فى

ص: ٢٣٦

[١- ١] مروج الذهب للمسعودى ٣٢٠: ١. [١]

[٢- ٢] ابن قتيبه، عيون الأخبار ٣٠٤: ٢. [٢]

[٣- ٣] شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٥٠. [٣]

الدور، و غدا في القبور، ثم أنشأ يقول:

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس
و لم يشربوا من بارد الماء شربه و لم يأكلوا ما بين رطب و يابس
الا فاخبروني أين قبر ذليلكم و قبر العزيز الباذخ المتنافس
(١) و لبعضهم:

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى دير هند كيف خطت مقابره
ترى عجا بما قضى الله فيهم رهائن حتف أوجبه مقادره
بيوت ترى أفعالها فوق أهلها و مجمع زور لا يكلم زائره

(٢) «بليت بينهم عرى التعارف» «بليت» بالكسر: صارت باليه، و العرى: جمع العروه، و تعارفوا: عرف بعضهم بعضا.

«و انقطعت منهم أسباب الاخاء» الإخاء مصدر و اخاه، كالمواخاه، و في (الصحاح): أكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء و الإخوه
في الولاده (٣) - عن المدائني: لم يكن الحجاج يظهر بشاشه لندمائه إلا يوما دخلت عليه ليلي الأخيلية فقال لها: بلغني أنك مررت
بقبر توبه و عدلت عنه، فو الله ما وفيت له، و لو كان هو بمكانك ما عدل عنك، قالت: أصلح الله الأمير! كان معي نسوه سمعن
قوله في:

و لو ان ليلي الأخيلية سلمت علي و دوني جندل و صفائح

لسلمت تسليم البشاشه أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فكرهت أن أكذبه، فاستحسن قولها و قضى حوائجها، و لم تر منه

ص: ٢٣٧

١- (١) ابن الصباغ، الفصول المهمه: ١٢٠-١٢١. [١]

٢- (٢) لم نعثر على قائله.

٣- (٣) الصحاح: (و [٢] خى). و يقول انها لغه ضعيفه في آخاه.

بشاشه مثل ذلك اليوم (١).

«فكلهم وحيد و هم جميع» قال ابن أبي الحديد: قال الرضى:

ضربوا بمدرجه الفناء قبابهم من غير اطناب و لا أوتاد

ركب أناخوا لا يرجى منهم قصد لاتهم و لا انجاد

كرهوا النزول فأنزلتهم رفعه للدهر نازله بكل مفاد

فتهافتوا عن رحل كل مذلل و تطاوحوا عن سرج كل جواد

بادون فى صور الجميع و أنهم متفردون تفرد الاحاد

(٢) «و بجانب الهجر و هم أخلاء» قال الشاعر:

هم جيره الأحياء إما جوارهم فدان و إما الملتقى فبعيد

(٣) هذا و فى (معارف القتيبي) فى عنوان المتهاجرين: سعد كان مهاجرا لعميار حتى هلكا، و عايشه كانت مهاجرة لحفصه حتى

ماتتا، و عثمان كان مهاجرا لعبد الرحمن حتى ماتا، و طاوس كان مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا، و سعد بن المسيب كان مهاجرا

لأبيه حتى ماتا، و جرى بين الحسن و ابن سيرين شىء فمات الحسن و لم يشهد ابن سيرين جنازته، و كان الثورى يتعلم من ابن

أبى ليلى فمات و لم يشهد الثورى جنازته (٤).

«لا يتعارفون لليل صباحا و لا لنهار مساء» قال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

لابد من يوم بلا ليله أو ليله تأتى بلا يوم

(٥) هذا و فى (مقاتل أبى الفرج): (حبس المنصور عبد الله بن الحسن المثنى

ص: ٢٣٨

١- (١) مروج الذهب للمسعودى ١٤٠: ٣. [١]

٢- (٢) ابن أبى الحديد ١١: ١٥٠ [٢] كذلك ديوان الرضى ٣٨٢: ١-٣٨٣.

٣- (٣) العقد الفريد ٤: ٢٢٦. [٣]

٤- (٤) المعارف لابن قتيبه: ٥٥. [٤]

٥- (٥) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٥٦. [٥]

و اخوته بحبس ستين ليله، ما يدرون بالليل و لا بالنهار، و لا يعرفون وقت الصلاه إلا بتسييح علي بن الحسن المثنى. قال موسى بن عبد الله: حبسنا فى المطبق فما كنا نعرف أوقات الصلاه إلا باجزاء يقرؤها علي بن الحسن (١).

«أبى الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمد» ظعنوا أى: ساروا و الجديدين:

اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ السَّرْمَدِ: الدَّائِمِ، وَ لَيْسَ لِيَوْمِهِمْ غَدٌ وَ لَا لِعَامِهِمْ قَابِلٌ، قَالَ الْبَحْتَرِيُّ:

و للمرء يوم لا محاله ما له غد وسط عام ماله الدهر قابل

(٢) «شاهدوا من أخطار دارهم أفضح ممّا خافوا» «وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» (٣).

«و رأوا من آياتها أعظم ممّا قدّروا» قال ابن أبى الحديد و تبعه الخوئى أى:

رأى المتّقون من آثار الفضل و الرحمه، و علامات الثواب و الكرامه، أعظم ممّا كانوا يقدرونها بحسبانهم (٤) كما قال تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٥) و قال عليه السلام فى الخطبه له: «و كلّ شىء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه و كلّ شىء من الآخره عيانه أعظم من سماعه» (٦) قلت لم يعلم إرادته ما قالها، لأنّ سياق الكلام فى شدائد الآخره و ليس قبله ذكر مجرم و مؤمن حتى يكون قوله: (شاهدوا) للمجرمين و قوله: (و رأوا) للمؤمنين فالصّواب: أنّ المراد به كالأول النَّاسَ مطلقاً، و المعنى: أنّهم رأوا من

ص: ٢٣٩

١- ١) مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني: ١٣١. [١]

٢- ٢) ديوان البحتري ٥٤: ٢ يرثى أبا سعيد.

٣- ٣) الزمر: ٤٧. [٢]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٥١، [٣] الخوئى ١٤: ٢٢٨ ح ٢١٩.

٥- ٥) السجده: ١٧. [٤]

٦- ٦) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٢٥١. [٥]

آيات جبروته في دار الآخرة أعظم مما قدرُوا و فكروا في دار الدنيا.

«فكلتا الغائتين» أي: النار و الجنة.

«مدّت لهم إلى مباءه» في (الصحيح): و المباءه: منزل القوم في كلّ موضع (١).

«فأتت مبالغ الخوف و الرجاء» الجملة وصف لقوله: «مباءه» أي: منزله كلّ من أهل النار و الجنة منزله لا يبلغها درجات الخوف و الرجاء، قال تعالى:

«و سَبِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَ سَبِقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» (٢).

«فلو كانوا ينطقون بها» أي: بتلك «المباءه».

«لعيوا بصفه ما شاهدوا و ما عاينوا» و العيّ خلاف البيان و يجوز في (عيو) التخفيف و التشديد و كيف لا يعيون عن صفه ما شاهدوا من عذاب لا تقوم له السماوات و الأرض و ثواب لا رأت عين مثله و لا سمعت اذن و لا خطر على قلب .

«و لئن عميت آثارهم و انقطعت أخبارهم و لقد رجعت فيهم أبصار العبر و سمعت عنهم آذان العقول» في (الأغانى): قال ابن الكلبي: خرج النعمان بن

ص: ٢٤٠

١- ١) الصحيح: [١] مادّه (باء).

٢- ٢) الزمر: ٧١-٧٤. [٢]

المنذر إلى الصيد و معه عدى بن زيد فمرّ بشجره فقال له عدى: أيها الملك، أ تدرى ما تقول هذه الشجره؟ قال: لا. قال: تقول:

ربّ ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا و كذاك الدهر حال بعد حال

ثم جاوزا الشجره فمرّا بمقبره فقال له عدى: أيها الملك، أ تدرى ما تقول هذه المقبره قال: لا. قال: تقول:

أيها الركب المخبون على الأرض المجدون

فكما أنتم كنا و كما نحن تكونون

فقال: إنّ الشجره و المقبره لا- تتكلمان، و قد علمت أنّك أنّما أردت عطيتي، فما السبيل التي تدرك بها النجاه؟ قال: تدع عباده

الأوثان و تعبد الله و تدين بدين المسيح، فتنصّر يومئذ (١)، و فى (عيون القتيبي): قال مالك بن دينار:

أتيت القبور فناديتهنّ أين المعظمّ و المحتقر؟

و أين المدلّ بسلطانه و أين المزكى إذا ما افتخر؟

فوديت من بينها و لا أرى أحدا تفانوا جميعا فما مخبر

و ماتوا جميعا و مات الخبر تروح و تغدو بنات الثرى

و تمحى محاسن تلك الصور فيا سائلى عن اناس مضوا

أما لك فى ما مضى معتبر

(٢) «و تكلموا من غير جهات النطق» فى (العيون): قال الحارثى فى ميّت:

أتيناه زوّارا فأنجدنا قري من البثّ و الداء الدّخيل المخامر

ص: ٢٤١

١- (١) الأغاني ٢: ٩٦. [١]

٢- (٢) عيون الأخبار لابن قتيبه ٣: ٣٠٣ و ٢: ٣٠٢. [٢]

و أوسعنا علما بردّ جوابنا فأعجب به من ناطق لم يحاور

(١) «فقالوا كلحت الوجوه النواضر» في (عيون القتيبي): قال محمد بن كعب:

نظرت إلى عمر بن عبد العزيز فأدمت النظر فقال: ما تنظر؟ قلت ما أبيض من شعرك، و نحل من جسمك، و تغير من لونك! فقال: أما والله، لو رأيتني في القبر بعد ثلثه، و قد سألت حدقتاي على و جنتي، و سال منخرای صديدا و دودا، لكنت أشد نكره (٢).

في (الجمهره): كلح إذا تقلصت شفتاه من الكرب (٣) و في (الصحاح):

(النضرة الحسن و الزونق يقال: نضّر وجهه و نضّر الله وجهه) يتعدّى و لا يتعدّى (٤).

«و خوت الأجسام» هكذا في (المصريه) و نسخه (ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم و الخطيه) (٥) «الأجساد».

«التواعم» في (الصحاح): خوت النجوم: أمحلت و ذلك إذا سقطت و لم تمطر في نوائها، و خوت النجوم إذا مالت للمغيب (٦) و نعم الشئء (بالضم) نعومه: صار ناعما لئنا.

في (الطبري): لَمَّا أعرس سابور بن أردشير بالنضيره ابنه الضّيزن ملك الجزيره بعد ظفره بأبيها ذكروا أنّه لم تزل ليلتها تضور من خشونه

ص: ٢٤٢

١-١ (١) المصدر نفسه ١٨١:٢. [١]

٢-٢ (٢) لم نعثر عليه في عيون الأخبار [٢] لكنّه موجود في البيان و التبيين للجاحظ ٣٥:٢. [٣]

٣-٣ (٣) الجمهره: ٥٦٣ (٤) كلح).

٤-٤ (٤) الصحاح: (٥) نضّر).

٥-٥ (٥) المصريه المصححه بلفظ (الأجساد): ٤٨٥، و شرح ابن أبي الحديد ١٦٥:١١، و شرح ابن ميثم بلفظ (الأجسام) ٤: ٢٧، و الخطيه: ٢١٥.

٦-٦ (٦) الصحاح: (٦) خوا).

فرشها و هي من حرير محشوّه بالقزّ، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا ورقه آس ملتزقه بعنكه من عكنها قد أثرت فيها-و كان ينظر إلى مَخّها من لين بشرتها- فقال لها سابور: ويحك! بأى شيء كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالزبد و المسخّ و شهد الابكار من النحل و صفو الخمر (١)...

«و لبسنا أهدام البلى» الأهدام جمع هدم بالكسر: الثوب البالى، و بلى الميّت: أفتته الأرض.

«و تكأدنا ضيق المضجع»، فى (الصحيح): تكأدنى و تكأدنى أى: شقّ علىّ (٢).

«و توارثنا الوحشه» فى (المروج) عن المبرّد سعى بأبى الحسن على بن محمد عليه السلام إلى المتوكّل، و قيل له: إنّ فى منزله سلاحا و كتبنا من شيعته، فوجه إليه ليلا- من الأ-تراك و غيرهم من هجم عليه فى منزله على غفله ممّن فى داره، فوجد فى بيت وحده مغلق عليه، و عليه مدرعه من شعر، و لا بساط فى البيت إلا الرمل و الحصى، و على رأسه ملحفه من الصوف متوجّها إلى ربّه يترنّم بآيات من القرآن فى الوعد و الوعيد، فأخذ على ما وجد عليه، و حمل إلى المتوكّل فى جوف الليل فمثل بين يديه و المتوكّل يشرب و فى يده كأس، فلمّا رآه أعظمه و أجلسه إلى جنبه، و قالوا له: لم يكن فى منزله شيء ممّا قيل فيه، و لا حاله يتعلّل عليه بها فناوله المتوكّل الكأس الذى فى يده، فقال عليه السلام: ما خامر لحمى و دمي قطّ فاعفنى، فعافاه و قال: أنشدنى شعرا استحسنته! فقال عليه السلام: إننى لقليل الروايه للأشعار، فقال: لا بدّ أن تنشدىنى، فأنشده:

باتوا على قلل الأجمال تحرسهم غلب الرّجال فما أغنتهم القلل

ص: ٢٤٣

١- (١) الطبرى ٤٨٥: ١. [١]

٢- (٢) الصحيح (كاد).

و استنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرّه و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت منعمه من دونها تضرب الأستار و الكلل؟

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمّروا دارا لتحصنهم ففارقوا الدّار و الأهلين و انتقلوا

و طالما كنزوا الأموال و ادّخروا فخلّفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحّت منازلهم قفرا معظّله و ساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

(١)فو الله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلّت دموعه لحيته و بكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ...

«و تهكمت علينا» نقله ابن أبي الحديد (٢)«و تهدّمت علينا» و جعل «تهكّمت»روايه و كيف كان فهما بمعنى، و أمّا في (المصريه):«و تهكعت» فغلط و«تهكّمت»في (ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«الرّبوع الصّيموت» الرّبوع جمع الرّبّع:الدار و«الصّيموت»:السكوت، و الديار الصامته:القبور،و لنعم ما قيل بالفارسيه:عاقبت منزل ما وادي خاموشان است.

«فانمحت محاسن أجسادنا و تنكّرت معارف صورنا» معارف جمع معرف أي:الوجه و ما يظهر من البدن.

«و طالت في مساكن الوحشه إقامتنا» في (الكافي):وقف أبو جعفر عليه السلام

ص:٢٤٤

١-١) مروج الذهب للمسعودي ٤:١١. [١]

٢-٢) ابن أبي الحديد ١١:١٥١. [٢]

٣-٣) المصريه المصححه (تهكمت):٤٨٥، و شرح ابن ميثم ٤:٥٧ [٣] مع (و) و النسخه الخطيه:٢١٥.

على قبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة بالبقيع فقال: «اللهم ارحم غربته، و صل وحدته و آنس وحشته، و اسكن إليه من رحمتك ما يستغنى به عن رحمه من سواك، و ألحقه بمن كان يتولاه» (١).

«و لم نجد من كرب فرجا» الكرب بالسكون: الغم الذي يأخذ بالنفس.

«و لا من ضيق متسعا» «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» (٢).

«فلو مثلتهم بعقلك أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك» فى الكافى عن النبى صلى الله عليه و آله قال: إنى كنت انظر إلى الإبل و الغنم و أنا أرهاها- و ليس من نبى إلا و قد رعى الغنم- كنت أنظر إليها قبل النبوه و هى متمكنة ما حولها بشىء يهيجها حتى تذعر فتطير فأقول: ما هذا؟ و أعجب حتى حدثنى جبرئيل أن الكافر يضرب ضربه ما خلق الله شيئا إلا سمعها و يذعر لها إلا الثقلين! قلنا ذلك لضربه الكافر (٣). و عن السجاد عليه السلام: ما ندرى كيف نصنع بالناس! إن حدّثناهم بما سمعنا من النبى صلى الله عليه و آله ضحكوا، و إن سكتنا لم يسعنا، فقال ضمرة بن معبد: حدّثنا فقال: هل تدرون ما يقول عدو الله إذا حمل على سريره، يقول لحملته: أشكوا إليكم عدوًا خدعنى و أوردنى ثم لم يصدرنى، و أشكوا إليكم أولادًا حاميت عنهم فخذلونى، و أشكوا إليكم دارا انفقت فيها حريبتى فصار سكانها غيرى، فارقوا بى و لا تستعجلوا! فقال ضمرة: ان كان هذا يتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق الذين يحملونه فقال عليه السلام: اللهم ان كان ضمرة هزأ من حديث رسولك فخذة أخذ اسف- فمكث أربعين يوما ثم

ص: ٢٤٥

١- (١) الكافى ٣: ٢٣٣ ح ١. [١]

٢- (٢) الزمر: ٥٦. [٢]

٣- (٣) الكافى ٣: ٢٢٩ ح ٦. [٣]

مات، فحضره مولى له فلما دفن أتى على بن الحسين عليهما السلام فقال له: من أين جئت؟ قال: من جنازه ضممه وضعت وجهي عليه حين سؤى عليه، فسمعت صوته، أعرفه والله كما كنت أعرفه وهو حيّ! يقول: ويلك يا ضممه! خذلك اليوم كل خليل، و صار في الجحيم مسكنك، والمقيل، فقال عليه السلام: هذا جزء من يهزأ من حديث الرسول صلى الله عليه وآله (١).

«وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام» قال ابن أبي الحديد: ليس معنى «ارتسخت» ثبتت كما زعم الراوندى لأنّ الأسماع لم تثبت وإنما تثبت الهوام فيها، بل الصحيح أنه من رسخ الغدير إذا نشّ ماؤه ونضب، ويقال: ارتسخت الأرض بالمطر إذا ابتلعت (٢).

قلت: لا بدّ أنّ الراوندى ذكر معنى مجرد ارتسخ لأن معنى الباب معلوم، وحينئذ فيعلم أنّ المراد تثبتت أسماعهم بالهوام ولا يرد عليه شيء والأصل في استعماله أيضا الثبوت وهذا و يحتمل أن يكون «ارتسخت» مصحّف (أتسخت) من الوسخ بمناسبة قوله بعد «و اکتحلت أبصارهم بالتراب» و تكون (الزء) حدثت من كسره الهمزة و الهوام: جمع الهامة: المخوف من الأحناش.

«فأستكت» أى: صمّت قال النابغة: (و تلك التي تستكّ منه المسامع) وقال عبيد بن الأبرس: (دعا معاشر فاستكتّ مسامعهم) (٣) «و اکتحلت أبصارهم بالتراب فخشفت» فى (العيون): (مرّ داود الطائي بأمرأه تبكى عند قبر، و تقول: (يا أخاه ليت شعرى بأى خديك تبدى، البلى و أى عينيك اذن سالت)، فصعق داود بمكانه و تعبد (٤).

ص: ٢٤٦

١- ١) الكافي ٣: ٢٣٤ ح ٤. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٢. [٢]

٣- ٣) لسان العرب ٦: ٣٠٩. [٣]

٤- ٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٠٢. [٤]

«و تقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها» في (تاريخ يعقوبي): بعد ذكر قتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين و حز رأسه، فلما فور جاءه هز، فأخذ لسانه (١).

«و همدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها» الهمده: السكته، و همدت النار:

طففت، و همد الثوب: بلى. قال بعضهم في وصف عضد الدولة: من رآه رأى رجلا في صدره ألف قلب (٢).

«و عاث في كل جارحه منهم جديد بلى» العيث: الإفساد، و الجارحه: العضو، و قوله: «جديد بلى» لا يخلو من لطف، و قال ابن أبي الحديد: أخذها الشاعر فقال:

يا دار غادرني جديد بلاك رث الجديد فهل رثيت لذاك!

(٣) «سمجها» أي: قبحها، في (الطبري) في موت المنصور في طريق مكة، قال: فحملناه حتى أتينا به ثلاثة أميال من مكة، فكأنني أنظر إليه، أدنو من قائمه سريره نحملة، فتحرك الريح فتطير شعر صدغيه (٤).

«و سهل طرق الآفه إليها مستلمات» قال ابن أبي الحديد: قال ابن نباته:

(فلو كشفتهم عنهم أعطيه الأجداث بعد ليلتين أو ثلاث وجدتم الأحداق على الخدود سائله و الألوان من ضيق اللحود حائله، و هو أم الأرض في نواعم الأبدان جائله و الرؤوس الموسده على الايمان زائله، ينكرها من كان لها عارفا و يفتر عنها من لم يزل لها الفا (٥).

ص: ٢٤٧

١-١ (١) تاريخ يعقوبي ٢:٣٤٦. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢:٤١. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١:١٦٢. [٣]

٤-٤ (٤) تاريخ الطبري ٦:٣٤٩. [٤]

٥-٥ (٥) شرح ابن أبي الحديد ١١:١٦٢. [٥]

«فلا أيد تدفع و لا قلوب تجزع» قال المتنبي:

و مغض كان لا يغضى لخطب و بال لا يفكر بالهزال

(١) و في (تاريخ بغداد): قال محمد الواثقى: كنت أنا و جماعه من الموالى و الأولياء و الخدم بين يدي الواثق فى علته التى مات فيها، إذ لحقه غشيه فما شككنا أنه مات، فقال بعضنا لبعض: تقدّموا فاعرفوا خبره فما جسر أحد منهم يتقدّم! فتقدّمت أنا فلما صرت عند رأسه، و أردت أن أضع يدي على أنفه، اعتبر نفسه لحقته إفاقه، ففتح عينيه فكادت أموت فزعا من أن يرانى قد مشيت فى مجلسه إلى غير رتبتي، فتراجعت إلى خلف و تعلّقت قبيعه سيفى بعته المجلس، و عثرت به، فأتكأت عليه فاندق سيفى، و كاد أن يدخل فى لحمى و يجرحنى، و خرجت فاستدعيت سيفاً و منطقته، فلبستها و جئت حتّى وقفت فى مرتبتي ساعه فتلف الواثق تلفاً لم نشكّ فيه، فتقدّمت فشددت لحييه و غمّضته و سجّيته و وجهته إلى القبله، و جاء الفزاشون فأخذوا ما تحته فى المجلس ليردّوه الخزان، لأن جميعه مثبت عليهم و ترك وحده فى البيت! و قال لى ابن أبى دؤاد القاضى: إننا نريد أن نتشاغل بعقد البيعه، و لا بدّ أن يكون أحد يحفظ الميّت، و أحبّ أن أكون لأننى كنت من أخصّيهم به فى حياته، اصطنعنى حتّى لقبنى الواثقى باسمه، فقلت: دعونى و امضوا فرددت باب المجلس، و جلست فى الصحن عند الباب أحفظه، و كان المجلس فى بستان عظيم أجرديّه، و هو بين بساتين، فحسست بعد ساعه فى البيت بحركه أفرعتنى، فدخلت فإذا بجرذون من دوابّ البستان قد جاء حتّى استلّ عين الواثق فأكلها فقلت سبحان الله، العين التى فتحها منذ ساعه، فاندق سيفى هيبه لها، صارت

ص: ٢٤٨

(١ - ١) ديوان المتنبي ٣: ١٥.

«لرأيت أشجان قلوب» أشجان جمع شجن بفتحيتين أى: الحزن.

«و أقذاء عيون» قذى العين: ما يسقط فيها، ثم إنّه و ان كان لو مثّلم بعقله عرض له ما ينغص عليه لذائذ الدنيا كما قال عليه السلام
إلاّ إنّه يهون ذلك هموم الدنيا أيضا، و فى (الكافى) عن أبى بصير شكّا إلى الصادق عليه السلام و سواس الدنيا فقال عليه السلام
له: أذكر تقطّع أو صالك فى قبرك، و رجوع أحبائك عنك إذا دفنوك فى حفرتك، و خروج بنات الماء من منخريك، و أكل
الدود لحملك، فإنّ ذلك يسلى عنك ما أنت فيه، قال أبو بصير فما ذكرته إلاّ سلا عنى ما أنا فيه من هم الدنيا (٢).

«لهم من كلّ فظاعه صفه حال لا تنتقل» الظاهر أنّ فظاعه مضافه إلى «صفه» و حال مبتدأ لقوله «لهم» بقرينه قوله بعد.
«و غمره لا تنجلي» و الغمره: الشده .

«و كم أكلت الأرض من عزيز جسد و أنيق لون» شىء أنيق أى: حسن معجب.

«كان فى الدنيا غذى ترف» غذى فعيل من (غذوت) بمعنى المفعول.

«و ريب شرف» كأولاد الملوك و الامراء، و فى (بلدان الحموى):

عن عبد الله بن مالك الخزاعى - دخلت مع يحيى بن خالد لما خرجنا مع الرّشيد إلى الحيره و قد قصدناها لنتنزه بها، و نرى آثار
المنذر، فدخل دير هند الأصغر فرأى آثار قبر النعمان و قبرها إلى جنبه ثمّ خرج إلى دير هند الكبرى و هو على طرف النجف
فرأى فى جانب حائطه شيئا مكتوبا فدعا

ص: ٢٤٩

١- ١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤:٩ [١] فى ترجمه (هارون بن محمد).

٢- ٢) الكافي ٣:٢٥٥ ح ٢٠. [٢]

بسّلم و أمر بقراءته و فيه:

انّ بنى المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعه الزّاهب

تنفح بالمسك ذفاريهم و عنبر يقطبه القاطب

و القزّ و الكتّان أثوابهم لم يجب الصوف لهم جائب

و العزّ و الملك لهم راهن و قهوه ناجودها ساكب

أضحوا و ما يرجوهم طالب خيرا و لا يرهيبهم راهب

كأنهم كانوا بها لعبه سار إلى أين بها الزّاكب

فأصبحوا فى طبقات الثرى بعد نعيم لهم راتب

شرّ البقايا من بقى بعدهم قلّ و ذلّ جدّه خائب

قال: فبكى حتى جرت دموعه على لحيته و قال: نعم! هذا سبيل الدّنيا و أهلها (1)، و فى (طرائف الثعالبي): «اعجوبه فى هلاك تسعه أملاك، متناسقين فى مدّه سنتين ٣٨٧ و ٣٨٨ و فيهم قال المؤلّف:

ألم تر مذ عامين أملاك عصرنا يصيح بهم للموت و القتل صائح

فنوح بن منصور طوته يد الردى على حشرات ضمّنته الجوانح

و يا بؤس منصور و فى يوم سرخس تمزّق عنه ملكه و هو طائح

و فزّق عنه الشّمل بالسمل فاغتندى أسيرا ضريرا تعتريه الجوانح

ص: ٢٥٠

و صاحب مصر قد مضى لسبيله و والى الجبال غيبته الصفائح

و صاحب جرجانيه فى ندامه ترصده طرف من الحين طامح

تساقوا كؤوس الزاح ثم تشاربوا كؤوس المنايا و الدماء سوافح

خوارزم شاه شاه وجه نعيمه و عن له يوم من النحس طالح

و كان علا فى الأرض يخطها أبو على إلى أن طوحت المطاوح

فعارضه ناب من الشر أعصل و عن له طير من الشؤم بارح

و صاحب بست ذلك الضيغم الذى برائته للمشرقين مفتح

أناخ به من صدمه الدهر كلكل فلم يغن عنه و المقدّر سانح

خيول كأمثال السيول سوابح فيول كأمثال الجبال سوارح

جيوش إذا أربت على عدد الحصى تغصّ بها قيعانها و الصّحاصح

و دارت على صمصام دوله بويه

و فائق المبوب قد جبّ عمره فأمسى و لم يندبه فى الأرض نائح

مضوا فى مدى عامين و اختطفتهم عقاب إذا طارت تخّر الجوارح

أما لك فيهم عبره مستفاده بلى أنّ نهج الاعتبار لواضح

أهذاه، و فى (الطبرى): أنّ سابور بن اردشير أقام على حصن ضيزن أربع سنين لا- يقدر على هدمه، ثمّ أنّ ابنه للضيزن يقال لها
النضيره عركت- أى حاضت- فأخرجت إلى ربض المدينه- أى ما حولها- و كذلك كان يفعل بالنساء إذا عركن- و كانت من
أجمل نساء زمانها، و كان سابور من أجمل أهل زمانه، فرأى كلّ واحد منهما صاحبه فعشقتة و عشقها فأرسلت إليه ما تجعل لى
إن دلتك على ما تهدم به سور هذه المدينه و تقتل أبى، قال: أحكمك و أرفعك على نسائى و أخصّيك بنفسى
دونهنّ. قالت: تكتب فى رجل حمامه و رقاء مطوّقه بحيض جاريه بكر زرقاء، ثم ترسلها فإنّها تقع على حائط المدينه فتداعى
المدينه، و كان ذلك طلسم المدينه لا يهدمها إلاّ هذا، ففعل و تأهب لهم، و قالت: أنا أسقى الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم، و
ادخل المدينه ففعل و تداعت المدينه ففتحها عنوه، و قتل الضّيزن و أباد أفناء قضاة الذين كانوا مع الضّيزن، و أخرج المدينه و
احتمل النضيره ابنه ضيزن فأعرس بها بعين التمر، فذكر أنّها لم تزل ليلتها تضور من خشونه فرشها و هى من حرير

ألم تر مذ عامين أملاك عصرنا يصيح بهم للموت و القتل صائح

فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمّته الجوانح

و يا بؤس منصور و فى يوم سرخس تمزّق عنه ملكه و هو طائح

و فرق عنه الشّمل بالسمل فاغتندى أسيرا ضريرا تعتريه الجوانح

ص:

محشوه، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا ورقه اس ملتزقه بعنكه-أى طى في البطن من السمن-من عنكها قد أثرت فيها و كان ينظر إلى مخها من لين بشرتها، فقال لها سابور ويحك! بأى شىء كان يغذوك أبوك؟ قالت: بالزبد و المَخ و شهد الأبقار من النحل و صفو الخمر، قال: و أيبك! الأنا أحدث عهدا بك من أيبك الذى غذاك بما تذكرين، فأمر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصّب عذارها بذنبه ثم أستر كضها فقطعها قطعا (١).

«يتعلل بالسرور فى ساعه حزنه» فى (الطبرى): قال ز نام الزامر: قد وجد المعتصم فى علته التى توفى فيها أفاقه فقال هيتوا لى الزلال لأركب غدا، فركب و ركبت معه فمرّ فى دجله بإزاء منازلها فقال يا ز نام أزمر لى:

يا منزلا لم تيل اطلاله حاشى لأطاللك أن تبلى

لم أبك أطلاللك لكننى بكيت عيشى فيك إذ ولى

و العيش أولى ما بكاه الفتى لا بدّ للمحزون ان يسلى

فما زلت أزمر هذا الصوت حتى دعا برطليته، فشرّب منها قدحا، و جعلت أزمره و أكرره و قد تناول منديلا بين يديه، فما زال يبكى و يمسح دموعه و ينتحب حتى رجع إلى منزله و لم يستتم شرب الرطليته، و فيه أيضا فى مقتل المتوكل: لم يكن المتوكل فى يوم من الأيام أسرّ منه فى ذلك اليوم، أخذ مجلسه و دعا بالندماء و المغنين فحضروا، و أهدت إليه قبيحه امّ المعتزّ مطرف خزّ أخضر لم ير الناس مثله حسنا، فنظر إليه، فأطال النظر فاستحسنه و كثر تعجبه منه، و أمر به فقطع نصفين و أمر برده عليها ثم قال لرسوله: و الله انّ نفسى لتحدّثنى أنّى لا ألبسه و ما أحبّ أن يلبسه أحد بعدى، و أنّما أمرت بشقّه لئلا يلبسه أحد بعدى، و أخذ فى الشراب و اللّهو، و لهج يقول: أنا مفارقكم

ص: ٢٥٣

و الله عن قليل، فلم يزل في لهوه و سروره إلى الليل، و ذكر قتله في الليل (١).

«و يفرع إلى السيلوه» في (الصحاح): (سلى عني الهَمّ و تسلى: انكشف و السيلوانه (بالضمّ): خزره كانوا يقولون إذا صبّ عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا) (٢).

إن مصيبه نزلت به» و في (الأغاني): عن مسرور الخادم أنّ الرشيد لمّا أراد قتل جعفر لم يطلع عليه أحد و دخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته، فقال له: اذهب فتشغل اليوم بمن تأنس به و اصطحب فإني مصطحب مع الحرم، فمضى جعفر و لم يزل برّه و الطافه تتابع إليه لئلاّ يستوحش، فلما كان في الليل دعاني فقال: «اذهب فجنّى الساعه رأس جعفر» و ضمّ إليّ جماعه من الغلمان فمضيت حتّى هجمت عليه منزله و اذا أبو زكار الأعمى يغنيه بقوله:

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت له: و الله في هذا المعنى و مثله جئتك فأجب، فوثب و قال: جعلني الله فداك، ما الخير؟ قلت قد امرت بأخذ رأسك فأكبّ على رجلى فقبلها و قال: الله الله! راجعه فيّ، فقلت: مالي إلى ذلك سبيل، قال: فاعهد، قلت: ذاك لك، فذهب يدخل إلى النساء فمنعته، و قلت: اعهد في موضعك، فدعا بدواه و كتب أحرفا على دهش، ثمّ قال لي: بقيت واحده، قلت: هاتها قال: خذني معك إلى الرشيد حتّى أخاطبه، قلت: مالي إلى ذلك سبيل، قال: ويحك! لا- تقتلني بأمره على النبيذ فقلت: هيهات ما شرب اليوم شيئا قال: فخذني و احبسني عندك في الدار، و عاوده في أمرى قلت: أفعل، فأخذته فقال لي أبو زكار الأعمى: نشدتك الله إن قتلته الآ الحقتني به! قلت: لقد اخترت غير مختار. قال: و كيف أعيش بعده

ص: ٢٥٤

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٣١٤: ٧. [١]

٢-٢ (٢) الصحاح: (٢) سلا).

و حياتى كانت به؟ فمضيت بجعفر، و دخلت إلى الرشيد فلما رآنى قال: أين رأسه ويلك؟ فأخبرته بالخبر، فقال: يا ابن الفاعله! والله لئن لم تجئنى برأسه الساعه لآخذن رأسك! فمضيت إليه فأخذت رأسه و وضعت بين يديه، ثم أخبرته بخبره و ذكرت له خبر أبى زكّار الأعمى (١).

«ضنا بغضاره عيشه» أى: بخلا بطيب عيشه.

«و شحاحه بلهوه و لعبه» الشحاحه أشدّ البخل، قال البحتري فى سعد النوشري:

طلب البقاء بكلّ فال صالح و بكلّ جاء سانح أو بارح

سمّاه سعدا ظنّ ان يحيى به عمرى لقد ألفاه سعد الذابح

(٢).

و فى (الكشف) (٣) عن أعلام الطبرسى: أو لم بعض أولاد الخلفاء وليمه فدعا أبا الحسن، أى: الهادى عليه السلام و دعا الناس، فلما رأوه أنصتوا إجلالا له، و جعل شابّ فى المجلس لا يوقره و يتحدث و يضحك، فأقبل عليه السلام عليه و قال:

يا هذا أضحك بملء فيك و تذهل عن ذكر الله و أنت بعد ثلاث من أهل القبور؟! قال: أى: الراوى، فقلنا: هذا دليل ننظر ما يكون، فأمسك الفتى و كفّ، و طعمنا و خرجنا، فلما كان بعد يوم اعتلّ الفتى، و مات فى اليوم الثالث و دفن فيه! (٤) «فيينما» هكذا فى (المصريه) (٥) و الصواب: (فيينا) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٦).

ص: ٢٥٥

١- (١) الأغانى لأبو الفرج الاصفهاني ٧: ٢٢٧. [١]

٢- (٢) ديوان البحتري ٢: ٣٢.

٣- (٣) الإربلى، كشف الغمه فى معرفه الأئمه: ١٨٨. [٢]

٤- (٤) أعلام الورى للطبرسى: ٣٦٤. [٣]

٥- (٥) المصريه المصححه (فيينا): ٤٨٦.

٦- (٦) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٥١، و [٤] شرح ابن ميثم كالمصريه ٤: ٥٦.

«هو يضحك إلى الدنيا و تضحك الدنيا» هكذا في (المصريه) (١) و كلمه «الدنيا» زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢) و لتقدم ذكرها.

«إليه»، قال الكنانى فى خلع المستعين:

و غدا الخليفه أحمد بن محمد بعد الخلافه و البهاء خليعا

كانت به الأيام تضحك زهره و هو الربيع لمن أراد ربيعا

فزاله المقذور من رتب العلى فتوى بواسط لا يحس رجوعا

(٣) «فى ظلّ عيش غفول» فى (تاريخ الجزرى): قبض عضد الدوله سنه (٣٦٦) على أبى الفتح بن عميد وزير أبيه و سمل عينه الواحده و قطع أنفه، و كان سبب ذلك أنّ أبا الفتح لما كان ببغداد مع عضد الدوله، على ما شرحنا، و سار عضد الدوله نحو فارس تقدّم إلى أبى الفتح بتعجيل المسير عن بغداد إلى الرى، فخالفه و أقام و أعجبه المقام ببغداد، و شرب مع بختيار و مال فى هواه و اقتنى ببغداد أملاكا و دورا على عزم العود إليها إذا مات ركن الدوله ثم صار يكاتب بختيار بأشياء يكرهها عضد الدوله و كان له نائب يعرضها على بختيار فكان ذلك النائب يكاتب بها عضد الدوله ساعه فساعه، فلما ملك عضد الدوله بعد موت أبيه كتب إلى أخيه فخر الدوله بالرّى يأمره بالقبض عليه و على أهله و أصحابه، ففعل ذلك و انقرض بيت العميد على يده كما ظنّه أبوه، و كان ليله قبض عليه قد أمسى مسرورا، فأحضر الندماء و المغنّين و أظهر من الآلات الذهبية و الزجاج المليح و أنواع الطيب ما ليس لأحد مثله و شربوا و عمل شعرا و غنّى له فيه، و هو:

ص: ٢٥٦

١- (١) الطبعه المصريه المصححه لا وجود ل (الدنيا) الثانيه: ٤٨٦.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٥١ و [١] شرح ابن ميثم كالمصريه ٤: ٥٧.

٣- (٣) مروج الذهب للمسعودى ٤: ١٦٧. [٢]

دعوت المنى و دعوت العلى فلما أجابا دعوت القدح

و قلت لأيام شرح الشباب إلى و هذا أوان الفرح

إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترح

فلما غنى فى الشعر استطابه و شرب عليه إلى أن سكر، و قام و قال لغلمانه: اتركوا المجلس على ما هو عليه لنصطحب غدا، و قال لندمائه بكَروا على غدا لنصطحب و لا تتأخروا، فانصرف الندماء و دخل هو إلى بيت منامه، فلما كان فى السحر دعاه مؤيد الدوله فقبض عليه و أرسل إلى داره فأخذ جميع ما فيها و من جملة ذلك المجلس بما فيه (١).

إذ وطئ به الدهر حسكه» فى (الصحاح): الحسك: حسك السعدان، و السعدان: نبت له شوكة يشبه به حمله الثدى، و الحسك أيضا: ما يعمل من الحديد على مثاله و هو من آلات العسكر (٢).

«و نقضت الأيام قواه» القوى (بالضم و الكسر): جمع القوه .

«و نظرت إليه الحتوف» جمع الحتف: الموت.

«من كتب»، أى: قرب، و فى (الأغانى) (نزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس بالشام و معه حنّابه، فقال: زعموا أنه لا تصفوا لأحد عيشه يوما إلى الليل إلا يكدرها شىء عليه، و سأجرب ذلك، ثم قال لمن معه: إذا كان غدا، فلا تخبروني بشىء و لا تأتونى بكتاب و خلا هو و حنّابه، فأتيا بما يأكلان فأكلت رمانه، فشرقت بحبه منها فماتت، فأقام لا يدفنها ثلاثا حتى تغيرت و أنتنت و هو يشمها و يرشفها، فعاتبه على ذلك ذو و قرابته و أصدقائه و عابوا عليه ما يصنع و قالوا: قد صارت جيفه بين يديك! حتى أذن لهم فى غسلها و دفنها،

ص: ٢٥٧

١- ١) الكامل لابن الأثير ٦٧٥: ٨-٦٧٦. [١]

٢- ٢) الصحاح: (٢) [حسك].

و أمر فأخرجت في نطع، و خرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دفنت قال: أصبحت و الله كما قال كثير:

فإن يسلم عنك القلب أو يدع الصبي فبالأس يسلمو عنك لا بالتجلد

فكل خليل رءاني فهو قائل من أجلك هذا هامه اليوم أو غد

فما قام إلا- خمس عشره ليله حتى دفن إلى جنبها (١). و روى المدائني: أنه اشتاق إليها بعد ثلاثه أيام من دفنها، فقال: لا بد أن تنبش، فنبشت و كشف له عن وجهها و قد تغير تغيرا قبيحا فقل له: اتق الله، ألا ترى كيف صارت؟ فقال:

ما رأيتها أحسن منها اليوم، أخرجوها، فجاءه مسلمه و وجوه أهله، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك و دفنوها، فانصرف فكمد كمدا شديدا حتى مات، فدفن إلى جنبها. و روى أنه لما مات لم يستطع يزيد الركوب من الجزع، فحمل على منبر على رقاب الرجال (٢). و في (وصايا أبي حاتم) عن حصين: إنني لقائم على رأس سليمان بن عبد الملك أذب عنه بمنديل إذ غزا الصائفه إذ تشمم، فوجد رائحه خبز فقال: إئتوني من هذا الخبز، فأتوه بثلاثه أرغفه عظام من خبز الفرنى، فقال: يا غلام! انطلق إلى المطبخ فانظر هل تصيب مخا، فانطلق فنكت عظاما مما طبخ ثم أقبل به في شىء، فلما رآه قال: ويلك! ما هذا؟ فانصرف الغلام فما ترك في المطبخ عظاما إلا نكته ثم أتى به في صحفه، فأكل تلك الأرغفه الحارّه بذلك المخ ثم وثب، فدخل على أم سلمه بنت عمر بن سهل فما نزل عن بطنها إلا- و هو مغشى عليه، فأقام يوما و ليله ثم أفاق، فقال: هو الموت! فلم يلبث بعد ذلك إلا ستّه أيام حتى هلك (٣).

ص: ٢٥٨

١-١ (١) الأغاني ١٤٣:١٥-١٤٤. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ١٤٤:١٥. [٢]

٣-٣ (٣) المعتمرون و الوصايا لأبي حاتم: ١٦٦.

«فخالطه بثّ لا يعرفه» أي: حزن لم يكن له قبل.

«و نَجَّى هَمَّ ما كان يجده»، قال الشاعر: (و هَمَّ يأخذ النجواء منه)، في (الشعراء): (لقى النعمان عبيد بن الأبرص في يوم بؤسه، و لعبيد أكثر من ثلاثمائه سنه، فلَمَّا رآه قال: هَلَّا كان هذا لغيرك يا عبيد! أنشدني فرَبِّما أعجبنى شعرك، قال: (حال الجريض دون القريض) قال أنشدني: (اقفر من أهله ملحوب) فقال:

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

فقال: أي قتله تختار؟ قال: اسقني الخمر حتّى إذا ثملت، أفصدني الأكل ففعل ذلك و لطح بدمه الغريين، و كان بناهما على نديمين له خالد الفقعسى و عمرو بن مسعود، و قوله: (حال الجريض دون القريض) مثل، أصله، أنّ رجلا نبغ في الشعر، فنهاه أبوه عنه، فجاش في صدره و مرض، حتّى أشرف على الهلاك فأذن له أبوه فقال: (حال الجريض دون القريض) (١).

«و تولدت فيه فترات علل» (فتر الحرّ): ضعف و انكسر، و فتره الله.

«آنس ما كان بصحّته» في (المروج) في غزوه المأمون الروم، و فتحه حصونهم: و انصرف فنزل على عين البديدون، فأعجبه برد مائها و صفاؤه، و طيب حسن الموضع و كثره الخضرة، فأمر بقطع خشب طوال و أمر به، فبسط على العين كالجسر و جعل فوقه كالأزج من الخشب و ورق الشجر، و جلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له و الماء تحته، و طرح في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته و هو في قرار الماء لصفاء الماء، و لم يجسر أحد يدخل يده في الماء من شدّه برده. فيينا هو كذلك إذ لاحت سمكه نحو الذراع كأنّها سبيكه فضّه، فجعل لمن يخرجها سيفاً فبدر بعض الفّراشين فأخذها و صعد،

ص: ٢٥٩

فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذى عليه المأمون اضطربت و أفلتت من يد الفرّاش فوقعت فى الماء كالحجر، فنضح من الماء على صدر المأمون و نحره و ترقوته فبّلت ثوبه، ثم انحدر الفرّاش ثانياه فأخذها و وضعها بين يدي المأمون فى منديل يضطرب فقال المأمون: تقلى الساعة، ثم أخذته رعه من ساعته، فلم يقدر يتحرّك من مكانه، فغطّى باللحف و الدّواويج، و هو يرتعد و يصيح البرد البرد، ثم دثّر، و أوقدت النيران حوله، و هو يصيح البرد البرد، ثم أتى بالسّمكه و قد فرغ من قلبها فلم يقدر على الذوق منها، و شغله ما هو فيه عن تناول شىء منها، و لما اشتدّ به الأمر سأل المعتصم بختيشوع و ابن ماسويه عن المأمون و هو فى سكرات الموت، ما الذى يدلّ عليه الطّبّ من أمره؟ فأخذ ابن ماسويه احدى يديه و بختيشوع الاخرى، و أخذ المجسّسه من كلتا يديه، فوجدا نبضه خارجا من الاعتدال، منذرا بالفناء و الانحلال، و الترتقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه، من ساير جسده، كالزيت، أو كلعاب الأفاعى، فأخبر المعتصم بذلك، فسألهما عن ذلك، فأنكرا معرفته، و أنّهما لم يجداه فى شىء من الكتب، و أنّه دالّ على انحلال الجسد، فأفاق من غشيته، فأمر بإحضار اناس، فسألهم عن اسم العين و الموضع فقبل له: القشيره- أى مدّ رجليك- فلما سمعها اضطرب و تطيّر، فقال: ما اسم الموضع بالعربيه؟ قالوا: الرّقه، و كان فيما عمل من مولد المأمون أنّه يموت بالموضع المعروف بالرّقه، و كان كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينه الرّقه فرقا من الموت، فلما سمع هذا من أهل الروم علم أنّه الموضع الذى وعد فيه (1).

«ففرع إلى ما كان عوده الأطباء من تسكين الحارّ بالقارّ» القارّ: البارد.

ص: ٢٦٠

[١- ١] مروج الذهب للمسعودى ٤٥٦:٣-٤٥٧. [١]

«و تحريك البارد بالحارّ» ،في (الطبري): (ذكروا أنّ علّه فوت الواثق الاستسقاء، فعولج بالإقعاد في تنور مسخن، فوجد لذلك راحه و خفّه ممّا كان به، فأمرهم بالغد بزياده في إسخان التّنور ففعل ذلك، و قعد فيه أكثر من قعوده في الأمس فحمى عليه، فاخرج منه و صير في محفّه فلم يعلموا بموته حتّى ضرب بوجهه المحفّه فعلموا أنّه قد مات (1)).

«فلم يطفئ ببارد إلاّ ثور حراره» يطفى، من (طفأت النار) و «ثور» من (ثور عليهم الشرّ): هيّجه.

«و لا حرّك بحارّ إلاّ هيّج بروده» قالوا بالفارسيه:

از قضا سرکنگین صفر أفزود روغن بادام خشکی می نمود

و في (الطبري): قيل في موت الرشيد أنّ جبرئيل بن بختيشوع غلط عليه في علته في علاج عالجه به كان سبب مئيته فكان الرشيد همّ، ليله مات، بقتله و أن يفصله كما فصل أخا رافع، فدعا بجبرئيل ليفعل ذلك به، فقال له جبرئيل:

أنظرنى إلى غد فإنّك ستصبح في عافيه، فمات في ذلك اليوم.

قلت: فلا بدّ أن يغلط طبيب مثل جبرئيل حتى ينزل عليه عزرائيل و تمضى فيه مقادير الملك الجليل (2). هذا، و في (خلفاء السيوطى): قال شمس الدين الجزرى: كان الماء الذى يشربه الناصر العباسى تأتى به الدوّاب من فوق بغداد بسبع فراسخ و يغلى سبع غلوات كلّ يوم غلوه، ثمّ يحبس في الأوعيه سبعة أيام ثمّ يشرب منه، و مع هذا ما مات حتّى سقى المرقد مرّات، و شقّ ذكره و أخرج منه الحصى و مات منه، مات سنة ٦٢٢ (3).

ص: ٢٤١

١-١ (١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٨. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبري ٦: ٥٢٧.

٣-٣ (٣) الخلفاء للسيوطى: ٣٦١.

«و لا- اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا- أمدّ منها كل ذات داء» في (البيان): قيل لعمر بن العاص في مرض موته: كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب و لا أثوب، و أجد نجوى أكثر من رزئي فما بقاء الشيخ على ذلك؟ و قيل لأعرابي كانت به أمراض عدّه: كيف تجدك؟ قال: أمّا الذي يعمدني فحصر و أسر (١)، و الحصر (بالضمّ): اعتقال البطن، و الأسر (بالضمّ): حبس البول .

«حتّى فتر معلّله» أى: ضعف و انكسر من يتصدّى أمر علته، و في (أخبار حكماء القفطي): مرض الهادي، فجمع الأطباء أبو قريش، و الطيفوري، و داود بن سرفيون، فقال لهم: أنتم تأكلون أموالى و جوائزى و فى وقت الشدّه تتغافلون عنيّ، فقال له أبو قريش: علينا الاجتهاد، و الله يهب السّلامه، فاغتاظ من هذا! فقال له الربيع: قد وصف لنا (نهر صرصر) طبيب ماهر، يقال له يشوع بن نضر، فأمر بإحضاره و بقتل أولئك الأطباء، فلم يتصدّ الربيع لقتلهم لعلمه باختلاط عقله من شدّه المرض، و أرسل إلى طبيب (نهر صرصر) و أحضره، فدخل على الهادي، فقال له: رأيت القاروره، قال: نعم هوذا أعمل لك دواء نأخذه و إذا كان على تسع ساعات تبرأ و تخلص، و خرج من عنده، و قال للأطباء: لا- تشغلوا قلوبكم فى هذا اليوم، و كان الهادي أمر له بعشره آلاف درهم لبيتاع له بها الدّواء، فأخذها و سيّرها بيته، و أحضر أدويه و جمع الأطباء بالقرب من موضع الهادي، و قال لهم: دقّوا حتّى يسمع و يسكن، فإنكم فى آخر النهار تتخلصون، و كلّ ساعه يدعو به الهادي و يسأله عن الدّواء فيقول: هوذا تسمع صوت الدّق، فيسكت! و لما كان بعد تسع ساعات مات و تخلص الأطباء (٢).

ص: ٢٦٢

١-١ (البيان و التبيان للجاحظ ٤٠٩:١-٤١٠).

٢-٢ (أخبار الحكماء للقفطي: ٢٨١).

«و ذهل ممرّضه» يجوز في «ذهل» الفتح و الكسر و الذّهل: الغفله.

«و تعايا أهله بصفه دائه»، في (الصّحاح): (عَيّ بأمره و عيى) إذا لم يهتد لوجهه و تعيّا و تعايا بمعنى (1)، في (الشعراء): خرج صخر بن عمرو أخو الخنساء في غزاه، فأصابه جرح رغيّب فمرض من ذلك و طال مرضه، و عادته قومه و كانوا إذا سألوا عنه امرأته قالت: لا هو حيّ فيرجى، و لا ميّت فينسى (2).

«و خرسوا عن جواب السائلين عنه» المراد أنهم لصعوبه المرض و يأسهم من برئه لا- يدرون أيّ شيء يجيئون، فهم كالأخرس الذي لا يجيب سؤالك.

«و تنازعا دونه»، في انتخاب الطيب، و تبديل طيب بطيب، و دواء بدواء.

«شجّي خبر يكتمون» في (الصّحاح): الشّجّو: الهمّ و الحزن، قال المبرّد في قولهم: (ويل للشجّي من الخليّ) ياء (الشجّي) مخفّفه، و ياء (الخليّ) مشدّده (3).

«فقاتل هو لما به» و هو: من لم يكن له به فضل علاقته.

«و ممنّ لهم إياب عافيته» أي: يتمنى عود عافيته. و في خبر صخر أخى الخنساء المتقدّم- بعد ذكر جواب امرأته السائلين عنه بأنّه لا حيّ و لا ميّت- و إذا سألوا أمّه قالت أصبح صالحا بنعمه الله فقال صخر:

أرى أمّ صخر لا تملّ عيادتي و ملّت سليمي مضجعي و مكاني

و ما كنت أخشى أن أكون جنازه عليك و من يغترّ بالحدثان

و أيّ امرئ ساوى بأمّ حليله فلا عاش إلاّ في شقا و هوان

ص: ٢٤٣

١-١ (الصّحاح): (عيا).

٢-٢ (٢) الشعر و الشعراء: ١٩٨. [١]

٣-٣ (الصّحاح): (شجا).

لعمري لقد تَبَّهت من كان راقداً و اسمعت من كانت له اذنان

(١) و عاد الوليد بن عبد الملك أباه في مرض موته فقال:

و مستخبر عَنَّا يريد بنا الردى و مستخبرات و العيون سواجم

(٢) «و مصبّر لهم على فقده» أي: حاملهم على الصبر عليه.

«يذكّرهم أسى الماضين من قبله» في (الصحيح): «أسى» بالضم و الكسر جمع الاسوه بالضمّ و الكسره: ما يؤتسى به - أي: يتسلّى

(٣) و في (ديوان المعاني): مات لأعرابي ثلاثة بنين في يوم واحد و دفنهم، و عاد إلى مجلسه و جعل يتحدث كأن لم يفقد

واحد، فليم على ذلك فقال: ليسوا في الموت ببدع، و لا أنا في المصيبة بأوحد، و لا جدوى للجزع فعلام تلومونني؟ (٤) «فبينما»

هكذا في (المصريه) (٥) و الصواب: (بيننا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٦).

«هو كذلك على جناح من فراق الدنيا» في (الأساس): هو في جناح طائر، إذا وصف بالقلق و الدهش.

«و ترك الأحبه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه و آله فقال: يا محمد! عش

ما شئت فأنتك ميّت، و أحبّ ما شئت فأنتك مفارقه، و اعمل ما شئت فأنتك لاقيه (٧).

ص: ٢٦٤

١- ١) الأغاني ٧٨: ١٥-٧٩. [١]

٢- ٢) البيان للجاحظ ١٦٧: ٢. [٢]

٣- ٣) الصحيح: (أسا).

٤- ٤) ديوان المعاني للعسكري ١٧٢: ٢. [٣]

٥- ٥) الطبعه المصريه المصححه بلفظ (بيننا): ٤٨٦.

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٥٢، و [٤] للنسخه الخطيبه: ٢١٦ (كما ذكر)، أما شرح ابن ميثم ٥٨: ٤ [٥] (فبينما).

٧- ٧) الكافي ٢٥٥: ٣ ح ١٧. [٦]

«إذ عرض له عارض من غصصه» في (الجمهره): الغصه ما اعترض في الحلق فأشرق، و ذو الغصه: لقب رجل من فرسان العرب، و الغصص بالرّيق، و الشرق بالماء، فإذا كان في مرض و ضعف فهو جرض، و اذا كان من كرب أو بكاء فهو جأز، قال لييد:

و ما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

(١) قال ابن أبي الحديد: يقال: إنَّ كلَّ ميت من الحيوان لا يموت إلا خنقا، لأنَّه من النَّفس يدخل، فلا يخرج عوضه، أو يخرج فلا يدخل عوضه، و يلزم من ذلك الاختناق، لأنَّ الرُّثه لا تبقى حينئذ مروحه للقلب، و إذا لم تروحه اختنق (٢).

«فتحيرت نوافذ فطنته» من باب اضافه الصفه.

«و يبست رطوبه لسانه» قالوا: إنَّ الرطوبه اللعابيه التي بها يكون الذّوق ينشف حينئذ، و يبطل الإحساس باللسان تبعا لسقوط القوّه .

«فكم من مهمّ من جوابه عرفه فعى عن رده» في (الفقيه) عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخلت على محمّد بن الحنفية و قد اعتقل لسانه فأمرته بالوصيه فلم يجب! فأمرت بطشت فجعل فيه الرمل، فقلت له: خطّ بيدك فخطّ وصيته بيده في الرمل و نسخت أنا في صحيفه (٣)، و عنه عليه السلام: أنَّ أمامه بنت أبي العاص، و امها زينب بنت النبي صلّى الله عليه و آله- كانت تحت عليّ عليه السلام بعد فاطمه عليها السلام فخلف عليها المغيره بن نوفل- فوجعت وجعا شديدا حتى اعتقل لسانها، فجاءها الحسن و الحسين عليهما السلام و هي لا تستطيع الكلام فجعلا يقولان لها -و المغيره كاره- أعتقت فلانا؟ فجعلت تشير برأسها لا، و كذا كذا، تشير

ص: ٢٤٥

١- ١) ابن دريد، جمهره اللغه: ١٤٢ (ص غ غ) و ذكر بيت لييد لسان العرب ٣: ٣٨٤. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٧. [٢]

٣- ٣) الفقيه ٤: ١٩٧ ح ٥٤٥٤.

برأسها نعم-لا- تفصح بالكلام-فأجازا ذلك لها (١).و في (الكافي)عن الصادق عليه السلام:أن فاطمه بنت أسد-و كانت أول امرأه هاجرت من مكّه إلى المدينه على قدميها-قالت للنبي صلّى الله عليه و آله:أريد أن أعتق جاريتي هذه،فقال لها:إن فعلت اعتق الله بكلّ عضو منها عضوا منك في النار،فلما مرضت اعتقل لسانها فجعلت تومئ إلى النبي صلّى الله عليه و آله إيماء،فقبل وصيّتها (٢).

«و دعاء مؤلم بقلبه» هكذا في (المصريه) (٣)و الصواب:(لقلبه)كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

«سمعه» في (شعراء القتيبي):كان صخر أخو الخنساء يسمع امرأته إذا سئلت عنه،تقول:(لا هو حيّ فيرجى و لا ميت فينسى)فيشقّ عليه،فقال، ناولوني سيفي لأنظر كيف قوتى-و أراد قتلها-فناولوه السيف فلم يطق،ففى ذلك يقول:

أ همّ بأمر الحزم لو استطيعه و قد حيل بين العير و النّزوان

(٥) «فتصامّ عنه» في (الصحيح):(أصمته)وجدته أصمّ و«تصامّ»أرى ذلك من نفسه و ليس به (٦).

«من كبير كان يعظّمه أو صغير كان يرحمه» قالوا:الكبير كوالده و الصغير كولد.

ص:٢٦٦

١- (١) الفقيه ١٩٨:٤ ح ٥٤٥٥.

٢- (٢) الكافي ٤٥٣:١ ح ٢. [١]

٣- (٣) المصريه المصححه بلفظ (لقلبه):٤٨٨.

٤- (٤) شرح ابن أبي الحديد ١١:١٦٧ و شرح ابن ميثم كالمصريه ٤:٥٨ و الخطيه كما ذكر المصنف:٢١٦.

٥- (٥) ابن قتيبه،الشعر و الشعراء:١٩٩ طبعه ليدن. [٢]

٦- (٦) الصحيح:(صمم).

«وإن الموت لغمرات» في (الصحيح): غمرات الموت: شدائده (١).

«هي أفضح من أن تستغرق بصفه» وإنما بينوا غمراته بالمثل.

«أو تعتدل على قلوب» هكذا في (المصريه) (٢). و الصواب: (على عقول) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«أهل الدنيا» في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام: إن فتيه من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين -و كانت العاده فيهم- فخرجوا يسرون في البلاد ليعتبروا، فمروا بقبر علي ظهر الطريق -إلى أن قال بعد دعائهم لحياته- قالوا:

دعوناك لسألك كيف وجدت طعم الموت، فقال: لهم سكنت في قبرى تسع و تسعين سنه ما ذهب عني ألم الموت، و لا كربه، و لا خرجت حراره طعم الموت من حلقي (٤)...

٩

الخطبه (٢٢٥)

و من الخطبه له عليه السلام:

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَيِّدَادٍ - وَ ذَخِيرَةُ مَعَادٍ وَ عِثْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ - وَ نَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ بِهَا يَنْجِيحُ الطَّالِبُ - وَ يَنْجُو الْهَارِبُ وَ تَنَالُ الرَّغَائِبُ - فَاعْمَلُوا وَ الْعَمَلُ يُرْفَعُ - وَ التَّوْبَةُ تَنْفَعُ وَ الدُّعَاءُ يُسْمَعُ - وَ الْحَالُ هَادِيَةٌ وَ الْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ - وَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُرًا نَاقِسًا - أَوْ مَرَضًا حَاسِبًا أَوْ مَوْتًا خَالِسًا - فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِدَاتِكُمْ - وَ مُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ وَ مُبَاعِدٌ

ص: ٢٤٧

١-١ (١) الصحيح: (غمر).
٢-٢ (٢) المصريه المصححه: ٤٨٨.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦٧ و النسخه الخطيه: ٢١٦ كما ذكر المصنف أما شرح ابن ميثم فكما هو في المصريه ٤: ٥٨.

٤-٤ (٤) الكافي ٣: ٢٦٠ ح ٢٣٨. [١]

طَيِّبَاتِكُمْ- زَائِرٌ غَيْرٌ مَحْبُوبٌ وَ قِرْنٌ غَيْرٌ مَغْلُوبٌ- وَ وَاتِرٌ غَيْرٌ مَطْلُوبٌ- قَدْ أَعْلَقْتِكُمْ حَبَائِلُهُ- وَ تَكَنَّفَتْكُمْ عَوَائِلُهُ وَ أَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ- وَ عَظَمَتْ فِيكُمْ سَيِّطَوْتُهُ وَ تَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عِدْوَتُهُ- وَ قَلَّتْ عَنْكُمْ نَبَوْتُهُ- فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمِهِ- وَ اخْتِئِدَامٌ عَلَيْهِ وَ حَنَادِسُ غَمْرَاتِهِ- وَ غَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَ أَلِيمٌ إِزْهَاقِهِ- وَ دُجُوٌّ أَطْبَاقِهِ وَ جُشُوبَةٌ مَذَاقِهِ- فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَعْتُهُ فَأَسْكَتَ نَجِيَّتَكُمْ- وَ فَرَّقَ نَدِيَّتَكُمْ وَ عَفَى آثَارَكُمْ- وَ عَطَّلَ دِيَارَكُمْ وَ بَعَثَ وِرَائِكُمْ- يَقْتَسِمُونَ تِرَائِكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ- وَ قَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ- وَ آخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ- فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَ الْإِجْتِهَادِ وَ التَّأَهُبِ وَ الْإِسْتِعْدَادِ- وَ التَّرَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ- وَ لَا تَعْرَنْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا- كَمَا عَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَأْمُومِ الْمَاضِيَةِ- وَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرْتَهَا- وَ أَصَابُوا عَرَّتَهَا وَ أَفْنَوْا عِدَّتَهَا- وَ أَخْلَقُوا جِدَّتَهَا وَ أَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجِدَاءً- وَ أَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ- وَ لَا يَحْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ وَ لَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ- فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ- مُعْطِيَةٌ مَنْوَعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ- لَا يَدُومُ رِخَاؤُهَا- وَ لَا يَنْقُصِي عَنَاؤُهَا وَ لَا يَزُكُّدُ بِلَاؤُهَا أَقُولُ: «فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ» يَجُوزُ فِي «سَدَادٍ» هُنَا كَسْرُ السِّينِ وَ فَتْحُهَا كُلٌّ بِمَعْنَى، فَعِي (ديوان المعاني): إِنَّ الْمَأْمُومَ ذَكَرَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ لِدِينِهَا وَ جَمَالِهَا كَانَ فِيهَا سَدَادٌ مِنْ عَوَزٍ) بِفَتْحِ السِّينِ، فَقَالَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ: (سَدَادٌ) بِكَسْرِ السِّينِ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُومُ: فَمَا الْفَرْقُ؟ قَالَ السَّدَادُ بِالْفَتْحِ الْقَصْدُ فِي الدِّينِ وَ السَّبِيلُ، وَ السَّدَادُ بِالْكَسْرِ الْبَلُغَةُ (١)، أَي: مَا يَسُدُّ بِهِ الْخَلَّةَ «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»

ص: ٢٤٨

(١-١) ديوان المعاني للعسكري ١:١٠. [١]

«وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (١).

«و ذخيرہ معاد» «و تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (٢).

«و عتق من كل ملكه» لا يملكه شيء من شهوات الدنيا و علايقها كأهل الدنيا لما يعلم من فائتها بما فيها، و عدم الإعتبار بشيء منها، و لنعم ما قيل بالفارسيه:

غلام همت آنم که زیر چرخ کبود زهر چه رنگ تعلق پذیرد آزاد است

(٣) «و نجاه من كل هلكه» روى فى (الخصال) فى طريق عامى عن النبى صلى الله عليه و آله قال: بينا ثلاثة نفر فى من كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم! فقال بعضهم لبعض: و الله، ما ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم عز و جلّ أنه قد صدق فيه، فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز، فذهب و تركه فزرعته، فصار من أمره أنى اشتريت من ذلك بقرا، ثم أتانى فطلب أجرته فقلت: اعمد على تلك البقره فسقها فقال: إنما لى عندك فرقا من أرز، فقلت: فأنها من ذاك فساقها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت الصخره عنهم شيئا، و قال الآخر، اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليله بلبن غنم فأبطأت عليهما ذات ليله، فأتيتهما و قد رقدا، و أهلى و عيالى يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى، فكرهت أن أيقظهما من رقدتهما و كرهت أن أرجع فيستيقظا لشربهما، فلم أزل أنتظرهما حتى

ص: ٢٦٩

[١-١] الطلاق: ٢-٣. [١]

[٢-٢] البقره: ١٩٧. [٢]

[٣-٣] أمثال و حكم [٣] حافظ، على أكبر دهخدا ١١٢٦: ٢. [٤]

طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت الصخره عنهم حتى نظروا إلى السماء. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لى ابنه عمّ راودتها عن نفسها فأبت على الآ- أن آتيها بمائه دينار فطلبتها حتى قدرت عليها، فجئت بها فدفعتها إليها فأمكننتى من نفسها، فلما قعدت بين رجلها قالت: اتق الله و لا تفضّ الخاتم إلا بحقه، فقامت عنها و تركت لها المائه، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا (١) ففرج الله تعالى عنهم فخرجوا.

«بها ينجح الطالب» أهم المطالب حصول الجنه، و قد قال تعالى: «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» (٢).

«و ينجو الهارب» أحق الأشياء بالهرب منها النار، و قد قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا» (٣).

«و تنال الرغائب» الرغائب جمع الرغيبه: العطاء الكثير، و لا رغبه فوق كون العبد مكرما عند ربه قال تعالى: «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا» (٤).

«فاعملوا و العمل يرفع»، فبعد الموت ليس عمل يرفع.

«و التوبه تنفع» قال تعالى: «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» (٥).

ص: ٢٧٠

١- ١) الخصال للصدوق: ١٨٤ ح ٢٥٥.

٢- ٢) مريم: ٦٣. [١]

٣- ٣) مريم: ٧١-٧٢. [٢]

٤- ٤) مريم: ٨٥. [٣]

٥- ٥) النساء: ١٨. [٤]

«و الدعاء يسمع» «حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلاً إنها كلمته هو فائئها و من ورائهم بزخ إلى يوم يُبعثون» (١).

«و الحال هادئه» أى: ساكنه.

«و الأقلام جاريه» لكتابه الحسنات .

«و بادروا بالأعمال عمرا ناكسا»، الأصل فى النكس نصل ينكسر ثم كثر حتى سموا كل ضعيف نكسا، قال تعالى: «و من نعمة نُكسهُ فى الخلق أ فلا يعقلون» (٢).

«و مرضا حابسا» عن كثير من الأعمال، فقالوا: اغتتموا صحتكم قبل سقمكم (٣).

«أو موتا خالسا» فى (الصحيح): خلست الشيء و أخلسته إذا استلبته (٤)، فليغتنم الحياه قال البحترى:

و كانت حياه الحى سوقا إلى الردى و أيامه دون الممات مراحل

(٥) «فإن الموت هادم لذاتكم» فى (الطبرى) عن جبرئيل بن بختيشوع قال:

كنت مع الرشيد بالرقه و كنت أول من يدخل عليه فى كل غداه، أتعرّف حاله فى كل ليله، فإن كان أنكر شيئا وصفه، ثم ينسبط، فيحدثنى بحديث جواريه و ما عمل فى مجلسه، و مقدار شرابه، و ساعات جلوسه، ثم يسألنى عن أحوال العامه و أخبارها، فدخلت عليه فى غداه يوم فسلمت فلم يكن يرفع طرفه إلىّ،

ص: ٢٧١

١- ١) المؤمنون: ٩٩-١٠٠. [١]

٢- ٢) يس: ٦٨. [٢]

٣- ٣) الأمالى للطوسى ١٣٩: ٢.

٤- ٤) الصحيح: (جلس).

٥- ٥) ديوان البحترى ٥٨: ٢ يرثى أبا سعيد.

و رأيتُه عابسا مفكرا مهموما، فوقفت بين يديه مليا من النهار و هو على تلك الحال، فلما كان ذلك أقدمت عليه، فقلت: يا سيدي ما حالك هكذا، أعله؟ فأخبرني، فلعله يكون عندي دواؤها أو حادثه في بعض من تحب؟ فذاك ما لا يدفع و لا حيله فيه إلا التسليم أو فتق ورد في ملكك؟ فلم تخل الملوك من ذلك و أنا أولى من أفضيت إليه بالخبر، و تروحت إليه بالمشوره فقال: ويحك يا جبرئيل! ليس غمي لشيء! مما ذكرت، و لكن لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه، و قد أفزعتني و أفرحت قلبي فقلت: فزجت عني! هذا الغم كله لرؤيا إنما تكون من خاطر أو بخارات رديه أو من تهاويل السوداء و إنما هي أضغاث أحلام بعد هذا كله، فقال: أقصها عليك: رأيت كأنني جالس على سريري هذا، إذ بدت من تحته ذراع و كفّ أعرفها لا. أفهم اسم صاحبها، و في الكفّ ترابه حمراء، فقال لي قائل أسمع و لا أرى شخصه: هذه التربه التي تدفن فيها، فقلت: و أين هذه التربه؟ قال: بطوس، و غابت اليد و انقطع الكلام و انتهت، فقلت: يا سيدي! أحسبك أخذت مضجعتك ففكرت في خراسان و حرونها و ما قد ورد عليك من انتقاض بعضها، قال: قد كان ذاك قلت: فلذلك الفكر خالطك في منامك ما خالطك، فولد هذه الرؤيا، ثم قدّر مسيره إلى خراسان حين خرج رافع، فلما صار في بعض الطريق ابتدأت به العله فلم تزل تتزايد حتى دخلنا طوس فنزلنا في منزل جنيد بن عبد الرحمن في ضيعه له تعرف بسناباد فيينا هو يمرض في بستان في ذلك القصر، إذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملا يقوم و يسقط فاجتمعنا إليه كلّ يقول: يا سيدي ما دهاك! فقال: يا جبرئيل! تذكر رؤيا بالزقه في طوس، ثم دفع رأسه إلى مسرور فقال: جئني من ترابه هذا البستان، فمضى مسرور فأتى بالترابه في كفه، حاسرا عن ذراعه فلما نظر إليه قال: هذه و الله، الذراع التي رأيتها في منامي و هذه و الله، الكفّ بعينها، و هذه و الله، التربه

الحمراء ما حرمت شيئاً، وأقبل على البكاء والنحيب، ثم مات بها بعد ثلاثه و دفن في ذلك البستان (١).

«و مكدر شهواتكم» (نعص الموت ذا الغنى و الفقير).

«و مباعد طياتكم أى: نياتكم فإن لكل إنسان نيات أعمال كثيره يحول الموت بينه و بينها، فيباعده عنها.

«زائر غير محبوب» لما احتضر الحطيه قال:

لكل جديد لذه غير اننى وجدت جديد الموت غير لذيذ

(٢) «و قرن غير مغلوب» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: الأرض بين يدي ملك الموت كالقصره يمد يده منها حيث يشاء! و

القرن (بالكسر) كفوك فى الحرب (٣).

«و وائر غير مطلوب» الوائر: من قتل منك واحدا فتطلبه بدمه، إلا أن ذاك لوائر لا يطلبه أحد، و لنعم ما قيل بالفارسيه:

چه شد كز يك كماندار فنا اين لشكر بيحد به سر دارند از لوح مزار خود سپرها را

«قد أعلقتكم حباله» جمع الحباله ما يصاد به.

«و تكنفتكم غوائله» أى: أحاطتكم بلاياه التى تذهب بعقولكم من شدتها.

«و أقصدتكم معابله» جمع المعبله: نصل عريض طويل «و أقصدتكم» أى: و أصابتكم و قتلتكم فى المكان. فى (الكافى) عن الباقر

عليه السلام فى جمع جلوس تعترهم السكته، تلك لحظه ملك الموت حيث يلحظهم (٤).

ص: ٢٧٣

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥٢٦: ٦. [١]

٢-٢ (٢) الشعر و الشعراء لابن قتيبه: ١٨١. [٢]

٣-٣ (٣) الكافى ٢٥٦: ٣ ح ٢٤. [٣]

٤-٤ (٤) المصدر نفسه ٢٥٩: ٣ ح ٣١. [٤]

«و عظمت فيكم سطوته» و السطوه:القهر بالبطش.

«و تتابعت عليكم عدوته» أى:تجاوزته.و عن الصادق عليه السلام ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و ملك الموت يتصفّحهم كلّ يوم خمس مرّات (١).

«و قلّت عنكم نبوته» نبا السيف، إذا لم يعمل فى الضريبه، و المراد بقلّه نبوته:دوام تأثيره .

«فيوشك أن تغشاكم دواجى ظلله» يوشك:يقرب، و«الدّواجى» جمع داجيه، و الأصل فى الدّجا:الشمول، فيقال (ثوب داج):غطّى جسده، و يقال:(إنّه لفى عيش داج) (٢) (و ما كان ذلك منذ دجا الاسلام). و قيل لأعرابى:(بم تعرف حمل شاتك؟ فقال:إذا استفاضت خاصرتها و دجت شعرتها، و لازمه فى قولهم(بدر الدّجى) و(ليل داج)الظلمه، لا أنّها الأصل.

«و احتدام عله» أى:التهاب أمراضه.

«و حنادس غمراته» فى (الصّحاح):و الحندس:الليل الشديد الظلمه، و الغمرات:الشدائد (٣).

«و غواشى سكراته» «و جاءت سكره الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تّحيد» (٤).

«و أليم إزهاقه» أى:اخرجه للروح و نقله ابن أبى الحديد:ارهاقه و جعل «ازهاقه»روايه (٥).

«و دجوّ إطباقه» قال ابن أبى الحديد:إطباقه:جمع طبق، أى:تكاثف ظلماته

ص:٢٧٤

١-١ (١) المصدر نفسه ٢٥٦:٣ ح ٢٢. [١]

٢-٢ (٢) العين للفراهيدى ١٦٨:٦.

٣-٣ (٣) الصّحاح:(خندس).

٤-٤ (٤) ق:١٩.

٥-٥ (٥) شرح ابن أبى الحديد ٥:١٣. [٢]

كأنها طبق فوق طبق (١).

قلت: بل الظاهر كون «إطباقه» مصدرا مثل «ازهاقه» وقد عرفت الأصل في (دجوّ)، في «دواجي ظلله» فيكون من باب الصّفه التأكيديه.
«و جشوبه» أي: غلظه.

«مذاقه فكانّ قد أتاكم بغته» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: مات داود النبيّ مفعوفا، وأظلتّه الطير بأجنحتها، ومات موسى كليم الله في ليله، فصاح صائح من السماء: مات موسى، وأيّ نفس لا تموت؟ وموت سليمان عليه السلام قائما متكئا على عصاه مذكور في القرآن (٢).

«فاسكت نجيتكم» في (الصحاح): النجّي على فعيل: الذي تسارّه، وقد يكون النجّي و النّجوى اسما و مصدرا (٣). و في (الطبري): لما احتضر المعتصم جعل يقول: ذهبت الحيل، ليست حيله حتّى اصمت (٤).

«و فرّق نديكم» قال الجوهري: الندى على فعيل، مجلس القوم، فإن تفرّق القوم فليس بنديّ، و منه سمّيت دار الندوه بمكّه التي بناها قصي، لأنهم كانوا يندون فيها أي: يجمعون للمشاوره (٥)، و لمهلل في أخيه كليب:

تبث أنّ النار بعدك او قدت و استبّ بعدك يا كليب المجلس

و تكلموا في كلّ أمر عظيمه لو كنت شاهدها اذا لا ينسوا

(٦) و للنّاشي:

ص: ٢٧٥

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٣. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ٣: ١١١ ح ٤. [٢]

٣-٣ (٣) الصحاح: [٣] (نجا).

٤-٤ (٤) تاريخ الطبري ٧: ٣١٤. [٤]

٥-٥ (٥) الصحاح للجوهري: [٥] (ندا).

٦-٦ (٦) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٩٨ [٦] مع تغيير.

و كان لنا أصدقاء حماه و أعداء سوء فلم يخلدوا

تساقوا جميعا كؤوس الحمام فمات الصديق و مات العدو

و قال لبيد في أخيه أريد:

و هل حدثت عن أخوين داما على الأيام إلا ابني شمام (١)

و إلا الفرقدان و آل نعش خوالد ما تحدّث بانهدام

(٢) قال الجوهري: شمام: جبل له رأسان يسميان ابني شمام، و الفرقدان:

نجمان قريبان من القطب، و المراد بآل نعش كواكب بنات نعش الكبرى، و بنات نعش الصغرى، قال الجوهري: كلّ منهما سبعة كواكب أربعة منها نعش، و ثلاث بنات (٣).

قلت: و استثناءه لرأسي ذاك الجبل و لكوكبي الفرقدين و كواكب بنات من عدم الدوام على الأيام بالنسبة إلى البشر و إلا فتلك أيضا لا تدوم إلى المحشر، قال تعالى: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» (٤).

«و عفى آثاركم» قال الجوهري (عفت الريح المنزل): درسته، و (عفا المنزل): درس، يتعدى و لا يتعدى، و (عفتها الريح) شدّد للمبالغة (٥).

في (بيان الجاحظ): بينا حذيفه و سلمان يتذاكران أعاجيب الدنيا و هما في عرصه أيوان كسرى، و كان أعرابي من غامد يرمى شويهات له نهارا، فاذا كان الليل صيرهنّ إلى داخل العرصه، و في العرصه سرير رخام كان كسرى ربّما جلس عليه فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى، فقال سلمان

ص: ٢٧٦

١-١) لسان العرب ٢٠٦: ٧. [١]

٢-٢) لسان العرب ٢٠٦: ٧. [٢]

٣-٣) الصحاح: (٣) [شمم].

٤-٤) إبراهيم: ٤٨. [٤]

٥-٥) الجوهري: (عفا).

و من أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدى على سرير كسرى (١).

«و عطل دياركم» فى (ابن خلكان): اجتاز بعض الادباء بدار الرضى رضى الله عنه و قد ذهبت بهجتها و اخلقت ديابقتها و بقايا رسومها تشهد لها بالنضاره و حسن الشاره فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان و طوارق الحدثان فتمثل بقول الرضى رضى الله عنه:

و لقد وقت على ربوعهم و طولهم بيد البلى نهب

فبكيت حتى ضج من لغب نضوى و لج بعذلى الركب

و تلفتت عيني فمذ خفيت عنى الطلول تلفت القلب

(٢) فمرّ به شخص و هو ينشد الأبيات فقال له: هل تعرف هذه الدار؟ قال: لا.

قال: لصاحب الأبيات، الرضى، فعجب كلاهما من حسن الاتفاق (٣).

«و بعث وراثكم يقتسمون ميراثكم» فى (المروج): بلغ ربع ثمن أزواج عبد الرحمن بن عوف لثما قسّموا ميراثه أربعة و ثمانين ألفا، و خلف زيد بن ثابت من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفئوس فى تقسيم ميراثه (٤).

«بين حميم خاص» الحميم: القريب الذى يهتم لك و تهتم له و يعبر عنه فى الفارسيه ب(جانسوز).

«لم ينفع» فى جدّه لك.

«و قريب محزون لم يمنع» من نزول الموت بك، قال مطيع بن اياس فى صاحبه يحيى بن زياد لثما مات:

ص: ٢٧٧

١- (١) البيان و التبيان للجاحظ ١٤٨: ٣.

٢- (٢) ديوان الرضى ١: ١٨١. [١]

٣- (٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤: ٤١٧. [٢]

٤- (٤) مروج الذهب للمسعودى ٢: ٣٣٣. [٣]

راحوا يبحيى و لو تطاوعنى الأقدار لم تبتكر و لم يرح

(١) «و آخر شامت لم يجزع» لعداوته معه، بل قد يفرح كثيرا، و فى (مقاتل أبى الفرج): لَمَّا أتى عايشه نعى أمير المؤمنين عليه السلام تمثّلت:

فألقت عصاها و استقرّت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائيا فلقد بغاه غلام ليس فى فيه التراب

فقالت لها زينب بنت امّ سلمه: ألعلىّ تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكرونى، ثم تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق و كثره الألقاب

حتّى تركت كأنّ قولك فيهم فى كلّ مجتمع طنين ذباب

و روى عن أبى البخترى: أنّه لَمَّا جاءها قتله عليه السلام سجدت فرحا (٢).

و فى (خلفاء ابن قتيبه): لَمَّا توفى الحسن عليه السلام و أتى الخبر معاويه أظهر فرحا و سرورا حتّى سجد و سجد من كان معه، فبلغ ذلك ابن عباس و كان يومئذ بالشّام، فدخل على معاويه فلمّا جلس قال معاويه: يا بن عبّاس! هللك الحسن، فقال ابن عبّاس: نعم هللك، إنّ الله و إنّا إليه راجعون، و رجّع ترجيعا مكزرا، و قد بلغنى الذى أظهرت من الفرح و السرور، أما و الله، ما سدّ حفرتك، و لا زاد نقصان أجله فى عمرك، و لئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيرا منه جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله فجبّر الله مصيبتيه، و خلّف علينا بعده أحسن الخلافه، ثم شهق فبكى و بكى من حضر و بكى معاويه فما رئى يوم

ص: ٢٧٨

١-١ (١) الأغاني ٢٨٩: ١٣. [١]

٢-٢ (٢) مقاتل الطالبين لأبى الفرج: ٢٦.

أكثر باكيا من ذلك اليوم (١).

«فعلیکم بالجدِّ والاجتهاد» «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» (٢).

«والتأهب والاستعداد» «وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» (٣).

«والتزود في منزل الزاد» «وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَ اتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ» (٤).

«و لا تغرنكم الحياه الدنيا» هكذا في (المصريه) (٥) و الصواب: ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٦) «و لا تغرنكم الدنيا» «يا معشر الجنِّ و الإنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَ غَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» (٧).

«كما غرت من كان قبلكم من الامم الماضيه» «أَ وَ لَمْ يَسْتَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» (٨) و في آيه اخرى بدل (و كانوا) «كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَىٰ»

ص: ٢٧٩

١- ١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبه (الإمامه و السياسه): ١٧٥. [١]

٢- ٢) الزمر: ٥٦. [٢]

٣- ٣) المنافقون: ١٠. [٣]

٤- ٤) البقره: ١٩٧. [٤]

٥- ٥) الطبعه المصريه المصححه بلا لفظ (الحياه): ٥٠١.

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٣ و [٥] شرح ابن ميثم كالمصريه ١٠٠: ٤ (٢٢١).

٧- ٧) الأنعام: ١٣٠. [٦]

٨- ٨) فاطر: ٤٤. [٧]

«عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (١).

«و القرون الخاليه» أى:الماضي.

«الَّذِينَ احْتَلَبُوا» فى (الصحيح): (حلب الناقه و احتلبها) (٢).

«دَرَّتْهَا»، أى:لبنها «كَمَا اسْتَمَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ» (٣).

«و أصابوا غزتها» و حيث أن الدنيا لا تدع أحدا يذوق حلوها بدون مرّ فمن اتفق له صاف بلا كدر فى أيام، فكأنه أصاب منها غزه و غفله.

«و أفنوا عدتها» فى (الصحيح):العهده (بالضم): ما أعدده لحوادث الدهر (٤).

فى السير:قعد الفضل بن مروان لاشغال الناس فرأى رقعته فيها:

تفرغت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل و الفضل و الفضل

يعنى الفضل بن يحيى البرمكى و الفضل بن الربيع و الفضل بن سهل.

ثلاثه أملاك مضوا لسبيلهم أبادتهم الأقياد و الحبس و القتل

و أنك قد أصبحت فى الناس ظالما ستودى كما أودى الثلاثه من قبل

(٥) «و أخلقوا» فى (الصحيح): (أخلق الثوب) بلى، و (أخلقته) يتعدى و لا يتعدى (٦).

«جدتها» فى (الصحيح): (جد الشيء يجد بالكسر، أى: صار جديدا) (٧).

ص: ٢٨٠

١- ١) غافر: ٨٢. [١]

٢- ٢) الصحيح: (حلب).

٣- ٣) التوبه: ٦٩. [٢]

٤- ٤) الصحيح: (عدد).

٥- ٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٥: ٤٠. [٣]

٦- ٦) الصحيح: [بلا].

٧- ٧) الصحيح: (جدد).

«أصبحت مساكنهم اجداثاً» قال شاعر في معمر:

لقد عاش حتى قيل ليس بميت و أفنى فنا ما من كهول و شبان

فأضحى كأن لم يغن في الناس ساعه رهين ضريح في سائب كئبان

«و أموالهم ميراثاً» قال تعالى في فرعون: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَهُ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ» (١).

«لا- يعرفون من أتاهم» المراد السواد الأعظم، و أما المؤمن: ففي (الكافي) عن إسحاق بن عمار قال لأبي الحسن عليه السلام: يعلم المؤمن من يزور قبره؟ قال:

نعم لا يزال مستأنسا به ما دام عند قبره، فإذا انصرف دخله من انصرافه وحشه (٢).

«و لا يجفلون من بكاهم» أي: لا يبألون به قال البحري:

و ما علم ثاو في التراب رهين

«و لا- يجييون من دعاهم» في (الطبري): أمر النبي صلى الله عليه و آله بقتلى بدر أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه إلا ما كان من امييه بن خلف، فإنه انتفخ في درعه حتى ملأها! فذهبوا ليحرقوه فتزاييل فأقروه و ألقوا عليه ما غيبه من التراب و الحجاره، فلما ألقاهم وقف عليهم، فقال: يا أهل القليب! هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال له أصحابه: أتكلّم قوما موتى؟ قال: لقد علموا أنّ ما وعدتهم حقّ، و الناس يقولون: قال: لقد سمعوا ما قلت و أنّما

ص: ٢٨١

١- (١) الدخان: ٢٥-٢٨. [١]

٢- (٢) الكافي ٣: ٢٢٨ ح ٤. [٢]

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَقَدْ عَلِمُوا (١).

«فاحذروا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَزَارَةٌ» هكذا في (المصريه) (٢) و ليست «غَدَارَةٌ» في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣) و الظاهر أَنَّهَا كانت في نسخه بدلا عن (غَزَارَةٌ) فجمعت (المصريه) بينهما.

«خدوع» لأهلها.

في (الأغانى): عن علويه قال: كنت مع المأمون لما خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق فطفنا فيها، و جعل يطوف على قصور بنى اميّه و يتبع آثارهم، فدخل صحنا من صحونهم، فإذا هو مفروش بالزخام الأخضر كله و فيه بركه ماء يدخلها و يخرج منها من عين تصب إليها، و في البركه سمك، و بين يديها بستان على أربع زواياه أربع سروات كأنها قصت بمقراض من أحسن ما رأيت من السروات قدا و قدرا، فاستحسن ذلك، و عزم على الصبح، و قال:

هاتوا لي الساعه طعاما خفيفا، فأتى به بين ماء و ورد فأكل، و دعا بشراب، و أقبل عليّ و قال: غنّني و نشّطني، فكأن الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

لو كان حولى بنو اميّه لم تنطق رجال أراهم نطقوا

فنظر إليّ مغضبا و قال: عليك و على بنى اميّه لعنه الله! ألم يكن لك وقت تذكّر فيه بنى اميّه إلا هذا الوقت؟ اعدل عن هذا- قال: فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت:

الحين ساق إلى دمشق و لم أكن أرضى دمشق لأهلنا بلدا

ص: ٢٨٢

١- (١) الطبرى ١٥٥: ٢. [١]

٢- (٢) الطبعة المصريه: ٥٠١.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣، و [٢] شرح ابن ميثم كالمصريه ١٠١: ٤.

فرمانى بالقده فآخطأنى فانكسر، وقال: قم عني إلى لعنه الله و قام فركب. فكانت و الله تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض و مات (١).

و فى (وزراء الجهشياري): قال الربيع للمنصور: كنت عند أبى أيوب فطلب منه عبد الله بن مروان بن محمد حاجه، فقضاها، فقام عبد الله فقبل رأسه، و كان المنصور متكئا فاستوى جالسا و خرّ ساجدا فأطال ثم قال للربيع:

أ تدرى أى نعمه جدّد الله عندي فى هذا الوقت؟ قال: لا، فكشف عن ساقه فاذا فيها أثر بين، ثم قال: أنى كنت بدمشق فى أيام مروان، إذ رأيت للناس حركه فقلت: ما هذا؟ قالوا: ابن الخليفه يركب- و ما ركب قبل ذلك- و قد أمر الجند بالزينة و انجفل الناس للنظر، فخرجت فى من خرج فازدحم الناس على بعض الطرق و كانت دابّتي صعبه، فسقطت عنها و انكسر ساقى و مكثت دهرًا عليلًا و ها هو اليوم يقبل رأس كاتبي (٢).

«معطيه منوع» عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمى قال: دخلت على امّى يوم أضحى، فرأيت عندها امرأه فى أثواب دنسه فقالت امّى: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هى امّ جعفر البرمكى، فقلت لها: حدّثينى ببعض أمركم فقالت:

أذكر لك جمله فيها عبره لمن اعتبر، لقد هجم علىّ مثل هذا اليوم و على رأسى أربعمائه و صيفه، و أنا أزعم أنّ ابنى جعفر عاقّ لى، و قد أتيتكم اليوم فى جلدى شاتين شعار و دثار (٣).

و فى (وزراء الجهشياري): كان عبد الرحمن بن زياد على خراسان فى أيام يزيد بن عبد الملك، فاستخلف على عمله و أقبل إلى يزيد و أنكر قدومه

ص: ٢٨٣

١-١ (١) الأغاني ٣٥٥:١١-٣٥٦. [١]

٢-٢ (٢) الكتاب و الوزراء للجهشياري: ١١٣. [٢]

٣-٣ (٣) مروج الذهب للمسعودى ٣:٣٨٣. [٣]

و سأله عمّا حصل له فاعترف بعشرين ألف ألف درهم، فسوّغه إيّاها و كان معه من العروض أكثر، فقال يوماً لكتابه: إنّي لأعجب كيف يأتيني التّوم و هذا المال عندي، إنّي قدّرت ما عندي لمائه سنه في كلّ يوم ألف درهم، لا أحتاج منه إلى شراء رقيق و لا كراع و لا عرض من العروض، فقال له: لا تعجب من نومك و هذا المال عندك، و لكن اعجب من نومك إذا ذهب، قال: فذهب كلّه، أو دع بعضه فذهب، و جحد بعضه، و سرق بعضه (١).

«ملبسه نزوع» في (لطائف الثعالبى): عن بعضهم: ما رأيت ميتة أضيع من ميتة الخلفاء! قد شددت لحيى المأمون و المعتصم و الواثق بيدي فما تهياً لأحد منهم عند تلك الحال وجود خرقة أشدّ بها لحييه، و أنّما كان معوّلى على الدّرايع التى تكون على أخرقّ منها، و لمّا توفى المكتفى عن ألف ألف دينار بقى يومه، و تشاغل الناس عنه بأمر أخيه المقتدر، فاجتاز به صاحب خزانه الكسوه و على وجهه رداء قصب، فأخذه! و قال: هذا فى ما أحصى علىّ و أخاف أن يذهب فأطالب به، فاجتاز به بعض خدمه فلّما رآه مكشوفاً بكى، فأخذ منديلاً كان على رأسه فنشره عليه، و لمّا نقل إلى دار التّغسيل و التّكفين لم توجد مجمره يبخر فيها قطع نذ أحضرها من تولّى أمره من منزله، فأمر الجوارى حتّى أخذن غضاره من غضاير الخزف الأحمر، فبخر الموضع بها.

و قد كان فى ما خلّف الوف من مجامر الذهب (٢).

و فى (المروج): لمّا احتزّ عامر بن إسماعيل رأس مروان بن محمد آخر الأمويه ببوصير و احتوى على عسكريه، دخل الكنيسه التى كان فيها مروان فقعد على فراشه و أكل من طعامه، فخرجت إليه ابنه مروان، فقالت: يا عامر! إنّ

ص: ٢٨٤

١- ١) الكتاب و الوزراء للجهمشيارى: ٢٩. [١]

٢- ٢) لطائف المعارف للثعالبى: ١٤٦.

دهرا أنزل مروان عن فرشه حتى أفضدك عليها حتى أكلت من طعامه و احتويت على أمره و حكمت في مملكته، لقادر على أن يغير ما بك. و بلغ السفاح فعله و كلامها، فاغتاظ من ذلك (١).

و للبهائي بالفارسيه:

عهد جوانی گذشت در غم بود و نبود نوبت پیری رسید صد غم دیگر فرود

کارکنان فلک بر سر دستان شدند آنچه بدادند دیر باز گرفتند زود

(٢) «لا يدوم رخاؤها» أي: لينتها.

«و لا ينقضى عناؤها» أي: تعبها.

«و لا يركد بلاؤها» أي: لا يزول. و في (وزراء الجهشيارى): جاء رجل من أهل الأهواز إلى أبي أيوب و هو وزير فقال له: إن ضيعتى بالأهواز، و قد حمل على فيها العمال، فإن رأى الوزير أن يعيرنى اسمه أجعله عليها و أحمل إليه فى كل سنه مائه ألف درهم، فقال: قد وهبت لك اسمى فافعل ما بدا لك، فحال الحول فأحضر الرجل المال و دخل على أبي أيوب و هو لا يعرفه، فجلس حتى خف الناس ثم دنا منه و قصّ عليه قصته و أعلمه أنه قد انتفع باسمه و أنه قد حمل المال، فأمر بإحضاره، فادخل و وضع بين يديه، و نهض الرجل شاكرًا داعيًا و اندفع أبو أيوب يبكى! فقال له أهله و من حضر ما رأينا موضع سرور و فرح عقب بكاء و حزن غير هذا، فقال لهم: و يحكم! إن شخصًا بلغ هذا من

ص: ٢٨٥

١-١) مروج الذهب للمسعودى ٢٥٦:٣. [١]

٢-٢) البهائي فى ديوان أشعاره: ٦٨.

إقباله كيف يكون إداره!فما بعد بين الوقت و بين نكته (١).

١٠

الخطبه (٢٣٢)

و من خطبه له عليه السلام:

فَاعْمَلُوا وَ أَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ - وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَ التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ - وَ الْمِيدِبُ يُدْعَى وَ الْمُسَيُّ يُرْجَى - قَبْلَ أَنْ يَخْمِدَ الْعَمَلُ وَ يَنْقَطِعَ الْمَهْلُ - وَ يَنْقُضِيَ الْأَجَلَ وَ يَسِدَّ بَابَ التَّوْبَةِ - وَ تَصِيَّعَ الْمَلَائِكَةَ - فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ أَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ - وَ مِنْ فَمَانٍ لِبِاقٍ وَ مِنْ ذَاهِبٍ لِتَدَائِمٍ - امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ - وَ هُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ وَ مَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ - امْرُؤٌ لَجِمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَ زَمَّهَا بِزِمَامِهَا - فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعْاصِي اللَّهِ - وَ قَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ «فاعلموا» هكذا و هو محرف (فاعملوا) كما هو واضح و يشهد أيضا (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢) له.

«و أنتم في نفس البقاء» أى: سعته.

«و الصحف منشوره» للصحف نشرتان، نشره في الدنيا يكتب الكرام الكاتبون فيها أعمال العباد، حسناتهم و سيئاتهم و تطوى بالموت لأنه لا عمل بعده، و هى المراده فى كلامه عليه السلام و نشره فى الآخرة لمشاهده الإنسان أعماله فى الدنيا و هى المراده فى قوله تعالى: «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» (٣).

«و التوبه مبسوطه» «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوَاءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ»

ص: ٢٨٦

١- ١) الكتاب و الوزراء للجهشياري: ٦١٨. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٣، [٢] شرح ابن ميثم [٣] ورد فيه لفظ «فاعلموا» ٤: ٣٢٥.

٣- ٣) التكوير: ١٠. [٤]

«يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» (١)، «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٢)، «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» (٣).

«و المدبر يدعى و المسىء يرجى» فى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السلام: إن الشمس لتطلع و معها أربعة أملاك: ملك ينادى: يا صاحب الخير! أتم و أبشر، و ملك ينادى: يا صاحب الشر انزع و اقصر، و ملك ينادى: اعط منفقاً خلفاً و آت ممسكاً تلفاً، و ملك ينضحها بالماء و لو لا ذلك اشتعلت الأرض (٤).

«قبل أن يخمد العمل» هكذا فى (المصريه) (٥) و الصواب: (يجمد) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٦) و لأن العمل إنما يشبه بالماء فى جريانه، فيجمد بالموت لا بالنار فى التهابه فيخمد به، قال تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحْيَاهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (٧).

«و ينقطع المهمل» قال تعالى: «و ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَ مَهْلُومٌ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَ جَحِيمًا وَ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَ عَذَابًا أَلِيمًا» (٨).

ص: ٢٨٧

١-١ (١) النساء: ١٧. [١]

٢-٢ (٢) الأنعام: ٥٤. [٢]

٣-٣ (٣) النحل: ١١٩. [٣]

٤-٤ (٤) الكافى ٤: ٤٢ ح ١. [٤]

٥-٥ (٥) الطبعه المصريه: ٥٠٦.

٦-٦ (٦) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٣٠٧، و [٥] شرح ابن ميثم كالمصريه ٤: ٣٢٦.

٧-٧ (٧) المؤمنون: ٩٩-١٠٠. [٦]

٨-٨ (٨) المزمل: ١١-١٣. [٧]

«و ينقضى الأجل» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: (و تنقضى المدّه) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) قال تعالى: «أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» (٣)، «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» (٤).

«و يسدّ باب التوبه» «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» (٥).

«و تصعد الملائكه» لأنهم لكتابته الأعمال، و بالموت ينقطع العمل .

«فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه» «وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا» (٦).

«و أخذ من حيّ لميت» و في الخبر: (اغتنم حياتك قبل موتك) (٧).

«و من فان لباقي» «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» (٨).

«و من ذاهب لدائم» «إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» (٩).

«امرؤ خاف الله» «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَنْ»

ص: ٢٨٨

١-١) المصريه: ٥٠٦.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٣:٣٠٧، و الخطيه: ٢٢٨ كما ذكر، و ابن ميثم كالمصريه ٤:٣٢٦.

٣-٣) فاطر: ٣٧. [١]

٤-٤) النحل: ٦١. [٢]

٥-٥) النساء: ١٨. [٣]

٦-٦) المزمل: ٢٠. [٤]

٧-٧) الأمالى للطوسى ٢:١٣٩. [٥]

٨-٨) النحل: ٩٦. [٦]

٩-٩) غافر: ٣٩. [٧]

«يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ» (١).

«و هو معمر إلى أجله» «و ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ» (٢).

«و منظور إلى عمله» «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» (٣).

«امرؤ لجم نفسه بلجامها» هكذا في (المصريتين) (٤) و الصواب: (ألجم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و في اللغة لم يذكر غير (ألجم)، و في (المصباح): ألجمت الفرس: جعلت اللجام في فيه (٥)، و باسم المفعول سَمِيَ الرجل (٦).

«و زَمَّها بزمامها» في (الصحاح): الزَّمام: الخيط الذي يشدُّ في البره أو في الخشاش ثمَّ يشدُّ في طرفه المقود (٧).

«فأمسكها بلجامها عن معاصي الله ، «و أَمَا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (٨).

و في (الفقيه): من نظر امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره، لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين (٩)، و في خبر آخر: لم يرتد

ص: ٢٨٩

١- ١) الأنعام: ١٥-١٦. [١]

٢- ٢) فاطر: ١١. [٢]

٣- ٣) البقرة: ٢٨٦. [٣]

٤- ٤) الطبعه المصريه بلفظ «ألجم»: ٥٠٧.

٥- ٥) شرح ابن أبي الحديد ٣:٣٠٧ كما ذكره، و ابن ميثم كالمصريه ٤:٣٢٦.

٦- ٦) المصباح المنير للفيثوري: ٢٤١ (لجم).

٧- ٧) الصحاح: [٤] زمم).

٨- ٨) النازعات: ٤٠-٤١. [٥]

٩- ٩) الفقيه ٣:٤٧٣ ح ٣:٤٦٥٦.

إليه طرفه حتى يعقبه الله إيماناً يجد طعمه (١).

«و قادهَا بزمامها إلى طاعه الله» «تتجافى جُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمَ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٢).

١١

الخطبه (٣)

و من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه:

رُوي أَنَّهُ؟ شُرَيْحُ بْنُ الْخَارِثِ؟ قَاضِي؟ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع؟- اشْتَرَى عَلَيَّ عَهْدِي دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا- فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَاهُ- وَ قَالَ لَهُ بَلِّغْنِي أَنَّكَ ابْتِغَتْ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا- وَ كَتَبْتَ لَهَا كِتَابًا وَ أَشْهَدْتَ شُهُودًا- فَقَالَ لَهُ؟ شُرَيْحُ؟ قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا؟ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟- قَالَ فَنَظَرُ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ- يَا؟ شُرَيْحُ؟ أَمَّا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا- يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ- وَ لَا- يَسْأَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ- حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا وَ يُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا- فَانظُرْ يَا؟ شُرَيْحُ؟ لَا تَكُونُ ابْتِغَتْ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ- أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ- فَإِذَنْ أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الْآخِرَةِ- أَمَّا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ- لَكَبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَيَّ هَذِهِ النُّسِيخَةَ- فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ- وَ النُّسِيخَةُ هَذِهِ- هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُرْجِعَ لِلرَّحِيلِ- اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ- مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ وَ خِطَّةِ الْهَالِكِينَ-

ص: ٢٩٠

١- ١) المصدر نفسه ٣: ٤٧٤ ح ٤٦٥٧.

٢- ٢) السجده: ١٦-١٧. [١]

وَ تَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُرْدُودٌ أَرْبَعَةٌ - الحَيْدُ الأوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الأَفَاتِ - وَ الحَيْدُ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي المَصِيَبَاتِ - وَ الحَيْدُ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الهَوَى المُرْدِي - وَ الحَيْدُ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ المَغْوِي - وَ فِيهِ يُشْرَعُ بِأَبْ هَذِهِ الدَّارِ - اشْتَرَى هَذَا المَغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هَذَا المُرْتَجِعِ بِاللَّحْلِ - هَذِهِ الدَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ القَنَاعَةِ - وَ الدُّخُولِ فِي الطَّلَبِ الدُّلِّ وَ الصَّرَاعَةِ - فَمَا أَدْرَكَ هَذَا المُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ - فَعَلَى مُبَلِّلِ أجْسَامِ المُلُوكِ وَ سَالِبِ نُفُوسِ الجَبَابِرَةِ - وَ مُزِيلِ مُلُوكِ الفِرَاعِنَةِ - مِثْلِ؟ كَشِيرِي؟ وَ؟ قَيْصَر؟ وَ؟ تُبَع؟ وَ؟ حَمِير؟ - وَ مَنْ جَمَعَ المَالَ عَلَى المَالَ فَكَثُرَ - وَ مَنْ بَنَى وَ شَيَّدَ وَ زَخَرَفَ وَ نَجَّدَ - وَ ادَّخَرَ وَ اعْتَقَدَ وَ نَظَرَ بِرِغْمِهِ لِلوَلَدِ - إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ العَرَضِ وَ الحِسَابِ - وَ مَوْضِعِ الثَّوَابِ وَ العِقَابِ - إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَضْلِ القَضَاءِ «وَ خَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ» (١) شَهِدَ عَلَى ذَلِكِ العَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَشِيرِ الهَوَى - وَ سَيَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا أَقُولُ: رَوَاهُ الصَّدُوقُ فِي (أَمَالِيهِ الشَّيْخِ الصَّدُوقِ - الأَمَالِي - ص ٢٥٦ ح ١٠ المَجْلِس ٥١) عَنِ صَالِحِ بِنِ عَيْسَى العَجَلِي عَنِ عَبْدِ العَظِيمِ عَنِ أَبِيهِ عَنِ أَبَانَ مَوْلَى زَيْدِ بِنِ عَلِي عَنِ عَاصِمِ بِنِ بَهْدَلَةَ قَالَ: قَالَ لِي شَرِيحُ القَاضِي: اشْتَرَيْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا وَ كَتَبْتَ كِتَابًا وَ أَشْهَدْتَ عَدُولًا فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَعَثَ إِلَيَّ مَوْلَاهُ قَبْرًا فَأَتَيْتَهُ فَلَمَّا أَنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِ قَالَ:

اشْتَرَيْتَ دَارًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ سَيِّئَاتِكَ مِنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَ لَا يَسْأَلُ عَنِ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يَخْرُجَكَ مِنْ دَارِكَ شَاخِصًا وَ يَسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا فَانظُرْ أَلَّا تَكُونَ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكِهَا أَوْ وَزَنْتَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حَلِّهِ فَإِذَنْ أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ الدَّارِينَ جَمِيعًا الدُّنْيَا وَ الآخِرَةَ: ثُمَّ قَالَ: يَا شَرِيحُ! فُلُو كُنْتَ عِنْدَ مَا اشْتَرَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ أَتَيْتَنِي، فَكَتَبْتَ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسخَةِ إِذَنْ لَمْ

ص: ٢٩١

تشرها بدرهمين، قلت: و ما كنت تكتب؟ قال كنت أكتب لك هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى عبد ذليل من ميث ازعج بالرحيل اشترى منه دارا في دار الغرور من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين و تجمع هذه الدار حدود أربعة فالحد الأول منها ينتهي إلى دواعى الآفات، و الحد الثاني منها ينتهي إلى دواعى العاهات، و الحد الثالث منها ينتهي إلى دواعى المصيبات، و الحد الرابع منها ينتهي إلى الهوى المردى و الشيطان المغوى و فيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المفتون بالأمل من هذا المزعج بالأجل جميع هذه الدار بالخروج من عز القنوع و الدخول في ذل الطلب فما أدرك هذا المشتري في ما اشترى منه من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك، و سالب نفوس الجبابره مثل كسرى و قيصر و تبع و حمير، و من جمع المال إلى المال فأكثر، و بنى فسيّد، و زخرف فنجد، و ادّخر بزعمه للولد إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب لفصل القضاء «وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ» شهد على ذلك العقل إذ اخرج من أسر الهوى و نظر بعين الزوال إلى أهل الدنيا و سمع منادى أهل الزهد ينادى فى عرصاتها ما أبين الحقّ لذي عينين إنّ الرحيل أحد اليومين تزودوا من صالح الأعمال، و قرّبوا الآمال بالأجال فقد دنا الرحله بالزوال (١).

و رواه سبط ابن الجوزى فى (تذكّرتّه سبط ابن الجوزى - تذكّره الخواص - ص ٨٨) فقال: حكى الشعبى أنّ شريحا اشترى دارا بثمانين دينارا فبلغ ذلك علينا عليه السلام فاستدعاه فقال له يا ابن الحارث! بلغنى أنّك اشتريت دارا بكذا و كذا و أشهدت على نفسك شهودا...

و فيه: (و فيه يشرع بابها و تجتمع أسبابها) و فيه: (و سيقع الأمر بفصل القضاء و يقتصّ للجّماء من القرناء) و فيه: (شهد على ذلك التّوانى ابن الفاقه و الغرور

ص: ٢٩٢

ابن الأمل و الحرص ابن الرغبه و اللهو ابن اللعب و من أخلد إلى محلّ الثوى و مال إلى الدنيا و رغب عن الأخرى.

قلت: و لو صحّت روايته فى قوله: «شهد على ذلك» -إلى آخر ما مرّ- كان فيه سقط و لابدّ أنّ الأصل كان: (شهد على ما كتبت يا شريح التوانى ابن الفاقه...) (١). و مقتضى الجمع بين الروایتين كون الأصل (شهد على ما كتبت أنا العقل اذا خرج من أسر الهوى و شهد على ما كتبت أنت التوانى ابن الفاقه...).

و من الغريب أنّ فضيل بن عياض انتحله و أوهم أنّه منشئه، ففى (حليته أبو نعيم-حليه الأولياء-عنوان فضيل ج ٨ ص ١٠١ أبى نعيم) فى عنوان فضيل ذاك: (قال الفيض بن إسحاق: اشترت دارا و كتبت كتابا و اشهدت عدولا فبلغ ذلك الفضيل فأرسل إلى يدعونى فمررت إليه فلمّا رأى قال: يا ابن يزيد بلغنى أنّك اشترت و كتبت كتابا و أشهدت عدولا، قلت:

قد كان ذلك، قال: فإنّه يأتىك من لا ينظر فى كتابك و لا يسأل عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا و يسلمك إلى قبرك خالصا-إلى آخره بعينه (٢)-.

قول المصنّف: «و من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه»، قال ابن أبى الحديد: هو شريح بن الحارث الكندى و قيل: أنّه حليف لكنده من بنى رائش و قال ابن الكلبي: ليس اسم أبية الحارث و إنّما هو شريح بن معاوية بن ثور (٣).

قلت: كلامه خلط و خبط! فمن جعله حليف كنده لم يجعله من بنى الرّائش فإنّهم من كنده، كما أنّ ابن الكلبي إنّما جعل أباه الحارث و جعل معاوية بن ثور جدّ جدّه لا أباه و إنّما هو أبو الرّائش، ففى (استيعاب أبى

ص: ٢٩٣

١-١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى: ٨٨.

٢-٢) حليه الأولياء لأبى نعيم ١٠١: ٨.

٣-٣) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٢٨: ١٤. [١]

عمر)، و اعتماد (ابن أبي الحديد) من الكتب الصحابيّه عليه، (قال ابن الكلبي: هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كنده) (١).

هذا، و قال: قال أبو عبيد القاسم بن سلام في غريبه: إنّ رجلا أتى عليّا عليه السلام و عنده شريح في قضيه فقال عليه السلام له: ما تقول أنت أيها العبد الأبطر، قال أبو عبيد: (قال له: العبد) لأنه وقع عليه سبى في الجاهليّه، (و الأبطر) لأنه الذي في شفته العليا طول و نتو في وسطها محاذى الأنف (٢).

قلت: و لا بدّ إنّه كان كذلك.

قال: و روى الأعمش عن إبراهيم التيمي قال: قال عليّ عليه السلام لشريح و قد قضى قضيه نقم عليه أمرها: و الله لأنفينك إلى بانقيا شهرين تقضى بين اليهود، ثمّ قتل عليّ عليه السلام و مضى عليه دهر فلما قام المختار قال الشريح: ما قال لك أمير المؤمنين عليه السلام يوم كذا؟ قال: كذا، قال: و الله لا تقعد حتى تخرج إلى بانقيا تقضى بين اليهود. فسيره إليها فقضى بين اليهود شهرين (٣).

قلت: و روى (حليه أبي نعيم) عن زيد التيمي قال: وجد عليّ عليه السلام درعا له عند يهودي، التقطها فعرفها فقال: درعى سقطت عن جمل لي أورو، فقال اليهودي: درعى و في يدي! بيني و بينك قاضى المسلمين، فأتيا شريحا فلما رأى عليّا عليه السلام تحرّف عن مجلسه، و جلس عليّ عليه السلام فيه، ثمّ قال عليّ عليه السلام: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس - إلى أن قال - فقال شريح لعليّ عليه السلام: صدقت، و الله إنّها لدرعك، و لكن لا بدّ من شاهدين، فدعا قنبرا مولاه

ص: ٢٩٤

١- ١) الاستيعاب في معرفه الأصحاب لابن عبد البر ٧٠١: ٢. [١]

٢- ٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٤٨٣: ٣.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٩٨: ٤. [٢]

و ابنه الحسن عليه السلام فقال شريح: أمّيا شهادة مولا-ك فقد أجزناها، و أمّيا شهادة ابنك لك فلا- نجيزها! فقال عليّ عليه السلام: ثكلتك أمك! أما سمعت عمر يقول: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ الْحَسَنُ وَ الْحَسِينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَفَلَا تَجِيزُ شَهَادَةَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَ اللَّهُ، لِأَوْجَهَنَّكَ إِلَى بَانِقِيَا تَقْضِي بَيْنَ أَهْلِهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ الْيَهُودِيُّ: خَذِ الدَّرْعَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَاءَ مَعِيَ إِلَى قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَضَى عَلَيْهِ وَ رَضِيَ، صَدَقْتَ وَ اللَّهُ إِنَّهَا لَدَّرْعُكَ سَقَطَتْ عَن جَمَلٍ لَكَ التَّقَطُّطُهَا، أَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ رَسُولُهُ، فَوَهَبَهَا لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَجَازَهُ بِتَسْعِمَائِهِ، وَ قَتَلَ مَعَهُ بِصَفِينٍ (١).

و رواه بإسناد آخر و فيه قال اليهودى: وقع الدرّع منك فى توجّهك إلى صفين و قتل اليهودى معه عليه السلام بالنهروان.

و فى (الفقيه) عن الباقر عليه السلام: أنّ عليا كان فى مسجد الكوفة فمرّ به عبد الله بن قفل التيمى، و معه درع طلحه فقال عليّ عليه السلام: هذه درع طلحه أخذت غلولا، فقال ابن قفل: اجعل بينى و بينك قاضيك الذى ارتضىته للمسلمين، فجعل بينه و بينه شريحا، فقال عليّ عليه السلام: هذه درع طلحه أخذت غلولا- يوم البصره فقال شريح: هات على ما تقول بينه فأتاه الحسن عليه السلام، فشهد أنّها درع طلحه، فقال: هذا شاهد، و لا أقضى حتّى يكون معه آخر، فأتى بقنبر فشهد، فقال: هذا مملوك و لا أقضى بشهادته، فغضب عليّ عليه السلام و قال: خذوا الدرّع، هذا قضى بجور ثلاث مرّات فتحوّل شريح عن مجلسه، و قال: لا أقضى حتّى تخبرنى من أين فقال عليه السلام: لمّا قلت: إنّها درع طلحه اخذت غلولا يوم البصره قلت: هات بينه، و لقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ حَيْثَمَا وَجَدْتَ غُلُولَ أَخَذْتَ بِغَيْرِ بَيْنِهِ، فَقُلْتَ: رَجُلٌ لَمْ يَسْمَعْ الْحَدِيثَ، ثُمَّ أَتَيْتَكَ بِالْحَسَنِ فَشَهِدَ، فَقُلْتَ: هَذَا وَاحِدٌ وَ لَا

ص: ٢٩٥

أقصى حتى يكون معه آخر وقد قضى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشَاهِدٍ وَيَمِينٍ فَهَاتَانِ اثْنَتَانِ، ثُمَّ أَتَيْتَكَ بِقَنْبَرٍ فَشَهِدَ، فَقُلْتُ: هَذَا مَمْلُوكٌ، وَلَا بَأْسَ بِشَهَادَةِ الْمَمْلُوكِ إِذَا كَانَ عَدْلًا، فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ يَا شَرِيحَ! إِنَّ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ يُؤْتَمَنُ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا (١).

وَفِي (الطَّبْرِيِّ) عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ: إِنَّ النَّاسَ قَالُوا لِلْمَخْتَارِ اجْعَلْ شَرِيحًا قَاضِيًا، فَسَمِعَ الشَّيْعَةَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ عَشْمَانِي وَ أَنَّهُ مَمَّنٌ شَهِدَ عَلَى حَجْرٍ وَ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ عَنْ هَانِي مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، وَ أَنَّ عَلِيًّا عَزَلَهُ عَنِ الْقَضَاءِ (٢).

وَفِي (أَذْكِيَاءِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ): سَأَلَ الشَّعْبِيُّ عَنْ مِثْلِ: (شَرِيحٌ أَدَهَى مِنَ الثَّعْلَبِ) فَقَالَ: خَرَجَ شَرِيحٌ أَيَّامَ الطَّاعُونَ إِلَى النَّجْفِ، وَ كَانَ إِذَا قَامَ يَصَلِّي يَجِيءُ ثَعْلَبٌ فَيَقِفُ تَجَاهَهُ يَحَاكِيهِ فَيَشْغَلُهُ عَنْ صَلَاتِهِ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ نَزَعَ قَمِيصَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى قَصْبِهِ وَ أَخْرَجَ كَمِيَّةً وَ جَعَلَ قَلَنْسُوتَهُ وَ عِمَامَتَهُ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ فَوَقَفَ عَلَى عَادَتِهِ فَأَتَى شَرِيحًا مِنْ خَلْفِهِ، فَأَخَذَهُ بَغْتَةً (٣).

«رَوَى أَنَّ شَرِيحَ بْنَ الْحَارِثِ» إِنَّ (الاسْتِيعَابَ) وَ أَنَّ نَقَلَ فِي اسْمِ أَبِيهِ أَقْوَالًا إِلَّا أَنَّ الصَّحِيحَ كَوْنَهُ حَارِثًا كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ (٤) فَلَمْ يَذْكَرْ ابْنَ قَتِيْبِهِ غَيْرَهُ، وَ قَدْ عَرَفْتُ مِنْ رِوَايَةِ سَبْطِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ لِلْعُنْوَانِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: (يَا ابْنَ الْحَارِثِ).

«قَاضِيٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فِي (مَعَارِفِ ابْنِ قَتِيْبِهِ): أَوَّلُ قَاضٍ قَضَى بِالْكَوْفَةِ، أَبُو قَرَّةَ الْكَنْدِيُّ اخْتَطَّ النَّاسَ بِهَا وَ هُوَ قَاضِيَهُمْ، ثُمَّ اسْتَقْضَى عَمْرَ بَعْدَهُ شَرِيحًا فَقَضَى خَمْسًا وَ سَبْعِينَ سَنَةً، لَمْ يَتَعَطَّلْ فِيهَا إِلَّا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي

ص: ٢٩٦

١- (١) الفقيه ١٠٩: ٣ ح ٣٤٢٨.

٢- (٢) تاريخ الطبري ١٥٥: ٤. [١]

٣- (٣) الأذكياء لابن الجوزي: ٦٣.

٤- (٤) الاستيعاب لابن عبد البر ٧٠١: ٢.

فتنه ابن الزبير، فاستعفى الحجاج فلم يقض حتى مات سنة تسع و سبعين -و يقال ثمانين- و هو ابن مائه و عشرين سنة (١).

و في (الفقيه) في باب اتقاء الحكومه: و قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح:

قد جلست مجلسا ما جلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي (٢).

و قال ابن أبي الحديد: أقرّ عليّ عليه السلام شريحا على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيره من الفقه المذكوره في كتب الفقهاء و استأذنه شريح و غيره من قضاه عثمان في القضاء أول ما وقعت الفرقة، فقال: اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكون للناس جماعه أو أموت كما مات أصحابي (٣).

قلت: مراده عليه السلام بأصحابه شيعته الذين ماتوا في التقيه كسلمان، و أبي ذر، و المقداد، و لم يقدر عليه السلام على تغيير شريح... لجعل عمر له قاضيا، كما لم يقدر على تغيير بدعهم، و كان عليه السلام يقول: لو استوت قدماي لغيرت أشياء .

«اشترى على عهده» أي: عهده خلافته.

«دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك فاستدعاه» قد عرفت من روايه (الأمالي) أنه عليه السلام استدعاه بواسطه قنبر مولاه.

«و قال له: بلغني أنك ابتعت» أي: اشتريت.

«دارا بثمانين دينارا و كتبت كتابا و اشهدت شهودا» قد عرفت أن في روايه (الأمالي): و أشهدت عدولا و وزنت مالا.

«فقال شريح قد كان ذلك يا أمير المؤمنين» و في روايه (الأمالي): قال:

قلت: نعم.

ص: ٢٩٧

١- ١) المعارف لابن قتيبه: ٥٥٨. [١]

٢- ٢) الفقيه ٥: ٣ ح ٣٢٢٣.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٩: ١٤. [٢]

«قال فنظر إليه نظر مغضب» و في (ابن أبي الحديد): «المغضب» (١).

«ثم قال له: يا شريح أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بينتك» أي: ملك الموت «و تَرَكْتُمْ ما حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (٢)، «و حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ» (٣).

«حتى يخرجك منها شاخصا» في (الصحاح): شخص - بالفتح - ارتفع، و ذهب (٤).

«و يسلمك إلى قبرك خالصا» في (تاريخ ابن الأثير): قتل أمير الجيوش أفضل بن بدر صاحب الأمر و الحكم بمصر سنة (٥١٥) و كان ركب إلى خزانه السلاح ليفرّقه على الأجناد على جاری العاده في الأعياد، فسار معه عالم كثير من الرّجاله و الخياله، فتأذى بالغبار فأمر بالبعد عنه و سار منفردا معه رجلا، فصادفه رجلا بسوق الصّياقله، فضرباه بالسّكاكين فجرحاه، و جاءه ثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته، فسقط عن دابته و رجع أصحابه فقتلوا الثلاثة - إلى أن قال - فتوفّي و نقل الخليفه من أمواله ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى و بقى الخليفه في داره أربعين يوما، و الكتاب بين يديه و الدواب تحمل و تنقل ليلا و نهارا، و وجد له من الأعلاق النفيسه و الأشياء الغريبه القليله الوجود ما لا يوجد مثله لغيره و اعتقل أولاده (٥).

و عن صاحب (الدول المتقطعه): خلف أمير الجيوش ستمائه ألف ألف

ص: ٢٩٨

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٣٢: ١٤. [١]

٢- ٢) الأنعام: ٩٤. [٢]

٣- ٣) سبأ: ٥٤. [٣]

٤- ٤) الصحاح: (شخص).

٥- ٥) الكامل لابن الأثير ٥٨٩: ١٠-٥٩٠. [٤]

دينار و ثلاثين راحله من حقاق ذهب عراقى و صندوقين كبيرين فيهما ابر ذهب و دواه ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار و مائه مسمار ذهب على كل مسمار منديل مشدود مذهب و خمسمائه صندوق كسوه من رقب تئيس و دمياط، و من الرقيق و الخيل، و المراكب و الطيب، و التجمل و الحلبي ما لا يعلم قدره إلا الله! و من البقر و الجواميس و الغنم ما ضمان ألبانها ثلاثون ألف دينار (١).

«فانظر يا شريح لا- تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك» الظاهر أن «مالك» اسم فاعل (ملك) لا مركب من (مال) مضاف إلى كاف المخاطب و ان كان المترائي من قوله بعد «حلالك» ذلك لأن (الأمالى) نقله- كما عرفت- «من غير مالكها» فيتوافقان، و لأنه لولاه لكان بمعنى قوله بعد.

«أو نقدت الثمن من غير حلالك» مع أن (أو) يمنع من كونه تأكيداً.

«فإذن أنت قد خسرت دار الدنيا و دار الآخرة» خسر دار الدنيا بتركها وراءه، و دار الآخرة بمؤاخذته فى تحصيل دار دنياه من غير الحق.

و فى الخبر: من أخذ أرضاً بغير حق كلف فى القيامة أن يحمل ترابها، و من خان جاره شبرا جعله الله طوقاً فى عنقه من تخوم الأرض السابعة (٢).

فى (أدباء الحموى): مرّ خالد بن صفوان بأبى نخيله الشاعر و قد بنى داراً فقال له أبو نخيله: كيف ترى دارى؟ قال: رأيتك سألت فيها إلحافاً، و أنفقت ما جمعت لها إسرافاً جعلت إحدى يديك سطحاً و ملأت الأخرى سلحاً فقلت:

من وضع فى سطحى و إلا ملأته سلحى (٣).

ص: ٢٩٩

١- ١) الدول المتقطعة، كتاب مخطوط.

٢- ٢) التهذيب ٢٩٤: ٦ ح ٢٦.

٣- ٣) معجم الادباء للحموى ١١: ٢٧ ترجمه (خالد بن صفوان).

«أما إنك لو أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخه فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق»
هكذا في (المصريه) (١) و الصواب:

(فما فوقه) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«و النسخه هذه» كلمه هذه ليست في (ابن ميثم و الخطيه) و انما هي في (ابن أبي الحديد) (٣) و الظاهر زيادتها .

«هذا ما اشترى عبد ذليل من عبد قد أزعج بالرحيل» لما كانوا يكتبون في كتب البيع المتبايعين بالاسم و الوصف ذكر عليه السلام البايع بوصف الإزعاج بالرحله من الدنيا، حيث باع داره، و الإزعاج: الإقلاق، و وصف المشتري بالذله، فلا بد أن تحملها حتى تمكن من اشترائها.

«اشترى منه دارا من دار الغرور» أي: من دور الدنيا الغراره «و ما الحياه الدنيا إلا متاع الغرور» (٤) و هو كذكر البلده في قبالة البيع.

«من جانب الفانين و خطه الهالكين» هو كذكر المحله في القبالة و (الخطه) بالكسر أرض تخطها لتبنيها دارا، و نعم ما قيل بالفارسيه -: عاقبت منزل ما وادي خاموشانست .

«و تجمع هذه الدار حدود أربعه» ذكر عليه السلام حدودا معنويه في قبال رسم كتب البيع حدودا ظاهريه، كما أن الكاظم عليه السلام لما قال له الرشيد: حد لي فدك حتى أردّها إليك، و قال عليه السلام له: إن حددتها لم تردّها، فقال: بلى أردّها! حدّ الحدود لأصلها، و هي المملكه الإسلاميه و خلافتها التي جعلها الله تعالى حقهم عليهم السلام، فقال: حدّها الأول: عدن، و الثاني: سمرقند، و الثالث: إفريقيه،

ص: ٣٠٠

١- ١) المصريه المصححه: ٥١٩.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٣٠: ١٤، و الخطيه ٢٣٠ «كما ذكر»، أما ابن ميثم فكالمصريه ٣٤٢: ٤.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٣٠: ١٤. [١]

٤- ٤) آل عمران: ١٨٥. [٢]

و الرابع: سيف البحر، فاربّد وجه الرشيد، فقال عليه السلام: أعلمتك إن حددتها لم تردّها (١).

«الحدّ الأول ينتهى إلى دواعى الآفات» الأصل فى الآفه (إيف) قال الجوهرى: (إيف الزرع) أى: أصابته الآفه (٢) و الثانى، هكذا فى (المصريه) و الصواب: (٣) (و الحدّ الثانى) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و لأنّ (٤) بعده (و الحدّ الثالث) (و الحدّ الرابع). فى (عيون ابن قتيبه): نظرت امرأه إلى اخرى و حولها عشره من ولدها كأنهم الصقور فقالت: لقد ولدت امّكم حزنا طويلا (٥).

«و الحدّ الثالث ينتهى إلى الهوى المردى» أى: المهلك «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (٦)، «و لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ» (٧).

«و الحدّ الرابع ينتهى إلى الشيطان المغوى» أى: المضلّ «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ» (٨) «و زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» (٩) فى النمل و العنكبوت.

«و فيه» أى: فى الشيطان المغوى.

«يشرع» أى: يفتح.

ص: ٣٠١

١- ١) بحار الأنوار للمجلسى ١٤٤: ٤ ح ٢٠. [١]

٢- ٢) الصحاح: (أوف).

٣- ٣) المصريه بلفظ الحد الثانى: ٥١٩.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٣٠: ١٤ كما ذكر، أما ابن ميثم فكالمصريه ٣٤٣: ٤.

٥- ٥) عيون الأخبار لابن قتيبه ٣٧٠: ٢، [٢] كذلك البيان و التبيان ١٤٥: ٣.

٦- ٦) الجاثيه: ٢٣. [٣]

٧- ٧) المؤمنون: ٧١. [٤]

٨- ٨) البقره: ٢٤٨. [٥]

٩- ٩) النمل: ٢٤. [٦]

«باب هذه الدار» و مرَّ أن في روايه سبط ابن الجوزى: (و فيه يشرع بابها و تجتمع أسبابها).

و في الخبر ما معناه: أن إبليس جاء إلى عيسى عليه السلام و قد اضطجع و وضع تحت رأسه لبنه، فقال له ما تريد مني؟ و ليس لي شيء من متاع الدنيا، فقال له: ما دام لك علاقه بهذه اللبنه يكون لي فيك مطمع، فأخذ عيسى عليه السلام اللبنه و رمى بها .

«اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عزّ القناعه و الدخول في ذلّ الطلب و الضّراعه ،أى: الذلّ و المسكنه، و وصف عليه السلام المتبايعين و المبيع بأوصافها المتقدّمه، و زاد هنا ذكر الثمن بقوله: «بالخروج من عزّ القناعه و الدّخول في ذلّ الطلب و الضّراعه» .

قالوا: باع رجل أرضا من رجل بدرهم و قال له: دفعتها إليك بطيئه الإجابة عظيمه المؤنه، فقال له المشتري: دفعتها إليك بطيئه الاجتماع سريعه التفريق.

«فما أدرك هذا المشتري في ما اشترى منه» هكذا في (المصريه) (١) و كلمه «منه» زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«من درك» ،بفتحتين و الأصل فيه قطعه جبل تشدّ في طرف الرشاء إلى عرقوه الدلو ليكون هو الذي يلي الماء فلا- يعفن الرشاء، ثم استعير لضمان إنسان للمشتري ما يلحقه في المبيع من العيب أو كونه مستحقا لغير البايع، و في المبايعات الرياسيه كالمبايعات المعاملية الدرك أيضا غالب.

بايع هارون للأمين و المأمون و المؤتمن، فأراد الأمين خلع المأمون

ص: ٣٠٢

١- (١) الطبعة المصريه المصححه بلا لفظ «منه»: ٥٢٠.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٢٨ و [١] الخطيه: ٢٣ كما ذكر، اما ابن ميثم فكالعصريه ٤: ٣٤٣.

فتحاربا، فقتله المأمون، و خلع المأمون المؤتمن أيضا، و بايع المتوكل المنتصر و المعتز و المؤيد ثم أراد خلع المنتصر فقتله المنتصر غيلة، و قتل المعتز المؤيد أيضا .

«فعلى مبلبل أجسام الملووك» أى: من يتبعها فلا يدع منها شيئا من (تبلبلت الإبل الكلاء)، فى (بيان الجاحظ): قال الحسن البصرى: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة- أى عبد الملك- و أمير المصرين- أى الكوفه و البصره- و أشب الناس فأقام عندنا أربعين يوما ثم طعن فى قدمه فمات فأخرجناه إلى قبره فلما صرنا إلى الجيانه فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبهم إلى قبره، فوضعنا السريير فصلينا عليه و وضعوا صاحبهم فصلوا، عليه ثم حملنا بشرا إلى قبره، و حملوا صاحبهم إلى قبره، و دفنا بشرا و دفنوا صاحبهم، ثم انصرفوا و انصرفنا، ثم التفت فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشى فلم أر شيئا قط كان أعجب منه (١) و بشر هذا هو الذى يقول فيه الشاعر:

بشر استوى على العراق بغير سيف و دم مهراق

«و سالب نفوس الجبابره» فى (الطبرى): قال الأصمعى: أول من نعى المنصور بالبصره خلف الأحمر، كنا فى حلقة يونس فمر بنا خلف، فقال: قد طرقت ببيكرها أم طبق، قال يونس: و ما ذا؟ قال:

تنتجوها خير أضخم العنق موت الإمام فلقه من الفلق

(٢) «و مزيل ملك الفراعنه» فى (الصحاح): فرعون، لقب الوليد بن مصعب ملك

ص: ٣٠٣

١- ١) البيان و التبيان للجاحظ ١٤٧: ٣.

٢- ٢) تاريخ الامم للطبرى ٣٥١: ٦.

مصر، و كلّ عات فرعون (١).

«مثل كسرى» لقب ملوك فارس. في (الصحاح): كسرى جمع بأكاسره على غير قياس لأنّ قياسه كسرون (بفتح الزاء) مثل عيسون و موسون (بفتح السين) (٢).

«و قيصر» لقب ملوك الروم، و في (تنبيه المسعودي) معنى قيصر شقّ عنه، ذكروا أنّ أمّه ماتت و هي مقرب به، فشقّ عنه بطنها و استخراج، و صار ذلك كالسّمه لكثير من ملوكهم فسّمّتهم العرب بالقيصره (٣).
«و تبّع» اسم لملوك اليمن.

و في (تنبيه المسعودي): قال حسان أو النّعمان بن بشير:

لنا من بنى قحطان سبعون تبعا أقرت لها بالخروج منها الأعاجم

قيل للملك منهم تبّع، تشبيها بالظّل الذي يتفياً به، و التبّع في أصل اللّغه:

الظّل، إذ كانت الملوك السعداء ظلّالا لرعيّتهم، و كهفا لهم، و استشهادهم بقول ليلي أو سعدى الجهتيّه:

يرد المياح حضيره و نفيضه ورد القطاه إذا اسمأل التّبّع

(٤) يعنى ارتفاع الظّل.

«و حمير» (بالكسر فالسيكون فالففتح) في (الصحاح): هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و منهم كانت الملوك في الدّهر الأوّل (٥).

«و من جمع المال على المال فأكثر» قال تعالى في قارون: «وَ آتَيْنَاهُ مِنْ»

ص: ٣٠٤

١- ١) الصحاح: ([١] فرعن).

٢- ٢) الصحاح: ([٢] كسر).

٣- ٣) التنبيه و الاشراف للمسعودي: ٣٤٢. [٣]

٤- ٤) التنبيه و الاشراف للمسعودي: ١٥٧. [٤]

٥- ٥) الصحاح: ([٥] حمر).

«الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا- يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسِبْنَا بِهِ وَبِعَادِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا- أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (١).

«و شيد» أى: طول، وقال الكسائي: المشيد للواحد، من قوله تعالى:

«و قَصْرٍ مَشِيدٍ» (٢)، (و المشيد) للجمع من قوله تعالى: «فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ» (٣).

قلت: و هو كما ترى، فإن الجمعيه فى الثانى من قبل التاء لا التضعيف.

«و زخرف» فى (الصباح): الزخرف: الذهب، ثم يشبه به كل مموه و مزور.

ص: ٣٠٥

[١- ١] القصص: ٧٦-٨٣. [١]

[٢- ٢] الصباح: (٢) [شيد] والآيه ٤٥ من سوره الحج. [٣]

[٣- ٣] النساء: ٧٨. [٤]

«و نجد» أى: زَيْن (١).

«و ادّخر» افتعال من ذخرت الشىء.

«و اعتقد» يمكن أن يكون من (اعتقد الضّيعه) أى: اقتناها، و يمكن أن يكون بمعنى: عقد المال الذى ادّخره عقدا استحكاما، قال تعالى: «الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» (٢).

و فى (بيان الجاحظ): قال صالح المرّى: دخلت دار الموريانى أبى أيوب بعد نكبه المنصور له، فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله تعالى فى داره «فَتَلَمَّكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُشَيِّكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» (٣) «و لَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» (٤) «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا» (٥) فخرج إلى أسود من ناحيه الدار فقال: يا فلان، هذا سخط المخلوق فكيف سخطه الخالق (٦).

«و نظر بزعمه للولد» لئلا يحتاج بعده.

فى (تاريخ بغداد): قال محمّد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه: لمّا ولدت دخل أبى على امّى فقال لها: إنّ المنجمين قد أخذوا مولد هذا الصبّى و حسبوه، فاذا هو يعيش كذا و كذا، و قد حسبتها أياما و قد عزمتم أن أعدّ له لكلّ يوم ديناراً مدّه عمره، فإنّ ذلك يكفى الرّجل المتوسّط له و لعياله، فأعدى له حبّا فأعدّته و تركه فى الأرض و ملأه بالدنانير، ثمّ قال لها أعدى له حبّا آخر اجعل فيه مثل هذا يكون له استظهارا، ففعلت و ملأه ثم استدعى حبّا آخر و ملأه بمثل

ص: ٣٠٦

١-١ (١) الصحاح (زخرف).

٢-٢ (٢) الهمزة: ٢-٣. [١]

٣-٣ (٣) القصص: ٥٨. [٢]

٤-٤ (٤) القمر: ١٥. [٣]

٥-٥ (٥) النمل: ٥٢. [٤]

٦-٦ (٦) البيان للجاحظ ١٤٩: ٣. [٥]

ما ملأ كل واحد من الحيين و دفن الجميع، قال ابن شيبه و ما نفعنى ذلك مع حوادث الزمان فقد احتجت إلى ما ترون! قال ابن السقطى: رأيناه يجيئنا بلا إزار نقرأ عليه الحديث و نبرّه بالشىء بعد الشىء: توفى سنه (٣٣١) (١).

و فى السير: قال المنصور لعمر بن عبيد عظمى، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز و قد مات، فخلّف أحد عشر ابنا و بلغت تركته سبعة عشر دينارا كفنّ منها بخمسه دنانير، و اشترى موضع قبره بدينارين، و أصاب كل واحد من ولده أقل من دينار، و مات هشام و أصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار! و رأيت رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل فى يوم واحد على مائه فرس فى سبيل الله و رأيت رجلا من ولد هشام يسأل الناس ليتصدّقوا عليه (٢).

«إشخاصهم» أى: إذهبهم .

«إلى موقف العرض و الحساب» قال تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» (٣).

«و موضع الثواب و العقاب» قال الجوهرى: الثواب: جزاء الطاعة (٤) و العقاب: العقوبة.

«إذا وقع الأمر بفصل القضاء» و مرّ فى روايه (التذكرة) (٥): «و سيقع الأمر بفصل القضاء و تقتص للجماء من القرناء» «وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ»

ص: ٣٠٧

[١- ١] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٧٤:١-٣٧٥. [١]

[٢- ٢] العقد الفريد لابن عبد ربه ١٦٤:٣-١٦٥.

[٣- ٣] الزمر: ٣٠-٣١. [٢]

[٤- ٤] الصحاح: (ثوب).

[٥- ٥] تذكره الخواص لسبط ابن الجوزى: ٨٨.

«وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (١).

«وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ» الأصل فيه و في ما قبله قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ» (٢).

«شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدنيا» فما دام العقل أسير سلطان الهوى لا أثر لحكمه، و لنعم ما قيل بالفارسيه:

حديث عقل در ايام پادشاهى عشق چنان شده است كه فرمان حاكم معزول

و عن السرى السيقطى: رأيت على حجر مكتوبا داؤك هواك فإن غلبت هواك فداؤك دواك. و عن بعض الحكماء: المؤمن يخاف على عقله الآفات من الغضب، و الهوى، و الشهوه، و الحرص، و الكبر، و الغفله، و ذلك أن العقل إذا كان هو الغالب، القاهر، ملك هذه الأخلاق الرديه و إذا غلب على العقل واحده من هذه الأخلاق أورثته المهالك و عدم من الله حسن المعرفه.

و من كلامه عليه السلام فى هذا العنوان: أخذ جمع منهم سعدون الذى ذكره فى (عقلاء مجانين النيسابورى) ففیه: قال سعدون للمتوكل: كأتى بك و قد أتاك فظ غليظ فجدبك عن سرير بهائك، و أخرجك عن مقاصير علائك، فلم يستأذن عليك حاجبا و لا قهرمانا، حتى أخرجك إلى ضيق اللحد و فراق الأهل و الولد (٣).

و فيه أيضا: أنه قال للمتوكل: فى الجئه مرج من ورق الآس، فى وسط المرج قصر من درر- إلى أن قال: لها حدود أربعة، الحد الأول: ينتهى إلى ناحيه الوجلين، و الحد الثانى: ينتهى إلى نعيم المشتاقين، و الحد الثالث: ينتهى إلى

ص: ٣٠٨

١- ١) يونس: ٥٤. [١]

٢- ٢) المؤمنون: ٧٨. [٢]

٣- ٣) عقلاء المجانين للنيسابورى: ١٦.

طريق المريدين، و الحد الرابع: ينتهى إلى غرف مملوءه بتحف و صنایع و وصائف و رفارف و إلى خيام و خدام و إلى ميدان يطوف فى ساحتها الولدان (١).

و منهم بهلول الذى ذكره فيه أيضا، ففیه: قال عتّاس بهلول: نظر بهلول إلى و أنا أبنى دارا لبعض أبناء الدنيا فقال: لمن بنيت له: اسمع إلى صفه دار كونها العزيز، أساسها المسك، و بلاطها العنبر، اشتراها عميد قد أزعج للرحيل، كتب على نفسه كتابا، و أشهد على ضمائره شهودا: هذا ما اشترى العبد الجافى من الربّ الوافى، اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذلّ الطمع إلى عزّ الورع، فما أدرك المستحقّ فى ما اشتراه من درك، فعلى المولى خلاص ذلك و تضمينه، شهد على ذلك العقل، و هو الأمين على الخواطر، و ذلك فى إدبار الدنيا و إقبال الآخرة. أحد حدودها ينتهى إلى ميادين الصفا، و الحد الثانى: ينتهى إلى ترك الجفا، و الحد الثالث: ينتهى إلى لزوم الوفا، و الحد الرابع:

ينتهى إلى سكون الرضا فى جوار من على العرش استوى، لها شارع ينتهى إلى دارا السلام، و خيام قد ملئت بالخدام (٢).

و كتابه عليه السلام كتاب بيع للمعاملة الدينويه، و فى القرآن كتاب شراء للمعاملة الأخرويه، و هو قوله جلّ و علا: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَ عِدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِعَيْعِكُمُ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٣). و لقد عامل هو و أهل بيته عليهم السلام مع

ص: ٣٠٩

١- ١) المصدر نفسه: ٦٧.

٢- ٢) نفس المصدر: ٧٢.

٣- ٣) التوبه: ١١١. [١]

اللّٰه تعالٰى هذه المعامله بنحو الأتمّ و الأكمل، ففازوا فوزا عظيما و لا سيّما ابنه الحسين عليه السلام.

١٢

الحكمه (١٩)

و قال عليه السلام:

مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ الْعَثْرَةَ: الزَّلَّةُ يُقَالُ: (عَثَرَ بِهِ فَسَقَطَ) شَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ يَسْتَعْرِقُ فِي لَذَاتِهِ بِمَنْ رَكِبَ فِرْسًا وَ أَغْرَقَ فِي جَرِيهِ بِتَخْلِيهِ عِنَانَهُ، فَيَعَثِرُ بِهِ، فَيَسْقُطُهُ وَ يَهْلِكُهُ.

و المصداق الكامل لكلامه عليه السلام ظاهرا و باطنا، يزيد بن معاويه. و في (أنساب البلاذري): يزيد كان أول من أظهر شرب الشراب، و الاستهتار بالغناء و الصيد، و أخذ القيان و الغلمان، و التفكّه بما يضحك منه المترفون، من القروذ و المعاقره بالكلاب و الدّيكه ثم جرى على يده قتل الحسين عليه السلام و قتل أهل الحرّه و رمى البيت و إحراقه (١). و فيه: كان ينادم على الشراب سرجون مولى معاويه (٢).

قلت: و هو المذى أشار عليه بتوليه عبيد الله بن زياد على الكوفه لقتل الحسين عليه السلام، و ينادم على الشرب مسلم بن عمرو الباهلى أبا قتيبه أيضا و يغتبه مسلم أيضا.

قلت: و هو الذى أرسله يزيد إلى عبيد الله بعهدده على الكوفه و جاء معه من البصره إلى الكوفه، و قال لمسلم بن عقيل لَمَّا اسْتَسْقَى لَا تَسْقَى إِلَّا مِنَ الْحَمِيمِ.

و فيه: كان ليزيد قرد يجعله بين يديه و يكتّبه، و يقول: هذا شيخ من بنى

ص: ٣١٠

١-١) أنساب الأشراف للبلاذري ٤:١ [١] مطبعه المشنى، بغداد.

٢-٢) المصدر نفسه ٤:٢. [٢]

إسرائيل أصاب خطيئه فمسخ.

قلت: استهزاء بالقرآن في حكمه بمسوخ قوم من بني إسرائيل باعترائهم.

قال: و كان يسقيه النبيذ و يضحك ممّا يصنع و كان يحمله على اتان وحشيّه و يرسلها مع الخيل فيسبقها، فحمله عليه يوما و جعل يقول:

تمسّك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن هلكت ضمان

فقد سبقت خيل الجماعه كلّها و خيل أمير المؤمنين أتان

قال: و ذكر لي شيخ من أهل الشام أنّ سبب وفاه يزيد أنّه حمل قرده على الاتان و هو سكران ثم ركض خلفها فسقط، فاندقت عنقه أو انقطع في جوفه شيء (١).

و روى عن ابن عياش قال: خرج يزيد يتصيّد بحوارين، و هو سكران، فركب و بين يديه أتان وحشيّه قد حمل عليها قردا و جعل يركض الأتان و يقول:

أبا خلف احتل لنفسك حيله فليس عليها ان هلكت ضمان

فسقط فاندقت عنقه (٢).

و فيه: قال ابن عراده السعدي في موت يزيد:

طرفت مبيته و عند وساده كوب و زقّ راعف مرثوم

و مرثه تبكي على نشوانه بالصنج تقعد ساعه و تقوم

(٣) و فيه: كان يزيد همّ بإتيان اليمن فقال رجل من تنوخ:

يزيد صديق القرد ملّ جوارنا فحنّ إلى أرض القروذ يزيد

ص: ٣١١

١-١) أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٤. [١]

٢-٢) المصدر نفسه. [٢]

٣-٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٤: ٦١. [٣]

و قال عليه السلام:

نَفْسُ الْمَرْءِ خُطَاؤُهُ إِلَى أَجَلِهِ أَقُولُ: الْخَطِيئَةُ: جَمْعُ خَطْوِهِ (بِالضَّمِّ) أَي: مَسَافَهُ مَا بَيْنَ الْقَدَمَيْنِ فِي الْمَشْيِ.

قال ابن أبي الحديد بعد نقل العنوان: لا أدري الكلمه له عليه السلام أو لابن المعتز أخذها منه، فإنه قال: «الناس وفد البلاء، و سكان الثرى، و أنفاس الحى خطاه إلى أجله، و أمله خادع له عن عمله، و الدنيا أكذب واعدية، و النفس أقرب أعاديه، و الموت ناظر إليه، و منتظر فيه أمرا يمضيه (٢).

قلت: قول ابن أبي الحديد له عليه السلام أو لابن المعتز أخذها منه عليه السلام، بلا محصل، لأنّ الثانى فى معنى الأول، و إنّما كان له محصل لو كان قال: هل أخذ الكلمه منه عليه السلام ابن المعتز أو قالها بتوارد الخواطر؟ و كيف كان، فأغلب كلمات من تأخر عنه عليه السلام تلفيق من كلامه عليه السلام و قد اعترف بذلك عبد الحميد، كاتب مروان بن محمّد آخر خلفاء بنى اميه، ففى (وزراء الجهشيارى): قيل لعبد الحميد: ما الذى مكّنك من البلاغه و خرّجك فيها؟ فقال: حفظ كلام الأصلح، يعنى أمير المؤمنين عليه السلام (٣).

و مرّ فى أوّل الكتاب نسبه غير واحده من خطبه عليه السلام إلى غيره من

ص: ٣١٢

١-١ (١) أنساب الأشراف للبلاذرى ٢: ٤. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٢١: ١٨. [٢]

٣-٣ (٣) الكتاب و الوزراء للجهشيارى: ٨٢. [٣]

الخلفاء و الخوارج، لأنهم خطبوا بها من غير نسبه إليه عليه السلام.

و مرّ في أول العنوان (١١) من هذا الفصل: أن فضيل بن عياض أتى بما أوهم أنّ ذاك العنوان كلامه، حتّى إنّ (الحليه) نسبه إليه (١).

و مرّ أيضا: أنّ سعدون و بهلولا أخذوا من جملة ذاك العنوان قدرا (٢).

و نعود إلى ذكر ما يناسب العنوان فنقول:

و في (الكافي) عنه عليه السلام: ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلا قال: أنا يوم جديد، و عليك شهيد، فقل في خيرا، و اعمل في خيرا أشهد لك به يوم القيامة، فإنّك لن تراني بعده أبدا (٣).

و قال بعضهم: ساكن الدّنيا راحل و أنفاسه رواحل و أيّامه مراحل (٤).

و قال أبو هلال:

في كلّ مجرى نفس تكزّره تهدم من عمرك ما لا تعمّره

١٤

الحكمه (٢٩)

و قال عليه السلام:

إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارِ وَ الْمَوْتِ فِي إِقْبَالِ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى فِي (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْتَرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (٥) تعدّ السّينون ثمّ تعدّ الشهور ثمّ تعدّ الأيّام ثمّ تعدّ الساعات ثمّ تعدّ

ص: ٣١٣

١-١) حليه الأولياء لأبي نعيم ١٠١:٨.

٢-٢) عقلاء المجانين للنيسابوري: ٦٧، ٧٢.

٣-٣) الكافي ٥٢٣:٢ ح ٨ [١]

٤-٤) الطرائف للثعالبي: ١٠.

٥-٥) الجمعة: ٨ [٢]

النفس «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» (١).

و مثال لما قاله عليه السلام السيّارات العصريّه إذا كانتا متواجهتين فقد يكون بعدهما بحيث لا ترى احدهما من الاخرى إلا شبحاً فلا تمضى إلا اناات يسيره تلتقيان.

١٥

الحكمه (٢٠٣)

و قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ - وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ - وَيَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ - وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَحَذَّكُمْ - وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ أقول: رواه المبرد في (كامله المبرد-الكامل في الأدب-ج ١ ص ٢٢٣) عنه عليه السلام (٢).

«أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ وَ إِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ» «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا» (٣) «أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (٤).

و بادروا الموت الذى إن هربتم منه أدرككم، «قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (٥). و يكفى التدبّر فى هذه الآيه صدرها و ذيلها، لمن أراد التذكّر.

ص: ٣١٤

١-١ (١) الأعراف: ٣٤، و [١] الروايه نقلها الكليني فى الكافى ٣: ٢٦٢ ح ٤٤. [٢]

٢-٢ (٢) الكامل [٣] فى الأدب للمبرد ٢٢٣: ١.

٣-٣ (٣) النساء: ١٠٨. [٤]

٤-٤ (٤) هود: ٥. [٥]

٥-٥ (٥) الجمعه: ٨. [٦]

«وإن أقمتم أخذكم» «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ» (١).

«وإن نسيتموه ذكركم» «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (٢).

و روى (نوادير جنائز الكافي) عن أسباط بن سالم، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يعلم ملك الموت نفس من يقبض؟ قال إنما هي صكاك تنزل من السماء، يقبض نفس فلان بن فلان (٣).

و روى عنه عليه السلام قال: ما أهل بيت شعر ولا وبر إلا و ملك الموت يتصفّحهم كل يوم خمس مرات (٤).

هذا وفي (حمقاء ابن الجوزي): مات لرجل قريبه و لم يخرج في جنازته، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم! أأكون منسيا فأذكر نفسي؟ يعني إن ملك الموت نسيني فإذا خرجت في الجنازه يراني، فيتذكرني، فيقبض روعي، و لا أفعل هذا أبدا (٥).

١٦

الحكمه (٧٥)

و قال عليه السلام:

كُلُّ مَعْدُودٍ مُّنْقَضٍ وَ كُلُّ مُتَوَقِّعٍ آتٍ أَقُولُ: «كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ»، «مُنْقَضٍ» مُنْفَعِلٌ مِنْ (انْقَضَى) لَا مَفْعَلٌ مِنْ

ص: ٣١٥

[١-١] (١) النساء: ٧٨. [١]

[٢-٢] (٢) السجده: ١١. [٢]

[٣-٣] (٣) الكافي ٣: ٢٥٥ ح ٢١. [٣]

[٤-٤] (٤) المصدر نفسه ٣: ٢٥٦ ح ٢٢. [٤]

[٥-٥] (٥) أخبار الحمقى لابن الجوزي، ذكر ما يشابهه: ١٩١.

(أنقض) فإنه لا مناسبة له، فيقال: انقض الحمل ظهره أى: أثقله حتى صوته.

قال ابن أبي الحديد: «كلامه عليه السلام يؤكد مذهب جمهور المتكلمين في أنّ العالم كلّ لا بدّ أن ينقضى، لكن قالوا: إنّما علمنا أنّ العالم يفنى من طريق السمع لا العقل فيجب أن يحمل كلامه عليه السلام على أنّ العدد ليس عله في وجوب الانقضاء، كما يشعر به ظاهر لفظه، وهو الذى تسميه أصحاب أصول الفقه ايماء، و إنّما مراده كلّ معدود فاعلموا، أنّه فان و منقض فقد حكم على كلّ معدود بالانقضاء حكما مجردا عن العليه، نحو لو قيل: زيد قائم، ليس يعنى أنّه قائم لأنّه يسمّى زيدا» (١).

قلت: ما طوله نفخ في غير ضرام، فإنّ مراده عليه السلام أنّ سنى عيش الإنسان و شهوره، و أيامه، و ساعاته، و آناته و أنفاسه فى الدنيا معدوده محصوره، فلا بدّ أن تنقضى، فهو نظير قوله تعالى: «إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا» (٢)، ورد فى تفسيره أنّ الآباء و الأمهات يعدّون سنيه و هو تعالى يعدّ أنفاسه، و مرّ فى العنوان السابق خبر تفسير قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ» (٣).

«و كلّ متوقّع آت» قال ابن أبي الحديد: «يمائل قوله عليه السلام قول العامه فى أمثالها (لو انتظرت القيامة لقامت) و القول فى نفسه حقّ، لأنّ العقلاء لا يتوقّعون ما يستحيل وقوعه، و أنّما ينتظرون ما يمكن وقوعه و ما لا بدّ من وقوعه، فقد صحّ أنّ كلّ منتظر فسيأتى» (٤).

قلت: تطويله هنا أيضا بلا طائل فإن المراد بالمتوقّع الموت، و الموت

ص: ٣١٦

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٢٢٢:١٨. [١]

٢-٢) مريم: ٨٤. [٢]

٣-٣) الجمعة: ٨. [٣]

٤-٤) ابن أبي الحديد ٢٢٢:١٨. [٤]

حتم آت و انما أتى عليه السلام بلفظه (كلّ) لأنّ المتوقع كلّ حتميّ لا يعلم ساعه وقوعه، لا ما يمكن وقوعه، فإنّه لا يجب وقوعه كالمطر فى الشتاء. و بالجمله:

كلامه عليه السلام استدلال بالعلّه و المعلول، حتّى يلتزم بالقبول، و هو جعله ككلام عامّى مردول.

١٧

الحكمه (١٥)

وَ قِيلَ لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ - فَقَالَ ع:

كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ - وَ يَشِقُّ قَمَّ بِصِحَّةِ حَيْثِهِ وَ يُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ أَقُولُ: قوله عليه السلام: «كيف يكون حال من يفنى ببقائه» فى (صناعتي أبى هلال): قيل لبعض الأوائل: ما كان سبب موت أخيك، قال: كونه فأحسن ما شاء (١). و قال الشاعر:

ما حال من آفته بقاءه نغص عيشى كلّ فناؤه

(٢) و قال ابن الرومى:

لعمرك ما الدّنيا بدار إقامه إذا زال عن نفس البصير غطاؤها

و كيف بقاء العيش فيها و أنما ينال بأسباب الفناء بقاءها

(٣) و قال محمّد بن علىّ - يعنى الباقر عليه السلام - «مالك من عيشك إلاّ - لذّه تزدلف بك إلى حمامك، و تقرّبك من يومك، فأية أكله ليس معها غصص، و شربه ليس معها شرق، فتأمل أمرك فكأنّك قد صرت الحبيب المفقود أو الخيال المخترم (٤).

ص: ٣١٧

١- ١) الصناعتين [١] لابن هلال العسكرى: ٤٨. [٢]

٢- ٢) ابن أبى الحديد ٣: ٣٤٠.

٣- ٣) الصناعتين للعسكرى: ٤٩. [٣]

٤- ٤) الأمالى للمفيد: ١٠، و البحار للمجلسى ٧٨: ٤٥٠ ح ١٤. [٤]

و قلت:

و المرء ينسى و المنايا تذكره يميته بقاؤه في قبره

«و يسقم بصحته» قال المصنّف في (مجازاته النبويّه) في شرح قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «كفى بالسلامه داء» هذا القول مجاز، لأنّ السلامه على الحقيقه ليست بداء في نفسها، و إنّما المراد الهرم و عوادي السقم، فحسن من هذا الوجه أن تسمّى داء إذ كانت موقعه فيه، و مؤدّيه إليه، و قد أكثر الشعراء نظم هذا المعنى في أشعارهم إلا أنّ كلمه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أبهى من جميع ما قالوه، و أبعد منزعا، و أوجز في تمام، و أكثر مع قلّه كلام، فممّا جاء في هذا المعنى قول حميد بن ثور:

أرى بصرى قد رابنى بعد صحّحه و حسبك داء أن تصحّح و تسلما

(١) و قول لبيد بن ربيعه:

و دعوت ربّي بالسلامه جاهدا ليصحّني فإذا السّلامه داء

(٢) و قول النمر بن تولب:

يودّ الفتى طول السّلامه و الغنى فكيف يرى طول السّلامه يفعل

(٣) و أنى لأستحسن كثيرا الأبيات التي من جملتها هذا البيت و هي:

تغيّر منّي كلّ شيء و رابنى مع الدّهر ابدالى التي أتبدّل

فضول أراها في أديمي بعد ما يكون كفاف الجسم أو هو أجمل

كأنّ مخيطا في يدي حارثيه صناع علت منّي به الجلد منعل

يردّ الفتى بعد اعتدال و صحّحه ينوء إذا رام القيام و يحمل

ص: ٣١٨

١-١) نهايه الأرب للنووي ٣:٦٥. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٣:٧. [٢]

٣-٣) المصدر نفسه ٣:٦٧. [٣]

تدارك ما قبل الشباب و بعده حوادث أيام تمر و أغفل

(١) يود الفتى...

و قال أبو العتاهيه:

اسرع فى نقص امرئ تمامه

(٢) «و يؤتى من مأمنه» «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ» (٣).

١٨

الحكمه (١٢٢)

و تبع جنازه فسمع رجلا يضحك فقال عليه السلام:

كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ - وَ كَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجِبَ - وَ كَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفُرَ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ - نُبُوَّتُهُمْ أَجِيدَاتُهُمْ وَ نَأْكُلُ تُرَاتُثَهُمْ ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظِهِ وَ رُمِينَا بِكُلِّ جَائِحِهِ أَقُولُ: رواه (تفسير القمى القمى - تفسير القمى - ج ١ ص ٢٤٤) مرفوعا عنه عليه السلام (٤) «قول المصنّف».

«و تبع عليه السلام جنازه فسمع رجلا يضحك» عن الصادق عليه السلام: (كم ممن كثر ضحكه لاغيا، يكثر يوم القيامه بكاؤه، و كم ممن كثر بكاؤه على ذنبه خائفا، يكثر يوم القيامه فى الجئه ضحكه و سروره) (٥).

«كأن الموت فيها على غيرنا كتب، و كأن الحق فيها على غيرنا وجب» فى

ص: ٣١٩

١-١) المجازات النبويه للرضى: ٤٣١. [١]

٢-٢) المجازات النبويه للرضى: ٤٣١. [٢]

٣-٣) النساء: ٧٨. [٣]

٤-٤) تفسير القمى ١: ٢٤٤. [٤]

٥-٥) وسائل الشيعة للعاملى ٨: ٤٨. [٥]

(الحموى): كان الحسن بن على، الملقب بالقاضى المهذب، الذى اختصّ بالصالح بن رزيك وزير المصريين قرظه عنده القاضى عبد العزيز بن الحباب فلما مات عبد العزيز شمت به الحسن، و لبس فى جنازته ثيابا مذهبه فنقص بهذا السبب و استقبحوا فعله و لم يعيش بعد الجليس إلا شهرا واحدا (١).

هذا، و فى (الأغانى): أنّ حماده بنت عيسى بن على توفيت، و حضر المنصور جنازتها، فلما وقف على حفرتها، قال لأبى دلامه: ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال: بنت عمك حماده بنت عيسى ي جاء بها الساعه فتدفن فيها، فضحك المنصور حتى غلب، فستر وجهه، و فى (عيون القتيبي): مات رجل من جند أهل الشام فحضر الحجاج جنازته لكونه عظيم القدر- و كان يلقب سعه- فصلّى الحجاج عليه و قال لينزل قبره بعض اخوانه فنزل نفر منهم، فقال أحدهم- و هو يسوى عليه- رحمةك الله أبا فلان! إن كان ما علمتك لتجيد الغناء، و تسرع ربّ الكأس، و لقد وقعت موقع سوء لا تخرج منه إلى الدّكه، فما تمالكك الحجاج أن ضحك فأكثر- و كان لا يكثر الضحك فى جدّ و لا هزل- ثمّ قال له: لا أمّ لك! أ هذا موضع هذا؟ قال: أصلح الله الأمير! فرسى حبيس لو سمعته يتغنّى: «يا لبينى أوقدى النار» لا نتشر الأمير على سعه- و كان من أو حش خلق الله صورته- فقال الحجاج: إنّنا لله، أخرجوه من القبر ثمّ قال: ما أبين حجّه أهل العراق فى جهلكم يا أهل الشام! و لم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكا.

و حدّثنى بعض السّاده: أن امرأه من العزّيفين توفيت، فحضر العزّيفون تشيعها فقالوا لذاكر: من زوج هذه المرأه حتى نسليه بعد الفراغ من دفنها، فقال: ما أعرف لها زوجا معينا، فما تمالكوا أنفسهم من الضحك حتى

ص: ٣٢٠

اضطروا إلى الرجوع قبل الفراغ (١).

«و كأنّ الذي نرى من الأموات سفر» (بالفتح فالسكون) جمع سفر من (سفر): خرج إلى السفر.

«عمّا قليل إلينا راجعون» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: عجب لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثمّ نودى فيهم بالرحيل و هم يلعبون (٢).

«نبؤوهم أجدانهم» و في روايه القمّي: «نزلهم أجدانهم» و الأجدان: جمع الجذث، و هو القبر (٣).

«و نأكل تراثهم» التراث: الميراث، و أصله الوراثة، و زاد (ابن أبي الحديد (٤) و ابن ميثم (٥)) بعده «كأنّا مخلدون بعدهم» و كذلك في المستند من خبر القمّي فلا- بدّ من سقوطه في (المصريه (٦) الأولى)، ثم هكذا في (المصريه) و الكلمه زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد) (٧) و (ابن ميثم) (٨) و (الخطيه) (٩).

«قد نسينا كلّ واعظ و واعظه» هكذا في (المصريه) (١٠) و في نسخه (ابن أبي الحديد) (١١) و الظاهر الأصل في «واعظ» و «واعظه» أحدهما و الآخر كان نسخه

ص: ٣٢١

١- ١) الأغانى ٢:٢٦٢.

٢- ٢) الكافي ٣:٢٥٨ ح ٢٩. [١]

٣- ٣) تفسير القمّي ٢:٧٠. [٢]

٤- ٤) ابن أبي الحديد ١٨:٣١١.

٥- ٥) شرح ابن ميثم ٥:٣٠٦ (١١٣). [٣]

٦- ٦) المصريه المصححه: ٦٨٥.

٧- ٧) ابن أبي الحديد ١٨:٣١١.

٨- ٨) ابن ميثم ٥:٣٠٦.

٩- ٩) النسخه الخطيه: ٣١٩.

١٠- ١٠) المصريه المصححه: ٦٨٥.

١١- ١١) ابن أبي الحديد ١٨:٣١١. [٤]

بدليته فجمعت الطبعة المصريه بينهما فاقتصر (ابن ميثم) (١) على الأول، و القمى على الثانى، و لا معنى للجمع بينهما لأنه لا مناسبة فى أن يقال: «نسينا كل رجل واعظ و امرأه واعظه» ثم الظاهر أصحّيته «واعظه» لكونها قرينه «جائحه» فى الفقره بعدها، و المراد: كل صفه و خصله واعظه.

«و رمينا بكلّ جائحه» أى: رمينا بكلّ خصله مهلكه، و الجائحه: الشده التى يحتاج المال، أى: يستأصله من سنه أو فتنه.

هذا و فى (العيون): (كان الحسن -يعنى البصرى- إذا شيع جنازه لم ينتفع به أهله و ولده و اخوانه ثلاثا) (٢).

هذا، و فى (ابن أبى الحديد (٣) و ابن ميثم (٤) و الخطيه) (٥) جعل (طوبى لمن ذلّ فى نفسه... الذى فى (المصريه) (٦) بعد هذا العنوان، جزء هذا العنوان فهو الصحيح و يشهد له مستنده خبر (تفسير القمى) أيضا.

١٩

الحكمه (١٣٠)

و قال عليه السلام و قد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفه:

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ - وَ الْمَحَالِّ الْمُفْفِرَةِ وَ الْقُبُورِ الْمُظْلَمَةِ - يَا أَهْلَ التُّزْبَةِ وَ يَا أَهْلَ الْعُرْبَةِ - وَ يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ - أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ وَ نَحْنُ

ص: ٣٢٢

١- ١) شرح ابن ميثم ٥:٣٠٦ بلفظ «واعظه».

٢- ٢) عيون الأخبار لابن قتيبه ٢:٣٦٢. [١]

٣- ٣) ابن أبى الحديد ١٨:٣١١.

٤- ٤) شرح ابن ميثم ٥:٣٦.

٥- ٥) النسخه الخطيه: ٣١٩.

٦- ٦) الطبعة المصريه المصححه أعطته رقما جديدا هو (١٢٤) لفصلها عما سبقها راجع صفحه: ٦٨٥ من الطبعة المصريه

لَكُمْ تَبِعَ لِاحِقٌ - أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سَيَكُنْتُ وَ أَمَّا الْمَأْزُوجُ فَقَدْ نِكَحْتُ - وَ أَمَّا الْمَأْمُوالُ فَقَدْ قَسِمْتُ - هَذَا خَيْرٌ مِا عِنْدَنَا فَمَا خَيْرٌ مَا عِنْدَكُمْ - ثُمَّ التَّفَتَّ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ - أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ - لِأَخْبِرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى أَقُولُ: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه نصر بن مزاحم - صفين - ص ٥٣١)، و(الطبري في تاريخه الطبري - تاريخ الطبري - ج ٤ ص ٤٥) مع اختلاف، روى الأول في طيِّ ذكر رجوعه عليه السلام من صفين، عن عبد الرحمن بن جندب قال ثم مضى عليه السلام حتى جزنا دور بني عوف، فإذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية، فقال عليه السلام: ما هذه القبور؟ فقال له قدامه بن عجلان الأزدي: إِنَّ خِيبَ بْنَ الْأَرْتِ تَوَفَّى بَعْدَ مَخْرَجِكَ، فَأَوْصَى أَنْ يَدْفَنَ فِي الظَّهْرِ، وَ كَانَ النَّاسُ يَدْفِنُونَ فِي دَوْرِهِمْ وَ أَفْنَيْتَهُمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ خَيْبًا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَجَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَ الْمَحَالِّ الْمُقْفَرَةِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ، أَنْتُمْ لَنَا سَلْفٌ وَ فِرْطٌ، وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ، وَ بِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لِاحِقُونَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَ لَهُمْ، وَ تَجَاوِزْ عَنَّا وَ عَنْهُمْ» ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ «الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتًا»، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْهَا خَلْقَنَا، وَ فِيهَا يَعِيدُنَا، وَ عَلَيْهَا يَحْشُرُنَا، طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَ عَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَ قَنَعَ بِالْكَفَافِ، وَ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ بِذَلِكَ» ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ سَكَّةَ التُّورِيِّينَ (١).

و مثله الثاني مع أدنى اختلاف (٢) و رواه (عقد ابن عبد ربه) و(بيان الجاحظ) فقالا: «كَانَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِذَا دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ قَالَ: أَمَّا الْمَنَازِلُ فَقَدْ سَكَنْتَ، وَ أَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نِكَحْتَ، فَهَذَا خَيْرٌ مَا عِنْدَنَا فَلَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ، ثُمَّ

ص: ٣٢٣

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣١. [١]

٢-٢) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٤:٤٥. [٢]

قال: و الذى نفسى بيده لو اذن لهم فى الكلام لقالوا: انّ خير الزّاد التقوى، و كان يقول عليه السلام إذا دخل المقبره: «السلام عليكم أهل الدّيار الموحشه، و المحالّ المقفره، من المؤمنين و المؤمنات اللهم اغفر لنا و لهم، و تجاوز بعفوك عنا و عنهم، ثم يقول: الحمد لله الذى جعل الأرض كفاتا احياء و أمواتا، و الحمد لله الذى منها خلقنا و إليها يعيدنا و عليها يحشرنا، طوبى لمن ذكر المعاد و عمل الحسنات و قنع بالكفاف و رضى عن الله عزّ و جل» (١) و رواه (الفقيه) (٢) مختصرا.

قوله: «و قال عليه السلام و قد رجع من صفين» بين دور بنى عوف و سكه الثوريين.

«فأشرف على القبور بظاهر الكوفه» قد عرفت من روايه نصر أنّها قبور حدثت بعد شخوصه عليه السلام إلى الشام و الأوّل منها قبر خباب.

و فى (تفسير القمى): نظر عليه السلام فى رجوعه من صفين إلى المقابر فقال:

«هذه كفات الأموات» -أى: مساكنهم- ثمّ نظر إلى بيوت الكوفه فقال: «هذه كفات الأحياء» ثم تلا قوله تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا» (٣).

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: زوروا موتاكم فإنّهم يفرحون بزيارتكم، و ليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه و عند قبر أمّه بما يدعوه لهما (٤). و عن عليّ بن بلال: و كان مشى إلى قبر محمّد بن إسماعيل بن بزيع، قال: قال لى صاحب هذا القبر عن الرضا عليه السلام: من أتى قبر

ص: ٣٢٤

١-١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣:١٦٥، و [١] البيان و التبيين للجاحظ ٣:١٥٥. [٢]

٢-٢) الفقيه ١:١٧٩.

٣-٣) تفسير القمى ٢:٤٠٠، و [٣] الآيه ٢٦، ٢٥ من سوره المرسلات. [٤]

٤-٤) الكافى ٣:٢٣٠ ح ١٠. [٥]

أخيه ثم وضع يده على القبر وقرأ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» (١) سبع مرّات أمن يوم الفزع الأكبر (٢). وعن عمرو بن أبي المقدم: مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة فوقف عليه فقال: «اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته، واسكن إليه من رحمتك ما يستغنى به عن رحمه من سواك و ألحقه بمن كان يتولاه» (٣).

«يا أهل الديار الموحشه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في التسليم على أهل القبور: السلام على أهل الديار من المسلمين و المؤمنين، رحم الله المتقدمين منا و المستأخرين، و أنا إن شاء الله بكم لاحقون (٤).

«و المحال المقفروه» من (أقفر الدار): خلعت، و القفر: مفازه لا نبات فيها و لا ماء.

«و القبور المظلمه يا أهل التربه و يا أهل الغربه و يا أهل الوحشه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من موضع قبر إلا و هو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: «أنا بيت التراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدود. و زاد في خبر آخر: أنا روضه من رياض الجنّه أو حفره من حفر النيران» (٥).

«أنتم لنا فرط سابق» في (الصحاح): الفرط - بالتحريك - الذي يتقدّم الوارده فيهيئ لهم الأرسان و الدلاء، و يمدد الحياض، و يستقى لهم، و هو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع (٦)، يقال رجل فرط و قوم فرط، و في الخبر:

ص: ٣٢٥

[١-١] القدر: ١. [١]

[٢-٢] الكافي ٣: ٢٢٩ ح ٩. [٢]

[٣-٣] الكافي للكليني ٣: ٢٢٩ ح ٦. [٣]

[٤-٤] الكافي ٣: ٢٢٩ ح ٨. [٤]

[٥-٥] الكافي ٣: ٢٤٢ ح ٣. [٥]

[٦-٦] الصحاح: (٦) [فرط].

«أنا فرطكم على الحوض» و منه قيل للطفل الميِّت: «اللهم اجعله لنا فرطا» أى:

اجرا يتقدّمنا حتّى نرد عليه (١).

«و نحن لكم تبع لاحق» فى (الفقيه): فى التسليم على أهل القبور: السلام على أهل الديار من المؤمنين و المسلمين، رحم الله المتقدّمين منكم و المتأخّرين، و إنّنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢).

و فى (المعجم): عزّى المازنى بعض الهاشميين فقال:

أنى أعزّيك لا أئى على ثقة من الحياه و لكن سنّه الدّين

ليس المعزّى يباق بعد ميّته و لا المعزّى و إن عاشا إلى حين

(٣) و فى (الأغانى): خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد، و معه عدّى بن زيد، فمروا بشجره، فقال عدّى: أ تدرى أيّها الملك ما تقول هذه الشجره؟ قال: لا.

قال: تقول:

ربّ ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الرّلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا و كذاك الدّهر حالا بعد حال

ثم جاوز الشجره فمرّ بمقبيره، فقال: أ تدرى أيّها الملك ما تقول هذه المقبره؟ قال: لا قال: تقول:

أيها الرّكب المخبّون على الأرض المجّدون

فكما أنتم كنّا و كما نحن تكونون

(٤) و فى (العقد): قيل للرّقاشى، و كان قد جلس بين المدينه و المقبره: ما أجلسك ها هنا؟ قال: «أنظر إلى هذين العسكرين، فعسكر يقذف الأحياء

ص: ٣٢٦

١- ١) الصحاح [١] مادّه (فرط).

٢- ٢) الفقيه ١: ١٧٩.

٣- ٣) معجم الادباء للحموى ٧: ١١٠ ترجمه (بكر بن محمد). [٢]

٤- ٤) الأغانى ٢: ٩٥-٩٦. [٣]

و عسكر، يلتقم الموتى « (١).

«أما الدّور فقد سكنت» هذه الفقرة-إلى آخر العنوان-جعلها المصنّف جزء كلامه عليه السلام في زياره القبور بعد رجوعه من صفين مع أنّها ليست في (كتاب نصر) و(تاريخ الطبري) اللّذين عرفت أنّهما مستنده، و(البيان) و(العقد) قد عرفت أنّهما نقلًا هذا مستقلًا كذاك، و الصواب، كون هذا جزء كلامه عليه السلام بعد الجمل، فروى ابن أبي شعبة في (تحفه): قال جابر الأنصاري: كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فلمّا فرغ من قتال من قاتله أشرف علينا في آخر الليل فقال: ما أنتم فيه؟ فقلنا: في ذمّ الدّنيا، فقال: علام تدمّ الدّنيا يا جابر؟ إلى أن قال:

قال: يا جابر امض معي، فمضيت معه حتّى أتينا القبور، فقال: يا أهل الثّربه، و يا أهل الغربه، أما المنازل فقد سكنت و أما المواريث فقد قسيّمت و أما الأزواج فقد نكحت، هذا خير ما عندنا فما خير ما عندكم؟» ثمّ أمسك عنّي مليًا ثمّ رفع رأسه، فقال: و الذي أقلّ السماء فعلت، و سطح الأرض فدحت، لو أذن للقوم في الكلام لقالوا: إنّنا وجدنا خير الزّاد التقوى. ثمّ قال: يا جابر! إذا شئت فارجع (٢).

و ممّا قلنا يظهر أنّ المصنّف جمع بين كلاميه عليه السلام بعد صفين و بعد الجمل في عنوان الأول لكونهما في موضوع واحد.

هذا، و قوله: «فعلت» و «فدحت» في خبر (التحف) الفاء فيهما فاء التعقيب و «علت» و «دحت» فعلان من العلوّ و الدّحو.

«و أمّا الأزواج فقد نكحت» و مرّ في سابع الفصل قوله عليه السلام: «و صارت أموالهم للوارثين و أزواجهم لقوم آخرين» مع شرحه.

ص: ٣٢٧

١-١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٣٦: ٣. [١]

٢-٢) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ١٨٦. [٢]

و فى (نفضه اليمىن) قيل: إن الهادى العباسى كان مغرما بجارىه تسمى غادر، و كانت من أحسن النساء و جها و أكثرهن أدبا و أطفهن طبعاً و أطيهن غناء، فىنا هى ذات ليله تنادمه، و تغنيه، إذ تغير لونه و ظهر أثر الحزن عليه فقالت: ما بالك! لا أراك الله ما تكره. فقال: وقع فى فكرى الساعه أنى أموت و أن أخى هارون يلى الخلافه بعدى، و إنك تكونين معه كما أنت معى الآن! فقالت: لا أبقانى الله بعدك أبداً! و أخذت تلاطفه و تزيل هذا الخيال من خاطره، فقال: لا بد أن تحلفى لى أيماننا مغلظه ألا تقربى إليه بعدى، فحلفت على ذلك و أخذ عليها العهود و المواثيق، ثم خرج و أرسل إلى أخيه هارون و أحلفه ألا يخلو بغادر، و أخذ عليه من المواثيق الغليظه ما أخذ عليها، فلم يمض إلا شهر حتى مات الهادى، و انتقلت الخلافه إلى هارون فطلبت الجارىه فحضرت، فأمرها بالأخذ فى المنادمه، فقالت: و كيف تصنع بتلك الأيمان و العهود؟ فقال: قد كفرت عنك و عن نفسى! ثم خلا بها و وقعت من قلبه موقعا عظيما بحيث لم يكن يصبر عنها ساعه، فىنا هى ذات ليله نائمه فى حجره إذ استيقظت مذعوره فقال: ما بالك فدتك نفسى! قالت: رأيت أخاك ينشد:

أخلفت عهدى بعد ما جاورت سكان المقابر

و نسيتنى و حشت فى أيمانك الزور الفواجر

و نكحت غادره أخى صدق الذى سماك غادر

لا يهنك الألف الجديد و لا تدر عنك الدوائر

فقال: فدتك نفسى! إنما هى أضغاث أحلام، فقالت كلاً! ثم ارتعدت و اضطربت بين يديه حتى ماتت (١).

و فى (العيون)، قال المدائنى: احتضر رجل من العرب و له ابن يدب بين

ص: ٣٢٨

يديه و أمّ الصبّي جالسه عند رأسه، و اسم الصبّي معمر، فقال:

و أنّي لأخشى أن أموت فتنكحني و يقذف في أيدي المراضع معمر

و ترخي ستور دونه و قلائد و يشغلكم عنه خلوق و مجمر

فما لبث أن مات ثم تزوّجت ثم صار ابنه معمر إلى ما ذكر (١).

و وهب المتوكّل لأحمد بن حمدون جاريه يقال لها (صاحب) من جواريه، حسنه كامله، و حمل كلّ ما كان لها- و كان شيئا كثيرا عظيما- فلما مات ابن حمدون تزوّجت صاحب، قال أبو علي بن المنجم: فرأيتة في النوم و هو يقول:

أبا عليّ ما ترى العجائبأ أصبح جسمي في التراب غائبأ

و استبدلت (صاحب) بعدى صاحبأ

و كان أبوه حمدون ينادم المعتصم، ثم الواثق، و كان يعاتب المتوكّل في أيام أخيه، و لما مات الواثق نادم المتوكّل، فلما كان في بعض الأيام أمر المتوكّل بإحضار فريده جاريه أخيه الواثق مكرهه، و دفع إليها عود فغنت غناء كالتدبّه، فغضب المتوكّل، فغنت بتحزّن و شجى، فزاد ذلك في طيب غنائها فوجم حمدون للرقّه التي تداخلته، فغضب المتوكّل و رأى أنّه فعل ذلك بسبب أخيه، و كان يبغض كلّ من مال إلى أخيه، فأمر بنفيه إلى السند و ضربه ثلاثمائه سوط و تزوّج المتوكّل فريده بعد ذلك (٢).

و في (الأغانى)- و العهده عليه- أعطى عبد الله بن أبي بكر، عاتكه بنت زيد بن عمرو بن نفيل حديقه على ألاّ تتزوّج بعده، و لما مات من السهم الذي أصابه بالطائف أنشأت تقول:

ص: ٣٢٩

١- ١) عيون الأخبار لابن قتيبه ١١٥: ٤-١١٦. [١]

٢- ٢) معجم الادباء للحموى ٢٠٨: ٢. [٢]

فأقسمت لا تنفك عيني سخينه عليك و لا ينفك جلدى أغبرا

مدى الدهر ما غنت حمامه أيكه و ما طرد الليل الصباح المنورا

فخطبها عمر فقالت: قد كان أعطاني حديقه على ألا أتزوج، قال عمر:

فاستفتى، فاستفتت أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام لها: ردى الحديقه على أهله، فتزوجها عمر، فلما بنى لها دعا عدّه منهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام لعمر:

مرها تستتر اكلمها، فاستترت فقال عليه السلام لها:

فأقسمت لا تنفك عيني سخينه عليك و لا ينفك جلدى أغبرا

فقال عمر: و ما أردت إلى هذا؟ فقال عليه السلام: و ما أردت إلى أن تقول ما لا تفعل؟ (١) قال تعالى: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» (٢).

هذا، و فى (زنبيل القاجارى): أوصى أحد تجار البصره إلى الشيخ على بن كاشف الغطاء مصرف ثلثه، فأنفذ الشيخ وكيله فأخذ الثلث و أوصله إليه و صرفه إلى المستحقين لكنّه نسي محي الدين النجفى، و كان شاعرا أديبا و كان الوكيل تزوج بزوجه البصرى أيضا، فاتفق حضور الوكيل و محي الدين فى درس الشيخ، و كان دأب الشيخ أن يعطى (الشرائع) من كان من الطلاب جيّد الأدب ليقرا مسأله، ثم يشرح هو، فأعطى (الشرائع) محي الدين ليقرا، فأخذ الكتاب و فتحه و قرأ إن شاء من نفسه: «مسائل، الأولى: تركه الميّت حبه للوصى، و فى زوجته تردد، و الأشبه أنّها جعله للوكيل» فقال الشيخ: ما تقرأ؟ فأعاد... فضحك الطالب... و فهم الشيخ مراده فأرضى خاطره (٣).

«و أمّا الأموال فقد قسمت» فى (كنايات الجرجانى): قال الخليل مشيرا

ص: ٣٣٠

١-١ (١) الأغاني ١٨:٦٠. [١]

٢-٢ (٢) الصف: ٣. [٢]

٣-٣ (٣) معتمد الدوله، زنبيل: ٢٦١.

إلى الأيام و الليالى:

و ينكحن أزواج الغيور عدوّه و يقسمن ما يحوى الشّحيح من الوفّر

(١) و فى (صفين نصر): سمع أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً ينشد أبيات الأسود بن يعفر فى أيوان كسرى:

ما ذا أوّمل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد إياد

(٢) فقال عليه السلام: هلاً قرأتهم: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاها قَوْمًا آخَرينَ» (٣) و قال الحارث بن حلّزه:

بينما الفتى يسعى و يسعى له تاح له من أمره خالج

يترك ما رقق من عيشه يعيث فيه همج هامج

لا تكسع الشول باغبارها إنك لا تدرى من النَّاتج

(٤) «هذا خبر ما عندنا» «هذا» اشاره إلى ما مرّ من خبر دورهم و ازواجهم و أموالهم و ما قاله عليه السلام من أخبار الأحياء لهم هو الأكثر، و عامّ لجميع الناس، و قد يخبرون موتاهم بأمر أخرى. قال مهلهل فى أخيه كليب الّذى يرميه بكونه زيرا لّمّا طلب ثأره:

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذّنائب أى زير

(٥) و قال آخر:

ص: ٣٣١

١-١) الكنايات للجرجاني: ٢٣.

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٢-١٤٣، و [١] كذلك فى العقد الفريد ٢٨٩: ٣. [٢]

٣-٣) الدخان: ٢٥-٢٨. [٣]

٤-٤) لسان العرب ٣٢: ١٤ و ١٢٩: ١٥. [٤]

٥-٥) المصدر نفسه ٦٥: ٥ و [٥] كذا الأصمعيات.

قد كان بعدك أنباء و هنبته لو كنت شاهدتها لم يكتر الخطب

(١) «ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم إنّ خير الزاد التقوى» روى (أمالى ابن الشيخ) مسندا عن صهيب بن عباد عن جعفر بن محمد عليه السلام: أنّ عليا عليه السلام مرّ بمقبره فسلمّ ثم قال: السلام عليكم يا أهل المقبره و التربه، اعلموا أنّ المنازل بعدكم قد سكنت، و أنّ الأموال بعدكم قد قسّمت، و أنّ الأزواج بعدكم قد نكحت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ فأجاب هاتف يسمع صوته و لا يرى شخصه: و عليك السلام يا أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته، أما خبر ما عندنا فقد وجدنا ما عملنا، و ربحنا ما قدّمنا، و خسرنا ما خلفنا، فالتفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أسمعتم؟ قالوا:

نعم. قال: فترودوا فإنّ خير الزاد التقوى (٢).

و في (الفييه): وقف النبي صلّى الله عليه و آله على القتلى ببدر و قد جمعهم في قليب فقال: يا أهل القليب! أنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّا؟ فقال المنافقون: إنّ النبي صلّى الله عليه و آله يكلم الموتى، فنظر اليهم فقال: لو اذن لهم في الكلام، لقالوا: نعم و إنّ خير الزاد التقوى (٣).

و في (جمل المفيد) - بعد ذكر هزيمه أهل الجمل - : ثمّ سار عليه السلام حتى وقف على كعب بن سور القاضى و هو مجدل بين القتلى، و في عنقه المصحف فقال عليه السلام: نجيّ و المصحف و ضعوه في مواضع الطّهارة، ثم قال: أجلسوا إلى كعبا فأجلس، فقال: يا كعب! قد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا فهل وجدت ما وعدك ربك حقّا؟ ثم قال: أضجعوه، و تجاوز عليه السلام فمرّ على طلحه صريعا،

ص: ٣٣٢

١- ١) المصدر نفسه ١٤٤: ١٥ و [١] قد نسبة إلى الصديقه فاطمه الزهراء عليها السلام.

٢- ٢) الأمالى: ٥٥ المجلس ٢ رقم ٧٦. [٢]

٣- ٣) الفييه ١٨٠: ١ ح ٥٣٦.

فقال: أجلسوه فأجلس، فقال يا طلحة لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوه، فقال رجل من القراء: يا أمير المؤمنين! ما كلامك؟ هذه الهام قد صدت، لا تسمع لك كلاماً، ولا تردّ جواباً، فقال عليه السلام: إنهما ليسمعان كلامي، كما سمع أصحاب القلب كلام النبي صلى الله عليه وآله ولو اذن لهما في الجواب لرأيت عجباً (١). وروى (محاسن البرقي): أن سلمان في جمعه مرّ على مقبره فقال: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين هل علمتم أن اليوم جمعه؟ فلما رجع ونام أتاه آت، فقال: و عليك السلام يا أبا عبد الله، تكلمت فسمعنا، و سلمت فرددنا، و قلت: هل تعلمون أن اليوم جمعه؟ و قد علمنا ما يقول الطير في يوم الجمعة قال: و ما يقول؟ قال:

يقول: (قدّوس قدّوس ربنا الرحمن الملك و ما يعرف عظمه ربنا من يحلف باسمه كاذباً) و ذكروا أنّ عمر بن عبد العزيز سمع خصياً للوليد بن عبد الملك على قبره و هو يقول: يا مولاي ما ذا لقينا بعدك؟ فقال له: اما و الله لو اذن له في الكلام لأخبر أنه لقي أكثر (٢).

٢٠

الحكمه (١٣٢)

و قال عليه السلام:

إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يَنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ - لَسُوا لِلْمَوْتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْتُوا لِلْخَرَابِ أَقُولُ : «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يَنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ» يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَ هَذَا التَّدَاءِ عَلَى لِسَانِ الْحَالِ لَا الْمَقَالِ، وَ مِثْلُهُ مَا فِي (الكافي) عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِلْقَبْرِ كَلَامًا فِي كُلِّ

ص: ٣٣٣

١- (١) الجمل للمفيد: ٢١٠. [١]

٢- (٢) المحاسن للبرقي ١: ١١٩. [٢]

يوم، يقول: أنا بيت الغربه، أنا بيت الوحشه، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضه من رياض الجنّه أو حفره من حفر النار، فكلام القبر أيضا بلسان الحال (١).

«لدوا للموت» اللّام فيه لام العاقبه كما في «للفناء» و«للخراب» في ما بعد.

قيل لرجل: لم مات فلان؟ قال: لأنّه ولدوا لكلّ سبع قوت، و ابن آدم قوت سبع الموت، و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ النّطفه إذا وقعت في الرّحم، بعث الله تعالى ملكا فأخذ من التربه التي يدفن فيها، فمائها في النطفه فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها (٢).

«و اجمعوا للفناء» «و تركتكم ما حوّلناكم وراء ظهوركم» (٣).

و قيل بالفارسيه:

اندك اندك خانمان آراستن پس بيكبار از سرش برخاستن

(٤) و في الخبر: أنّ ابن آدم يمثّل له ماله في آخر يوم من دنياه و أوّل يوم من عقباه، فيقول له: إنّني و الله كنت عليك حريصا شحيحا فمالى عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك (٥).

«و ابنوا للخراب» :

ما أنت معتبر بمن خربت منه غداه قضى دساكره

(٦) قيل ليحيى البرمكيّ بعد قتل الرشيد لابنه جعفر: أمر بتخريب ديارك،

ص: ٣٣٤

١-١ (١) الكافي ٣:٢٤٢ ح ٢. [١]

٢-٢ (٢) الكافي للكليني ٣:٢٠٣ ح ٢. [٢]

٣-٣ (٣) الأنعام: ٩٤. [٣]

٤-٤ (٤) الكشكول للشيخ البهائي: ١٢٢ و ذكر في الديوان أنّه لمولوى: ٤٥.

٥-٥ (٥) الكافي ٣:٢٣١ ح ١. [٤]

٦-٦ (٦) لأبي العتاهيه، ذكره المسعودي في مروج الذهب ٣:٣٦٧. [٥]

فقال: كذلك تخرب دياره، فصار كما قال في قتل الأمين (١)!

٢١

الحكمه (١٤٨)

و قال عليه السلام:

الْمَأْمُرُ قَرِيبٌ وَ الْإِصْطِحَابُ قَلِيلٌ أَقُولُ : «الأمر قريب» ، في (مطالب سؤول ابن طلحه الشافعي) قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني عن واجب و أوجب، و عجب و أعجب، و صعب و أصعب، و قريب و أقرب، فقال عليه السلام:

توب ربّ الورى واجب و ترك الذنوب أوجب

و الدهر فى صرفه عجيب و غفله الناس عنه أعجب

و الصبر فى النائبات صعب لكن فوت الثواب أصعب

و كلّ ما يرتجى قريب و الموت من ذاك أقرب

(٢) و فى (الكافى) عن النبىّ صلّى الله عليه و آله: سئل أىّ المؤمنين أكيس؟ فقال: أكثرهم ذكرا للموت، و أشدهم له استعدادا (٣).

«و الاصطحاب قليل» :

و كلّ أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

(٤) و فى الخبر: نزل جبرئيل على النبىّ صلّى الله عليه و آله فقال له: يا محمّد! عش ما شئت فإنك ميت، و أحب من شئت فإنك

مفارقة، و اعمل ما شئت فإنك لاقية! (٥)

ص: ٣٣٥

١- (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٩٤. [١]

٢- (٢) مطالب السؤول ابن طلحه الشافعي: ٦٢. [٢]

٣- (٣) الكافى ٣: ٢٥٨ ح ٢٧. [٣]

٤- (٤) العقد الفريد ٣: ٩٢، و [٤] الكامل للمبرد: ١٢٤٠ و [٥] هو بلفظ الفرقدان.

٥- (٥) الكافى ٣: ٢٥٥ ح ١٧. [٦]

الحکمه (۱۸۲)

و قال عليه السلام:

الرَّحِيلُ وَشَيْكُ الوَشِيك: ما كان سرعته عجيبا، قال الشاعر في قتل خالد بن الوليد، مالك بن نويرة و زناه بامرأته:

أ تقتلهم ظلما و تنكح فيهم؟ لو شكنا هذا و الدماء تصب

(۱) و في (الصحاح): يقال عجبت من وشك ذاك الأمر و من وشكه - بفتح الواو و ضمها - و (وشكان ذاك الأمر) (۲). كذلك

أيضا، في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: عجب لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثم نودى فيهم بالرحيل و هم يلعبون (۳).

و قيل بالفارسيه: تا بار نهادی که صدای کوچ است.

أيضا:

مرا در منزل جانان چه جای امن چون هر دم جرس فریاد می دارد که بر بندید محملها

(۴)

الحکمه (۴۱۹)

و قال عليه السلام:

مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ - مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْتُونُ الْعَلَلِ - مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤَلِّمُهُ الْبَقَّةُ - وَ تَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَ تُنْبِتُهُ الْعَرَفَةُ

ص: ۳۳۶

[۱-۱] لسان العرب ۳۰۹: ۱۵. [۱]

[۲-۲] الصحاح: (و شك). [۲]

[۳-۳] الكافي ۲۵۸: ۳ ح ۲۹. [۲]

[۴-۴] ديوان حافظ: ۱۰. [۳]

أقول: روى الفقرات الثلاث الأخيره الدّميرى ٢ الدّميرى-حياه الحيوان-ج ١ ص ٢١٨ فى كتابه عن (كامل ابن عدى-الكامل- ابن عدى) عن الأصيغ عنه عليه السلام هكذا: قال عليه السلام فى خطبه: ابن آدم و ما ابن آدم! تؤلمه بقّه و تنتنه عرقه و تقتله شرقه (١).

«مسكين ابن آدم» تقديم الخبر للحصر لاختصاصه دون ساير الحيوانات بمجموع هذه الصفات و لأنه عليه السلام فى مقام بيان مسكنته فتقديم الخبر أهمّ.

«مكتوم الأجل» حتّى الأنبياء إذا لم يعلمهم الله تعالى قبل ذلك، فمات داود عليه السلام فجأه، خطيبا على المنبر، و مات سليمان عليه السلام فجأه متكئا على عصاه ناظرا فى ملكه، فأى مسكنه أشدّ منه و الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «وَ أَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ» (٢) فلا يعلمه غيره. و لنعم ما قيل بالفارسيه:

ناگهان بانگى برآمد خواجه مرد.

«مكتون العلل» قال ابن معروف مشيرا إلى قوله عليه السلام هذا، و قوله:

«مكتوم الأجل» :

يا بؤس للإنسان فى الدنيا و إن نال الأمل

يعيش مكتوم العلل فيها و مكتوم الأجل

بينما يرى فى صحّه مغتبطا قيل اعتل

و بينما يوجد فى ها ثا ويا قيل ارتحل

فأوفر الحظّ لمن يتبعه حسن العمل

و فى (المعجم): كان إسحاق الموصلى يسأل الله أن لا- يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه فأرى فى منامه كأنّ قائلا يقول له: قد أجيت

ص: ٣٣٧

١- (١) حياه الحيوان للدّميرى [١] الأنعام ٢١٨: ١.

٢- (٢): ٢.

دعوتك و لست تموت بالقولنج و لكن تموت بضده، فأصابه ذرب، فمات منه سنة (٢٣٥) في خلافه المتوكل (١).

و في (المعجم) أيضا: حدث يموت بن المزرع قال وجه المتوكل في السنه التي قتل فيها أن يحمل إليه الجاحظ من البصره، فقال لمن أراد حملة:

و ما يصنع بامرئ ليس بطائل، ذى شق مائل، و لغاب سائل، و فرج بائل، و عقل حائل (٢) و قال المبرد دخلت على الجاحظ في آخر أيامه و قلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر، و نصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه. و قال لمتطبب يشكو إليه علة: اصطلحت هذه الأضداد على جسدي إن أكلت باردا أخذ برجلي، و إن أكلت حارًا أخذ برأسي (٣).

«محمفوظ العمل» «و كل صيغير و كبير مستطر» (٤)، «ما يلفظ من قول إلا لمدية رقيب عتيد» (٥)، «يومئذ يصدّر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره و من يعمل مثقال ذره شرا يره» (٦)، «و إن كان مثقال حبه من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسين» (٧) «و يقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صيغيره و لا كبيرة إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرا» (٨) «يا بني إننا إن تك مثقال حبه من خردل فتكن في صخره أو»

ص: ٣٣٨

١- ١) معجم الادباء للحموى ٦:٥٣ ترجمه إسحاق الموصلى. [١]

٢- ٢) معجم الادباء للحموى ١٦:١١٢. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه ١٦:١١٢ ترجمه الجاحظ.

٤- ٤) القمر: ٥٣. [٣]

٥- ٥) ق: ١٨.

٦- ٦) الزلزال: ٦-٨. [٤]

٧- ٧) الأنبياء: ٤٧. [٥]

٨- ٨) الكهف: ٤٩. [٦]

«فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» (١).

«تولمه البقّه» أى: البعوضه، روى أنّ المنصور آذاه بعوض فكلّما دفعه عنه عاد إليه، و كان عنده الصادق عليه السلام- فقال له: لم خلق الله هذا البعوض؟ قال:

ليذلّ به الجبابره مثلك.

و قال الدّميرى: يقال أنّ البقّ يتولّد من النّفس الحارّ و لشده رغبته فى الإنسان لا يتمالك إذا شمّ رائحته إلاّ رمى نفسه عليه (٢).

و قال وهب بن متبه: لمّا أرسل الله تعالى البعوض على النمرود اجتمع منه فى عسكره ما لا يحصى، فانفرد النمرود عن جيشه، و دخل بيته، و أغلق الأبواب، و أرخى السّتور، و نام على قفاه مفكّراً، فدخلت بعوضه فى أنفه و صعّدت إلى دماغه فعذبّ بها أربعين يوماً حتّى أنّه كان يضرب برأسه الأرض، و كان أعزّ الناس عنده من يضرب رأسه، ثم سقطت منه كالفرخ و هى تقول كذلك يسلّط الله «رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» من عباده... ثم هلك حينئذ، قال الطبرخزى:

و بعوضه قتلت بنى كنعان

(٣) و كان بعض الجبابره بالعراق يأخذ من يريد قتله، فيخرجه مجرّداً إلى بعض الآجام التى بالبطنح و يتركه فيها مكتوفاً تقتله البعوض فى أسرع وقت.

«و تقتله الشّرقه» (شرق بريقه) غصّ به، قال عدّى بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصّان بالماء اعتصارى

(٤) و فى (الأغانى): نزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس- بالشّام- و معه

ص: ٣٣٩

[١-١] لقمان: ١٦. [١]

[٢-٢] حياه الحيوان للدميرى ٢١٧: ١. [٢]

[٣-٣] الدميرى، حياه الحيوان ١٨٢: ١. [٣]

[٤-٤] لسان العرب ٩٧: ٧. [٤]

حَبَابِهِ فَقَالَ: زَعَمُوا أَنَّهُ لَا تَصْفُوا عَيْشَهُ لِأَحَدٍ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا يَكْدِرُهَا شَيْءٌ عَلَيْهِ وَ سَأَجْرَبُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ لِمَنْ مَعَهُ: إِذَا كَانَ غَدًا فَلَا تَخْبِرُونِي بِشَيْءٍ وَلَا تَأْتُونِي بِكِتَابٍ، وَقَدْ خَلَا هُوَ وَ حَبَابُهُ فَأَتِيَا بِمَا يَأْكُلَانِ فَأَكَلَتْ حَبَابُهُ رَمَانَهُ فَشَرَقَتْ بِحَبَابِهِ مِنْهَا فَمَاتَتْ! فَأَقَامَ لَا يَدْفِنُهَا ثَلَاثًا حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَ أَتَتْتَ وَ هُوَ يَشْمَمُهَا وَ يَرشِفُهَا فَعَابُوا عَلَيْهِ مَا يَصْنَعُ حَتَّى أَذِنَ فِي دَفْنِهَا فَمَا مَضَتْ إِلَّا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى دَفِنَ إِلَى جَنْبِهَا (١).

«و تَنَنَّهُ العَرَقَهُ» «تَنَنَّهُ» من باب التفعيل لا- الإفعال، ففي (الصحيح): نتن الشيء و أنتن بمعنى، و تَنَنَّهُ: غيره، تَنَنِينَا: جعله متننًا، و النتن: الرائح الكريه (٢).

و في (الفتاوى): قال الصادق عليه السلام: علَّه غسل الجمعة أن الأنصار كانت تعمل في أموالها فإذا حضروا المسجد تأذى الناس بأرواح آباطهم و أجسادهم، فأمرهم النبي صلى الله عليه و آله بال غسل فجزت بذلك السنه (٣).

٢٤

الحكمه (٣٣٤)

و قال عليه السلام:

لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَحْيَالَ وَ مَصَبَ يَرَهُ - لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَ غُرُورَهُ رَوَاهُ (الكافي الكليني-الكافي-ج ٣ ص ٢٥٩ ح ٣٠) (٤) و (أمالى الشيخ المفيد-الأمالى-ص ٣٠٩ ح ٨ المفيد) (٥) عنه هكذا: لو رأى العبد أجله و سرعته إليه لأبغض الأمل و ترك طلب الدنيا.

ص: ٣٤٠

[١-١] (١- الأغانى ١٤٣: ١٥). [١]

[٢-٢] (٢- الصحيح: نتن).

[٣-٣] (٣- الفتاوى ١: ١١٢ ح ٢٣).

[٤-٤] (٤- الكافي ٣: ٢٥٩ ح ٣٠). [٢]

[٥-٥] (٥- الأمالى للمفيد: ٣٠٩ ح ٨).

و في (بيان الجاحظ): وجد في حجر مكتوب: يا بن آدم! لو أنك رأيت يسير ما بقي من أجلك، لزهدت في طول ما ترجو من أملك، و لرغبت في الزيادة في عملك، و لأقصرت من حرصك و حيلك، و أنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك و أسلمك أهلک و حشمك، و تبرأ منك القريب، و انصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى أهلک بعائد، و لا في عملك بزائد (١).

و في (المعجم): قال فضل بن حباب أبو خليفه:

و متعب السفر مرتاح إلى بلد و الموت يرصده في ذلك البلد

و ضاحك المنيا فوق هامته لو كان يعلم غيبا مات من كمد

آماله فوق ظهر النجم شامخه و الموت من تحت اطلية على الرصد

من كان لم يعط علما في بقاء غد ما ذا تفكره في رزق بعد غد

(٢)

٢٥

الحكمة (٣٦)

و قال عليه السلام:

مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ أقول: رواه (الكافي الكليني - الكافي - ج ٣ ص ٢٥٩ ح ٣٠) هكذا: (ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل)

(٣) قال بعضهم:

و منتظر للموت في كل ساعه يشيد بيتا دائما و يحصن

له حين يتلوه حقيقه موقن و أفعاله أفعال من ليس يوقن

عيان و انكار و كالجهل علمه بمذهبه في كل ما يتيقن

(٤)

ص: ٣٤١

[١- ١] البيان و التبيين للجاحظ ١٦٦: ٣٥. [١]

[٢- ٢] الحموي، معجم الادباء ٢٠٧: ١٦. [٢]

[٣- ٣] الكافي ٢٥٩: ٣ ح ٣٠. [٣]

٤-٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣:٢٠٧ [٤] لابن أبي حازم.

وقال خالد بن صفوان: بت ليلى أتمنى كلها فكسيت البحر الأخضر بالذهب الأحمر فإذا الذى يكفينى رغيفان و كوزان و طمران.

٢٦

الحكمه (٣٣٥)

و قال عليه السلام:

لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ - الْوَارِثُ وَ الْحَوَادِثُ قَالَ بَعْضُهُمْ:

يا جامعا للمال يا مانعا ألم تثق بالرازق الباعث

من شخّ بالمال على نفسه جاد به قهرا على الوارث

أيضا:

امهد لنفسك يا أبا الفياض و اعلم بأنك عن قليل ماض

و يحوز مالك و ارث للمال أو موصى إليه أو وكيل القاضى

٢٧

الحكمه (٣٨٠)

و قال عليه السلام:

رُبَّ مُسْتَقْبَلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ - وَ مَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ قَالَ الظاهر: ابن دريد:

ربّ صباح لامرئ لم يمسه حتف الفتى موكل بنفسه

حتى يحلّ فى ضريح رمسه

يؤمّل أن يعمر عمر نوح و أمر الله يطرق كلّ ليله

يا راقد الليل مسرورا بأوله أنّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

ص: ٣٤٢

و في (الحليه): كان ابن السّماك يقول:

عجبا لعين تلذّ بالزّقاد و ملك الموت معه على و ساد

و قال معاذ بن معاذ: دخلت على قاضى البصره اعوده، فقلت: أراك اليوم صالحا، فقال:

لا يغرنك عشاء سالم سوف يأتى بالمنايا السّحر

فلما كان السّحر سمعت الواعیه عليه.

و قيل بالفارسيه:

سر شب سر تخت و سر بتاج سحر گه نه بر تن سر نه سر بتاج

و مصداق هذا الشعر قصّه انقراض ملوكيه شرفاء العراق: ففي أوّل الليل كانت دوله فيصل الآخري، و في آخره كانت دوله عبد الكريم قاسم، و هو من غرائب التاريخ، كما خراج الإيرانيين من العراق.

٢٨

في الخطبه (٨٢)

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَّهْلِهِ قَبِيلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ - وَ فِي فَرَاغِهِ قَبِيلَ أَوَانِ سُعْلِهِ - وَ فِي مُتَنَفِّسِهِ قَبِيلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ - وَ لِيْمَهْدَ لِنَفْسِهِ وَ قَسَمِهِ وَ لِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِإِدَارِ إِقَامَتِهِ - فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ - وَ اسْتَتَوَدَعْتُمْ مِنْ حُقُوقِهِ - فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى - وَ لَمْ يَدْعُكُمْ فِي جِهَالِهِ وَ لَا عَمَى قَدْ سَمِيَ آثَارَكُمْ - وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آخِرَ الْكُفْمِ - وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ «تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» - أَلِي أَنْ قَالَ فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّتَهُ أَيَّامَكُمْ وَ اصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ - فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْعُقْلَةُ -

ص: ٣٤٣

وَالشَّاعِلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ وَلَا تَرْخُصُوا لِأَنْفُسِكُمْ - فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرِّخْصُ مِذَاهَبَ الظَّلْمَةِ - وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجَمَ بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمُصْطَبِ - عِيَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ - وَإِنْ أَعْشَهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ - وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ - وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ - وَالشَّقِيُّ مَنْ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ أَقُولُ : «فليعمل العامل منكم - قبل إرهابك أجله» من قولهم (لا ترهقني لا أرهقك الله) أي: (لا تعسرني لا أعسرك الله)، وأما نقل ابن أبي الحديد هنا قول الشاعر:

تندى أكفهم و في أبياتهم ثقه المجاور و المضاف المرهق

(١) فلا ربط ففي (الأساس): (رجل مرهق): مضياف يرهقه الضيوف، و قال ابن هرمة:

خير الرجال المرهقون كما خير تلاع البلاد اكلؤها

(٢) لكن الأصل في كلام ابن أبي الحديد (الصحيح) وهو كما ترى (٣).

«و في فراغه قبل أوان شغله» أي: زمان شغله .

«و في متنفسه» المراد زمان تنفسه، قال الشاعر:

و الشيب ان يحلل فإن وراءه عمرا يكون خلاله متنفس

(٤) «قبل أن يؤخذ بكظمه» أي: مخرج نفسه .

«و ليمهد لنفسه و قدومه» هكذا في (المصريه) (٥) و في (ابن أبي الحديد

ص: ٣٤٤

[١-١] ابن أبي الحديد ٣٥٠:٦. [١]

[٢-٢] الزمخشري، أساس البلاغة: ١٨١. [٢]

[٣-٣] ابن أبي الحديد ٣٥٠:٦. [٣]

[٤-٤] عيون الأخبار لابن قتيبه ٤:٥٢. [٤]

[٥-٥] المصريه ٢٠٢ ح ٨٢.

و ابن ميثم و الخطيبه (١) «و قدمه».

«و ليتزود من دار ظعنه لدار إقامته» الظعن (بالسكون و التحرك):مقابل الإقامة،قال تعالى: «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ» (٢).

فى الخبر:اغتموا خمسا قبل خمس الغنى قبل الفقر،و الصحه قبل السيقم،و الشباب قبل الهرم،و الفراغ قبل الشغل،و الحياه قبل الموت (٣).

«فالله الله أيها الناس فى ما استحفظكم من كتابه» من العمل بها،لا حفظ ألفاظ آياته .

«و استودعكم من حقوقه» و حيث أنّ المال و البدن اللذين عليهما الحق وديعه منه تعالى،فكأنما حقوقهما وديعه،قال تعالى: «أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ» (٤).

«فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثا» «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» (٥).

«و لم يترككم سدى» أى:مهملا «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى» (٦).

«و لم يدعكم فى جهاله و لا عمى» «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» (٧).

ص:٣٤٥

١-١ ابن أبى الحديد ٣٥٠:٦،و [١] ابن ميثم ٢٨٠:٢ [٢] كالمصريه.

٢-٢ النحل: ٨٠. [٣]

٣-٣ الأمالى للطوسى ١٣٩:٢.

٤-٤ البقره: ٢٥٤. [٤]

٥-٥ المؤمنون: ١١٥. [٥]

٦-٦ القيامه: ٣٦-٣٧. [٦]

٧-٧ الأعراف: ١٧٢. [٧]

«قد سمى آثاركم» (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (١).

«و علم أعمالكم» هكذا فى (المصريه) (٢) و«علم» بالتشديد و فسره فى الحاشيه بقوله: «بين لكم أعمالكم و حددها» (٣) و هو غلط و الصواب: (و علم) بالتخفيف قال تعالى: «و اللّٰهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ» (٤).

«و كتب آجالكم» (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) (٥)، «لكلّ أجل كتاب» (٦)، «و نُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا» (٧).

«و أنزل عليكم الكتاب تبيانا لكلّ شىء» أى: أنزله على نبيّه صلى الله عليه و آله لكم، قال تعالى: «و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» (٨) و فى (الصحاح): التبيان (بالكسر) مصدر كالتلقاء، و القياس (بالفتح) كالتكرار (٩).

«و استدر كوا بقيه أيامكم» أى: تدار كوها .

«و اصبروا لها أنفسكم» أى: احبسوها، قال تعالى: «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ»

ص: ٣٤٦

١- ١) يس: ١٢. [١]

٢- ٢) الطبعه المصريه: ٢٠٢.

٣- ٣) فى الحاشيه من الطبعه المصريه: ٢٠٢ رقم ٣.

٤- ٤) محمّد: ٣٠. [٢]

٥- ٥) الأنعام: ٢. [٣]

٦- ٦) الرعد: ٣٨. [٤]

٧- ٧) الحج: ٥. [٥]

٨- ٨) النحل: ٨٩. [٦]

٩- ٩) الصحاح: (بين).

«الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاهِ وَالْعَشِيِّ» (١).

«فإنها» أى: الأيام الباقية التى تستدركوها و تصبروا أنفسكم لها.

«قليل فى كثير من الأيام التى تكون منكم فيها الغفلة» قال ابن أبى الحديد:

قال عليه السلام: «فإنها قليل» مخبرا عن المؤنث بالمذكر لأنه فى معنى شىء قليل.

قلت: بل لأن القليل يأتى للمؤنث كما يأتى للمذكر، كما أتى للجمع، و فى قوله تعالى: «وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» (٢).

«و التشاغل عن المواعظ» أى: التذكر بالعواقب .

«و لا ترخصوا لأنفسكم» الأصل فى الرخص: الناعم يقال هو رخص الجسد، و الرخصه فى الأمر خلاف التشديد فيه .

«فيذهب بكم الرخص فيها» هكذا فى (المصريه) (٣) و كلمه (فيها) زائده لعدم وجودها فى (ابن ميثم و ابن أبى الحديد و الخطيه) (٤).

«مذاهب الظلمه» «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَ إِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» ... (٥).

«و لا تداهنوا» المداهنه: المصانعه، قال تعالى: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» (٦).

ص: ٣٤٧

[١- ١] الكهف: ٢٨. [١]

[٢- ٢] الأنفال: ٢٦. [٢]

[٣- ٣] الطبعه المصريه: ٢٠٣.

[٤- ٤] ابن أبى الحديد ٢: ٣٥٢، و ابن ميثم كالمصريه ٢: ٢٨١، و النسخه الخطيه ٥٧.

[٥- ٥] الأعراف: ١٦٩. [٣]

[٦- ٦] القلم: ٩. [٤]

«فيهجم بكم الادهان على المصبيه» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي) (٢) «على المعصيه» بمعنى أنّ المداهن مع أهل المعصيه مثلهم و شريك وزرهم، ففي باب الأمر بالمعروف الكافي عن الباقر عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى شعيب أنّي معذب من قومك مائه ألف و أربعين ألفا من شرارهم و ستين ألفا من خيارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى إليه: داهنوا أهل المعاصي و لم يغضبوا لغضبي (٣).

«عباد الله إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه» ففاز فوزا عظيما .

«و إنّ أغشّ الناس لنفسه أعصاهم لربّه» لأنه ضلّ ضلالا بعيدا .

«و المغبون من غبن نفسه» لا- ماله، و في (باب آخر الفقيه): بينا أمير المؤمنين عليه السلام يعبىء أصحابه للحرب، إذ أتاه شيخ من ناحيه الشام، و قال:

سمعت فيك من الفضل ما لا- احصى، و إنّى لأظنّك ستغتال، فعلمنى ممّا علمك الله، قال: نعم يا شيخ، من اعتدل يوماه فهو مغبون، و من كانت همته الدّنيا اشتدّت حسرته عند فراقها، و من كان غده شرّ يوميه فهو محروم، و من لم يبال بما رزىء من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، و من لم يتعاهد النّقص من نفسه غلب عليه الهوى، و من كان في نقص فالموت خير له (٤).

و قال تعالى: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (٥).

ص: ٣٤٨

١- (١) المصريه: ٢٠٣.

٢- (٢) شرح ابن ميثم كالمصريه ٢:٢٨١ و الخوئي ١٢٤:٦ خ ٨٥.

٣- (٣) الكافي ٥:٥٦ ح ١. [١]

٤- (٤) الفقيه ٤:٣٨١ ح يونس ٥٨٣٣.

٥- (٥) ٢٣.

«والمغبوط من سلم له دينه» و في الخبر: (أغبط الناس من صار في التراب، و أمن العقاب) (١).

«و السعيد من وعظ بغيره» لا من واطأته دنياه .

«و الشقي من انخدع لهواه» هكذا في (المصريه) (٢) و فيها سقط، و في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣) بعده «و غروره»،
«و مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» (٤).

٢٩

من الخطبه (٨٤)

عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا- وَ حَاسِبُوا مَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا- وَ تَنْفُسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ وَ انْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ- وَ
اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنِ عَلَى نَفْسِهِ- حَيْثُ يَكُونُ لَهُ مِنْهَا وَاعِظُ وَ زَاجِرٌ- لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَآ- زَاجِرٌ وَ لَآ- وَاعِظُ «عباد الله زنوا
أنفسكم قبل أن توزنوا» هكذا في (المصريه) (٥) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي) (٦): «من قبل» فهو الصحيح،
قال عليه السلام: زنوها في الدنيا من قبل زنه الله تعالى لها في الآخرة، حتى تكمل خفتها و تثقل إن كانت خفيفه، قال تعالى: «وَ
نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمٍ»

ص: ٣٤٩

١- (١) الفقيه ٤:٣٩٥ ح ٥٨٤.

٢- (٢) المصريه: ٢٠٣.

٣- (٣) ابن أبي الحديد ٦:٣٥٣، و [١] ابن ميثم كالمصريه ٢:٢٨١، و النسخه الخطيبه: ٥٧.

٤- (٤) القصص: ٥٠. [٢]

٥- (٥) الطبعه المصريه المصححه: ٢١١.

٦- (٦) ابن أبي الحديد ٦:٣٥٣، و [٣] شرح ابن ميثم ٢:٣١٥ ح ٨٩، و [٤] الخوئي ٨:٢٧٠ ح ٨٩.

«الْقِيَامَةِ فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا» (١).

«و حاسبوها قبل أن تحاسبوا» «وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» (٢). ولقد أُلّف عليّ بن طاوس رساله في (محاسبه النفس).

«و تنفّسوا قبل ضيق الخناق» خنقه و خنّقه: إذا عصر حلقه، و ألقى الحبل في عنقه، و حرّمت المنخنقه في الإسلام، قال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّتُهُ» ...

«و الْمُنْخَنَقَةُ» (٣) و الخناق هنا (بالضم) يقال: أخذ بخناقه أى: بحلقه، و أمّا (الخناق) بالكسر فهو الحبل الذي يخنق به و ليس بمراد هنا

«و إنقادوا قبل عنف السياق» «كَلَّا- إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَ التَّفَّتِ السِّيَاقُ بِالسِّيَاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» (٤).

«و اعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و زاجر لم يكن له من غيره زاجر و واعظ» في (المستطرفات) عن مشيخه ابن محبوب عن السّجّاد عليه السلام قال: يا ابن آدم! إنك لن تزال بخير ما كان لك و اعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبه من همّتك، و ما كان لك الخوف شعارا و الحزن دثارا (٥).

٣٠

من الخطبه (٩٠)

إِعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَىٰ أَعْلَامٍ بَيْنَهُ- فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ «يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ» - وَ أَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَىٰ مَهَلٍ وَ فَرَاغٍ- وَ الصُّحُفُ مَنُشُورَةٌ- وَ الْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ- وَ الْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ- وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ- وَ التَّوْبَةُ

ص: ٣٥٠

[١- ١] (١) الأنبياء: ٤٧. [١]

[٢- ٢] (٢) الأنبياء: ٤٧. [٢]

[٣- ٣] (٣) المائدة: ٣. [٣]

[٤- ٤] (٤) القيامة: ٢٦-٣٠. [٤]

[٥- ٥] (٥) المستطرفات: ٨٣ ح ٢١ رواه عن أبي حمزه الثمالى.

مَسْمُوعَةٌ - وَ الْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ «اعملوا-رحمكم الله-على أعمال بينه» «لا-إكراه في الدين-قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» (١).

«فالطريق نهج» أي: واضح، «إنا هديناك السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» (٢).

«يدعو إلى دار السلام» «وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون» (٣).

«وأنتم في دار مستعبت» أي: الدنيا، فلا استعتاب-أي: استرضاء-في الآخرة، «فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعذبوا فما هم من المعتبرين» (٤).

«على مهل و فراغ» «وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون» (٥).

«و الصّحف منشوره» أي: لكتابه الأعمال و أما القيامة فإنما تنشر للقراءه .

«و الأقسام جاريه» «لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يعيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا»

ص: ٣٥١

١-١ (١) البقره: ٢٥٦. [١]

٢-٢ (٢) الدهر: ٣. [٢]

٣-٣ (٣) الأنعام: ١٢٦-١٢٧. [٣]

٤-٤ (٤) فصلت: ٢٤. [٤]

٥-٥ (٥) المنافقون: ١٠. [٥]

«يَقْطَعُونَ وَاِدْيَاءً إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (١).

«و الأبدان صحيحة و الألسن مطلقه» غير معتقله بحضور الموت .

«و التوبه مسموعه» «و لَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» (٢).

«و الأعمال مقبوله» «لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ» (٣).

٣١

من الخطبه (١٧٨)

فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَ سَابِقُوا الْأَجَالَ - فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَ يَزْهَقَهُمُ الْأَجَلُ - وَ يُسَدِّ عَنْهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ - فَقَدْ أَصَيْبِحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - وَ أَنْتُمْ بُنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ - وَ قَدْ أُودِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِزْتِحَالِ وَ أَمَرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ «فَبَادِرُوا الْمَعَادَ» «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٤)، «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (٥).

«و سابقوا الآجال» «وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ لَنْ»

ص: ٣٥٢

١ - ١) التوبه: ١٢٠-١٢١. [١]

٢ - ٢) النساء: ١٨. [٢]

٣ - ٣) المائده: ٣٦. [٣]

٤ - ٤) البقره: ١٤٨. [٤]

٥ - ٥) المائده: ٤٨. [٥]

«يُؤَخِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (١).

«فإنَّ الناسَ يوشكُ أنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأملُ» «يوشكُ» يقرب، «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ» (٢).

«و يرهقهم الأجلُ» أى: يغشاهم، «وَ أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لا تُنصِرُونَ» (٣)، «وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَعْتَهُ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ» (٤).

«و يسدُّ عنهم باب التوبه» «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ» (٥).

«فقد أصبحتم فى مثل ما سأل إليه الرجعه من كان قبلكم» «وَ لَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَ سَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ» (٦)، «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمِلُ صالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائلُها وَ مِنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (٧).

«و أنتم بنو سبيل» أى: مسافرون إلى الآخرة.

«على سفر من دار ليست بداركم» «إِنَّمَا هَذِهِ الحِياةُ الدُّنيا مَتاعٌ وَ إِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ» (٨)، «وَ ما هَذِهِ الحِياةُ الدُّنيا إِلا لَهُوَ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ»

ص: ٣٥٣

١- (١) المنافقون: ١٠-١١. [١]

٢- (٢) سبأ: ٥٤. [٢]

٣- (٣) الزمر: ٥٤. [٣]

٤- (٤) الزمر: ٥٥. [٤]

٥- (٥) النساء: ١٨. [٥]

٦- (٦) السجده: ١٢. [٦]

٧- (٧) المؤمنون: ٩٩-١٠٠. [٧]

٨- (٨) غافر: ٣٩. [٨]

«الْحَيَّوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (١).

«و قد أودنتم منها بالارتحال» الإيدان:الإعلام،و الأصل فيه إيصال الخبر إلى الأذن و يترجم بالفارسيه بقولهم:(گوشزد).

«و أمرتم فيها بالزاد» «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَّا تَعْمَلُونَ» (٢)، «و ما تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (٣).

٣٢

الخطبه(١٨٨)

و من خطبه له عليه السلام:

أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ - وَ كَثْرَةَ حَمِيدِهِ عَلَى آلائِهِ إِلَيْكُمْ - وَ نِعَمَائِهِ عَلَيْكُمْ وَ بِلَايَةِ لَعَدِيكُمْ - فَكُمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمِهِ وَ تَدَارَكُكُمْ بِرَحْمِهِ - أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسْتَرَكُمْ وَ تَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ - وَ أَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ إِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ - وَ كَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ - وَ طَمَعُكُمْ فِيْمَا لَيْسَ يُمَهَّلُكُمْ - فَكَفَى وَاعِظًا بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ - حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ - وَ أَنْزَلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ - فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا - وَ كَأَنَّ الْمَآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا - أَوْحَشُوا مِثْلَ مَا كَانُوا يُوطِنُونَ - وَ أَوْطَنُوا مِثْلَ مَا كَانُوا يُوحِشُونَ - وَ اشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا - وَ أَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا - لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ - وَ لَا فِي حَسَنَةٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيادًا - أَنْسُوا بِالْدُّنْيَا فَعَزَّتْهُمْ - وَ وَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ - فَسَابِقُوا

ص: ٣٥٤

[١- ١] العنكبوت: ٦٤. [١]

[٢- ٢] الحشر: ١٨. [٢]

[٣- ٣] البقره: ١٩٧. [٣]

رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَىٰ مَنَازِلِكُمْ - الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا - وَ الَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَ دُعَيْتُمْ إِلَيْهَا - وَ اسْتَيْتَمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ - وَ الْمُجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ - فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ - مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ - وَ أَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشُّهُورِ - وَ أَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ - وَ أَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ «أوصيكم أيها الناس بتقوى الله» فلا عاقبه إلا لهم، قال تعالى: «وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (١) وَ لَا نَجَاهَ إِلَّا لَهُمْ، قال تعالى: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا» (٢)، وَ لَذَا وَصَّى تَعَالَى بِهَا الْأُولِينَ وَ الْآخِرِينَ، «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ» (٣).

«و كثره حمده على آلائه اليكم» في (الصحاح): الآلاء- و هي النعم- جمع الألى (بالفتح) و قد يكسر و يكتب بالياء (إلى) مثل معى و أمعاء (٤).

«و نعمائه عليكم» عن الصادق عليه السلام: إذا أصبحت و أمسيت فقل عشر مرّات اللهم ما أصبحت بي من نعمه أو عافيه في دين أو دنيا، فممنك وحدك لا شريك لك لك، الحمد و لك الشكر بها على يا رب حتى ترضى، و بعد الرضا، فإذن كنت أديت شكر ما أنعم عليك في ذلك اليوم و تلك الليلة (٥).

و كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح و أمسى فسّمى عبدا شكورا (٦).

«و بلائه لديكم» قالوا: البلاء: الاختبار بالخير و الشرّ، و لكن المفهوم من

ص: ٣٥٥

[١- ١] الأعراف: ١٢٨. [١]

[٢- ٢] مريم: ٧٢. [٢]

[٣- ٣] النساء: ١٣١. [٣]

[٤- ٤] الصحاح: (٤) [٤] (لا).

[٥- ٥] الكافي ٢: ٩٩ ح ٢٨. [٥]

[٦- ٦] تفسير القمي: ٣٧٧، و [٦] نقله المجلسي في البحار ١١: ٢٩٠. [٧]

«فكم خَصِيكم بنعمه» قال أبو هاشم الجعفرى: أصابتنى ضيقه شديده فصرت إلى الهادى عليه السلام فلما جلست قال: أى نعم الله تعالى عليك تريد أن تؤدّى شكرها؟ فوجمت، فلم أدر ما أقول له عليه السلام، فابتدأ فقال: رزقك الإيمان فحرّم به بدنك على الثّار، و رزقك العافيه فأعانتك على الطاعة، و رزقك القنوع فصانك عن التبدّل، يا أبا هاشم! إنّما بدأتك بهذا لأنّى ظننت أنّك تريد أن تشكوا إلىّ من فعل بك! وهذا و قد أمرت لك بمائه دينار (١).

و عن الصادق عليه السلام: إذا ذكر أحدكم نعمه الله تعالى عليه، فليضع خدّه على التراب شكرا له، فإن كان راكبا فلينزّل و ليضع خدّه، فإن لم يقدر للنزول للشهره، فليضع خدّه على قربوسه، فإن لم يقدر فعلى كفّه، ثم ليحمد الله تعالى على ما أنعم عليه (٢).

«و تدارككم برحمه» و عن الصادق عليه السلام: إذا رأيت الرّجل و قد ابتلى و أنعم الله عليك فقل: اللهمّ إنّى لا- أسخر، و لا أفخر، و لكن أحمدك على عظيم نعمائك علىّ (٣).

«أعورتم له فستركم» أى: بدا منكم موضع الخلل و العوار، و فى الخبر:

تطوّل على عباده بثلاث، و منها: ستره لهم و لولاه لما دفن كثير من النّاس (٤).

«و تعرّضتم لأخذه فأمهلكم» «و لو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما تركّ على ظهرها من دابّه» (٥).

١- ١) الفقيه ٤: ٤٨٦ ح ٣٩.

٢- ٢) الكافي ٢: ٩٨ ح ٢٥. [١]

٣- ٣) المصدر نفسه ٢: ٩٨ ح ٢٢. [٢]

٤- ٤) الصدوق، الخصال ١: ١٣٦ ح ١٥٠.

٥- ٥) فاطر: ٤٥. [٣]

و عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: «ما أصابكم من مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» (١): ما من عرق يضرب ولا نكبه ولا صداع ولا مرض إلا بذنب و ما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به (٢).

و عنه عليه السلام: تعوذوا بالله من سطوات الله بالليل و النهار، قيل: و ما سطوات الله؟ قال أخذته على المعاصى (٣).

و عن أبى الحسن عليه السلام: ان لله تعالى مناديا ينادى: مهلا مهلا- عباد الله- عن معاصى الله، فلو لا بهائم رتّع و صبيبه رضع و شيوخ رقع، لصب عليكم العذاب صبّا ترضون به رضا (٤)، و عن الكاظم عليه السلام: كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون (٥)، و عن الصادق عليه السلام يقول تعالى: إذا عصانى من عبادى من يعرفنى سلّطت عليه من لا يعرفنى (٦).

«و أوصيكم بذكر الموت و إقلال الغفلة عنه» فإن أكيس الناس من كان أكثر ذكرا له.

«و كيف غفلتكم عما ليس يغفلكم و طمعكم فيمن ليس يمهلكم» «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يشتمدون» (٧) و قال الصادق عليه السلام: ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و ملك الموت يتصفّحهم فى كلّ يوم خمس مرّات (٨)،

ص: ٣٥٧

١-١ (١) الشورى: ٣٠. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ٢: ٢٦٩ ح ٣. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر نفسه ٢: ٢٦٩ ح ٦. [٣]

٤-٤ (٤) المصدر نفسه ٢: ٢٧٦ ح ٣١. [٤]

٥-٥ (٥) المصدر نفسه ٣: ٢٧٥ ح ٢٩. [٥]

٦-٦ (٦) المصدر نفسه ٢: ٢٧٦ ح ٣٠. [٦]

٧-٧ (٧) الأعراف: ٣٤. [٧]

٨-٨ (٨) الكافي ٣: ٢٥٦ ح ٢٢. [٨]

وقال الباقر عليه السلام لجابر الجعفي: أما رأيت الناس يكونون جلوسا، فتعترتهم سكتة، فما يتكلم أحد منهم، تلك لحظه ملك الموت حيث يلحظهم .

«فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا إلى قبورهم غير راكبين» و كانوا رجالا يركبون في مقاصدهم فلم يقدرُوا فحملوا على أعواد المنايا (1)، و في الكافي عن الصادق عليه السلام تبدأ في حمل السيرير من الجانب الأيمن، ثم تمرّ عليه من خلفه إلى الجانب الآخر ثم تمرّ حتى ترجع إلى المقدم كذلك دوران الرّحى عليه (2)، قال فروه بن عمرو الجذامي الذي كان عاملا للروم على من يليهم من العرب، فبعث إلى النبي صلى الله عليه و آله بإسلامه، فبلغ ذلك الروم، فأخذوه و أرادوا صلبه على ماء يقال له عفراء، مكفيا عن خشبه صلبه:

ألا هل أتى سلمى بأنّ حليلها على ماء سلمى فوق إحدى الرواحل

على ناقه لم يضرب الفحل أمّها مشدّبه أطرافها بالمناجل

(3) «و انزلوا فيها غير نازلين» و كانوا ينزلون في مآربهم فلم يقدرُوا فأنزلوا، و في الكافي عن الكاظم عليه السلام: إذا أتيت بالميت شفير قبره، فأمهله ساعه فإنّه يأخذ أهبتة للسؤال (4).

«فكأنّهم» هكذا في (المصريه) و الصواب: «كأنّهم» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (5).

«لم يكونوا في الدنيا عمّارا و كأنّ الآخره لم تزل لهم دارا» :

كأن لم يغن يوما في رخاء إذا ما المرء منته المنون

ص: ٣٥٨

١-١ (١) الكافي للكليني ٣:٢٥٩ ح ٣١. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٣:١٦٩ ح ٤٦. [٢]

٣-٣ (٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٠:٢٩٧. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٣:١٩١ ح ٢. [٤]

٥-٥ (٥) الطبعة المصريه: ٤٩٠، ابن أبي الحديد ١٣:٩٩، [٥] شرح ابن ميثم كالمصريه ٤:١٨٨، النسخه الخطيه: ١٧٣.

و في (الأساس): (مَنته المنون) أي: قطعتة القطوع، و هي المَنته (١).

و في الدعاء: و ارحمني في طول البلى و اذكرني إذا نسيتي الناسون من الورى (٢).

«أوحشوا ما كانوا يوطنون» أي: صارت ديارهم وحشه لهم بالقهر.

«و أوطنوا ما كانوا يوحشون» من القبور.

«و اشتغلوا بما فارقوا» أي: بحساب ما فارقوا من علائقهم.

«و أضاعوا ما إليه انتقلوا» في (الكافي) عنه عليه السلام: أن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، و أول يوم من أيام الآخرة، مثل له ماله، و ولده، و عمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: و الله إنني كنت عليك حريصا شحيحا فمالى عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك! فيلتفت إلى ولده فيقول: و الله إنني كنت لكم محييا، و محاميا، فمالى عندكم؟ فيقولون: نؤدبك إلى حفرتك نواريك فيها، فيلتفت إلى عمله فيقول: و الله إنني كنت فيك لزاهدا و ان كنت على لثقيلا- فما ذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك و يوم نشرك حتى أعرض أنا و أنت على ربك، فإن كان لله وليا أتاه أطيب الناس ريحا، و ان كان عدوا لله أتاه أقبح الناس زيا و أنته ريحا (٣)...

«لا- عن قبيح يستطيعون انتقالا- و لا- في حسنه يستطيعون ازديادا أنسوا بالدنيا فغرّتهم و وثقوا بفها فصرعتهم» في (الكافي) عن السجاد عليه السلام قال: ما ندرى ما نضع بالناس! إن حدّثناهم بما سمعنا من النبي صلى الله عليه و آله ضحكوا، و ان سكتنا لم يسعنا، فقال ضميره ابن معبد: حدّثنا فقال عليه السلام: يقول عدو الله إذا

ص: ٣٥٩

١- ١) أساس البلاغه للزمخشري: ٤٣٨ [١] ماده (من).

٢- ٢) لا وجود له في مصباح المتهدجد للشيخ الطوسي.

٣- ٣) الكليني ٣: ٢٣١ ح ١. [٢]

حمل على سريريه لحملته: أشكو إليكم عدواً أوردني، ثم لم يصدرنى و إخوانا و اخيتهم و أولادا حاميت عنهم، خذلوني! و دارا صارت لغيرى، فقال ضميره:

إن كان الميت يتكلم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق حملته، فقال عليه السلام:

اللهم إن كان ضميره هزأ من حديث رسولك فخذهُ أخذ آسف! فمات بعد أربعين، فأتاه مولاه، و قال له عليه السلام: وضعت وجهى على قبره حين سؤى عليه فسمعت صوته يقول: ويلك يا ضميره! اليوم خذلك كل خليل، و صار الجحيم مبيتك و المقيل، فقال عليه السلام: هذا جزاء من يهزأ من حديث رسوله (١).

«فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التى أمرتم أن تعمروها و التى رغبتم فيها و دعيتم إليها» «ثم أوردنا الكتاب الذين اضيظفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب و لؤلؤا و لباسهم فيها حرير و قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامه من فضله لا يمسننا فيها نصب و لا يمسنا فيها لغوب» (٢)، «سابقوا إلى مغفره من ربكم و جنه عزضها كعرض السماء و الأرض أعدت للذين آمنوا بالله و رسله ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم» (٣).

«و استتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته و المجانبه لمعصيته» «و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدین فيها و ذلك الفوز العظيم و من يعص الله و رسوله و يتعد حذوده يدخله ناراً خالداً فيها و له عذاب مهين» (٤) «و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً»

ص: ٣٦٠

١-١) الكافي للكليني ٣:٢٣٤ ح ٤. [١]

٢-٢) فاطر: ٣٢-٣٥. [٢]

٣-٣) الحديد: ٢١. [٣]

٤-٤) النساء: ١٥-١٦. [٤]

«عَظِيمًا» (١) «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» (٢).

«فإنَّ غدا من اليوم قريب» أى: كما أنَّ الغد قريب من اليوم، كذلك الآخرة من الدنيا، فإنَّ من مات قامت قيامته .

«ما أسرع الساعات فى اليوم وأسرع الأيام فى الشهور وأسرع الشهور فى السنين وأسرع السنين فى العمر» وحينئذ فعممر الإنسان ساعات معدوده تنقضى مسرعه بل أنفاس فى آنات، قال تعالى: «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» (٣) أى:

أنفاسهم، واما أعوامهم وشهورهم فيعدّهما آبائهم وامهاتهم وكان الصادق عليه السلام كثيرا ما يقول:

اعمل على مهل فإنك ميت و اختر لنفسك أيها الإنسان

فكأنما ما كان لم يك إذ مضى و كأن ما هو كائن قد كان

(٤)

٣٣

من الخطبة (١٨٥)

فَاعْتَصِمُوا بِمَوَاتِنَ اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عَزُوتُهُ- وَ مَعْقَلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ- وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ فِي غَمْرَاتِهِ وَ امْتَهِدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ- وَ
أَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ- وَ كَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ وَ مُعْتَبِرًا لِمَنْ جَهَلَ- وَ قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَبِيقِ
الْأَرْمَاسِ- وَ شِدَّةِ الْإِبْلَاسِ وَ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ- وَ رَوْعَاتِ الْفَرْعِ وَ اخْتِلَافِ الْأَضْلَاحِ- وَ اسْتِكَاحِ الْأَسِيمَاعِ وَ ظُلْمَةِ اللَّحِيدِ- وَ خِيفَةِ
الْوَعْدِ وَ عَمِّ الضَّرِيحِ وَ رَذْمِ الصَّفِيحِ

ص: ٣٤١

١- ١) الأحزاب: ٧١. [١]

٢- ٢) الأحزاب: ٣٦. [٢]

٣- ٣) مريم: ٨٤. [٣]

٤- ٤) تاريخ الطبرى ٥: ١٥ [٤] كذلك بحار الأنوار ٤٧: ٢٥. [٥]

«فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ» في (الصحيح): اعصم و اعتصم به إذا استمسك بشيء من أن يصرعه فرسه أو راحلته (١) قال تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» (٢)، «وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (٣).

«فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِقًا عُرْوَتَهُ» «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا» (٤)، «وَ مَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» (٥).

«و معقلا منيعا ذروته» المعقل: الملجأ، و ذرؤه الشيء: أعلاه، «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (٦).

«و بادروا الموت في غمراته» أي: شدائده، و مبادرته بها: منعه عن وروده بها بالاعتصام بالتقوى، فمن لم يبادره يرد بها، قال تعالى: «وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» (٧).

«و امهدوا له قبل حلوله، و أعدوا له قبل نزوله» «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

ص: ٣٦٢

١-١ (١) الصحيح: (١) [عصم].

٢-٢ (٢) الحج: ٧٨. [٢]

٣-٣ (٣) آل عمران: ١٠١. [٣]

٤-٤ (٤) آل عمران: ١٠٢-١٠٣. [٤]

٥-٥ (٥) لقمان: ٢٢. [٥]

٦-٦ (٦) الطلاق: ٢-٣. [٦]

٧-٧ (٧) الأنعام: ٩٣. [٧]

«اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» (١).

«فإنَّ الغايه القيامه» «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (٢).

«و كفى بذلك واعظا لمن عقل و معتبرا لمن جهل» فى (الإرشاد): قدم عمرو بن معد يكرب بعد تبوك على النبى صلى الله عليه و آله فقال صلى الله عليه و آله له: أسلم يؤمنك الله من الفرع الأكبر. قال: و ما الفرع الأكبر؟ فإنى لا أفرع، فقال صلى الله عليه و آله: ليست كما تحسب، إنَّ الناس يصاح بهم صيحه واحده فلا يبقى ميت إلا نشر، و لا حى إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم اخرى، فينشر من مات و يصفون جميعا، و تنشق السماء و تهدد الأرض و تحز الجبال هدا، و ترمى النار بمثل الجبال شررا فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، و شغل بنفسه إلا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال: ألا إنى اسمع أمرا عظيما فآمن (٣).

«و قبل الغايه ما تعلمون من ضيق الأرماس» فى (الأساس): الرمس حتى التراب على الميت (٤) «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ» (٥).

«و شدّه الإبلاس» أى: اليأس و الانكسار و السكوت غمًا، «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» (٦)، و بعد القيامه يصيرا إبلاسهم أشد، قال تعالى: «و يَوْمَ»

ص: ٣٤٣

١-١ (١) فصلت: ٣٠. [١]

٢-٢ (٢) المطففين: ٦. [٢]

٣-٣ (٣) المفيد، الإرشاد ١: ١٤٥. [٣]

٤-٤ (٤) أساس البلاغه للزمخشري: ١٧٩ (رمس).

٥-٥ (٥) طه: ٥٥. [٤]

٦-٦ (٦) الأنعام: ٤٤. [٥]

«تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» (١)، «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» (٢).

«و هو المَطَّلَع» -بفتح اللام-الأصل فيه موضع الاطّلاع من إشراف إلى انحدار،شبهه ما أشرف عليه من أمر الآخرة به،قال تعالى في هوله «يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» (٣).

«وروعات الفرع» أي:بغضات الفرع، «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كَلَّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ» (٤).

«و اختلاف الأضلاع» بمجىء ضلع موضع ضلع من شدّه الضغط.

«و استكاك الأسماع» أي:صممها،قال الشاعر:

و تلك التي تستكّ منها المسامع

(٥) «و ظلمه اللحد» أي:الشقّ في جانب القبر.

«و خيفه الوعد» «و نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» (٦).

«و غمّ الضّريح» في(الصحاح):يوم غمّ إذا كان يأخذ بالنفس من شدّه الحر (٧)،و الضّريح:الشقّ في وسط القبر،و اللحد في جانبه (٨).

ص:٣٦٤

١-١ (١ الروم:١٢). [١]

٢-٢ (٢ الزخرف:٧٤-٧٥). [٢]

٣-٣ (٣ المزمّل:١٧). [٣]

٤-٤ (٤ النمل:٨٧). [٤]

٥-٥ (٥ لسان العرب ٣:٣٠٩،و [٥]الشعر للنابغه الذياني،و صدره: أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى .

٦-٦ (٦ يس:٥١-٥٢). [٦]

٧-٧ (٧ الصحاح:غمم).

٨-٨ (٨ الصحاح: [٧]ضرح).

من الخطبه (١٠٥)

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا- بِحُسْنِ بِلَايِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَارًا- وَ جَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً- مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا وَأَزْوَاجًا- وَ خَدَمًا وَ قُصُورًا- وَ أَنْهَارًا وَ زُرُوعًا وَ ثِمَارًا- ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا- فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوهَا- وَ لَا فِيهَا رَغْبَتٌ رَغِبُوا- وَ لَا إِلَى مَا شَوَّقَتْ إِلَيْهِ اسْتَأْفُوا- أَقْبَلُوا عَلَى جِيفِهِ قَدْ افْتَضَّحُوا بِأَكْلِهَا- وَ اضْطَلَّحُوا عَلَى حُبِّهَا- وَ مَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَغْشَى بَصَرَهُ- وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ- فَهُوَ يَنْظُرُ بَعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِبِهِ- وَ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعِهِ- قَدْ حَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ- وَ أَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ- وَ وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ- فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا- وَ لِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا- حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا- وَ حَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا- وَ لَا يَزِدُّ جُرْمَ اللَّهِ بَرَاجِرًا- وَ لَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ- وَ هُوَ يَرَى الْمَيِّمَ أَخُوذِينَ عَلَى الْغَيْرِ- حَيْثُ لَا- إِقَالَه وَ لَا رَجْعَهُ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ- وَ جَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ- وَ قَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعِدُونَ- فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ- اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمُ سَيِّئَةُ الْمَوْتِ- وَ حَسِيرَةُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ- وَ تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ- ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجًا- فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ- وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصِيرِهِ- وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِدْحِهِ مِنْ عَقْلِهِ- وَ بِنَاءٍ مِنْ لُبِّهِ- يُفَكِّرُ فِيهِمْ أَفْنَى عُمْرِهِ- وَ فِيهِمْ أَذْهَبَ دَهْرُهُ- وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا- جَمَعَهَا أَعْمَصُ فِي مَطَالِبِهَا- وَ أَخَذَهَا مِنْ مَصِيْرِحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا- قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا- وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا- تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا- وَ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا- فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ وَ الْعِبَاءُ عَلَى

ظَهْرِهِ - وَ الْمَرْءُ قَدْ غَلَقَتْ رُهُونُهُ بِهَا - فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً - عَلَى مَا أَضْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ - وَيَرْهَدُ فِيمَا كَانَ يَزْعَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ - وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغِطُّهُ بِهَا - وَيَحْسِدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ - فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ - حَتَّى خَالَطَ سَمْعَهُ - فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ - وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ - يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ - يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ - وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ - ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْبِطَاطَةَ بِهِ - فَفَقَبَضَ بَصِيرَهُ كَمَا قَبَضَ سَمْعَهُ وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ - فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ - قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ - وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ - لَا يُسْعِدُ بَاكِئًا وَ لَا يُجِيبُ دَاعِيًا - ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَحَطِّ فِي الْأَرْضِ - فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ - وَ انْقَطَعُوا عَنْ زُورَتِهِ أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: لِيَنْظُرَ النَّاطِرُ إِلَى مَا عَلَيْهَا مِنَ الْبَهَاءِ وَ الْجَلَالَةِ وَ الرِّوَاءِ وَ الْمَدِيَاغَةِ، وَ مَا يَحْدُثُهُ مِنَ الرُّوعَةِ وَ الرَّهْبَةِ وَ الْمَخَافَةِ وَ الْخَشْيَةِ حَتَّى لَوْ تَلَيْتَ عَلَى زَنْدِيقٍ مَلْحَدٍ مَصْمُومٍ عَلَى اعْتِقَادِ نَفْيِ الْبَعْثِ وَ النَّشُورِ لَهَدَّتْ قَوَاهُ وَ رَعِبَتْ قَلْبَهُ وَ أَصَعَقَتْ عَلَى نَفْسِهِ، فَجَزَى اللَّهُ قَائِلَهَا عَنِ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فِي مَا بَلَغَ نَصْرَتَهُ لَهُ تَارَهُ بِيَدِهِ وَ سَيْفِهِ، وَ تَارَهُ بِلِسَانِهِ وَ نَطْقَهُ، وَ تَارَهُ بِقَلْبِهِ وَ فِكْرِهِ، إِنْ قِيلَ جِهَادٌ وَ حَرْبٌ هُوَ سَيِّدُ الْمَجَاهِدِينَ وَ الْمُحَارِبِينَ، وَ إِنْ قِيلَ وَعْظٌ وَ تَذْكِيرٌ فَهُوَ أَبْلَغُ الْوَاعِظِينَ وَ الْمَذْكُرِينَ، وَ إِنْ قِيلَ فِقْهُهُ وَ تَفْسِيرُهُ، فَهُوَ رَأْسُ الْفُقَهَاءِ وَ الْمَفْسَّرِينَ، وَ إِنْ قِيلَ عَدْلٌ وَ تَوْحِيدٌ، فَهُوَ إِمَامُ الْعَدْلِ وَ الْمُوَحِّدِينَ، وَ لَيْسَ مِنْهُ تَعَالَى بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ (١).

«سبحانك خالقًا و معبودًا» الظاهر أن «خالقًا و معبودًا» تميّزان، أي: أنت خالق و معبود، منزّه عن النقص.

ص: ٣٦٦

«بحسن بلاءك عند خلقك خلقت دارا» أى: دار الآخرة التى قال فيها: «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ» (١)، و خلقه تلك، كانت بلاء حسنا منه تعالى عند خلقه فقوله: «بحسن» متعلق بقوله «خلقت».

«و جعلت فيها مأدبه» فى (المصباح): أدب من باب ضرب: صنع صنعا دعا الناس إليه، و اسم الصنيع المأدبه (بضم الدال و فتحها) (٢).

«مشربا و مطعما و أزوجا و خدما و قصورا و أنهارا و زروعا و ثمارا» أى: تلك المأدبه مشتمله على الأقسام الثمانية التى لوازم كمال كل مأدبه، أما مشربها فقد قال تعالى: «إِنَّ الْأُبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» (٣) و اما مطعمها فقد قال عز و جل:

«وَ فَاكِهِهٖ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَ لَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» (٤)، «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ وَ فِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلذُّ الْمَاعِينُ وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (٥) «وَ أَمِدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيمُ» (٦) و أما أزواجها فقد قال تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ يُنْبَسُونَ مِنْ سِنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» (٧)، «حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» (٨)، «وَ عِنْدَهُمْ»

ص: ٣٦٧

١- ١) العنكبوت: ٦٤. [١]

٢- ٢) المصباح المنير للفيتورى: ١٣ ماده (أدب).

٣- ٣) الدهر: ٥-٦. [٢]

٤- ٤) الواقعه: ٢٠-٢١. [٣]

٥- ٥) الزخرف: ٧١. [٤]

٦- ٦) الطور: ٢٢-٢٣. [٥]

٧- ٧) الدخان: ٥١-٥٤. [٦]

٨- ٨) الرحمن: ٧٢. [٧]

«قاصراتُ الطرفِ أترابٌ» (١) و أما خدمها فقد قال تعالى: «و يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ» (٢). و أما قصورها فعن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَ بَاطِنَهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، يَسْكُنُهَا مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَطَابِ الْكَلَامِ، وَ أَطْعَمِ الطَّعَامِ، وَ أَفْشَى السَّلَامِ، وَ صَلَّى بِاللَّيْلِ وَ النَّاسِ نِيَامًا، فَقِيلَ: وَ مِنْ يَطْبِقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَ أَمْسَى: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ) عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَقَدْ أَطَابَ الْكَلَامَ، أَمَّا اطْعَامُ الطَّعَامِ فَنَفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ، وَ أَمَّا الصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَ النَّاسِ نِيَامًا، فَمَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، وَ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي الْمَسْجِدِ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَ إِفْشَاءَ السَّلَامِ، أَلَّا تَبْخُلَ بِالسَّلَامِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَ أَمَّا أَنْهَارُهَا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَيَّفٍ» (٣). و أما زروعها و ثمارها فقد قال تعالى: «وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» (٤)، «وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مِيَابِ جَنَّاتٍ عَاطِيَةٍ مُمْتَحَنَةٍ لَهُمْ فِيهَا أَبْوَابٌ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ» (٥)، «وَ أَمَدُّ ذُنُوبُهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» (٦).

«ثم أرسلت داعيا يدعو إليها» «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا وَ بَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»

ص: ٣٤٨

١- ١) ص: ٥٢.

٢- ٢) الطور: ٢٤. [١]

٣- ٣) محمد: ١٥. [٢]

٤- ٤) محمد: ١٥. [٣]

٥- ٥) ص: ٤٩.

٦- ٦) الأمل للصدوق: ١٩٨، و نقله المجلسي في بحار الأنوار ١١٨: ٨، و الآية ٢٢ [٤] من سوره الطور.

«بَأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا» (١).

«فلا الداعي أجابوا» «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» (٢).

«و لا فيما رَغِبْتَ إليه» هكذا في (المصريه) (٣) و كلمه «إليه» زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٤).

«رغبوا» «إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» (٥).

«ولا- إلى ما شوقت إليه اشتاقوا» «إِنَّ الْمَأْتِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُشْرِقُونَ مِنْ رَحِيقِ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذِكِّكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ» (٦)، فلم يتنافسوا، «يَلُ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرِهِ مِنْ هَذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذِكِّكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ» (٧)، و الكلام تحسير منه عليه السلام على الناس كتحسير الله تعالى عليهم في قوله تعالى: «يا حَسِيرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ» (٨) و كتحسير نوح عليه السلام في قوله: «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» (٩).

«أقبلوا على جيفه افتضحوا» هكذا في (المصريه) (١٠) و الصواب: (قد

ص: ٣٤٩

١- ١) الأحزاب: ٤٥-٤٧. [١]

٢- ٢) الفرقان: ٣٠. [٢]

٣- ٣) الطبعه المصريه: ٢٦١ خ ١٠٣ بلفظ: «و لا فيما رغبوا إلى».

٤- ٤) ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٠ و [٣] شرح ابن ميثم كالمصريه ٣: ٥٩.

٥- ٥) غافر: ٣٩. [٤]

٦- ٦) المطففين: ٢٢-٢٦. [٥]

٧- ٧) المؤمنون: ٦٣. [٦]

٨- ٨) يس: ٣٠. [٧]

٩- ٩) نوح: ٤-٥. [٨]

١٠- ١٠) الطبعه المصريه: ٢٦١.

افتضحوا) كما فى الثالثة (١).

«بأكلها» قالوا:الدنيا جيفه و طالبها كلاب .

«و اصطلحوا على حبها» أى:تصالحوا،و إنما اصطلحوا على حبها حيث إنها معشوقه جميعهم،و لذا يبغضون أهل الآخره حيث أنهم أعداء محبوبهم و لذا يريدون أهل الدنيا،و لو كانوا مزاحميهم فى كثير من امورهم،و يعادون أهل الآخره و لو لم يزاحموهم فى شىء من امورهم .

«و من عشق شيئاً أعشى بصره» أى:أضعفه،قال الشاعر:

و عين الرضا عن كل عيب كليله و فى (الأساس):اشتقاق العشق من العشقه،و هى اللباب لأنه يلتوى على الشجر و يلزمه (٢).

هذا و قال بشار:(و الأذن تعشق قبل العين أحيانا) (٣).

«و أمرض قلبه» مرض القلب فوق مرض الجوارح،قال تعالى فى المنافقين: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» (٤).

«فهو ينظر بعين غير صحيحه و يسمع باذن غير سميعه» قال تعالى:

«لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (٥).

و فى (تاريخ بغداد):سئل أحمد بن يحيى عن حديث أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه و آله:«حبيك الشىء يعمى و يصم»فقال:يعمى العين عن النظر إلى

ص: ٣٧٠

١- ١) ابن أبى الحديد و النسخه الخطبه: ٩٠ كما ذكر أما شرح ابن ميثم فكالمصريه ٣:٥٩.

٢- ٢) أساس البلاغه للزمخشري: ٣٠٢ ([١] عشق).

٣- ٣) الأغاني ٣:١٦٥. [٢]

٤- ٤) البقره: ١٠. [٣]

٥- ٥) الأعراف: ١٧٩. [٤]

مساويه و يصم الآذان عن استماع العذل فيه، و أنشأ يقول:

و كذبت طرفى فيك و الطرف صادق و اسمعت أذنى منك ما ليس تسمع

(١) «قد خرقت الشهوات عقله» يجوز في (خرقت) التّخفيف و التّشديد يقال:

(خرقت الثوب و خرّفته).

«و أمات الدنيا قلبه» «و ما أنت بمسمعٍ من في القُبورِ» (٢).

«و ولّيت عليها نفسه» (ولّيت) من باب علم، و الوله: ذهاب العقل و التّحير من شدّه الوجد. في رساله سهل بن هارون في البخل: قال الحصين بن المنذر:

وددت أنّ لى مثل احد ذهباً لا أنتفع منه بشيء! قيل: فما فائدتك منه؟ قال لكثرة من يخدمنى عليه لأنّ المال مخدوم (٣).

«حيثما زالت زال إليها، و حيثما أقبلت أقبل عليها» قال ابن أبي الحديد: نظر إليه الشاعر فقال:

ما الناس إلّا مع الدّنيا و صاحبها فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظّمون أحبا الدّنيا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يشتهى وثبوا

(٤) «و لا يزدجر من الله بزاجر» هذا في (المصريتين) (٥) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي و الخطيبه) (٦): (لا ينزجر

من الله بزاجر) فهو الصحيح «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا»

ص: ٣٧١

١-١ (١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١٧:٢. [١]

٢-٢ (٢) فاطر: ٢٢. [٢]

٣-٣ (٣) البخلاء للجاحظ ١:١٦ [٣] مطبعة العرفان.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٠٨:٧. [٤]

٥-٥ (٥) الطبعة المصرية المصححة و غير المصححة: ٢٦٢ خ ١٠٣.

٦-٦ (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٠٠:٧-١٠٨، و [٥] شرح الخوئي ٧:٣٢٥ ح ١٠٨، و النسخه الخطيبه: ٩٠ كما ذكر، أما ابن ميثم

فكالمصريه ٣:٦٠ ح ١٠٦.

«مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ» (١).

«وَلَا يَتَّعِظُ مِنَ اللَّهِ بَوَاعِظُ» «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٢).

«وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَى» «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» (٣)، «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَاذًا هُمْ مُبْلِسُونَ» (٤)، «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ» (٥)، «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ» (٦).

«حَيْثُ لَا إِقَالَه وَلَا رَجْعَهُ» «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحْيَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (٧).

«كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ» من غمرات الموت، «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ»

ص: ٣٧٢

[١ - ١] الحشر: ٢١. [١]

[٢ - ٢] البقرة: ٦-٧. [٢]

[٣ - ٣] يس: ٥٠. [٣]

[٤ - ٤] الأنعام: ٤٤. [٤]

[٥ - ٥] الأعراف: ٩٤-٩٥. [٥]

[٦ - ٦] القمر: ٤١-٤٢. [٦]

[٧ - ٧] المؤمنون: ٩٩-١٠٠. [٧]

«و جاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون» في (تاريخ بغداد): (لَمَّا اسْتَمَّ للمعتصم غلمانة الأتراك بضعة عشر ألفا و علق له خمسون ألف مخلاله على فرس و برزون و بغل، و ذلّل العدو بكلّ النواحي، أتته المتيه على غفله، فقيّل: إنّه يقول في حمّاه التي مات فيها (٢) «حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» (٣).

«و قدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون» في (المروج): و في سنة (٢٨٢) ذبح أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق و كان بنى في سفح الجبل أسفل من دير مروان قصر، و كان يشرب فيه في تلك الليلة، و عنده طغج، و كان الذي تولّى ذلك خادما من خدمهم، و أتى بهم على أميال، فقتلوا و صلبوا، و منهم من رمى بالنشاب، و منهم من شرح لحم من أفخاذه و عجيزته، و أكله الشّودان من ممالكك أبي الجيش. و حمل أبو الجيش في تابوت إلى مصر، و ورد الخبر بذلك إلى مصر، فأخرج من التابوت، و جعل على السرير على باب مصر، و خرج ولده الأمير جيش و ساير الأمراء و الأولياء، فتقدّم القاضي ابن عبده المعروف بالعبداني و صلّى عليه. و حكى أبو بشر الدّولابي عن أبي عبد الله البخاري -و كان شيعيا من أهل العراق، و كان يقرأ في دور آل طولون و مقابرهم- أنّه كان بات في تلك الليلة ممّن يقرأ عند القبر، و قدّم أبو الجيش ليدلّي في القبر، و نحن نقرأ سورة الدخان، فأحدر من السرير، و دلّي في القبر، و انتهينا من السورة في هذا الوقت إلى قوله عزّ و جلّ

ص: ٣٧٣

١- (١) الأنعام: ٩٣. [١]

٢- (٢) الخطيب البغدادي ٣: ٣٤٦ رقم ١٤٥١. [٢]

٣- (٣) الأنعام: ٤٤. [٣]

«خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سِيَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» (١) فخفضنا أصواتنا و أذعرنا حياء ممن حضر (٢).

«فغير موصوف ما نزل بهم» روى أن في التوراه: (مثل الموت كمثل شجره شوكة أدرجت في بدن ابن آدم، فتعلقت كل شوكة بعرق و عصب، ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع، وبقى ما بقي .

«اجتمعت عليهم سكره الموت و حسره الفوت» قالوا: كان هشام بن عبد الملك كساء ظهره و ثياب مهنته لا يحملها إلا سبعمائه بعير من أجلد ما يكون من الإبل، و كان مع ذلك يتقللها، فمات و الوليد غائب، فأتاه موته، فأمر بقفل الخزائن فلم يجدوا الهشام ما يكفونوه، فلم يدفن إلا بعد ثلاثة أيام كان الوليد قد قدم (٣).

«ففترت لها أطرافهم» و لو كانت أطرافهم قبل في غايه القوه، و في (تاريخ بغداد): قال ابن أبي داود: كان المعتصم يخرج ساعده إلى و يقول: عضّ ساعدي بأكثر قوتك! فأقول: ما تطيب نفسي لذلك، فيقول: إنه لا يضرني فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنه فضلا عن الأسنان! و انصرف يوما من دار المأمون إلى داره، و كان شارع الميدان منتظما بالخيم فيها الجند فمرّ بامرأه تبكي و تقول: ابني ابني! و إذا بعض الجند قد أخذ ابنها، فأمره المعتصم أن يردّ ابنها عليها، فأبى! فقبض عليه بيده فسمع صوت عظامه، ثم أطلقه من يده فسقط، و أمر بإخراج الصبي إلى أمه (٤).

و في (الأخبار الطوال): لَمَّا خرج الرشيد إلى طوس في سنة (١٩٣)

ص: ٣٧٤

١-١ (١) الدخان: ٤٧-٤٩. [١]

٢-٢ (٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٥٨. [٢]

٣-٣ (٣) الكامل لابن الأثير ٥: ٢٦٦-٢٦٧. [٣]

٤-٤ (٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣: ٣٤٦ رقم ١٤٥١. [٤]

مرض بها مرضاً شديداً فجمع له الأطباء يعالجونه، فقال:

إنَّ الطيب بطنه و دوائه لا يستطيع دفاع محذور جرى

ما للطيب يموت بالداء الذي قد كان يشفى مثله فيما مضى

فلما اشتدَّ به الوجع قال للفضل بن الربيع: يا عباسي! ما يقول الناس؟ قال: يقولون: إنَّ شائئ الخليفة قد مات، فأمر أن يسرج له حمار ليركبه، و يخرج فاسرج له و حمل حتَّى وضع على السِّرج استرخت فخذاه، و لم يستطع الثبوت فقال: أرى النَّاس قد صدقوا، ثمَّ توفِّي (١).

«و تغيّرت لها ألوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجا» (و لوج) مصدر ولج يلج أى: دخل. قال سيبويه: جاء المصدر فعولا مع أن فعولا من مصادر غير المتعدّي، لأنَّه على معنى ولجت فيه (٢).

«فحيل بين أحدهم و بين منطق» لسقوط قوّه المنطق قبل السامعه و الباصره .

«و إنَّه لبين أهله ينظر ببصره و يسمع باذنه على صحّحه من عقله و بقاء من لبه» روى (الكافى): أنَّ رجلا قال للصادق عليه السلام: أتى خرجت إلى مكّه مع رجل، فمرض فى الطريق شديداً فكنت أقوم عليه، ثمَّ أفاق حتَّى لم يكن عندى به بأس، فمات، فقال عليه السلام: ما من ميت يحضره الوفاه إلا ردَّ الله تعالى عليه من سمعه و بصره و عقله للوصيّه، أخذ الوصيّه أو تركها و هى الرّاحه التى يقال لها راحه الموت، و هى حقّ على كلّ مسلم (٣).

«يفكر فيم أفتى عمره و فيم أذهب دهره» فى (المروج): لئما اشتدّت علّه

ص: ٣٧٥

١- (١) الأخبار الطوال للدينورى: ٣٩٤. [١]

٢- (٢) الصحاح: (ولج).

٣- (٣) الكافى ٧: ٣ ح ٣. [٢]

معاويه و أيس من برئه أنشأ يقول:

فيا ليتنى لم أعن في الملك ساعه و لم أك في اللذات أعشى التواظر

و كنت كذى طمرين عاش ببلغه من الدهر حتى زار أهل المقابر

(١) «و يتذكر أموالا جمعها أغمض في مطالبها» الأصل فيه غضّ البصر، كأنه لم ير الحرام .

«و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها» (المصرّح) غير المشتبه من (يوم مصرّح) ليس فيه غيم أو من (تصريح الخمر) بأن يذهب عنها الزبد. روى أنّ في القيامة يكون جمع لهم أعمال كالجبال، فتصير هباء منثورا لعدم تورّعهم في الدنيا عن المحرّمات .

«قد لزمته تبعات جمعها» قيل لرجل: إنّ فلانا مات، و ترك عشره آلاف، فقال: أمّا العشره آلاف فلا تتركه .

«و أشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها و يتمتّعون بها» ذكروا ان عمرو بن العاص دخل عليه ابنه في احتضاره فقال له: خذ ذلك الصندوق و هو مملوّ مالا، وليته كان مملوّا بعرا! «فيكون المهناً لغيره» حيث أتاه من غير تعب في تحصيله ، و العبء - بالكسر - الحمل الثقيل .

«على ظهره» في (المروج): لَمّا حضرت الوفاء معاويه بن يزيد بن معاويه اجتمعت إليه بنو اميّه فقالوا له: اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك، فقال:

و الله ما ذقت حلاوه خلافتكم فكيف أتقلّد وزرها و تتحلّون أنتم حلاوتها، و اتعجل أنا مرارتها؟ اللهمّ إنّي برىء منها (٢).

ص: ٣٧٤

١-١) مروج الذهب للمسعودى ٣:٤٩. [١]

٢-٢) مروج الذهب للمسعودى ٣:٧٣. [٢]

«و المرء قد غلقت رهونه بها» غلق الرهن: استحققه المرتهن إذا لم يفتك في الوقت المشروط، والمراد أنه كما لو رهن الإنسان علق مضنه بمال في مده و لم يسع في تلك المده لتحصيل مال يفكه به يعلق ذاك العلق، كذلك هذا الإنسان الذي رهن نفسه النفسه بالواجبات التي عليه، و لم يفكها بأداء تلك الواجبات في مده حياته في الدنيا، يصير كذلك، قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (١).

«فهو يعرض يده ندامه على ما أصحر له عند الموت من أمره» في (الأساس):

اصحر بالأمر و أصحره: أظهره (٢).

قلت: مقتضى كلامه عليه السلام كون الإصحار بمعنى الظهور، لا الإظهار، «و يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» (٣).

«و يزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره» في (الأخبار الطوال): لما اشتد وجع عبد الملك تمثل بيت اميه بن أبي الصلت:

ليتني كنت قبل ما بدا لي في قلال الجبال أرعى الوعولا

فلم يمس حتى قضى (٤).

«و يتمنى أن الذي كان يغبطه بها و يحسده عليها قد حازها دونه» «و أَضْيَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهَ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» (٥).

ص: ٣٧٧

١- (١) المدثر: ٣٨. [١]

٢- (٢) أساس البلاغه للزمخشري: ٢٤٩ (٢) [صح].

٣- (٣) الفرقان: ٢٧. [٣]

٤- (٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٣٢٥. [٤]

٥- (٥) القصص: ٨٢. [٥]

حافظا ترك جهان گفتن طريق خوش دلی است تا نه پنداری که احوال جهانداران خوش است

«فلم یزل الموت یبالغ فی جسده حتّی خالط لسانه سمعه» هكذا فی (المصريتين) (١) و لیس فی (ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیبه) (٢) کلمه «لسانه» و لا مناسبه لها أيضا، فإنّ اللسان لا یخالط السمع بل الموت یخالطه .

«فصار بین أهله لا ینطق بلسانه و لا یسمع بسمعه» سقطت قوّه ناطقته و قوّه سامعته و بقیة قوّه باصرته .

«یردّد طرفه بالنظر فی وجوههم» فی (الصحاح): الطرف: العین و لا یجمع لأنّه فی الأصل مصدر فیکون واحدا و یکون جماعه، قال تعالی: «لا یزتدّ إلیهم طرفهم» (٣).

«یری حرکات ألسنتهم و لا یسمع رجع کلامهم» ای: حاصل مرادهم .

«ثمّ ازداد الموت التیاطا به» ای: لصوقا به. فی (کامل المبرّد): قال ابن عباس: دخلت علی عمرو بن العاص فی احتضاره فقلت له: إنک کنت تقول:

«اشتھی أن أرى عاقلا یموت حتّی أسأله کیف یجد»، فکیف تجد؟ قال: أجد السماء کأنّها مطبقة علی الأرض و أنا بینهما، و أرانی کأنی أتنفّس من خرت أبره- یعنی ثقبها (٤).

«فقبض بصره کما قبض سمعه» قال ابن میثم (٥): نبه علیه السلام علی أنّ البصر یبطل بعد السمع، کالسمع بعد النطق لعلمه بأسرار الطبیعه، و الذی یلوح من

ص: ٣٧٨

١-١ (١) الطبعة المصریة المصححة ٢٦٣.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبی الحدید ٧:٢٠١، و [١] ابن میثم کالمصریة ٣:٦٠، و الخطیبة: ٩١.

٣-٣ (٣) الصحاح: (٢) طرف) و الآیه من سوره إبراهیم: ٤٣. [٣]

٤-٤ (٤) الكامل للمبرّد: ٢٢٩. [٤]

٥-٥ (٥) ابن میثم.

أسبابه أنه لَمَّا كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبه الأصليه التي منها خلقنا و كان فناء تلك الرطوبه عن عمل الحرارة الغريزية فيها التجفيف و التحليل، كان كلّ عضوا يبس في طبيعته و أبرد، أسرع إلى البطلان، و أسبق إلى الفساد فنقول: أمّا أنّ آله النطق أسرع فسادا من آله السمع، فلأنّ آله النطق مبيته على الأعصاب المحرّكه و مركبه منها، و آله السمع من الأعصاب المفيده للحسّ، و اتفق الأطباء على أنّ الأعصاب المحرّكه أيبس و أبرد لكونها منبعثه من مؤخر الدماغ دون الأعصاب المفيده للحسّ، فإنّ جلّها منبعث من مقدّم الدماغ فكانت لذلك أقرب إلى البطلان، و أمّا بطلان آله السمع قبل البصر فلأنّ منبت الأعصاب التي هي محلّ القوه السامعه أقرب إلى مؤخر الدماغ من منابت محلّ القوه الباصره فكانت أيبس و أبرد، و أقبل لانطفاء القوه الغريزية (١).

«و خرجت الرّوح من جسده فصار جيفه بين أهله» الإنسان أوله نطفه، و آخره جيفه .

«قد أوحشوا من جانبه و تباعدوا من قربه» لكونهم من أهل الدنّيا، و الميّت من أهل الآخره، و أنت يوم ترحل عنهم كضيف بتّ فيهم .

«لا- يسعد باكيا و لا- يجيب داعيا» في (المروج): (ذكر المدائني أنّ الحجاج لم يكن يظهر لندمائه بشاشه إلاّ في يوم دخلت عليه ليلي الأخيليه، فقال لها:

بلغنى أنّك مررت بقبر توبه بن حمير، و عدلت عنه، فوالله ما وقّيت له، و لو كان هو بمكانك و أنت بمكانه ما عدا عنك، قالت: لى عذر قال: و ما هو؟ قالت:

«سمعتة و هو يقول:

و لو أنّ ليلي الأخيليه سلّمت علىّ و دونى جندل و صفائح

ص: ٣٧٩

لَسَلَّمَتْ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحٍ

و كَانَ مَعِيَ نَسْوَهُ قَدْ سَمِعَنَ قَوْلَهُ، فَكَرِهَتْ أَنْ أَكْذِبَهُ، فَاسْتَحْسَنَ الْحَجَّاجُ قَوْلَهَا.

و ذَكَرَ حَمَادُ الرَّأْوِيَةَ غَيْرَ هَذَا الْوَجْهَ، وَ هُوَ أَنَّ زَوْجَ لَيْلَى حَلَفَ عَلَيْهَا - وَ قَدْ أَجَازَ بِقَبْرِ تَوْبَةَ لَيْلَى - أَنْ تَنْزَلَ وَ تَأْتِيَ وَ تَسَلِّمَ عَلَيْهِ وَ تَكْذِبَهُ فِي قَوْلِهِ ذَاكَ الْبَيْتَ، فَأَبَتْ أَنْ تَفْعَلَ فَأَقْسَمَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، فَتَزَلَّتْ حَتَّى جَاءَتْ إِلَى الْقَبْرِ وَ دَمَوْعُهَا عَلَى صَدْرِهَا، فَقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَوْبَةَ، فَلَمْ تَسْتَمَّ الْبَدَاءَ حَتَّى انْفَرَجَ الْقَبْرُ عَنْ طَائِرٍ كَالْحَمَامَةِ الْبَيْضَاءِ فَضْرِبَتْ صَدْرَهَا فَوَقَعَتْ مَيْتَةً، فَأَخَذُوا فِي جَهَازِهَا وَ كَفْنِهَا، وَ دَفَنَتْ إِلَى جَانِبِ قَبْرِه (١).

«ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَحَطٍّ مِنَ الْأَرْضِ» بِقَدْرِ قَامَتِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (وَ كَأَنَّيْ بِكَ رَاكِبًا أَجْيَادَهُمْ بَدَلَ الْجِيَادِ)، الْأَجْيَادُ جَمْعُ الْجَيِّدِ: الْعَنْقُ، وَ الْجِيَادُ جَمْعُ الْجَوَادِ:

الفرس، روى «محط» بالحاء المهملة، و الخاء المعجمة، و الأول أحسن فيكون في معنى الحفرة، و قيل بالفارسيه:

هر که را خوابگه آخر بد و مشتی خاک است گو چه حاجت که بر أفلاک کشی ایوان را

(٢) و نَكَرَهُ لِأَنَّهُ لَا تَدْرِي نَفْسَ بَأَى أَرْضِ تَمُوتُ، وَ أَى مَوْضِعٍ يَدْفَنُ. قَالَ مَطْرُودُ الْخَزَاعِمِيِّ فِي وَلَدِ عَبْدِ مَنَافٍ:

قَبْرُ بَرْدَمَانَ، وَ قَبْرِ بَسْلَمَانَ، وَ قَبْرِ عِنْدَ غَزَاتٍ وَ مَيْتَ مَاتَ قَرِيبًا مِنَ الْحِجْوَنِ عَنِ الشَّرْقِ الْبَيْتَاتِ

(٣)

ص: ٣٨٠

١-١) مروج الذهب للمسعودي ٣:١٤٠. [١]

٢-٢) ديوان حافظ: ٨. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥:٢٠٠.

قال البلاذري: أما العذري بردمان-ناحية اليمن-المطلب و العذري بسلمان نوفل و العذري بغزه هاشم، و العذري مات بمكه و دفن بقرب الحجون عيد شمس (١).

و في (معارف ابن قتيبه): قال أبو صالح صاحب التفسير، ما رأينا بنى أم قطّ أبعد قبورا من بنى العباس لأمّ الفضل، مات الفضل بالشام، و عبد الله بالطائف، و عبيد الله بالمدينه، و قثم بسمرقند، و معبد بافريقيه (٢).

«و أسلموه إلى عمله» فالأقرباء إنّما صحابتهم إلى إنزاله في حفرتة، و أمّا العذري يكون معه أبدا فهو عمله، إن خيرا فخير، و ان شرّا فشرّ، و حينئذ فكأنّ الأقرباء بعد إنزاله أسلموه بيد العمل .

«و انقطعوا عن زورته» في (الإرشاد): لَمّا مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمه بنت الحسين عليه السلام على قبره فسطاطا إلى سنّه، فلَمّا كان رأس السنه، قالت لمواليها: قوّضوا هذا الفسطاط في الليل، فلَمّا أظلم الليل سمعت قائلا يقول:

هل وجدوا ما فقدوا، فأجابه آخر:

بل يئسوا فانقلبوا (٣).

ص: ٣٨١

١-١) أنساب الأشراف للبلاذري ١:٦٣. [١]

٢-٢) المعارف لابن قتيبه: ١٢٢. [٢]

٣-٣) المفيد، الإرشاد: ١٩٧. [٣]

الفصل السابع و الثاٲون: فى ذم الدنفا و فئافا

اشاره

ص: ٣٨٣

و من خطبه له عليه السلام:

الْحَمِيدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ - وَلَا مَحْلُوقٍ مِنْ نِعْمَتِهِ - وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ - وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ - الَّذِي لَا تَبْرُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ - وَلَا تُفَقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ - وَ الدُّنْيَا دَارٌ مُمَيَّنَةٌ لَهَا الْفَنَاءُ - وَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْجَلَاءِ - وَ هِيَ حُلُوهٌ خَضِرَةٌ - وَ قَدْ عَجَلَتْ لِلطَّالِبِ - وَ التَّبَسُّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ - فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحِضْرِ رَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ - وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ - وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ
أقول: قال ابن أبي الحديد: العنوان مشتمل على فصلين من كلامه عليه السلام، الأول: في حمده تعالى إلى قوله «و لا تفقد له نعمه» و الثاني: في ذكر الدنيا إلى آخره و أحدهما مختلط بالآخر، و الرضى رضى الله عنه يلتقط كلامه عليه السلام و لا يقف مع

الكلام المتوالى، لأنَّ غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير (١).

قلت: بل العنوان كلّه من خطبه واحده خطب عليه السلام بها يوم الفطر.

و الخطبه كانت طويله أخذ المصنّف أوّل العنوان-إلى قوله- «و لا مستنكف عن عبادته» من أوّل الخطبه، و أخذ قوله: «الذى لا تبرح منه رحمه و لا- تفقد له نعمه» من وسط الخطبه، و قوله: «و الدّنيا دار منى لها الفناء...» من أواخر الخطبه. فقال فى (الفقيه فى باب صلاه العيدين): خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الفطر فقال: (الحمد لله الذى له ما فى السماوات و الأرض- إلى أن قال-

اللهم ارحمنا برحمتك، و أعممنا بمغفرتك، إنك أنت العليّ الكبير، و الحمد لله الذى لا مقنوط من رحمته، و لا مخلو من نعمته، و لا مؤيس من روحه، و لا مستنكف عن عبادته، بكلمته قامت السماوات، و استقرّت الأرض المهاد، و ثبتت الجبال الرّواسى، و جرت الرّياح اللّواقح، و سار فى جوّ السماء السحاب، و قامت على حدودها البحار، و هو إله لها. و قاهر يذلّ له المتعزّزون، و يتضاءل له المتكبرون، و يدين له طوعا و كرها العالمون، نحمده كما حمد نفسه، و كما هو أهله، و نستعينه و نستغفره و نستهديه، و نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، يعلم ما تخفى النفوس، و ما تجنّ البحار و ما توارى منه ظلمه و لا تغيب عنه غائبه، و ما تسقط من ورقه من شجره و لا حبه فى ظلمه إلاّ يعلمها، لا إله إلاّ هو، و لا رطب و لا يابس إلاّ فى كتاب مبين، و يعلم ما يعمل العاملون، و أىّ مجرى يجرون، و إلى أىّ منقلب ينقلبون- إلى أن قال:-

أوصيكم بتقوى الله، الذى لا تبرح منه نعمه، و لا تنفد منه رحمه، و لا يستغنى العباد عنه، و لا تجزى أنعمه الأعمال، الذى رغب فى التّقوى، و زهد فى الدّنيا، و حذر المعاصى، و تعزّز بالبقاء، و ذلّل خلقه بالموت و الفناء، و الموت غايه

ص: ٣٨٦

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٥٣: ٣. [١]

المخلوقين، و سبيل العالمين، و معقود بنواصي الباقين، لا يعجزه اباق الهاربيين و عند حلوله يأسر أهل الهوى، يهدم كل لذه و يزيل كل نعمه، و يقطع كل بهجه و الدنيا دار كتب الله له الفناء، و لأهلها منها الجلاء، و أكثرهم ينوى بقاءها، و يعظم بناءها، و هي حلوه خضره، قد عجلت للطالب، و التبتت بقلب الناظر، و يرضن بها ذو الثروه الضعيف و يحبويها الخائف الوجل، فارتحلوا منها-رحمكم الله- بأحسن ما بحضرتكم، و لا تطلبوا منها أكثر من القليل، و أضروا بأنفسكم فيها، و إياكم و التتعم و التلهي و الفكاهات، فإن في ذلك غفله و اغترارا (١)...

قوله : « الحمد لله غير مقنوط من رحمته » الأصل فيه قوله تعالى: « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (٢).

« و لا مخلو من نعمته » « و أسبغ عليكم نعمه ظاهره و باطنه » (٣).

« و لا مأبوس من مغفرتة » « و لا تيتأسوا من روح الله إنه لا يتأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٤).

« و لا- مستتكف عن عبادته » قال عليه السلام: « كفى بي فخرا أن أكون لك عبدا » (٥)، و في الحديث القدسي: عبدى أطعنى أجعلك مثلى (٦). و لنعم ما قيل بالفارسيه:

اميد خواجگيم بود بندگي تو كردم هواي سلطنتم بود خدمت تو گزیدم

ص: ٣٨٧

١-١ (١) الفقيه ٥١٤:١ ح ١٤٨٢.

٢-٢ (٢) الزمر: ٥٣. [١]

٣-٣ (٣) لقمان: ٢٠. [٢]

٤-٤ (٤) يوسف: ٨٧. [٣]

٥-٥ (٥) الخصال للصدوق ٢:٤٥ نقله المجلسي في ٧٤:٤٠٠.

٦-٦ (٦) كما ورد في البحار ٣٧٦:٩٠: [٤] يابن آدم... اطعنى فيما أمرتك أجعلك تقول للشئء كن فيكون.

«الذی لا تبرح منه رحمه» (لا تبرح): لا تزال .

«و لا تفقد له نعمه» «و الله جعل لكم من بيوتكم سكناً و جعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم و يوم إقامتكم و من أوصافها و أوبرها و أشعارها أثاثاً و متاعاً إلى حين و الله جعل لكم ممّا خلق ظلالاً و جعل لكم من الجبال أكناناً و جعل لكم سراييل تقيكم الحرّ و سراييل تقيكم بأسكم كذلك يئتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون» (١).

«و الدّنيا دار منى» أى: قدّر لها الفناء، «و اضرب لهم مثل الحياه الدّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح» (٢).

«و لأهلها منها الجلاء» قالوا: ساكنها راحل و أنفاسه رواحل و أيامها مراحل، أشبه شىء بظلّ الغمام و أضغاث الأحلام (٣).

«و هى حلوه» فى الذّوق الفاسد، كذوق المريض، و مرّه فى الذّوق الصحيح كذوق السالم.

«خضره» فى ظاهر المرأى و سوداء فى المعنى .

«و قد عجّلت للطالب» الإنسان عجول، و الدّنيا عاجله، و العجول طالب العاجله، قال تعالى: «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» (٤)، «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» (٥). لكن العاجله خزف و الآجله جوهر، و لا يختار الخزف و ان كان عاجلا على الجوهر و إن كان آجلا

ص: ٣٨٨

١-١ (١) النحل: ٨٠-٨١. [١]

٢-٢ (٢) الكهف: ٤٥. [٢]

٣-٣ (٣) الطرائف للمقدسى: ١٠.

٤-٤ (٤) القيامة: ٢٠-٢١. [٣]

٥-٥ (٥) الدهر: ٢٧. [٤]

إِلَّا مَغْفَلٌ، قَالَ تَعَالَى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصِيرُ فِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ
الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
مَحْظُورًا» (١).

«والتبست بقلب الناظر» أى: اشتبهت فظنها خيرا مع كونها شرا، كأعمى أضل عصاه فوقعت يده على حية أسكنها البرد، فظنها عصا
حسنة.

و فى قصه يوذاسف و بلوهر المرويه فى (اكمال الصدوق فى بابه ٥٤):

فى ملك عارف مرّ على عارفين عليهما لباس خلق، فنزل عن مركبه احتراماً لهما، و أنكر ذلك وزراؤه الجاهلون، فأراد تنبيههم
على صواب عمله، فأمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له من خشب، فطلى تابوتين منها بالذهب، و تابوتين بالقار، ثم ملأ تابوتى
القار ذهباً و ياقوتاً و زبرجداً، و ملأ تابوتى الذهب جيفا و دما و عذره و شعراً، ثم جمع الوزراء و الأشراف الذين أنكروا صنيعه
بالرجلين، فعرض عليهم التوابيت الأربعة و أمرهم بتقويمها، فقالوا: أما فى مبلغ علمنا فتابوتا الذهب لا ثمن لهما لفضلهما، و تابوتا
القار لا ثمن لهما لردالتهما، فقال الملك: نعم هذا مبلغ علمكم، ثم أمر بتابوتى القار، فنزعت عنهما صفائحهما فأضاء البيت بما فيها
من الجواهر، فقال: هذان مثل الرجلين الذين ازدريتم ظاهرهما و لباسهما، و هما مملؤان علما و حكمه و صدقا و براء و ساير مناقب
الخير المذى هو أفضل من الياقوت و اللؤلؤ و الجوهر و الذهب. ثم أمر بتابوتى الذهب فنزع عنهما أثوابهما فاقشعر القوم من سوء
منظرهما، و تأذوا بريحهما و ننتهما، فقال الملك:

و هذان مثل القوم المتزيّنين بظاهر الكسوه و اللباس و أجوافهما مملؤه جهاله

ص: ٣٨٩

و عمى و كذبا و جورا و ساير أنواع الشّر التي هي أفضع و أشنع و أقدر من الجيف (١).

«فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد» «و لَتَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» (٢) «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ» (٣).

«و لا تسألوا فيها فوق الكفاف» في (الصّحاح): الكفاف-بالفتح-من الرّزق القوت، و هو ما كفّ عن النّاس، أى: أغنى.

و في الحديث: «اللّهم اجعل رزق آل محمّد كفافا» و التّكفّف: أن يمدّ كفّه يسأل النّاس « (٤).

«و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ» أى: ما يبلغك مقصدك، ففي الخبر: ما من أحد من الأولين و الآخرين إلّا و هو يتمنى يوم القيامة أنّه لم يعط من الدّنيا إلّا قوتا، إنّ الدّنيا لو عدلت عند الله تعالى جناح بعوضه لما سقى الكافر منها شرّبه من ماء (٥)، و قال أبو العتاهيه:

حسبك ممّا تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

الفقر فى ما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا و خافا

(٦)

ص: ٣٩٠

١-١) كمال الدين و إتمام النعمة للصدوق: ٥٩٢. [١]

٢-٢) الحشر: ١٨. [٢]

٣-٣) المؤمنون: ٥٧-٦١. [٣]

٤-٤) الصّحاح: (٤) [كفف].

٥-٥) الكافي ٢: ٢٤٦ ح ٥. [٥]

٦-٦) ديوان أبى العتاهيه: ٣٦١.

و كان مع الرشيد في سفر، فجلس الرشيد في الطريق في ظل ميل، فقال له:

و ما تصنع بالدنيا و ظل الميل يكفيك

(١)

٢

من الكتاب (٣١)

وَ اعْلَمَنَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْمَآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا - وَ لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ وَ لِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ - وَ أَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعِهِ وَ دَارِ بُلْعِهِ - وَ طَرِيقِ إِلَى الْمَآخِرَةِ - وَ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ - وَ لَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ وَ لَا يُبَدِّدُ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَيْدَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَ أَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئِهِ - قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ - فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ ذَلِكَ - فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ - يَا بَنِي أَكْثَرِ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتِ وَ ذَكَرَ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ - وَ تَفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ - حَتَّى يَأْتِيكَ وَ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ - وَ شَدَدَتْ لَهُ أَرْزَكَ - وَ لَا يَأْتِيكَ بَعْتَهُ فَيَبْهَرَكَ - وَ إِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا - وَ تَكَالِبِهِمْ عَلَيْهَا فَقَدْ تَبَّ اللَّهُ عَنْهَا - وَ نَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا وَ تَكَشَّفَتْ لِمَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا - فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَ سَبَاعٌ ضَارِيَةٌ - يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَ يَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيلَهَا - وَ يَقْفَهُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا - نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ وَ أُخْرَى مُهْمَلَةٌ - قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا وَ رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا - سُرُوحٌ عَاهِهِ بَوَادٍ وَعْثٌ - لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا وَ لَا مَسِيْمٌ يُسَيِّمُهَا - سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى - وَ أَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى - فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا وَ غَرَقُوا فِي نِعْمَتِهَا - وَ اتَّخَذُوا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَ لَعِبُوا بِهَا -

ص: ٣٩١

١ - ١) الأغانى ٤: ٨٣ و [١] البيت منسوب للإمام على عليه السلام حسب الديوان: ٨.

وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا - رُوِيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ - كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتِ الْأَطْعَانُ - يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ - أَنْ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ - فَإِنَّهُ يُسَارُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا - وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا «و اعلم أنك انما خلقت للاخره لا للدنيا» (و
ما هذه الحياه الدنيا إلا لهو و لعب و إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» (١).

«و للفناء لا للبقاء» «كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الأكرام» (٢).

«و للموت لا للحياه» «كل نفس ذائقة الموت ثم إنا نرجعون» (٣).

«و أنك في منزل قلعه» (بالضم) أي: غير مستوطن.

«و دار بلغه» (بالضم) ما يتبلغ به من العيش، قال النبي صلى الله عليه و آله: مثلي و الدنيا كمن نزل في يوم قيظ تحت شوك، فلما
أبرد شخص (٤).

«و طريق إلى الآخرة»: «إنما هذه الحياه الدنيا متاع و إن الآخرة هي دار القرار» (٥).

أرى كل حي هالك و ابن هالك و ذا حسب في الهالكين غريق

فقل لمقيم الدار أنك ظاعن إلى سفر نائي المحلّ سحيق

(٦) «و أنك طريد الموت» أي: صيده.

ص: ٣٩٢

١- ١) العنكبوت: ٦٤. [١]

٢- ٢) الرحمن: ٢٦-٢٧. [٢]

٣- ٣) العنكبوت: ٥٧. [٣]

٤- ٤) مثله في البحار ذكره المجلسي ٧٣: ١٢٣. [٤]

٥- ٥) المؤمن: ٣٩. [٥]

٦- ٦) مثله في البحار ٧٣: ١٢٣ و [٦] ذكر بشكل آخر في المحجّه البيضاء ٣٧٠: ٥.

«الذى لا ينجو منه هاربه» «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ» (١).

«و لا يفوته طالبه و لا بدّ انه مدركه» «أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ» (٢).

«فكن منه على حذر ان يدركك و أنت على حال سيئه قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبه فيحول بينك و بين ذلك فإذا أنت قد أهلكت نفسك» «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ» (٣)، و عبقرية الشيطان حملة ابن آدم على تسويق التوبه حتى تفوته .

«يا بنى أكثر من ذكر الموت و ذكر ما تهجم عليه و تفضى بعد الموت إليه» فأكيس الناس من كان ذاكرا للموت.

«حتى يأتيك و قد أخذت منه حذرک و شددت له أزرک» أى: ظهرک.

اشدد حيازيمک للموت فإن الموت لا قيقا

«و لا يأتيك بغته فيهرک» أى: يحيرک و يغلبک «وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (٤).

«و إياک أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنیا إليها» أى: ركونهم إليها من

ص: ٣٩٣

[١-١] الأحزاب: ١٦. [١]

[٢-٢] النساء: ٧٨. [٢]

[٣-٣] النساء: ١٨. [٣]

[٤-٤] الزمر: ٥٥-٥٨. [٤]

قوله تعالى: «وَلِكِنَّهُ أَخْلَمَدَ إِلَى الْأَرْضِ» (١) قال تعالى: «وَلَا تَمِيدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» (٢).

«و تكالبهم عليها» الدنيا جيفه و طالبها كلاب.

«فقد نبأ» هكذا في (المصريه) (٣) و الصواب: (فقد نبأك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

«اللّه عنها» «و اضرب لهم مثل الحياه الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح» (٥)، «إنما مثل الحياه الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس و الأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و أزينت و ظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها خصباً كأن كان لم تغن بالأمس كذلك نفضل الآيات لقوم يتفكرون» (٦).

«و نعت» هكذا في (المصريه) (٧) و ابن ميثم (٨) من النعي «و نعت» من النعت كما في (الخطيه و ابن أبي الحديد).

«لك نفسها» هكذا في (المصريه) (٩) و الصواب: «هي لك نفسها» كما في (الخطيه) و غيرها قال الشاعر:

ص: ٣٩٤

١- ١) الأعراف: ١٧٦. [١]

٢- ٢) طه: ١٣١. [٢]

٣- ٣) الطبعه المصريه (نبأك): ٥٦٤.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٨٩، و [٣] الخطيه: ٢٥٦، كما ذكر اما شرح ابن ميثم [٤] فكالمصريه ٥: ٣٧.

٥- ٥) الكهف: ٤٥. [٥]

٦- ٦) يونس: ٢٤. [٦]

٧- ٧) الطبعه المصريه: ٥٦٤.

٨- ٨) شرح ابن ميثم ٥: ٣٧.

٩- ٩) الطبعه المصريه: ٥٦٤.

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى و فتكى

و لا يغررك طول ابتسامى فقولى مضحك و الفعل مبكى

(١) «و تكشفت لك عن مساويها» قال المأمون لو نطقت الدنيا ما وصفت نفسها بأحسن من قول أبى نؤاس:

و ما الناس إلا هالك و ابن هالك و ذو نسب فى الهالكين غريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

(٢) و قال آخر: أفّ لدنيا الدينه، خبث فعلا و نيه عيشها بدؤه همّ و عقباه المتيه.

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعه يولد

و إلا فما يبكيه فيها و أنّها لأفسح ممّا كان فيها و أرغد

إذا أبصر الدنيا استهلّ كأنه بما سوف يلقى من إذاها يهدّد

(٣) و قالوا: الدنيا غداره غزّاره إن بقيت لها لم تبق لك.

أيضا: واجد الدنيا سكران و فاقدتها حيران.

أيضا: أفّ من اشغال الدنيا إذا أقبلت و من حسراتها إذا أدبرت.

أيضا: الدنيا أشبه شىء بظلّ الغمام و حلم التيام.

أيضا: الدنيا فى حلالها حساب، و فى حرامها عقاب، و فى شبهاتها عتاب (٤).

و قال الشاعر:

غمومها لا تنقضى ساعه عن ملك فيها و لا سوقه

ص: ٣٩٥

١- (١) الطرائف للمقدسى: ٨، و الابشيهى، المستطرف ١٠: ٢٠٦.

٢- (٢) الطرائف للمقدسى: ٩، و العقد الفريد ٣: ١٧٥. [١]

٣- (٣) الطرائف للمقدسى: ٩.

٤- (٤) أورد هذه الحكم المقدسى فى الطرائف: ٧-٨.

يا عجباً منها و من شأنها عدوّه للناس معشوقه

(١) و قال آخر:

دلّت على عيبها الدّنيا و صدّقها ما استرجع الدّهر ممّا كان أعطاني

«فإنّما أهلها كلاب عاويه» في (الحليه): قال يوسف بن اسباط: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: الدّنيا جيفه فمن أرادها فليصبر على مخالطه الكلاب. قتل المنصور عمّه عبد الله بن علي، و قتل عبد الملك ابن عمّه عمرو بن سعيد الأشدق (٢). و في (الطبري): خرج عبد الملك إلى المسجد، و قال لأخيه عبد العزيز: اقتل عمروا، فرجع فوجده حيّا فقال لأخيه: ما منعك منه! قال: ناشدني الرّحم فرقت له، فقال له: أخزى الله أمّيك البوّاله على عقيبتها! فإنّك لم تشبه غيرها ثمّ قال: يا غلام! إيتني بالحربه، فأتاه بها فهزّها ثم طعنه بها فلم تجز، ثمّ ثنى فلم تجز فضرب بيده إلى عضد عمرو، فوجد مسّ الدّرع فضحك، فقال:

و دارع أيضا، ان كنت لمعدّا. يا غلام! إيتني بالصّمصامه، فأتاه بسيفه ثمّ أمر بعمرو فصرع، و جلس على صدره فذبحه، و هو يقول:

يا عمرو! إن لم تدع شتمى و منقصتى أضربك حيث تقول الهامه اسقونى

(٣) «و سباع ضاربه» متعوده بالصّيد، و في (الطبري) في خروج عبد الله بن علي على المنصور: كان عبد الله خشى ألا يناصره أهل خراسان فقتل منهم نحوا من سبعة عشر ألفا، أمر صاحب شرطه فقتلهم (٤).

ص: ٣٩٦

١-١) منسوب للإمام على عليه السلام: ٦١، و ذكره المقدسى في الطرائف: ٩، و قال: إنّها لابن بسام. و الظاهر أنّ العلامه قد نقلها من الطرائف لأنّها بنفس الألفاظ و لم يذكر نسبتها للإمام أمير المؤمنين، إذ في الديوان بدل غمومها، همومها.

٢-٢) حليه الأولياء لأبى نعيم ٢٣٨: ٨.

٣-٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٠٠. [١]

٤-٤) المصدر نفسه ١٢٤: ٦. [٢]

و في (الطبرى): في قتل مصعب الأسراء من عسكر المختار: «و قال ابن عمر لمصعب: انت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداه واحده! عش ما استطعت، فقال مصعب: إنهم كانوا كفره سحره.

قلت: قال ذلك لكونهم شيعه و طالبى ثار ابن بنت نبيهم عليه السلام فقال له ابن عمر: و الله لو قتلت عدّتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا» (١).

«يهزّ بعضهم بعضا» في (كامل الجزرى): بيع رحل بنى جهير و دورهم بباب العامه فى سنه (٤٩٣) و وصل ثمن ذلك إلى مؤيد الملك، ثم قتل فى سنه (٤٩٤) مؤيد الملك و بيع ماله و تركته، و أخذ الجميع و حمل إلى الوزير الأعزّ، و قتل الوزير الأعزّ فى هذه السنّه و بيع رحله و انقسمت أمواله، و أخذ السلطان و من ولى بعده أكثرها، و تفرّقت أيدي سبأ (٢).

و في (الطبرى) فى قتل المنصور أبا مسلم، و تعداده ما أنكر عليه: فقال المنصور لأبى مسلم: ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره فى دعوتنا و هو أحد نقبائنا قبلك، قال: أراد الخلاف و عصاني، فقتلته، فقال له المنصور:

حالك حاله، تعصيني و أنت مخالف على، قتلنى الله إن لم أقتلك، فضربه بعمود و خرج شبيب و حرب من الكمين فقتلاه، و قال المنصور:

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كأسا كنت تسقى بها أمرّ فى الخلق من العلقم

(٣) «و يأكل عزيزها ذليلها» فى (لطائف الثعالبى): حدّث الصّولى، قال:

حدّثنى الحسين بن يحيى الكاتب: لما ولى المعتز لم تمض مديده حتّى أحضر

ص: ٣٩٧

١- ١) المصدر نفسه ٤: ٥٧٤. [١]

٢- ٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١٠: ٣٠٥. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٨٦ [٣] حوادث سنه ١٣٧.

الناس و اخرج المؤيد، أى: أخوه و ولى عهده، و قيل: اشهدوا أنه دعى فأجاب، و ليس به أثر قتل، ثم مضت أشهر، فاحضر الناس، و اخرج المستعين فقال: إن ميتته أتت عليه و هاهو لا أثر به، فاشهدوا! ثم مضت مديده و استخلف المهتدى فخرج المعترّ ميتا، و قيل: اشهدوا أنه قد مات حتف أنفه و لا أثر به، ثم لم تدير السيئه حتى استخلف المعتمد و اخرج المهتدى ميتا، و قيل اشهدوا أنه قد مات من جراحته، فتعجب الناس من تلاحقهم فى مده يسيره.

فيه: بعث المعتصم ايتاخ إلى الأفشين و قال: قل له: يا عدوّ الله! فعلت و صنعت، و كيف رأيت صنع الله بك؟ فقال له الأفشين: قد ذهبت بمثل هذه إلى على بن هشام، فقال لى: قد ذهبت بمثل هذه الرساله إلى عجيف بن عنبسه قال:

انظر من يأتيك بها؟- أى: بمثل هذه الرساله- و أنا أقول لك: الآن أيضا انظر من يأتيك بها؟ قال: فما مرّت إلا أيام قلائل حتّى حبس ايتاخ ثم قتل (١).

و فى (المروج): سخط المتوكّل على عمرو بن فرج الرّحجى - و كان من عليه الكتاب - فأخذ منه مالا و جوهرها نحو مائه و ألف و عشرين ألف دينار، و أخذ من أخيه نحوا من مائه ألف و خمسين ألف ثم صولح على أحد و عشرين ألف درهم على أن يردّ عليه ضياعه، ثم غضب عليه غضبه ثانية و أمر أن يصفع كلّ يوم، فأحصى ما صفع فكان ستّة آلاف صفعه و ألبسه جبّه صوف، و سخط عليه ثالثه فأحدر إلى بغداد حتّى مات (٢).

فيه أيضا: فى إسماعيل بن بلبل الذى كان وزير الموقّق، و كان آذى ابنه المعتضد فى أيام أبيه، قيّد المعتضد إسماعيل و جعل فى عنقه غلاّ فيه رمانه حديد، و الغلّ و الرّمانه مائه و عشرون رطلا، و البس جبّه صوف قد صيرت فى

ص: ٣٩٨

١- ١) لطائف المعارف للثعالبي: ١٤٣-١٤٤.

٢- ٢) مروج الذهب للمسعودى ١٩: ٤. [١]

و دك الأكارع-الودك، دسم اللحم و الأكارع جمع الكراع، مستدق الساق من البقر و الغنم-و علق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات و دفن بغله و قيوده (١).

و فيه أيضا: في قصه محمّد بن الحسن بن سهل الذي أخذ من الناس البيعه لطالبي، و طلب المعتضد منه دلالة عليه و آباءه، قال: لو شوّيتني على النار لم أقرّ، فاصنع ما أنت صانع! فقال له: لسنا نعدّ بك بعد ذلك إلا بما ذكرت- إلى أن قال في كيفية شوائه- و الأشهر أنه جعل بين رماح ثلاثه، و شدّ أطرافها و كتّف، و جعل فوق النار من غير أن يماسيها، و هو في الحياه يدار عليها كما تشوى الدجاج إلى أن تفرقع جسمه، و اخرج فصلب بين الجسرين (٢).

«و يقهر كبيرها صغيرها» في الخبر: الناس على ستّ طبقات: أسد، و ذئب، و ثعلب، و كلب، و خنزير، و شاه، فالأسد: ملوك الأرض يحبّ كلّ واحد أن يغلب، و الذئب: التجار يذمّون إذا اشتروا و يمدحون إذا باعوا، و الثعلب: الذين لا يكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم، و الكلب: من يكرمه الناس من شرّ لسانه، و الخنزير: المخنثون لا يدعون إلى فاحشه إلا أجابوا، و الشاه:

المؤمنون تجزّ شعورهم و تؤكل لحومهم و تكسر عظامهم، كيف تصنع الشاه بين أسد و ذئب و ثعلب و كلب و خنزير (٣).

«نعم معقله» في (الصحيح): النعم: واحد الأنعام، قال الفراء هو الذكر لا يؤنث، يقولون (هذا نعم وارد) و الأنعام، يذكّر و يؤنث (٤)، قال تعالى في

ص: ٣٩٩

١-١ (١) المصدر نفسه ٤:١٥٥. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٤:١٤١. [٢]

٣-٣ (٣) الخصال للصدوق ٢:١٦٥.

٤-٤ (٤) الصحيح (٣) نعم).

موضع: «مِمَّا فِي بُطُونِهِ» (١) و في آخر «مِمَّا فِي بُطُونِهَا» (٢).

قلت: ما نقله (الصباح) عن الفراء ليس بصحيح، و الصحيح ما نقله (المصباح) عن أبي عبيده: النعم: الجمال فقط، يذكر و يؤنث (٣) بشهادته كلامه عليه السلام «معقله»، كما أنّ قول (الصباح) واحد الأنعام ليس بصحيح، و الصواب: ما في (المصباح) من كونه جمعا لا واحد له (٤) أيضا، لقوله عليه السلام:

«معقله» و قالوا: (عقلت البعير) و (عقلت البعير) و (اعتقلته) كما في (القاموس)، و عقله أن يثنى وظيفه، أي: مقدّم ساقه، مع ذراعيه فيشدّهما جميعا بحبل، هو العقل، كما في (الصباح) (٥).

«و اخرى مهمله قد أضلت عقولها» جمع العقال.

«و ركبت مجهولها» من قولهم (ركب رأسه): مضى على وجهه بغير رويّه.

«سروح عاهه» «سروح» جمع السراح أي: السائمه، و العاهه: الآفه.

«بواد و عث» سهل تفيث فيه الإقدام.

«ليس لها راع يقيمها و لا مسيم يسيما» من (أسمت الماشيه): أخرجتها إلى الرعى، قال تعالى: «فِيهِ تُسِيمُونَ» (٦).

و للعطار النيسابوري أبيات لطيفه في وصف أهل الدنيا بالفارسيه و هي:

با خرد دوش در سخن بودم كشف شد بر دلم مثالی چند

ص: ٤٠٠

١-١ (١) النحل: ١٦.

٢-٢ (٢) النحل: ٦٦. [١]

٣-٣ (٣) المصباح للفيتوري: ماده (نعم).

٤-٤ (٤) القاموس المحيط (عقل).

٥-٥ (٥) الصباح: (عقل النحل).

٦-٦ (٦) ١٠٠.

گفتم ای مایه همه دانش دارم الحق ز تو سؤالی چند

چیست این زندگانی دنیا گفت خوابی است یا خیالی چند

گفتمش چیست مال و ملک جهان گفت درد سر و وبالی چند

گفتم اهل زمانه در چه رهند گفت در بند جمع مالی چند

گفتم او را مثال دنیا چیست گفت زالی کشیده خالی چند

گفتمش چیست کدخدائی گفت هفته ای عیش و غصه سالی چند

گفتم این نفس رام کی گردد گفت چون یافت گوشمالی چند

گفتم اهل ستم چه طائفه اند گفت گرگ و سگ و شغالی چند

گفتم آری سزای ایشان چیست گفت در آخرت نکالی چند

(۱) «سلکت بهم الدنیا طریق العمی و أخذت بأبصارهم عن منار الهدی فتاهوا فی حیرتها و غرقوا فی نعمتها و اتخذوها رباً» فی (المروج): فی دخول ابن الأشعث الکوفه لَمَّا خرج علی الحجاج: کتب الحجاج إلی عبد الملک کتابا یذکر فیہ جیوش ابن الأشعث و کثرتها، و یستنجد عبد الملک، و یسأله الإمداد و کتب فی کتابه: «وا غوثاه یا الله»، «وا غوثاه یا الله»، «فأمدّه بالجیوش و کتب إلیه: «یا لبتیک، یا لبتیک، یا لبتیک» (۲).

و فی الخبر: من أصغی إلی ناطق فقد عبده، فان کان الناطق یقول عن الله فقد عبد الله، و إن کان یقول عن غیره، فقد عبد غیر الله (۳).

قال تعالی: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ مَا»

ص: ۴۰۱

۱- ۱) لا وجود له فی دیوان العطار النیشابوری.

۲- ۲) مروج الذهب للمسعودی ۳: ۱۳۲. [۱]

۳- ۳) القول للرسول صلی الله علیه و آله، عیون أخبار الرضا للصدوق: ۱۶۸. [۲]

«صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (١).

«رويداً» مفعول مطلق، كقوله تعالى: «أَمْهَلُهُمْ رُويْدًا» (٢).

«يسفر الظلام» أى: يكشف، قال تعالى: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَيْ فَبَصَرَكُمُ الْيَوْمَ حديد» (٣).

«كان قد وردت الأظعان» أى: الجمال عليها الهوادج، قال تعالى: «كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» (٤)، «كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ» (٥)، «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ» (٦).

«يوشك من أسرع أن يلحق» «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى» (٧)، «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسِعِيبِهَا رَاضِيَةٌ» (٨) الآيات. «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا» (٩).

قال ابن أبى الحديد: استقرأنى أبو الفرج محمد بن عباد و أنا يومئذ حدث هذه الوصية فقرأتها عليه من حفظى فلما وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحة شديده و سقط، و كان جبّاراً قاسى القلب (١٠).

ص: ٤٠٢

[١-١] (١-١) هود: ١٥-١٦. [١]

[٢-٢] (٢-٢) الطارق: ١٧.

[٣-٣] (٣-٣) ق: ٢٢.

[٤-٤] (٤-٤) النازعات: ٤٦. [٢]

[٥-٥] (٥-٥) الاحقاف: ٣٥. [٣]

[٦-٦] (٦-٦) يونس: ٤٥. [٤]

[٧-٧] (٧-٧) النجم: ٣٩-٤٠. [٥]

[٨-٨] (٨-٨) الغاشية: ٨-٩. [٦]

[٩-٩] (٩-٩) الدهر: ٢٢. [٧]

[١٠-١٠] (١٠-١٠) شرح ابن أبى الحديد ٩١: ١٦. [٨]

«و اعلم أنّ من كان مطيته الليل و النهار فأنّه يسار به و ان كان واقفا و يقطع المسافه و إن كان مقيما و ادعا» من (ودع بالضّم دعه) و هى الخفض و الاستراحه «و هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَزَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَيَّمٌ لِّهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (١)، و قال المتلمّس:

و لن يلبث العصران يوم و ليله إذا طلبا أن يدركا ما تيمّما

(٢) و فى (لطائف الثعالبي): قال لقمان: يابن آدم! الليل و النهار يعملان فيك، فاعمل فيهما قال: يقال: ليس له و لا لغيره أبلغ و أوجز من قوله ذاك (٣).

و فى قصّه يوذاسف و بلوهر المرويه فى (الإكمال فى باب ٥٤): قال بلوهر ليوذاسف: بلغنا أنّ رجلا حمل عليه فيل مغتلم، فانطلق موكبا هاربا، و أتبعه الفيل حتى غشيه، فاضطرّه إلى بئر، فتدلّى فيها و تعلق بغصنين نابتين على شفير البئر، و وقعت قدماه على رءوس حيات فلما تبين له أنّه متعلق بالغصنين، فإذا فى أصلهما جردان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض، و الآخر أسود، فلما نظر إلى تحت قدميه، فإذا رءوس أربع أفاعى قد طلعت بوجوههنّ، فلما نظر إلى قعر البئر إذا بتنين فاغرفاه نحوه، يريد التقامه، فلما رفع رأسه إلى أعلى الغصنين إذا عليهما شىء من عسل النحل، فتطعم من ذلك العسل فألهاه ما طعم منه، و ما نال من لذّه العسل و حلاوته عن التفكير فى أمر الأفاعى اللواتى لا يدرى متى يبادرنّه و ألهاه عن التّنين، الذى لا يدرى كيف مصيره بعد وقوعه فى لهواته. أمّا البئر فالدنيا مملؤه آفات و بلايا و شرورا، و أمّا الغصنان فالعمر، و أمّا الجردان فالليل و النهار يسرعان فى الأجل، و أمّا الأفاعى الأربعة

ص: ٤٠٣

١-١ (١) الأنعام: ٦٠. [١]

٢-٢ (٢) هو لحميد بن ثور حسب نهايه الأرب للنوى ٦٥:٣. [٢]

٣-٣ (٣) لطائف المعارف للثعالبي: ٩.

التي هي السموم القاتله من المرّه و البلغم و الريح و الدّم التي لا- يدرى صاحبها متى تهيج به، و اما التّنين الفاسر فاه ليلتقمه فالموت الواصل الطّالب، اما العسل الذي اغترّ به المغرور فما ينال النّاس من لذّه الدّنيا و شهواتها من المطعم و المشرب و الملبس و المسكن (١).

٣

الحكمه (٣٩١)

و قال عليه السلام:

ازهيد في الدّنيا يبصرَكَ الله عورَاتِهَا- وَ لَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من زهد في الدّنيا أثبت الله الحكمه في قلبه، و أنطق بها لسانه و بصره عيوب الدّنيا داءها و دواءها، و أخرجها منها سالما إلى دار السلام (٢).

و عنه عليه السلام: جعل الخير كلّه في بيت و جعل مفتاحه الزّهد في الدّنيا (٣).

قال النبي صلّى الله عليه و آله: لا يجد الرّجل حلاوه الايمان حتّى لا يبالي من أكل الدّنيا، و حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوه الايمان حتّى تزهد في الدّنيا.

و عن النبي صلّى الله عليه و آله: إنّ صلاح أوّل هذه الامّه بالزهد و اليقين، و هلاك آخرها بالشحّ و الأمل (٤).

و عن السّجاد عليه السلام: إنّ الزّهد في آيه من كتاب الله «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (٥).

ص: ٤٠٤

[١-١] كمال الدين للصدوق: ٥٩٣. [١]

[٢-٢] الكافي ١: ١٢٨ ح ١. [٢]

[٣-٣] المصدر نفسه ١٩٤: ٣ ح ٢. [٣]

[٤-٤] الكافي ٢: ١٢٨ ح ١٢. [٤]

[٥-٥] الكافي ٣: ١٩٤ ح ٣. و [٥] الآية ٢٣ من سوره الحديد. [٥]

و عن الصادق عليه السلام: ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال بل ألا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله (١).

و في (الاكمال): في قصه يوذاسف و بلوهر: كان ملك حسن الإنصاف و له وزير صالح له زهاده، لقي أهل الدين، و كان كل منهما لا- يكتنم الآ-خر شيئاً من أمره إلا- أنّ الوزير لم يكن يطلع الملك على أمر الدين و أسرار الحكمه، فاستشار أصحابه في ذلك فقالوا: إن رأيتك موضعاً للكلام فكلمه، إلى أن قال الملك للوزير بعد ما هدأت العيون: هل لك أن نركب فنسير في المدينه فننظر في حال الناس، فقال: نعم، فركبا يجولان في نواحيها فمراً على مزبله تشبه الجبل فنظر الملك إلى ضوء نار تبدو في ناحيه المزبله فقال للوزير: إن لهذه النار لقصه فانزل بنا نمشى حتى ندنو منها فنعلم خبرها، ففعلاً حتى انتهيا إلى مخرج الضوء فوجدوا ثقباً شبيهاً بالغار و فيه مسكين! فنظر إليه من حيث لا- يراهما فإذا هو مشوّ الخلق عليه ثياب من خلقان المزبله متكئ على متكأ قد هتأه من المزبل و بين يديه إبريق فخار فيه شراب، و في يده طنبور يضرب به، و امرأته في خلقه و لباسه قائمه بين يديه، تسقيه إذا استسقى و ترقص له إذا ضرب، و تحييه بتحيته الملوك، و هو يسميها سيده النساء، و ملكه الآفاق، و هما يصفان أنفسهما بالحسن و الجمال و بينهما من السرور و الضحك و الطرب ما لا- يوصف، فقام الملك على رجليه و الوزير، يتعجبان منهما و من إعجابهما بما هما فيه، ثم انصرفا، فقال الملك للوزير: ما أعلم أتى و إياك أصابنا الدهر من اللذه و السرور مثل ما رأينا عند هذين، فاغتنم الوزير الفرصه و قال له: أخاف أيها الملك ان تكون دنيانا هذه من الغرور، و يكون ملكك و ما نحن فيه من البهجه و السرور، في أعين من يعرف ملكوت الدائم مثل هذه المزبله، و مثل

ص: ٤٠٥

هذين الشخصين الذين رأيناها و تكون مساكننا و ما شئنا منها عند من يرجو مساكن السَّعاده و ثواب الآخرة، مثل هذه الغار في أعيننا، و تكون أجسادنا عند من يعرف الطهاره و النضاره الأخرويه مثل جسد هذين المشوَّهين خلقا في أعيننا، و يكون تعجبهم من اعجابنا بما نحن فيه كتعجبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه، قال الملك: و هل تعرف لأهل هذه الصفه أهلا؟ قال: نعم، قال: من هم؟ قال: هم الذين عرفوا ملك الآخرة المذى لا خوف بعده، و الحياه التي لا موت بعدها و الملك الذى لا زوال بعده، و هى دار البقاء و دار الحيوان التى لا- انقطاع لها رفع الله تعالى عن مساكنها السَّقم، و الهرم، و الشقاء، و المرض، و الجوع، و الظمأ و الموت، أيها الملك! هذه صفه ملك الآخرة و خبرها، قال: هل إلى هذه الدار و دخولها سيلا؟ قال: نعم هى مهياة لمن طلبها من وجه مطلبها و قال: ما منعك أن تخبرنى بهذا قبل اليوم؟ قال: الهييه لسلطانك! قال: لئن كان ما وصفت يقينا فلا ينبغي لنا تضييعه (١)...

«و لا تغفل فلست بمغفول عنك» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و يتصفَّحهم ملك الموت كلَّ يوم خمس مرَّات (٢).

٤

الخطبه (٥١)

و من خطبه له عليه السلام:

أَلَا وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّ مَتْ وَ آذَنْتِ بَوْدَاعٍ - وَ تَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَ أَذْبَرَتْ حَدَاءَ - فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا - وَ تَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا - وَ قَدْ أَمَرَ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا - وَ كَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا - فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ

ص: ٤٠٦

[١-١] كمال الدين للصدوق: ٦٠٥. [١]

[٢-٢] الكافى ٣: ٢٥٦ ح ٢٢. [٢]

كَسَمَلَهُ الْبَادَاوَهَ - أَوْ جُرْعَهُ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَهَ - لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدِيَانُ لَمْ يَنْفَع - فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ - الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ - وَ لَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ - وَ لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمِدُ - فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَلِّهِ الْعِجَالِ - وَ دَعَوْتُمْ بِهَدِيدِ الْحَمَامِ - وَ حَيَّرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ - وَ خَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ - التَّمَّاسَ الْقُرْبِيَهَ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجِهِ عِنْدَهُ - أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئِهِ أَحْصَيْتُهَا كُتْبُهُ - وَ حَفِظَهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ - وَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ - وَ اللَّهُ لَوْ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمْ انْمِيَاثًا - وَ سَيَّالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبِهِ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبِهِ مِنْهُ دَمًا - ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا - مِمَّا الدُّنْيَا بِيَاقِيهِ مِمَّا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ وَ لَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ - وَ هَدَاهُ إِيَّاكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ أَقُولُ: رواه المفيد في (أماليه الشيخ المفيد - الأمالى - المجلس العشرين ص ١٥٩ ح ٢) في مجلسه العشرين مع اختلاف يسير مسندا عن المرزباني، عن أحمد المكي، عن أبي العيناء، عن محمد بن الحكم، عن لوط بن يحيى، عن الحرث بن كعب، عن مجاهد هكذا، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ازهدوا في هذه الدنيا التي لم يتمتع بها أحد كان قبلكم و لا - تبقى لأحدكم بعدكم، سييلكم فيها سبيل الماضين، قد تصرمت و أذنت بانقضاء و تنكر معروفها، فهى تحفز أهلها بالفناء و سكاها بالموت، و قد أمر منها ما كان حلوا، و كدر منها ما كان صفوا. فلم تبق منها إلا سمله كسمله الأداوه و جرعه الإناء لو تمززاها العطشان لم ينفع بها، فازمعا بالرحيل من هذه الدار المقدور على أهلها بالزوال، الممنوع أهلها من الحياه المذللله فيها أنفسهم بالموت، فلا حتى يطمع فى البقاء، و لا نفس إلا مدعنه بالمنون، و لا يغلبنكم الأمل، و لا يطول عليكم الأمد، و لا - تغتروا منها بالآمال، و لو حننتم حنين الوله العجال، و دعوتهم مثل حنين الحمام و جأرتهم جأر متبتل الرهبان، و

خرجتم إلى

اللّٰه تعالى من الأموال و الأولاد التماس القربه إليه فى ارتفاع الدرجه عنده، أو غفران سيئه أخصتها كتبه، و حفظها ملائكته، لكان لكم قليلا فى ما أرجو لكم من ثوابه، و اتخوف عليكم من عقابه، جعلنا و إياكم من التائبين (١).

و رواه ابن بابويه فى (فقيهه الشيخ الصدوق - من لا يحضره الفقيه - ج ١ ص ٥١٨ ح ١٤٨٤) فى باب صلاه العيدين مرفوعا مع زيادات فقال: و خطب عليه السلام فى عيد الأضحى - إلى أن قال: فقال: اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، زنه عرشه، و رضا نفسه، و عدد قطر سمائه و بحاره، له الأسماء الحسنى و الحمد لله حتى يرضى، و هو العزيز الغفور، اللّٰه أكبر كبيرا متكبيرا، و إليها متعززا و رحيمًا متحننًا، يعفو بعد قدره، و لا يقنط من رحمته إلا الضّالون - إلى أن قال: - أو صيكم عباد اللّٰه بتقوى اللّٰه، و كثره ذكر الموت، و الزّهد فى الدّنيا التى لم يتمتع بها من كان قبلكم و لن تبقى لأحد بعدكم، و سبيلكم فيها سبيل الماضين، ألا ترون أنّها قد تصرّمت و آذنت بانقضاء و تنكّر معروفها و أدبرت حدّاء، فهى تخبر بالفناء ساكنها تحدّى بالموت، فقد أمرّ منها ما كان حلوا، و كدر منها ما كان صفوا، فلم يبق منها إلا سمله كسمله الأداوه، و جرعه كجرعه الإناء لو يتمزّزها الصّيديان لم تنفع غلّته، فازمعوا عباد اللّٰه، بالرحيل من هذه الدّار المقدور على أهلها الزّوال، الممنوع أهلها من الحياه المذلّه أنفسهم بالموت، فلا حتى يطمع بالبقاء، و لا نفس إلا مذعنه بالمنون، فلا يغلبتكم الأمل، و لا يطل عليكم الأمد، و لا تغتروا فيها بالأمال، و تعبّدوا اللّٰه أيام الحياه فو اللّٰه لو حننتم حنين الواله العجلان، و دعوتهم بمثل دعاء الانام و جأرتهم جوار متبتلى الرهبان، و خرجتم إلى اللّٰه عزّ و جلّ من الأموال و الأولاد التماس القربه إليه فى ارتفاع درجه عنده، أو غفران سيئه أخصتها كتبه، و حفظها رسله لكان قليلا فى ما أرجو لكم من ثوابه،

ص: ٤٠٨

وَأَتَخَوَّفَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ، وَبِاللَّهِ! لَوْ أَنْمَأَتْ قُلُوبِكُمْ أَنْمِائًا، وَسَأَلَتْ عِيُونَكُمْ مِنْ رَغْبِهِ إِلَيْهِ وَرَهْبِهِ مِنْهُ دَمًا، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا كَانَتْ الدُّنْيَا بَاقِيَةً، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ - وَ لَوْ لَمْ تَبْقُوا شَيْئًا - لِنِعْمَةِ الْعِظَامِ عَلَيْكُمْ، وَ هَدَاهُ إِيَّاكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، مَا كُنْتُمْ لِتَسْتَحَقُّوا أَبَدًا الدَّهْرَ - مَا الدَّهْرُ قَائِمٌ - بِأَعْمَالِكُمْ جَنَّةً، وَ لَا رَحْمَةً، وَ لَكِنْ بِرَحْمَتِهِ تَرْحَمُونَ وَ بِهَدَاهُ تَهْتَدُونَ، وَ بِهِمَا إِلَى جَنَّتِهِ تَصِيرُونَ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ مِنَ التَّائِبِينَ الْعَابِدِينَ، وَ إِنَّ هَذَا يَوْمَ حَرَمَتِهِ عَظِيمَةٌ (١)...

قول المصنّف: «و من خطبه له عليه السلام»: زاد ابن أبي الحديد: قد تقدّم مختارها بروايه و نذكر ما نذكره ها هنا بروايه اخرى، لتعاير الروايتين (٢). لكن ليست الزيادة في نسخه ابن ميثم (٣) إلا أنّ الظاهر سقوطها من النسخه لأنّها غير مصحّحه، فالزيادة موجوده أيضا في نسخه خطيه مصحّحه تأريخها (١٠٧٥) إلا أنّ هذه الخطبه لم تتقدّم بروايه اخرى بتمامها و إنّما في الخطبه (٢٧): «أما بعد فإنّ الدنيا قد ادبرت و آذنت بoudاع» و في الخطبه (٤١): «ألا و إنّ الدنيا قد ولّت حذاء فلم يبق منها إلا صبابه كصابه الإناء اصطبّها صابّها» و هذا المقدار من الاشتراك لا يصدّق كون الأصل في الخطبتين واحدا حتّى يقول: «تقدّم مختارها بروايه اخرى».

قوله عليه السلام: «ألا و إنّ الدنيا قد تصرّمت» أي: تقطّعت، قال ابن السكيت: يقال للدُّب و الغراب: أصرمان لأنهما انصرما من الناس أي: انقطعا (٤).

و قال امرؤ القيس:

ص: ٤٠٩

١- ١) الفقيه لابن بابويه ٥١٨: ١ ح ١٤٨٤.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٢. [١]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ١٣٧: ٢.

٤- ٤) الصحاح [٢] صرم: (٠).

و ان كنت قد ازمعت صرمى فأجملى (١) «و آذنتك بوداع» أى: أعلمتك، و أصله الإيصال إلى الأذن، و يترجم بالفارسيه بقولهم: (گوشزد):

عمرى لقد نصح الزّمان و أنّه لمن العجائب ناصح لا يشفق

(٢) «و تنكّر معروفها» أى: تغيّر .

«و أدبرت حذاء» فى (الصّحاح): قال الفراء: يقال: رحم جذاء و حذاء -بالجيم و الحاء- ممدودان و ذلك إذا توصل .

«فهى تحفز بالفناء سكاّنها» الحفز: الدّفع من خلف، فى الديوان (٣):

هى الدّنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى و فتكى

فلا يغرركم حسن ابتسامى فقولى مضحك و الفعل مبكى

(٤) «و تحدو بالموت جيرانها» الحدو: سوق الإبل، و الغناء لها. و فى (الديوان) أيضا:

قد رأيت القرون كيف تفانت درست ثمّ قيل كان و كانت

هى دنيا كحيه تنفث السّمّ و ان كانت المجسّه لانت (٥)

الموت لا والدا يبقى و لا ولدا هذا السيل إلى أن لا ترى أحدا

(٦) «و قد أمرّ منها ما كان حلوا» فى الديوان:

دنيا-عدمتك- ما أمرّك للمكثرين و ما أضرك

ص: ٤١٠

١-١) شطر من البيت أفاطم مهلا بعض هذا التذلل، و هو لأمرؤ القيس الديوان: ١١٣.

٢-٢) الكامل للمبرّد: ٣٥٩. [١]

٣-٣) الصّحاح: (جذذ).

٤-٤) لا وجود له فى الديوان و قد ذكره ابن أبى الحديد فى ٣:٣٣٥ قائلا: و قول بعضهم.

٥-٥) الديوان المنسوب: ١١٦.

٦-٦) الديوان المنسوب: ١٥٥.

ما ذاق خيرك ذائق إلا صببت عليه شرّك

(١) «و كدر منها ما كان صفوا» :

أرى الدّنيا ستؤذن بانطلاق مشمّره على قدم و ساق

فلا الدّنيا بباقيه لحى و لا حى على الدّنيا بباق

(٢) «فلم يبق منها إلا سمله» فى (الجمهره): السمله-أى: بالتحريك-الماء القليل فى أسفل الحوض (٣). قال صخر الغى:

ممغوثة اعراضهم ممرطله فى كلّ ماء آجن و سمله

(٤) «كسمله الإداوه» أى: المطهره، و فى (الحليه) عن النبى صلّى الله عليه و آله: ما الدّنيا فى الآخره إلا كما يجعل أحدكم إصبغه

فى اليمّ فلينظر بم يرجع (٥).

و عنه صلّى الله عليه و آله: مثل الدّنيا فى الآخره كمثل ثوب شقّ من أوّله إلى آخره فتعلّق بخيط منها، فما لبث ذلك الخيط أن

ينقطع (٦).

«أو جرعه» فى (المصباح): الجرعه من الماء: كاللّقمه من الطعام، ما يجرع مرّه واحده (٧).

«كجرعه المقله» فى (النهايه)، فى حديث علىّ عليه السلام: لم يبق منها إلا جرعه كجرعه المقله، -بالفتح-: حصاه يقتسم بها الماء

القليل فى الشّفرف ليعرف قدر ما يسقى كلّ واحد منهم .

«لو تمزّزها» تمصّص الماء قليلا قليلا.

ص: ٤١١

١-١) الديوان المنسوب: ٨٨.

٢-٢) الديوان المنسوب: ٢٩٤.

٣-٣) الجمهره لابن دريد: ٨٥٩ ([١] اس ل م).

٤-٤) أبو نعيم ٨: ١٣٨ رواه عن المستورد.

٥-٥) أبو نعيم ٨: ١٣٨ رواه عن المستورد.

٦-٦) حليه الأولياء لأبى نعيم ٨: ١٣١ رواه عن أنس.

٧-٧) المصباح المنير للفيتورى: ٩٧.

«الصدیان» أى:العطشان.

«لم تنقع» أى:لم تسكن العطش (١).

«فازمعوا» أى:صمّموا.

«عباد الله الرحيل عن هذه الدار» :

طلّقوا الدّنيا ثلاثا و اطلبن زوجا سواها

انّها زوجة سوء لا تبالى من أتاها

و إذا نالت منها منه ولّته قفاها

(٢) «المقدور» أى:المقدّر.

«على أهلها الزوال» :

تحرّز من الدّنيا فإنّ فناءها محلّ فناء لا محلّ بقاء

فصفوتها ممزوجة بكدوره و راحتها مقرونة بعناء

(٣) «و لا يغلبنكم فيها الأمل» لأنّه ينسى الآخره فيهلك .

«و لا يطولنّ عليكم الأمد» الأمد كالمدى:الغايه،قال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ » (٤).

«فو الله لو حننتم حنين الوله العجال» أى:الآبال التى فقدت ولدها فصارت و الهه متحيره .

«و دعوتم بهديل الحمام» و هديله:صوته،و ممّا اشتهر عند العرب:أنّ الهديل كان فرخا على عهد نوح عليه السلام فصاده أحد جوارح الطيور فليس من

ص:٤١٢

[١-١] ابن الأثير،النهايه ٤:٣٤٨. [١]

[٢-٢] الديوان المنسوب للإمام على عليه السلام:٣٨.

[٣-٣] الديوان المنسوب للإمام على عليه السلام:٨.

[٤-٤] الحديد:١٦. [٢]

حمامه إلا و تبكى عليه فى هديلها، قال شاعر:

و ما من تهتفين به لنصر بأسرع جابه لك من هديل

(١) «و جأرتم» فى (الصحاح): الجؤار مثل الخوار، يقال: جأر الثور أى:

صاح (٢).

«جؤار متبتل الزهبان» هكذا فى (المصريه) (٣)، و الصواب: (متبتلى الزهبان) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤)، أى: منقطعهم من الدنيا إلى الله تعالى .

«و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد التماس القربه إليه» فى (الجمهره):

أصل اللمس باليد لتعرف مسّ الشىء ثم كثر ذلك فى كلامهم حتى صار كل طالب ملتمسا (٥).

«فى ارتفاع درجه عنده أو غفران سيئه أخصتها كتبه» «و يَقُولُونَ يَا وَيَلَّتْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» (٦).

«و حفظها رسله» «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» (٧).

«لكان لكم قليلا فيما أرجو من ثوابه و أتخوف عليكم من عقابه» عن طاوس

ص: ٤١٣

١-١) لسان العرب ١٥:٥٤ و [١] هو لأبى ذويب الهذلى.

٢-٢) الصحاح: (٢) [جأر].

٣-٣) المصريه المصححه: ١٥٥: خ ٥١.

٤-٤) شرح ابن أبى الحديد ٣:٣٣٣ و ابن ميثم كالمصريه ٢:١٣٧، و الخطيبه: ٣٧.

٥-٥) الجمهره: ٨٥٩ (٣) [س ل م].

٦-٦) الكهف: ٤٩. [٤]

٧-٧) الإنفطار: ١٠-١٢. [٥]

اليمانى،قال:كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول:«الهي و عزّتك و جلالك و عظمتك لو أنّي منذ بدعت فطرتي من أوّل الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيّتك بكلّ شعره في كلّ طرفه عين سرمد الأمد،بحمد الخلائق و شكرهم أجمعين، لكنت مقصّرا في بلوغ أداء شكر أخفى نعمه من نعمك عليّ،و لو أنّي كربت معادن حديد الدّنيا بأنيابى،و حرثت أرضيها بأشفار عيني،و بكيّت من خشيتك مثل بحور السماوات و الأرض دما و صديدا،لكان ذلك قليلا في كثير ما يجب من حقّك عليّ،و لو أنّك إلهي عدّبتني بعد ذلك بعذاب الخلائق أجمعين و عظمت للنّار جسمي و خلقى،و ملأت جهنّم و أطباقها منّي حتّى لا يكون في النّار معدّب غيرى،و لا يكون لجهنّم حطب سواى،لكان ذلك بعدلك عليّ قليلا في كثير ما استوجبته من عقوبتك» (١).

و في دعاء الصّحيفه في استقالته عليه السلام من الدّنوب:الهي لو بكيّت إليك حتى تسقط أشفار عيني،و انتجت حتّى ينقطع صوتى،و قمت لك حتّى تشترّ قدماى،و ركعت لك حتّى ينخلع صلبى،و سجدت لك حتى تفقا حدقتاى،و أكلت تراب الأرض طول عمري،و شربت ماء الرّماد آخر دهري،و ذكرتك في خلال ذلك حتّى يكلّ لساني،ثمّ لم أرفع طرفى إلى افاق السماء استحياء منك،ما استوجب بذلك محو سيئه واحده من سيئاتى و إن كنت تغفر لى-حين استوجب مغفرتك-و تعفو عنى-حين استحقّ عفوك-فإنّ ذلك غير واجب لى باستحقاق،و لا أنا أهل له باستيجاب،إذ كان جزائى منك في أوّل ما عصيتك النّار فإنّ تعدّبنى فأنت غير ظالم لى (٢).

ص:٤١٤

١-١) الأمالى للصدوق: ١٨٠ و [١]نقله المجلسى في بحار الأنوار ٩٠:٩٤. [٢]

٢-٢) الصّحيفه السجاديّه،دعاء ٩٠:٩٤. [٣]

«و الله»، هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: (و تالله) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«لو انماثت قلوبكم انميئا» في (الصحاح): ممت الشيء في الماء، أموته، إذا دفته فانماث فيه هو انميئا (٣).

«و سألت عيونكم من رغبه إليه أو رهبه» هكذا في (المصريه) (٤)، و الصواب: (و رهبه) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥).

«منه دما» أي: سألت عيونكم كسيلان الأنهار بالماء .

«ثم عمّرتم في الدنيا ما الدنيا باقيه ما جزت أعمالكم و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم» أي: طاقتكم، و يجوز فيه (الفتح و الضم).

«أنعمه عليكم العظام، و هداه إياكم إلى الإيمان» عن الزهري قال: دخلت مع علي بن الحسين عليهما السلام على عبد الملك، فاستعظم ما رأى من أثر السجود بين عينيه، فقال له: يا أبا محمّد لقد تبين عليك الاجتهاد، و لقد سبق لك من الله الحسنى، و أنت بضعه من رسوله، قريب النسب، و كيد السبب، و أنك لذو فضل على أهل بيتك و ذوى عصرك، و لقد أوتيت من الفضل و العلم و الدين و الورع ما لم يؤته أحد مثلك و لا قبلك إلا من مضى من سلفك، و أقبل يثنى عليه و يطريه فقال عليه السلام له: «كل ما وصفته و ذكرته من فضل الله سبحانه و تأييده و توفيقه، فأين شكره على ما أنعم؟ كان الرسول صلى الله عليه و آله يقف في الصلاة حتى ترم قدماه و يظما في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: ألم يغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك

ص: ٤١٥

١-١ (المصريه: ١٥٥).

٢-٢ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٣٣، و الخطيه: ٣٧ كما ذكر، اما شرح ابن ميثم بلفظ «و الله» ٢: ١٣٨.

٣-٣ (الصحاح: [١] موث).

٤-٤ (المصريه: ١٥٥).

٥-٥ شرح ابن أبي الحديد و الخطيه كما ذكر، أما ابن ميثم فقد وردت عبارته كعباره الطبعه المصريه ٢: ١٣٨.

و ما تأخر؟ فيقول: (أفلا- أكون عبدا شكورا) الحمد لله على ما أبلى و أولى، و له الحمد في الآخرة و الأولى، و الله لو تقطعت أعضائي و سألت مقلتي على صدري، على أن أقوم لله تعالى، لم أشكر عشر العشير من نعمه و أحده من جميع نعمه، التي لا يحصيها العادون و لا يبلغ حدّ نعمه منها جميع حمد الحامدين، لا و الله إلا يراني الله يشغلني شيء من شكره و ذكره، في ليل و لا نهار، و لا سرّ و لا علانيه، و لو لا أنّ لأهلي على حقّ، و لسائر الناس من خاصّهم و عامّهم على حقّ، لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع و الطاقه، حتّى أؤديها اليهم لرميت بطرفي إلى السماء و بقلبي إليه تعالى ثمّ لم أرددهما حتّى يقضى الله على نفسي، و هو خير الحاكمين و بكى عليه السلام و بكى عبد الملك، و قال:

شَتَان بَيْنَ عَبْدِ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَ سَعَى لَهَا سَعِيهَا، وَ بَيْنَ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا مِنْ أَيْنَ جَاءَ تَه، «وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» (١).

٥

الحكمه (٣٩٣)

و قال عليه السلام:

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ - وَ تَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ - فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ وَ تَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ» فِي (الكَافِي) عَنْ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال عيسى عليه السلام للحواريين لا- تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسا أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا اصابوا دنياهم (٢).

«فإن أنت لم تفعل فاجمل في الطلب» في (الكافي) عنه عليه السلام: أما أنّ زهد

ص: ٤١٦

١- ١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٦: ٥٧. [١]

٢- ٢) الكافي ٣: ٢٠٥ ح ٢٤. [٢]

الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله له فيها و إن زهد، و إن حرص الحريص على عاجل زهره الحياه الدنيا لا يزيده فيها و ان حرص، فالمغبون من حرم حظّه من الآخره (١).

و عن الباقر عليه السلام: أنزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت و ليس معك منه شيء، و إنّها عند أهل العلم كفىء الظلال (٢).

٦

الخطبه (٧٩)

و قال عليه السلام في صفة الدنيا:

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ - فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ - مَنْ اسْتَتَعَى فِيهَا فُتْنًا - وَ مَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزْنَ وَ مَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ - وَ مَنْ قَعِدَ عَنْهَا وَ اتَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ - وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ أَقُولُ: و إذا تأمل المتأمل في قوله عليه السلام: «من أبصر بها بصيرته» وجد تحته من المعنى العجيب، و الغرض البعيد، ما لا يبلغ غايته و لا يدرك غوره، و لا سيما إذا قرن إليه قوله: «و من أبصر إليها أعمته» فإنه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها، واضحاً، تيراً، و عجيباً، باهراً.

أقول: رواه المبرد في (كامله المبرد - الكامل - ج ١ ص ٨٩ طبع لبنان) و المسعودي في (مروجه المسعودي - مروج الذهب - ج ٢ ص ٤٢١) و ابن طلحه في (مطالب سؤوله ابن طلحه - مطالب السؤل - ص ٣٣) مع اختلاف قال الأول: قال رجل لعلّي عليه السلام - و هو في خطبته - صف لنا الدنيا، فقال عليه السلام: «ما أصف من دار أولها عناء، و آخرها فناء، في

ص: ٤١٧

١-١) المصدر نفسه ٣:٢٠٠ ح ١٦. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٣:١٩٥ ح ٦. [٢]

حلالها حساب و في حرامها عقاب، من صحَّ فيها أمن، و من مرض فيها ندم، و من استغنى فيها فتن، و من افتقر فيها حزن» (١).

و قال الثانی: «دخل رجل علی علی عليه السلام فقال: كيف أصبحت؟ قال:

أصبحت ضعيفا، آكل رزقي و أنتظر أجلی» قال: و ما تقول في الدنيا؟ قال: «و ما أقول في دار أولها غم، و آخرها موت، من استغنى فيها فتن، و من افتقر فيها حزن، حلالها حساب و حرامها عقاب» قال: فأى الخلق أنعم؟ قال: «أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب، و هي منتظرة الثواب» (٢).

و قال الثالث: قال علی عليه السلام يوما -و أحدق الناس به-: أحذركم الدنيا فأنها منزل قلعه و ليست بدار نجعه، هانت علی ربها، فخلط خیرها بشرها، و حلوها بمرها، لم يسقها لأوليائه و لم يضربها علی أعدائه، و هي دار ممر لا -دار مستقر، فيها رجال-: رجل باع نفسه فأوبقها، و رجل ابتاع نفسه فأعتقها، إن اعدوذب منها جانبا فحلالها، أمر منها جانب فأوکی، أولها عناء، و آخرها فناء، من استغنى فيها فتن، و من افتقر فيها حزن، من ساعاها فاتته، و من قعد عنها أتته و من أبصر بها بصرتة، و من أبصر إليها أعمته، فالإنسان فيها غرض المنايا، مع كل جرعه شرق و مع كل أكله غصص، لا تنال منها نعمه إلا بفراق أخرى (٣).

«ما أصف من دار أولها عناء» أى: التعب، و أولها عناء حيث أن الإنسان لا بد أن يكبد و يجهد في أول عمره حتى يؤمن معاشه بمشقات كثيرة .

«و آخرها فناء» حيث أنه بعد تحصيل الأموال و العلائق يتركها و يرحل

ص: ٤١٨

١-١) الكامل للمبرد ١: ٨٩ طبع لبنان. [١]

٢-٢) مروج الذهب للمسعودی ٢: ٤٢١. [٢]

٣-٣) مطالب السؤل لابن طلحه: ٣٣.

إلى الآخرة، قال تعالى: «وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (١).

و نعم ما قيل بالفارسيه:

اندك اندك خانمان آراستن پس بيكبار از سرش برخاستن

(٢) و لكليم الكاشاني بالفارسيه:

بدنامی حیات دو روزی نبود بیش آنهم کليم با تو بگويم چسان گذشت

يك روز صرف بستن دلشد باين و آن روز ديگر بکندن دل زين و آن گذشت

(٣) و في (الطبري) عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: إني جالس في تلك الليلة التي قتل ابي في صبيحتها و عمّتي زينب تمرّضني إذ اعتزل ابي أصحابه في خباء له و عنده جون مولی ابي ذرّ و هو يعالج سيفه و يصلحه، و ابي يقول:

يا دهر افّ لك من خليل كم لك بالإشراق و الأصيل

من صاحب أو طالب قتيل و الدهر لا يقنع بالبدیل

و إنّما الأمر إلى الجليل و كلّ حيّ سالک السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى فهمتها، فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي، و لزمت السكوت، فعلمت أنّ البلاء قد نزل، فأمّا عمّتي فإنّها سمعت ما سمعت - و هي امرأه - و في النساء الرقة و الجزع، فلم تملك نفسها أن و ثبت تجرّ ثوبها، و إنّها لحاسره حتى انتهت إليه فقالت: «وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياه، اليوم ماتت فاطمه امي، و عليّ ابي، و حسن أخي، يا خليفه

ص: ٤١٩

١-١ (١) الأنعام: ٩٤. [١]

٢-٢ (٢) الكشكول للشيخ البهائي: ١٢٢، و ذكر أنه لمولوي: ٤٥.

٣-٣ (٣) لا وجود لها في ديوان أبو طالب كليم الكاشاني.

الماضين! و شمال الباين» فنظر إليها أبي عليه السلام فقال: يا أخي! لا يذهب حلمك الشيطان، قالت: «بأبي أنت و أمي استقتلت، نفسي فداك» فردّ غصّيته و تفرقت عيناه و قال: لو ترك القطا ليلا لنام. قالت: يا ويتلتا! فتغصب نفسك اغتصبا فذلك أقرح لقلبي، و أشدّ على نفسي، فلطمت وجهها و أهوت إلى جيبها و شقّته و حرّت مغشيا عليها! فقام إليها أبي فصبّ على وجهها الماء و قال لها: يا أخي اتقى الله و تعزّى بعزاء الله، و اعلمى أنّ أهل الأرض يموتون، و أنّ أهل السماء لا يبقون، و أنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجه الله، الذى خلق الأرض بقدرته، و يبعث الخلق فيعودون، و هو فرد وحده، أبى خير منى، و أمي خير منى، و أخى خير منى، و لى و لهم و لكلّ مسلم برسول الله صلّى الله عليه و آله اسوه حسنه (١).

«فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب» عن جناده بن اميّه قال: دخلت على الحسن عليه السلام فى مرضه الذى توفى فيه -بين يديه طست يقذف عليه الدّم و يخرج كبده قطعه، قطعه، من السمّ الذى سقاه معاويه، فقلت: مالك لا تعالج نفسك، فقال: بماذا أعالج الموت؟ قلت: أنا لله و إنا إليه راجعون! ثمّ التفت إلىّ فقال: و الله لقد عهد الينا النبى صلّى الله عليه و آله أنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر من ولد على و فاطمه عليها السلام: ما ممّا إلاّ مسموم أو مقتول، ثمّ رفع الطست و بكى، فقلت له:

عظنى يا ابن رسول الله! قال: نعم، استعدّ لقبرك، و حصّيل زادك، قبل حلول أجلك، و اعلم أنّك إنّما تطلب الدّنيا، و الموت يطلبك، و لا تحمل همّ يومك الذى لم يأتك على يومك الذى أنت فيه، و اعلم أنّك لا تكسب من المال شيئا فوق قوّتك إلاّ كنت فيه خازنا لغيرك، و اعلم أنّ الدّنيا فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب، و فى شبهاتها عتاب، فأنزل الدّنيا منك بمنزله الميته خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالا كنت قد زهدت فيها، و إن كان حراما لم يكن فيه وزر،

ص: ٤٢٠

فأخذت كما أخذت من الميتة و إن كان العتاب فإن العتاب يسير، و اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، و اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، و إذا أردت عزاً بلا عشيره و هيبه بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته (١).

«من استغنى فيها فتن» «أَنْمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» (٢)، «وَ مِنْهُمْ مَنٌ عَاهَدَ اللَّهُ لِنُ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (٣)، «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْغَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى» (٤)، «وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ» (٥) و لبعضهم:

فمن يحمد الدنيا لحسن بلائها فسوف لعمرى عن قليل يلومها

إذا أقبلت كانت على المرء فتنه و ان أدبرت كانت كثيرا همومها

(٦) و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: جاء رجل درن الثوب، فجلس إلى جنب النبي صلى الله عليه و آله بجنب موسر كان جالسا، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيته، فقال له النبي صلى الله عليه و آله: أخفت أن يمسيك من فقره شيء؟ قال: لا. قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا. قال: فخفت أن توسخ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال إن لي قرينا يزني لي كل قبيح، و يقبض لي كل حسن، و قد جعلت له نصف مالي! فقال النبي صلى الله عليه و آله للمعسر أتقبل؟ قال: لا. فقال الرجل

ص: ٤٢١

١-١) بحار الأنوار للمجلسي ١٣٨: ٤٤. [١]

٢-٢) الأنفال: ٢٨. [٢]

٣-٣) التوبة: ٧٥-٧٧. [٣]

٤-٤) العلق: ٦-٧. [٤]

٥-٥) الشورى: ٢٧. [٥]

٦-٦) ابن أبي الحديد ٢٨٩: ١٩. [٦]

له: ولم؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك) (١).

و عنه عليه السلام: ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيرا، و لا كافر إلا غنيا حتى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» (٢) فصير الله في هؤلاء أموالا و حاجه و فى هؤلاء أموالا و حاجه (٣). و عنه عليه السلام: لو لا إلحاح المؤمن على الله فى طلب الرزق، لثقلهم من الحال التى هم فيها إلى حال أضيق منها (٤).

«و من افتقر فيها حزن» حتى قالوا: «الفقر الموت الأحمر»، «الفقر الموت الأكبر» (٥).

هذا، و نظير قوله عليه السلام فى ذكر المفتوتيه و المحزوتيه: أن موسى بن عيسى العباسى كان أمير الكوفه فقال لأبى شيبه القاضى: مالك لا- تأتيني؟ فقال: ان أتيتك فقربتني فتننتي، و إن باعدتني أحزنتني و ليس عندي ما أخافك عليه و لا عندك ما أرجوه .

«و من ساعاها» فى (الصحاح): ساعانى فلان فسعيته: غلبته، و تقول:

(زنى الرجل و عهر) يكون بالحزه و الأمه، و يقال فى الزنا بالأمه: (ساعاها) و لا تكون المساعاه إلا فى الإمام (٦).

«فاتته» فى (الصحاح): تقول: (هو متى فوت الرمح) أى: لا يبلغه (٧)،

ص: ٤٢٢

١- (١) الكافى ٣:٣٦٢ ح ١١. [١]

٢- (٢) الممتحنه: ٥. [٢]

٣- (٣) الكافى للكلىنى ٣:٣٦١ ح ١٠. [٣]

٤- (٤) المصدر نفسه ٣:٣٦٠ ح ٥. [٤]

٥- (٥) شرح ابن أبى الحديد ٦:٢٧٣. [٥]

٦- (٦) الصحاح: [٦] سعا).

٧- (٧) الصحاح: [٧] فوت).

و شتم رجل آخر فقال: جعل الله رزقه فوت فمه) أى: حيث لا يراه و لا يصل إليه .

«و من قعد عنها و اتته» أى: وافقته و طوعته، روى المفضل عن الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه و آله: أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن أتعبى من خدمك و اخدمى من رفضك (١).

و فى (الحليه): قال حاتم الأصم: مثل الدنيا كمثل ظلك، إن طلبته تباعد، و إن تركته تتابع (٢).

هذا، و لم يذكر (الصحيح) و (القاموس) (وتى) و إنما قال الأول فى (أتى):

آتيته على ذلك الأمر موأته (٣) إذا وافقته و طوعته، و العامه تقول: و آتيته...

و هو قلّه فهم منهما، فيشهد له كلامه عليه السلام.

و فى (الجمهره): و آتيته: وافقته (٤). و فى (مصباح الفيومى) - بعد ذكر «آتيته على الأمر» - وافقته. و فى لغه لأهل اليمن تبدل الهمزه و اوا فيقال:

«و آتيته على الأمر موأته» و هى مشهوره على ألسنه الناس (٥).

«و من أبصر بها بصرتة» الباء فى «بها» للسبب أى: من أبصر بسبب تغيرات الدنيا و اعتبر بعبرها بصرتة الدنيا و جعلته بصيرا .

«و من أبصر إليها أعمته» أى: من كان نظره إليها فقط و لتحصيلها تجعله أعمى فلا يرى عيوبها و مهلكاتها، «و أتلى عليهم نبأ الذى آتيناها آياتنا فأنسليخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين و لو شئنا لرفعناها بها و لكنّه أخلد إلى الأرض و أتبع هواه فمئل كمثل الكلب إن تحمّل عليه يلهت أو تتركه»

ص: ٤٢٣

١- ١) الفقيه ٢٦٢: ٤.

٢- ٢) الحليه لأبى نعيم ٤٩: ١٠.

٣- ٣) الصحيح: (أتى).

٤- ٤) الجمهره ١٠٣٣: ٢ (ت و واى).

٥- ٥) المصباح المنير للفيتورى: ٤ (أتى).

«يَلْهَثُ» (١)، «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ» (٢).

قول المصنّف: «وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام من أبصر بها بصّرته وجد تحته من المعنى العجيب» لما عرفت من كون الباء فيه للسببية .

«و الغرض البعيد» أى: المقصود العالى، و الأصل فى الغرض: الهدف الذى يرمى فيه .

«ما لا تبلغ غايته» أى: نهايته.

«و لا يدرك غوره» أى: فقره .

«و لا- سيما إذا قرن إليه قوله (و من أبصر إليها أعمته)» فأنه يكون فى معنى قوله تعالى: «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا» (٣)، و يكون فى مفاد قولهم: إن أولياء الله نظروا إلى باطن الدنيا فاستوحشوا منها فنجوا، و إن أهل الدنيا نظروا إلى ظاهر الدنيا فأنسوا بها و هلكوا».

«فإنه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها، و اضحا تيرا و عجيبا باهرا» فإن لكل حرف جرّ معنى، و فى (الأغانى): قال بشار فى حمّاد عجرد أبياتا منها:

ادع غيرى إلى عباده الاثنين فأنى بواحد مشغول

فأشاع حمّاد أبياته و جعل المصراع الأخير: «فأنى عن واحد مشغول»

فما زالت الأبيات تدور فى أيدى الناس، حتى انتهت إلى بشار فاضطرب منها

ص: ٤٢٤

[١-١] الأعراف: ١٧٥-١٧٦. [١]

[٢-٢] طه: ١٣١. [٢]

[٣-٣] الأنعام: ١٠٤. [٣]

و جزع، وقال: أشاع ابن الزانية بدمي، والله ما قلت إلا «فأني بواحد مشغول»

فغيرها حتى شهر في الناس (١).

و في (العيون): (ذكر أعرابي رجلا، فقال: كان والله إذا نزلت به الحوائج قام إليها ثم قام بها ولم تقعد به علات النفوس (٢).

و عن الأصمعي: قال أعرابي لرجل: ويحك! إن فلانا وإن ضحك إليك فإنه يضحك منك).

٧

الخطبة (٨٠)

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ - وَوَقَّتْ لَكُمْ الْأَحْيَالَ وَ أَلْبَسَتْكُمْ الرِّيَاشَ وَ أَرْفَعَتْ لَكُمْ الْمَعِيشَ - وَ أَحْيَاكُمْ بِالْإِحْصَاءِ وَ أَرْضَدَتْ لَكُمْ الْجَزَاءَ - وَ آثَرَكُمْ بِالنَّعْمِ السَّوَابِغِ وَ الرَّفْدِ الرَّوَافِعِ - وَ أَنْذَرَكُمْ بِالْحُجِجِ الْبَوَالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عِدَدًا - وَ وَظَّفَ لَكُمْ مُدَدًا فِي قَرَارِ حَبْرِهِ وَ دَارِ عِبْرِهِ - أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَ مُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنَقٌ مَشْرُبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا - يُوَبِّقُ مَنْظَرُهَا وَ يُوَبِّقُ مَحْبَرُهَا - غُرُورٌ حَائِلٌ وَ ضَوْءٌ أَفْلٌ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَ سِنَادٌ مَائِلٌ - حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا وَ أَطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا - قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَ قَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا - وَ أَقْصَدَتْ بِأَسِيهِمَهَا وَ أَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَيِّتِ - قَائِدَةٌ لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَ وَحْشِيهِ الْمَرْجِعِ - وَ مُعَايِنَةٌ الْمَحَلِّ وَ ثَوَابِ الْعَمَلِ - وَ كَذَلِكَ الْخَلْفُ بَعْقِبِ السَّلْفِ - لَا تَقْلَعُ الْمَيِّتُ اجْتِرَامًا - وَلَا يَزْعَوِي الْبِاقُونَ اجْتِرَامًا يَحْتَدُونَ مِثَالًا - وَ يَمْضُونَ أَرْسَالًا إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ وَ صَيُورِ الْفَنَاءِ

ص: ٤٢٥

[١- ١] الأغانى ١٤: ٣٢٥. [١]

[٢- ٢] عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٣٥. [٢]

أقول: هو جزء من خطبه قال الرّضىّ فيها: (و من خطبه له عليه السلام عجيبه) و روى (أمالى الشيخ الصدوق-الأمالى-ج ٢ ص ٢٩٧ الشيخ) صدرها، و فى ذيلها: (أوصيكم بتقوى الله فإنّ التقوى أفضل كنز، و أحرز حرز، و أعزّ عزّ، فيه نجاه كلّ هارب، و درك كلّ طالب، و ظفر كلّ غالب، و أحتكم على طاعه الله فإنّها كهف العابدين، و فوز الفائزين، و أمان المتّقين، و اعلموا أيّها الناس! إنّكم سيّاره قد حدى بكم حادى، و ناداكم للموت منادى فلا تغرنكم الحياه الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور، ألا و إنّ الدنيا دار غرّاره خدّاعه تنكح فى كلّ يوم بعلا، و تقتل فى كلّ ليله أهلا، و تفرّق فى كلّ ساعه شملا، فكم من منافس فيها و راكن إليها من الامم السالفه، و قد قذفتهم فى الهاويه، و دمّرتهم تدميرا و تبرّتهم تنبيرا، و أصلتهم سعيرا، أين من جمع فأوعى، و شدّ فأوكى، و منع فأكدى، بل أين من عسكر العساكر، و دسكر الدساكر، و ركب المنابر، أين من بنى الدّور و شرّف القصور و جمهر الألوف؟ قد تداولتهم أيّاما و ابتلعتهم أعواما فصاروا أمواتا، و فى القبور رفاتا، قد يأسوا ممّا خلّفوا و وقفوا على ما أسلفوا ثمّ ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ ألا له الحكم و هو أسرع الحاسبين، و كأنّى بها و قد أشرفت بطلائعها، و عسكرت بفظائعها، فأصبح المرء بعد صحّته مريضا، و بعد سلامته نقيضا، يعالج كربا، و يقاسى تعباً، فى حشرجه السيّاق، و تتابع الفراق، و تردّد الأنين، و الذّهل عن البنات و البنين، و المرء قد اشتمل عليه شغل شاغل، و هول هائل، قد اعتقل منه اللسان، و تردّد منه البيان، فأصاب مكروبا، و فارق الدّنيا مسلوبا، لا يملكون له نفعاً، و لا لما حلّ به دفعا، يقول عزّ و جلّ فى كتابه:

«فَلَوْ لَا - إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (١) ثمّ من دون ذلك أهوال يوم القيامة، و يوم الحسره و التّدامه، يوم تنصب الموازين، و تنشر

ص: ٤٢٤

الدواوين، بإحصاء كل صغيره و إعلاء كل كبيره، يقول تعالى فى كتابه:

«وَوَحِّدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» (١). أيها الناس! الآن! الآن! امن قبل التدم، و من قبل أن تقول نفس: «يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله و إن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرهه فأكون من المحسنين» (٢) فيرد الجليل جل ثناؤه «بلى قد جاءتك آياتى فكذبته بها و استكبرت و كنت من الكافرين» (٣).

فوالله لا يسأله الرجوع إلا ليعمل صالحا (٤)...

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله» (و اتقوا الله الذى إليه تحشرون» (٥).

«الذى ضرب الأمثال» هكذا فى (المصريه) (٦). و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى) (٧) «الذى ضرب لكم الأمثال» و هو الصحيح لنقص الكلام بدونه، ثم أمثاله التى ضربها للناس كثيره، منها: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً و إن أوهن اليبوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» (٨)، «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له و إن يسئلبهم الذباب شئناً لا يسئبتفدوه منه ضعف الطالب و المطلوب» (٩)، و فى سوره الزمر:

«وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا»

ص: ٤٢٧

١- ١) الكهف: ٤٩. [١]

٢- ٢) الزمر: ٥٦-٥٩. [٢]

٣- ٣) الزمر: ٥٦-٥٩. [٣]

٤- ٤) الأمالى للصدوق ٢: ٢٩٧.

٥- ٥) المجادله: ٩. [٤]

٦- ٦) المصريه: ١٨٦.

٧- ٧) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٤٤، و [٥] شرح ابن ميثم ٢: ٢٣٣.

٨- ٨) العنكبوت الحج: ٤١. [٦]

٩- ٩) ٧٣.

«غَيْرِ ذِي عَوجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» (١)، «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بِيَلٍ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٢)، «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (٣)، «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» (٤).

«و وقت لكم الآجال» فى سورة الأعراف: «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» (٥).

«و ألبسكم الرِّيش» فى (الصَّحاح): الرِّيش و الرِّيش: اللباس الفاحر، و يقال: المال و الخصب و المعاش (٦).

قلت: الظاهر الثانى لقوله تعالى: «يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشًا» (٧). و أما كلامه عليه السلام فأعم حيث يمكن أن يكون قوله:

(و ألبسكم) كناية كقوله تعالى «قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ» .

«و أرفع لكم المعاش» عيش ربيع، أى: واسع طيب، قال تعالى: «وَ لَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا. مَا تَشْكُرُونَ» (٨)، «وَ جَعَلْنَا»

ص: ٤٢٨

١-١ (١) الزمر: ٢٧-٢٨. [١]

٢-٢ (٢) الزمر: ٢٩. [٢]

٣-٣ (٣) الحشر: ٢١. [٣]

٤-٤ (٤) البقرة: ٢٤١. [٤]

٥-٥ (٥) الأعراف: ٣٤. [٥]

٦-٦ (٦) الصَّحاح: (ريش).

٧-٧ (٧) الأعراف: ٢٦. [٦]

٨-٨ (٨) الأعراف: ١٠. [٧]

«لَكُمْ فِيهَا مَعَايشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» (١).

«و أحاطكم بالاحصاء» هكذا في (المصريه) (٢) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي و الخطيبه) (٣): «و أحاط بكم الاحصاء» فهو الذي كان في النهج قطعاً ثم قال ابن أبي الحديد: يحتمل أن يكون (الاحصاء) مفعولاً مطلقاً من غير لفظ فعله أو مفعولاً له أو مفعولاً به (٤)، و قال ابن ميثم: يحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً أو تميزاً (٥)، و استظهر الخوئي: كونه مفعولاً مطلقاً.

قلت: بل هو مفعول به معينا كالمعاش و الجزاء في الفقرتين قبل و بعد، و التمييز إنما يصح لو كان نكرة كقوله تعالى: «وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا» (٦).

«و أرسد لكم الجزاء» «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (٧)، «و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً و إن كان مثقال حبه من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين» (٨).

«و آثركم بالتعم السوابغ» أي: الكوامل، قال تعالى: «و أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» (٩).

«و الرّفد الرّوافغ» أي: عطايا واسعة .

«و أنذركم بالحجج البوالغ» العقول و الرّسل و الفطره التي فطرهم عليها،

ص: ٤٢٩

١- (١) الحجر: ٢٠. [١]

٢- (٢) المصريه: ١٨٦.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٤: ٦ و [٢] النسخه الخطيبه: ٥٠ كما ذكر شرح ابن ميثم كالمصريه انظر ٢٣٣: ٢.

٤- (٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٤: ٦. [٣]

٥- (٥) شرح ابن ميثم ٢٣٣: ٢.

٦- (٦) الكهف: ٩١. [٤]

٧- (٧) الزلزله: ٧-٨. [٥]

٨- (٨) الأنبياء: ٤٧. [٦]

٩- (٩) لقمان: ٢٠. [٧]

قال تعالى: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» (١).

«و أحصاكم» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (فأحصاكم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣).

«عددا» «إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» (٤).

«و وظّف لكم مددا» قال هود عليه السلام لقومه عاد كما حكى تعالى عنه: «وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدًّا كَمَا بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنَ وَجَنَاتٍ وَ عُيُونٍ» (٥).

«في قرار خبره» -بالكسر- تقول خبرته خبرا-بالضم- و خبره-بالكسر- إذ أبلوته و اختبرته، و المراد دار الدنيا التي هي دار امتحان .

«و دار عبره» يعتبر الناس بحوادثها كما اعتبر الذين تمنّوا مكان قارون بما وقع له من الخسف به و بماله .

«أنتم مختبرون فيها و محاسبون عليها» قال ابن أبي الحديد: «الضمير في (فيها) يرجع إلى الدار، و في (عليها) إلى (التعم) و (الزّهد) و يجوز أن يرجع إلى الدار أيضا على حذف المضاف أي: على سكنها» (٦).

ص: ٤٣٠

١- ١) الأعراف: ١٧٢-١٧٣. [١]

٢- ٢) المصريه: ١٨٦.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد و الخطيبه: ٥٠ كما ذكر، و شرح ابن ميثم ٢: ٢٣٣ كالصغيره.

٤- ٤) مريم: ٩٣-٩٤. [٢]

٥- ٥) الشعراء: ١٣٢-١٣٤. [٣]

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٤٤. [٤]

قلت: بل يرجع في (عليها) إلى الدار معينا كما في (فيها) بدون حذف مضاف بل من قبيل «وَسئَلِ الْقَرْيَةَ» (١) والمراد فيه أهلها، وهنا أعمالها قال تعالى: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ» (٢).

«فإن الدنيا رنق مشربها» أي: كدر .

«ردغ مشرعها» الردغ-بالتحريك-:الوحل الشديد،و المشرع الشريعة أي:مورد الشاربه .

«يونق منظرها» أي:يعجب .

«و يوبق مخبرها» أي:يهلك،و المخبر خلاف المنظر .

«غرور حائل» من (حال عن العهد):انقلب،قال تعالى في فاطر و لقمان:

«إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ» (٣)، «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (٤).

«و ضوء آفل» أي:زائل .

«و ظل زائل» في الديوان:

و من يذق الدنيا فأتى طعمتها و سيق إلينا عذبتها و عذابها

فلم أرها إلا غرورا و باطلا كما لاح في أرض الفلاه سراها

(٥) «و سناد مائل» السناد:المعتمد .

«حتى إذا أنس نافرها و اطمأن ناکرها قمصت بأرجلها» من (قمص الفرس):

رمح و رمى برجله شبه عليه السلام الدنيا بدائه قامصه.

ص:٤٣١

١-١ (١) يوسف:٨٢.

٢-٢ (٢) الأنبياء:٤٧. [١]

٣-٣ (٣) لقمان:٣٣. [٢]

٤-٤ (٤) آل عمران:١٨٥. [٣]

٥-٥ (٥) الديوان المنسوب للإمام على عليه السلام:٨٦.

«و قنصت باحبليها» أى: صادت بحبالاتها، شبه عليه السلام الدنيا بصائد نصب حبالته .

«و أقصدت بأسهمها» (قصد السهم): أصاب فقتل مكانه، شبه عليه السلام الدنيا برام لا يخطئ سهمه القاتل .

«و أعلقت المرء أوهاق المتية» فى (الجمهره): «الوهمق: الحبل الذى يطرح فى أعناق الدواب حتى تؤخذ، و الجمع أوهاق» (١)، و (أعلق الصائد): علق الصيد فى حبالته .

«قائده» حال من ضمير الدنيا، و العامل (و أعلقت).

«له إلى ضنك المضجع» أى: ضيقه .

«و وحشه المرجع» «ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (٢).

«و معاينه المحل» «حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعفُ جُنْدًا» (٣)، «حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أضعفُ ناصراً وَ أَقلُّ عَدَدًا» (٤).

«و ثواب العمل» الثواب هنا مثله فى قوله تعالى: «هَلْ تُؤَبُّ الكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» (٥)، فى كونه بمعناه الأصلي من مطلق الجزاء .

«و كذلك الخلف يعقب» هكذا فى (المصريه) (٦)، و الصواب: (بعقب) كما فى

ص: ٤٣٢

١- ١) جمهره اللغه لابن دريد ٩٨٠: ٢ ([١] ق و ه).

٢- ٢) الأنعام: ١٦٤. [٢]

٣- ٣) مريم: ٧٥. [٣]

٤- ٤) الجن: ٢٤. [٤]

٥- ٥) المطففين: ٣٦. [٥]

٦- ٦) المصريه: ١٨٧.

(ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١).

«السلف» «يا حشره على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن» (٢)، «لتركبنا طبقاً عن طبق» (٣).

«لا تقلع المتيه احتراماً» أى: لا تكف عن اقتطاعهم و استيصالهم .

«و لا يروعى الباؤون اجتراماً» أى: لا يكفون عن الذنب و الجريمة .

«يحتذون مثلاً» أى: يقتدى الخلف بالسلف، قال تعالى: «تشابَهت قلوبهم» (٤).

«و يمضون أرسالا» أى: متتابعه و قطعاً قطعاً .

«إلى غايه الانتهاء» فى الرجوع إليه تعالى: «كل نفس ذائقة الموت ثم إنا نرجعون» (٥).

«و صيور الفناء» أى: ما يصير إليه «كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام» (٦).



الخطبه (٩٥)

و من خطبه له عليه السلام:

نَحْمِدُهُ عَلَى مَا كَانَ - وَ نَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ - وَ نَسْأَلُهُ الْمَعَاةَ فِي الْأَدْيَانِ - كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَاةَ فِي الْأَبْدَانِ - عِبَادَ اللَّهِ
أَوْصِيكُمْ

ص: ٤٣٣

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٣٤٦: ٦، و الخطيبه: ٥٠ كما ذكر، و شرح ابن ميثم كالمصريه ٢٣٥: ٢.

٢- ٢) يس: ٣٠. [١]

٣- ٣) الإنشفاق: ١٩. [٢]

٤- ٤) البقره: ١١٨. [٣]

٥- ٥) العنكبوت: ٥٧. [٤]

٦- ٦) الرحمن: ٢٦. [٥]

بِالرَّفْضِ - لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ - وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرَكَهَا - وَ الْمُنْبَلِيَةَ لِأَجْسَادِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجِدِيدَهَا - فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَيْدِ فَرٍ - سَيَلَكُوا سَبِيلًا - فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ - وَأُمُّو أَعْلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ - وَ كَمَ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ - أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا - وَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءٌ مِنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعِدُوهُ - وَ طَالِبٌ حَيْثُ يَحْدُوهُ - فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا - وَ لَا تَعَجَّبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا - وَ لَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَ بُؤْسِهَا - فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ - وَ إِنَّ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ - وَ ضَرَاءَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ - وَ كُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ - وَ كُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ - أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجْرٌ وَ فِي آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ تَبَصَّرَةٌ وَ مُعْتَبِرٌ - إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ - أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَزْجَعُونَ - وَ إِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقُونَ - أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا - يُصْبِحُونَ وَ يُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى - فَمَيَّتْ يُبْكِي وَ آخِرٌ يُعْزَى - وَ صَرِيحٌ مُبْتَلَى وَ عَائِدٌ يَعُودُ - وَ آخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ - وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَ الْمَوْتُ يُطَلِّبُهُ - وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ - وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي - أَلَا فَادْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ - وَ مُنْعَصَ الشَّهَوَاتِ - وَ قَاطِعَ الْأُمِّيَّاتِ - عِنْدَ الْمَسِيرِ أَوْرَهُ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ - وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ - وَ مَا لَا يُحْصِي مِنْ أَعْدَادٍ نِعْمِهِ وَ إِحْسَانِهِ أَقُولُ: خُطِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ، قَالَ الصَّدُوقُ فِي فِقْهِهِ الشَّيْخُ الصَّدُوقُ - مِنْ لَا

يَحْضُرُهُ الْفَقِيه - ج ١ ص ٤٢٧ ح ١٢٤٣ :

خُطِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجُمُعَةِ فَقَالَ: -الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ الْحَكِيمِ الْمَجِيدِ، الْفَعَّالِ لِمَا يَرِيدُ، عَلَامِ الْغُيُوبِ، وَ خَالِقِ الْخَلْقِ، وَ مَنْزِلِ الْقَطْرِ، وَ مَدْبَّرِ أَمْرِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، وَ وَارِثِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، الَّذِي عَظُمَ شَأْنُهُ فَلَا شَيْءَ مِثْلَهُ، تَوَاضَعُ كُلُّ شَيْءٍ

لعظمته، وذلّ كلّ شيءٍ لعزّته، واستسلم كلّ شيءٍ لقدرته، وقرّ كلّ شيءٍ قراره لهيبته، وخضع كلّ شيءٍ لملكه وربوبيّته، الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وان تقوم السّاعه إلاّ بأمره، وان يحدث فى السماوات والأرض شيء إلاّ بعلمه، نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونستغفره ونستهديه، وذو الجلال، والإكرام، ديّان يوم الدين، ربّ آبائنا الأوّلين، ونشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، أرسله بالحقّ داعيا إلى الحقّ، وشاهدا على الخلق، فبلغ رسالات ربّه كما أمره، لا متعدّيا ولا مقصّيرا، وجاهد فى الله أعداءه، لا وانيا ولا ناكلا، ونصح له فى عباده صابرا محتسبا، فقبضه الله إليه وقد رضى عمله، وتقبّل سعيه، وغفر ذنبه، صلّى الله عليه وآله.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله و اغتنام ما استطعتم عملا به من طاعته فى هذه الأيام الخالية، وبالرّفض لهذه الدّنيا التاركة لكم، وان لم تكونوا تحبّون تركها، والمبليه لكم وإن كنتم تحبّون تجديدها، فإنّما مثلكم ومثلها كركب سلكوا سبيلا، فكأن قد قطعوه و أفضوا إلى علم فكأن قد تبعوه، وكم عسى المجرى إلى الغايه أن يجرى إليها حتّى يبلغها و كم عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، و طالب حثيث فى الدّنيا يحدوه حتّى يفارقها، فلا تنافسوا فى عزّ الدّنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزيتها و نعيمها، ولا تجزعوا من ضرائها و بؤسها، فإنّ عزّ الدّنيا وفخرها إلى انقطاع، وإن زيتها و نعيمها إلى زوال، وإن ضرّها و بؤسها إلى نفاذ، و كلّ مدّه منها إلى منتهى، و كلّ حىّ منها إلى فناء و بلاء، أو ليس لكم فى آثار الأوّلين و فى آباءكم الماضين معتبر و تبصره، ان كنتم تعقلون. ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون و إلى الخلف الباقيين منكم لا يقفون، قال الله تعالى و تقدّس: «و حرامّ على قرّيه أهلكتها أنّهم لا»

«يَرْجِعُونَ» (١)، وقال تعالى: «كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (٢) أو لستم ترون إلى أهل الدنيا وهم يصبحون ويمسون على أحوال شتى فميت يبكي، و آخر يعزي، و صريع يتلوى، و عائد و معود، و آخر بنفسه وجود، و طالب الدنيا و الموت يطلبه، و غافل و ليس بمغفول عنه، و على أثر الماضي يمضى الباقي (٣)....

«نحمده على ما كان» فى الخبر أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان إذا ورد شيء يوافقّه قال الحمد لله على هذه النعمه، و ان كان شيء يخالفه، قال: الحمد لله على كلّ حال (٤).

«و نستعينه من أمرنا على ما يكون» لأنه لا حول و لا قوه إلا به و لا يكون منّا شيء إلا بمعونه، فكما لا يجوز العباد إلا له، لا تجوز الاستعانه إلا به «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٥).

«و نسأله المعافاه فى الأديان كما نسأله المعافاه فى الأبدان» فعافيه الأبدان راحه الأرواح فى الدنيا، و عافيه الأديان لراحتها فى الآخرة، و إذ كانت الدنيا موقته و الآخرة دائمه فاذا وقع تعارض بينهما فليرح عافيه الأديان، ففى الدعاء: «اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا» (٦)، و فى (ذيل الطبرى): لَمَّا هاجر الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومى انقطعت إصبه فقال مخاطبا لها:

ص: ٤٣٦

١- ١) الأنبياء: ٩٥. [١]

٢- ٢) آل عمران: ١٨٥. [٢]

٣- ٣) الفقيه ١: ٤٢٧ ح ١٢٦٣.

٤- ٤) الكافي ٢: ٩٧ ح ١٩. [٣]

٥- ٥) فاتحه الكتاب: ٥.

٦- ٦) بحار الأنوار للمجلسي ٩٨: ٤١٤. [٤]

هل أنت إلا إصبع دميت و في سبيل الله ما لقيت

(١).

«عباد الله» ليس هذه الكلمه في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢) و إنما هي في (المصريه) (٣).

«أوصيكم بالرفض» أي: الترك.

«لهذه الدنيا التاركه لكم و إن لم تحبوا تركها» «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (٤).

(و المبلية لأجسامكم) من بلى الثوب، قال العجاج:

و المرء يبليه بلاء السربال كز الليالي و اختلاف الأحوال

(٥) و في ديوان الأعشى:

بينما المرء كالرديني ذى الجبهه سواه مصلح الثقيف

أو إناء النصار لآحمه القين و دارى صدوعه بالكتيف

ردّه دهره المضلل حتى عاد من بعد مشيه للدليف

(٦) «و إن كنتم تحبون تجديدها» في (أمالي القالى): دعا مالك بن أسل بن خارجه جاريه له لتخضبه فقالت: كم أرفع خلقك؟ فقال:

غيرتنى خلقا أبلت جدته و هل رأيت جديدا لم يعد خلقا

(٧)

ص: ٤٣٧

١- ١) ذيل تاريخ الطبرى ٨: ٢٤.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد و الخطيبه كما ذكر، لكن في ابن ميثم فالعباره موجوده بخلاف ما ذكر انظر ٣: ٢ ح ٩٦.

٣- ٣) الطبعة المصريه: ٢٤٢.

٤- ٤) الجمعه: ٨. [١]

٥- ٥) لا يوجد في ديوان العجاج.

- ٦-٦) ديوان الأعشى: ١١١ في مدح بني المنذر.
- ٧-٧) ذيل الأملالي للبكري: ١١١ [٢] دار الآفاق الجديد لبنان-.

و فى (الطبرى): لَمَّا ثَقُلَ مَعَاوِيَةَ وَ حَدَّثَ النَّاسَ أَنَّهُ الْمَوْتُ قَالَ لِأَهْلِهِ:

(احشوا عيني أثمدا و أوسعوا رأسي دهنا) ففعلوا و برّقوا وجهه بالدهن، ثم مهّد له فجلس و قال: اسندونى، ثم قال: (ايذنوا للنّاس، فليسلموا قياما و لا يجلس أحدا) فجعل الرّجل يدخل فيسلم قائما فيراه مكتحلا مدهنا فيقول:

«يقول النّاس هو لما به، و هو أصحّ النّاس» فلَمَّا خرجوا من عنده قال:

و تجلدى للشّامتين أريهم انى لربّ الدهر لا أتضعضع

و إذا المتيه أنشبت أظفارها ألفت كلّ تميمه لا تنفع

و كان به النّفاثات، فمات من يومه ذلك (١).

«و إنّما مثلكم و مثلها كسفر سلخوا سبيلا فكأنّهم قد قطعوه» (سفر) جمع سافر: الخارج إلى السّفر كصاحب و صاحب .

«و أمّوا علما فكأنّهم قد بلغوه» قال ابن أبى الحديد: العلم: الجبل أو المنار فى الطريق يهتدى به (٢).

قلت: يتعيّن هنا الثّانى لعدم مناسبتة للأوّل .

«و كم عسى المجرى إلى الغايه أن يجرى إليها حتّى يبلغها» المجرى و يجرى من (أجريت الفرس). فى (الطبرى): كان عامل معاويه إذا أراد أن يبرد بريدا إلى معاويه نادى من له حاجه يكتب إليه فكتب زربن حبيش - أو أيمن بن خريم - كتابا لطيفا و رمى به فى الكتب:

إذا الرّجال ولّدت أولادها و اضطربت من كبر أعضادها

و جعلت أسقامها تعتادها فهى زروع قد دنت حصادها

ص: ٤٣٨

١ - ١) تاريخ الطبرى ٤: ٢٤٨. [١]

٢ - ٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٨٠. [٢]

فلما قرأ معاويه هذا الكتاب فى الكتب قال: نعى إلى نفسى (١).

«و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه» أى: يجاوزه و(ما عسى) هنا و(كم عسى) قبل، مثل (عسيتم) فى قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» (٢).

«و طالب حثيث يحدوه فى الدّنيا حتى يفارقها» الحدو: سوق الإبل و الغناء لها، هذا، و فى (ابن أبى الحديد): و طالب حثيث من الموت يحدوه، و مزعج فى الدّنيا عن الدّنيا حتى يفارقها رغما (٣).

«فلا تنافسوا فى عزّ الدّنيا و فخرها» التنافس: الرغبه .

«و لا تعجبوا بزینتها و نعيمها» أى: لا يكن منكم عجب بهما من (أعجب فلان برأيه).

«و لا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها» يقال (يوم بؤس) فى قبال (يوم نعم).

«فإنّ عزّها و فخرها إلى انقطاع» علّه لقوله: «فلا تنافسوا فى عزّ الدّنيا و فخرها» ، فى (الطبرى): لَمَّا كان المأمون بدمشق، ركب يريد جبل التّليج فمرّ ببركه عظيمه من برك بنى اميّه و على جوانبها أربع سرّوات، و كان الماء يدخلها سيحاً و يخرج منها، فاستحسن المأمون الموضوع فدعا ببزم آورد و رطل و ذكر بنى اميّه و تنقّصهم فأقبل العلويّه على العود و اندفع يغنى:

أولئك قومی بعد عزّ و ثروه تفانوا فان لا أذرف العين أكمدًا

فقال له المأمون: يا ابن الفاعله! لم يكن لك وقت تذكّر فيه مواليك إلاّ فى هذا الوقت؟ فقال: مولاكم زرياب عند موالى كان يركب فى مائه غلام، و أنا

ص: ٤٣٩

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٢٤٨. [١]

٢- ٢) محمد: ٢٢. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٨٠. [٣]

عندكم أموت من الجوع (١).

«وإن زينتها» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (و زينتها) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣).

«و نعيمها إلى زوال» علّه لقوله «و لا تعجبوا بزينتها و نعيمها»، في (تاريخ بغداد): لَمَّا غَضِبَ الرَّشِيدُ عَلَيَّ الْبِرَامِكَةَ أَصِيبَ فِي خَزَانِهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي جَزْءِ أَلْفِ دِينَارٍ، فِي كُلِّ دِينَارٍ مِائَةُ دِينَارٍ، عَلَيَّ أَحَدَ جَانِبِي كُلِّ دِينَارٍ.

و اصفر من ضرب دار الملوک يلوح على وجهه جعفر

يزيد على مائه واحدا متى تعطه معسرا يوسر

(٤) «و ضرائها و بؤسها إلى نفاذ» أي: فناء و آخر، علّه لقوله: «و لا تجزعوا من ضرائها و بؤسها» .

«و كل مدّه فيها إلى انتهاء و كلّ حىّ فيها إلى فناء» قال لبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل و كلّ نعيم لا محاله زائل

(٥) و في حديث الباقر عليه السلام مع جابر (فانزل الدنيا كمنزل نزلت فيه، ثم ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت و ليس معك منه شيء و أنّها عند أهل اللبّ كفىء الظلال) (٦). و من كلام أبي ذر: (يا مبتغى العلم لا يشغلك أهل و لا مال عن نفسك فأنت يوم تفارقهم كضيف بتّ فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم، و الدنيا و الآخرة كمنزل تحوّلت عنه إلى غيره و ما بين

ص: ٤٤٠

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٢١٦:٧. [١]

٢-٢ (٢) المصريه: ٢٤٣.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ٧:٨٠ و [٢] الخطيبه ٧٩ كما ذكر و شرح ابن ميثم ٣:٢. [٣]

٤-٤ (٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧:١٥٦. [٤]

٥-٥ (٥) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٥:٢٧٣ [٥] أصدق بيت قالته العرب).

٦-٦ (٦) الكافي ٣:٢٠٠ ح ١٦. [٦]

الموت و البعث إلا كنومه نمتها ثم استيقظت عنها (١).

«أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر» هكذا في (المصريه) (٢) و ليس في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) كلمه (٣): «مزدجر».

«و في آباءكم الأولين تبصره و معتبر» هكذا في (المصريه) (٤) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥): «الماضين» بدل «الأولين».

«إن كنتم تعقلون» و لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٦).

«أو لم تروا إلى الماضين منكم لا- يرجعون و إلى الخلف الباقيين» هكذا في (المصريه) (٧) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٨): «الباقي».

«لا ييقون» قد عرفت أن الفقيه رواه «لا يقفون» و هو أحسن .

«أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون و يمسون على أحوال شتى» هكذا في (المصريه) بتقديم «يصبحون» على «يمسون» (٩) و في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١٠) بالعكس .

«فميت يبكي و آخر يعزى» أي: يسلى .

«و صريع مبتلى» الصريع: يقال للقتيل، و المريض الشديد، و المراد هنا الثاني، و الأصل فيه غصن تهدل و سقط إلى الأرض.

ص: ٤٤١

١- (١) الكافي للكلينى ٣:٢٠١ ح ١٨. [١]

٢- (٢) المصريه: ٢٤٣.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ٧:٨٠، [٢] شرح ابن ميثم كالمصريه ٣:٢.

٤- (٤) المصريه بلفظ «الماضين»: ٢٤٣.

٥- (٥) شرح ابن أبي الحديد ٧:٨٠، و [٣] شرح ابن ميثم ٣:٢، و [٤] الخطيبه: ٧٩.

٦- (٦) القمر: ٤. [٥]

٧- (٧) المصريه: ٢٤٣.

٨- (٨) شرح ابن ميثم كالمصريه ٣:٢.

٩- (٩) شرح ابن ميثم كالمصريه ٣:٢.

١٠- (١٠) المصريه: ٢٤٣، و شرح ابن ميثم كالمصريه ٣:٣.

«و عائد يعود و آخر بنفسه وجود» روى (العيون) عن يحيى بن محمد بن جعفر قال مرض أبى مرضا شديدا فاتاه الرضا عليه السلام يعوده، و عمى إسحاق جالس يبكى قد جزع عليه جزعا شديدا، فالتفت الرضا عليه السلام إلى و قال: ممّا يبكى عمك؟ قلت: يخاف عليه ما ترى، فقال: لا تغتمن فإنّ إسحاق سيموت قبله، فبرىء أبى محمد، و مات عمى إسحاق (١).

«و طالب الدنيا و الموت يطلبه، و غافل و ليس بمغفول عنه» فى (الكافى) عن جابر: سألت الباقر عليه السلام عن لحظه ملك الموت فقال: أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعتر بهم السكته لا يتكلّم أحد منهم، تلك لحظه يلحظهم ملك الموت (٢).

«و على أثر الماضى ما يمضى الباقي» قال ابن أبى الحديد: ما زائده أو مصدرية و قد أخذ هذا اللفظ الوليد بن يزيد حين مات عمه مسلمه، و اجتمع بنو اميه فى جنازته فوقف على هشام، و قال: إنّ عقبى من بقى لحوق من مضى، و قد أففر بعد مسلمه الصّيد لمن رمى، و اختلّ الثغر فوهى، و ارتجّ الطود فهوى، و على أثر من سلف ما يمضى من خلف.

قلت: بل مصدرية معينا أى: على أثر الماضى الباقي و مثله كلام الوليد (٣).

«ألا فاذكروا هادم اللذات و منغص الشهوات» أى: مكدرها، قال الشاعر:

لا أرى الموت يشبه الموت شىء نغص الموت ذا الغنى و الفقيرا

(٤) «و قاطع الامنيات» كلّها أوصاف الموت، فهو هادم و منغص و قاطع.

«عند المساورة» أى: موآبه النفس.

ص: ٤٤٢

١-١ (١) عيون أخبار الرضا للصدوق: ٢٠٦ ح ٧. [١]

٢-٢ (٢) الكافى ٣: ٢٥٩ ح ٢١. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٨١. [٣]

٤-٤ (٤) لسان العرب ١٤: ٢١٩ [٤] لعدى بن زيد.

«للأعمال القبيحة» لكون ذكره مانعا عن المساورة .

«و استعينوا الله على أداء واجب حقه» فى الخبر: حَقَّ اللهُ الأَكْبَرُ عَلَيْكَ، أَنْ تَعْبُدَهُ بِإِخْلَاصٍ، فَيَكْفِيكَ أَمْرَ دُنْيَاكَ وَ آخِرَتِكَ (١).

«و ما لا يحصى من أعداد نعمه و إحسانه» فى (المناقب): قرأ أبى عند النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَ أَشْبَحَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» (٢) فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِقَوْمٍ عِنْدَهُ وَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ عُثْمَانُ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: قُولُوا الْآنَ: مَا أَوَّلَ نِعْمَةٍ خَصَّ بِكُمْ اللهُ بِهَا وَ أَبْلَاكُمْ بِهَا، فَخَاضُوا فِى الْمَعَاشِ، وَ الزِّيَاشِ، وَ الذَّرِيَّةِ، وَ الأَزْوَاجِ، فَلَمَّا أَمْسَكُوا، قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُلْ يَا أَبَا الْحَسَنِ:

فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَ لَمْ أَكْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَ أَنْ أَحْسَنَ بِي فَجَعَلَنِي حَيًّا لَّا - مَوَاتًا، وَ أَنْ أَنْشَأَنِي فِى أَحْسَنِ صُورِهِ وَ أَعْدَلَ تَرْكِيبِهِ، وَ أَنْ جَعَلَنِي مُتَفَكِّرًا وَاعِيًا لَّا - أَبْلَهُ سَاهِيًا، وَ أَنْ جَعَلَ لِي شَوَاعِرَ أَدْرَكَ بِهَا مَا ابْتَغَيْتَ وَ جَعَلَ لِي سِرَاجًا مُنِيرًا، وَ أَنْ هَدَانِي لِدِينِهِ وَ لَمْ يَضِلَّنِي عَنْ سَبِيلِهِ، وَ أَنْ جَعَلَ لِي مَرْدًا فِى حَيَاةٍ لَّا انْقِطَاعَ لَهَا، وَ أَنْ جَعَلَ لِي مَالًا لَّا مَمْلُوكًا، وَ أَنْ سَخَّرَ لِي سَمَاءَهُ وَ أَرْضَهُ وَ مَا فِيهِمَا وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ خَلْقِهِ، وَ أَنْ جَعَلْنَا ذِكْرَانَا قَوَّامًا عَلَى حِلَائِلِنَا لَّا إِنْثَاءَ، وَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِى كُلِّ كَلِمَةٍ: (صَدَقْتَ) ثُمَّ قَالَ لَهُ: فَمَا بَعْدَ هَذَا؟ فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَ إِنْ تَعِيدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَّا - تُحْصُوهَا» (٣) فَتَبَسَّسَ وَ قَالَ: (لِيَهْنِكَ الْحِكْمَةُ، لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ، يَا أَبَا الْحَسَنِ! أَنْتَ وَارِثُ عِلْمِي وَ الْمَبِينُ لِأُمَّتِي مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ بَعْدِي) (٤).

ص: ٤٤٣

١- ١) وسائل الشيعة للعامل ١٣٢: ١١ ح ٣. [١]

٢- ٢) لقمان: ٢٠. [٢]

٣- ٣) إبراهيم: ٣٤. [٣]

٤- ٤) مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ١٧٧: ٢. [٤]

و من خطبه له عليه السلام:

انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها - الصادقين عنها - فإنها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن - وتفجع المترف الأمين - لا يزجج ما تولى منها فأدبر - ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر سيرورها مشوب بالحزن - وجمد الرجال فيها إلى الضعف والوهن - فلا تغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها - لقله ما يصحبكم منها - رحم الله امرأ تفكر فاعتبر - واعتبر فأبصر - فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن - وكان ما هو كائن من الآخرة - عما قليل لم يزل - وكل معدود منقض - وكل متوقع آت - وكل آت قريب دان «انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها» [لكنيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم] (١).

«الصادقين عنها» أي: المعرضين عنها، وفي (غايه السؤل): رأى أمير المؤمنين عليه السلام جابر الأنصاري وقد تنفس الصعداء فقال عليه السلام له: علام تنفسك، أعلى الدنيا؟ فقال: نعم، فقال له: يا جابر! ملاذ الدنيا سبعة: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، والمركوب، والمشموم، والمسموع، فألذ المأكولات العسل وهو بصق من ذبابه، وأعلى المشروبات الماء وكفى بإباحته و سياحته على وجه الأرض، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دوده، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال في مبال و مثال لمثال، وإنما يراد أحسن ما في المرأة لأقبح ما فيها، وأعلى المركوبات الخيل وهي قواتل، وأجل

ص: ٤٤٤

المشمومات المسك و هو دم من سرّه دابّه، و أجلّ المسموعات الغناء و الترنّم و هو إثم، فما هذه صفته لا ينفّس عليه عاقل! قال جابر: فو الله! ما خطرت الدنيا على قلبى (١)، و فى (الكافى) عن النبى صلّى الله عليه و آله مرّ بجدى اسكّ - أى: مقطوع الاذنين - ملقى على مزبله ميتا فقال لأصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعلّه لو كان حيّا لم يساو درهما، فقال النبى صلّى الله عليه و آله: و الذى نفسى بيده! إنّ الدّنيا أهون على الله تعالى من هذا الجدى على أهله (٢).

«فأنّها و الله عمّا قليل تزيل الثاوى الساكن» أى: المقيم المطمئن .

«و تفجع المترف الآمن» أى: توجّع المتعوّد باللذائد و المشتبهات. و فى (وزراء الجهشياري) عن مسرور خادم الرّشيد دخلت على جعفر البرمكىّ فى الليله التى قتله فيها، و بين يديه أبو زكار الأعمى المغنّى و هو يغنّى:

عدانى أن أزورك غير بغض مقامك بين مصفحه شداد

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت له: اللّذى جئت له و الله من ذاك، قد و الله طرقتك، فأجب الخليفه قال:

فدعنى حتّى أوصى، فتركته حتّى أوصى بما أراد و أتتني رسل الرشيد تستحثّنى لحمله، إلى أن قال: فأخذ رأسه فى بريكه قبائه و ألقاه بين يدى الرشيد و حملت جثته و القيد فى رجليه. قال سلام الأبرش: فدخلت على أبيه فى ذاك الوقت، و قد هتكت السّتور، و جمعت المتاع فقال لى: هكذا تقوم الساعه (٣)! و حبس الفضل و محمّد و موسى بنو يحيى، و وكلّ سلام الأبرش بباب يحيى، و قطعت جثّه جعفر بنصفين، صلبا على الجسرين، و نصب رأسه.

ص: ٤٤٥

١ - ١) لم نعثر على كتاب بهذا العنوان لعلّه المقصود هو مطالب السّؤل لأبى طلحه الشافعى حيث ورد ما ذكره العلامه التستري

رضى الله عنه: ٥٦ عن مطالب السّؤل. [١]

٢ - ٢) الكافى ١٩٦: ٣ ح ٩. [٢]

٣ - ٣) الكتّاب و الوزراء للجهشياري: ٢٥٣. [٣]

«لا يرجع منها ما تولّى و أدبر» كما لا يرجع أمس .

«و لا يدري ما هو آت فينتظر» فلعلّ الأجل لم يمهلّه و لعلّ الفرصه لم تساعده .

«سرورها مشوب بالحزن» فلم ير فيها سرور لم يحصل فيه أسباب حزن .

«و جلد الرجال فيها إلى الضعف و الوهن» الجلد: إظهار الصلابه و القوّه .

«فلا تغرّنكم كثره ما يعجبكم فيها لقلّه ما يصحبكم منها» فمن ألبستها الكفن و من أملاكها اللحد .

«رحم الله امرأ تفكّر فاعتبر» في (الكافي) عنه عليه السلام: تبه بالتفكّر قلبك، و جاف عن الليل جنبك و اتق الله ربك، و عنه عليه السلام: التفكّر يدعو إلى البرّ (١).

«و اعتبر فابصر في (الكافي): سئل الصادق عليه السلام عمّا يروى أنّ (تفكّر ساعه خير من قيام ليله) كيف يتفكّر؟ قال يمرّ بالخربه أو الدار فيقول: أين ساكنوك؟ أين بانوك؟ مالك لا تتكلمين؟ (٢).

«و كأنّ ما هو كائن من الدّنيا عن قليل لم يكن، و كأنّ ما هو كائن من الآخره عمّا قليل لم يزد» هو نظير قوله الآخر: «و كأنّ الدّنيا لم تكن لهم دارا و كأنّ الآخره لم تزل لهم قرارا».

«و كلّ معدود منقض» بالكسر من الانقضاء .

«و كلّ متوقّع آت و كلّ آت قريب دان» من الدّنو قال ابن أبي الحديد: هذا مثل قول قسّ بن ساعده: مالى أرى الناس يذهبون ثمّ لا يرجعون أرضوا فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ أقسم قسّ قسما أنّ فى السماء لخبرا، و أنّ فى الأرض لعبرا، سقف مرفوع، و مهاد موضوع، و نجوم تمور، و بحار لا تغور، اسمعوا أيها

ص: ٤٤٦

١-١) الكافي ٣:٩١ ح ١. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ح ٣:٩١. ٢. [٢]

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

خطبه: إنَّ امرأ لم يكن منها في فرحه إلاّ- أعقبته بعدها ترحه، و لم يلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من سرّائها ظهرا، و لم تظّله فيها غيابه رخاء إلاّ هبّت عليه مزنه بلاء...» (١)، و لا يبعد أن يكون (هبت) فيه مصحّف «هنتت» كما لا يخفى .

«و حرّى إذا أصبحت له منتصره أن تمسى له متنكره» قال الرضى رضى الله عنه فى قصيدته التى يصف فيها القبض على الطائع العباسى:

من بعد ما كان ربّ الملك مبتسما إلى ادنيه فى النجوى و يدنينى

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العزّ و الهون

و منظر كان بالشّراء يضحكنى يا قرب ما عاد بالصّراء يبكينى

(٢) و(حرى) فى كلامه عليه السلام- بالفتح- ففى (الصّحاح): «هو حرى أن يفعل» -بالفتح- أى: خلى و جدير لا- يثنى و لا يجمع، أنشد الكسائى:

و هنّ حرى ان لا يثبّتك نقره

(٣).

فقول ابن أبى الحديد: «لم يقل عليه السلام حريه مع أنه يخبر عن الدنيا لأنه أراد الشان» فى غير محلّه، و لعلّه جعله على فعيل أو فعل (بالكسر) (٤).

«و إن جانب منها اعذوذ و احلولى» فى (النهايه) (و فى كلام علىّ عليه السلام اعذوذ جانب منها و احلولى) هما (افعول) من العذوبه و الحلاوه، و هو من أبنيه المبالغه).

و من الغريب خلّو باقى كتب اللّغه من (اعذوذ) كخلّو كثير منها

ص: ٤٥٥

١-١ (الصناعتين لأبى هلال العسكري: ٣٠٦).

٢-٢ ديوان الرضى ٤٤٦:٢-٤٤٧.

٣-٣ (الصحاح: [١] حرا).

٤-٤ شرح ابن أبى الحديد ٢٢٧:٧. [٢]

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

برای مشاهده متن کتاب می بایست عضو سایت شوید و چنانچه عضو هستید از اینجا وارد شوید

لمشاهده محتویات کتاب علیک أن تسجل عضواً فی الموقع وإن كنت عضواً فیه ادخل من هنا

To view the book text you must Sign up first. If you are a member , Sign in here

إن كنت لا تقدر علی شراء الاشتراك عبر PayPal أو بطاقة VISA، الرجاء ارسال رقم هاتفك المحمول إلى مدير الموقع عبر
[webmaster@noorlib.ir] [۱]

If you fail to purchase subscription via PayPal or VISA Card, please send your mobile
[number to the Website Administrator via webmaster@noorlib.ir] [۲]

ص:

«الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»
(١).

و في (الطبري): هتف بالمنصور هاتف من قصره بالمدينه، فسمعه يقول:

أما و ربّ السّكون و الحرك انّ المنايا كثيره الشّرك
عليك يا نفس ان اسأت و ان أحسنت بالقصد كلّ ذاك لك
ما اختلف الليل و النهار و لا دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل السلطان عن ملك إذا انقضى ملكه إلى ملك
حتّى يصيرا به إلى ملك ما عزّ سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء و الأرض و المرسى الجبال المسخّر الفلك
فقال هذا و الله أو ان أجلى! (٢).

و فيه: وجد المعتصم في علته التي توفى فيها افاقه فقال: هيئو الى الزلال لأركب غدا فركب، و ركب معه ز نام الزّامر، فمرّ في دجله
بأزاء منزله، فقال يا زّنام أزمر لى:

يا منزلا لم تبيل اطلاله حاشى لا طلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكنتى بكيت عيشى فيك إذ ولى
و العيش أولى ما بكاه الفتى لابدّ للمخزون أن يسلى

قال زّنام: فما زلت أزمر هذا الصوت، حتّى دعا برطليته فشرب منها قدحا و جعلت أزمره، و اكرّره، و قد تناول مندبلا بين يديه فما
زال يبكى

ص: ٤٦٠

١- ١) آل عمران: ٢٦. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٦: ٣٤٦. [٢]

و يمسح دموعه فيه و ينتحب حتى رجع إلى منزله و لم يستتمّ شرب الرّطّليه ! (١) «و عيشها رنق» أي: كدر .

«و عذبها اجاج» أي: ماؤها الطيب ملح مرّ .

«و حلوها صبر» بكسر الباء: دواء مرّ .

«و غذاؤها سمّام» جمع سمّ .

«و أسبابها رمام» أي: حبالها حبال باليه .

«حيّتها بعرض موت» عنه عليه السلام: لكلّ ذى رفق قوت، و لكلّ حبه آكل، و أنت قوت الموت (٢).

«و صحيحها بعرض سقم» و زاد (التحفة) (٣) و (الغايه) (٤): «و منيعها بعرض اهتضام».

في (الطبرى): قال سعيد العلاف: دخلت على المأمون لما كان ببلاد الروم، فوجدته جالسا على شاطئ البدندون، و المعتصم جالس عن يمينه و هما مدليان أرجلهما فى الماء، و قال: أدل رجليك فى هذا الماء و ذقه، فهل رأيت قطّ أشدّ بردا و أعذب و أصفى منه، ففعلت، و قلت: ما رأيت مثله قطّ فقال:

أى شىء يطيب أن يؤكل ثم يشرب هذا الماء عليه؟ فقلت: أنت أعلم، فقال: رطب الآزاد، فبينما هو يقول إذ سمع وقع لجم البريد، فالتفت فإذا بغال من بغال البريد على اعجازها حقاب فيها الألفاف، فقال لخدام له: اذهب فانظر هل فى هذه الألفاف رطب فانظر فان كان آزاد فأت به؟ فجاء يسعى بسلتين فيهما رطب آزاد كأنما جنى من النخل فى تلك الساعة! فكشّر تعجبنا منه، فقال: الآن فكل،

ص: ٤٦١

١-١ (١) المصدر نفسه ٣١٤: ٧. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ٢٣: ٨ ح ٤. [٢]

٣-٣ (٣) تحفة العقول: ١٨١.

٤-٤ (٤) مطالب السؤل: ٥٠.

فأكل هو و المعتصم و أكلت، و شربنا جميعا من ذلك الماء فما قام منا أحد إلا و هو محموم فكانت ميتة المأمون من تلك العلة، و لم يزل المعتصم عليلا حتى دخل العراق و لم أزل عليلا حتى كان قريبا (١).

«و ملكها مسلوب و عزيزها مغلوب» في (تاريخ بغداد): لما احتضر الواثق، جعل يرّد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشترك لا سوقه بينهم يبقى و لا ملك

ما ضرّ أهل قليل في تنافرهم و ليس يغنى عن الأملاك ما ملكوا

(٢) ثم أمر بالبسط فطويت، و الصق خده بالأرض و جعل يقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه .

«و موفورها منكوب» في (الصحاح): النكبه: واحد من نكبات الدهر (٣).

«و جارها محروب» زاد (التحفة): «و من وراء ذلك سكرات الموت، و زفراته، و هول المطلع، و الوقوف بين يدي الحاكم العدل» (٤)، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسَيْنِ» (٥)، و المحروب من سلب ماله، و قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (٦).

«ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا» في (غيبه الشيخ): روى من ذكر أخبار العرب: أن لقمان بن عاد كان أطول الناس عمرا عاش ثلاثه آلاف

ص: ٤٦٢

١- (١) تاريخ الطبري ٢٠٧: ٦. [١]

٢- (٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٩: ١٤. [٢]

٣- (٣) الصحاح: (نكب).

٤- (٤) تحفة العقول: ١٨١.

٥- (٥) النجم: ٣١. [٣]

٦- (٦) العنكبوت: ٤١. [٤]

و خمسمائه سنه و يقال عاش عمر سبعة أنسر، و كان يأخذ فرخ النسر الذكر، فيجعله فى الجبل، فيعيش النسر ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فرباه حتى كان آخرها (لبد) و كان أطولها عمرا فقيل: «طال العمر على لبد» و فيه يقول الأعشى:

لنفسك إذ تختار سبعة أنسر إذا ما مضى نسر خلدت إلى نسر

فعمّر حتى خال أنّ نسوره خلود و هل تبقى النفوس على الدهر

و قال لأدناهنّ إذ حلّ ريشه هلكت و أهلكت ابن عاد و ما تدرى

(١) و من المعمرين ربيع بن ضبيح الفزارى عاش ثلاثمائة و أربعين سنة (٢)، و منهم المستوغر عاش ثلاثمائة و ثلاثين سنة (٣)، و عاش أكتم بن صيفى الأسدى ثلاثمائة و ثلاثين سنة أدرك النبى صلى الله عليه و آله و آمن به و مات قبل أن يلقاه (٤)، و له أخبار كثيرة، و حكم و أمثال، و عاش أبوه مائتين و سبعين سنة لا ينكر من عقله شىء، و هو المعروف بذى الحلم الذى قال فيه المتلمس:

لذى الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا و ما علم الإنسان إلا ليعلما

و عاش ضبيره بن سعيد مائتين و عشرين سنة و لم يشب، أدرك الإسلام و لم يسلم (٥). و عاش دريد بن الصّمّه مائتى سنة أدرك الإسلام و لم يسلم، كان أحد قواد المشركين يوم حنين فقتل يومئذ (٦)، و عاش محصن بن

ص: ٤٤٣

١-١) ذكر فى (المعمرون و الوصايا): ٤-٥.

٢-٢) ذكر فى (المعمرون و الوصايا): ٨-٩.

٣-٣) ذكر فى (المعمرون و الوصايا): ١٤.

٤-٤) ذكر فى [المعمرون و الوصايا]: ١٤-١٥.

٥-٥) ذكر فى (المعمرون و الوصايا): ٢٥.

٦-٦) ذكر فى (المعمرون و الوصايا): ٢٧.

عتبان الزبيدي (٢٥٦) سنة (١)، وعاش عمرو بن حممه الدوسي أربعمائه سنة (٢)، وهو الذي يقول:

كبرت و طال العمر حتّى كأننى سليم افاع ليله غير مودع

فما الموت أفنانى و لكن تتابعت علىّ سنون من مصيف و مربع

ثلاث مائه قد مررن كواملا وها أنا هذا أرتجى منه أربع

و عاش الحارث بن مضاض الجرهمى أربعمائه سنة و هو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكّه سامر

بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر

(٣) وعاش عبد المسيح الغساني (٣٥٠) سنة كان نصرانيا أدرك الإسلام و لم يسلم (٤)، وخبره مع خالد بن الوليد لما نزل الحيره معروف، قال له خالد:

ما أدركت؟ قال: أدركت سفن البحر ترقا إلينا فى هذا الجرف، ورأيت المرأه من أهل الحيره تضع مكتلها على رأسها لا تزود إلا رغيفا واحدا حتّى تأتى الشام و قد أصبحت خرابا و ذلك دأب الله فى العباد و البلاد، و من قوله:

الناس أبناء علات لمن علموا ان قد أقلّ فمجفوّ و محقور

و هم بنون لآم ان رأو نشبا فذاك بالغيب محفوظ و محصور

و عاش ذو الأصبغ العدواني (٣٠٠) سنة و هو أحد حكام العرب فى الجاهليه (٥)، و أخباره و أشعاره و حكمه معروفه، و عاش زهير بن الحباب

ص: ٤٦٤

١-١) ذكر فى (المعمّرون و الوصايا): ٢٦.

٢-٢) ذكر فى (المعمّرون و الوصايا): ٥٨.

٣-٣) ذكر فى (المعمّرون و الوصايا): ٨.

٤-٤) ذكر فى (المعمّرون و الوصايا): ٤٧.

٥-٥) ذكر فى (المعمّرون و الوصايا): ١١٣.

الحميري (٤٢٠) سنة (١) وواقع مائتي وقعه، و كان سيّدا مطاعا عاش شريفا في قومه و يقال كان فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه، كان سيّد قومه، و خطيبهم، و شاعرهم، و وافدهم إلى الملوك، و طيبهم، و فارسهم، و له البيت فيهم، و العدد منهم، و أوصى إلى بنيه فقال: إنّي كبرت سنّي و بلغت خرسا من دهرى، فاحكمتنى التجارب، فاحفظوا عني ما أقول، إياكم و الخور عند المصائب و التواكل عند النوائب! فإنّ ذلك داعيه الغمّ، و شماته العدو، و سوء الظنّ بالرّبّ، و إياكم أن تكونوا بالأحداث مغترّين، و لها آمنين، و منها ساخرين، فإنّه ما سخر قوم قط إلاّ ابتلوا، و لكن توقّعوها فإنّ الإنسان غرض تعاوره الرّماه، فمقصر دونه، و مجاوز موضعه، و واقع عن يمينه و شماله، ثمّ لا بدّ أن يصيبه (٢)، و عاش رويد بن زيد القضاعى (٤٥٦) سنة و من قوله:

ألقي على الدهر رجلا ويدا و الدهر ما أصلح يوما أفسدا

يفسد ما أصلحه اليوم غدا

و من المعمرين: يعرب بن قحطان أبو اليمن كلّها، و أوّل من تكلم بالعربيّة على ما ذكره أبو الحسن النسابة الأصفهاني في كتابه الفرع و الشجر (٣). و من المعمرين: عمرو بن عامر مزيقيا روى عن شرقى بن قطامى أنّه عاش (٨٠٠) سنة (٤٠٠) سنة سوقه و (٤٠٠) سنة ملكا، و كان في سنّي ملكه يلبس في كلّ يوم حلّتين، فإذا كان بالعشيّ مرّقت الحلّتان عنه لثلا يلبسهما غيره، فسمّى مزيقيا و قيل: إنّما سمّى بذلك لأنّ على عهده تمزّقت الأزدد، فصاروا إلى أقطار الأرض و كان ملك سبأ، فحدّثته الكهّان بأنّ الله

ص: ٤٦٥

١- ١) ذكر في (المعمّرون و الوصايا) بعنوان زهير بن الجناح: ٣١.

٢- ٢) المعمّرون و الوصايا: ٣١.

٣- ٣) ذكره المجلسى في البحار ٥١: ٢٩٠. [١]

يهلكها بالسَّيْل العرم، فاحتال حتَّى باع ضياعه و خرج فى من أطاعه من أولاده و أهله قبل سيل العرم و منه انتشرت الأزْد كلَّها و الأنصار كلَّها من ولده.

و من المعمرين: جلهمه بن أدد، و إليه ينسب طيُّ كلَّها، و كان له ابن أخ يقال له يحابر بن مالك، و كان قد أتى على كلِّ واحد منهما خمسائه سنه، وقع بينهما ملاحاه بسبب مرعى، فخاف جلهمه هلاكك عشيرته، فرحل عنه و طوى المنازل فسَمَّى طيًّا و هو صاحب أجا، و سلمى -جليلين بطيِّ-.

و من المعمرين: عمرو بن لحي (١) كان رئيس خزاعه فى حربها مع جرهم، و هو الذى سنَّ السَّيَّابيه و الوصيله و الحمام و نقل صنمى (هبل) و (مناه) من الشام إلى مكَّه فسَلَّم (هبل) إلى خزيمه بن مدركه فقييل: هبل خزيمه، و صعَّد على أبى قبيس و وضع مناه بالمشلل و كان يلي من أمر الكعبه ما كان يليه جرهم قبله حتَّى هلك و هو ابن (٣٤٥) سنه و بلغ ولده و أعقابهم ألف مقاتل فى ما يذكرون.

و عن النبى صلَّى الله عليه و آله: «رفعت لى النَّار فرأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه فى النار فقلت: من هذا؟ قيل عمرو بن لحي» (٢). هذا طرق من أخبار معمرى العرب، و استيفأؤه فى الكتب المصنَّفه فى.

هذا المعنى. و أمّا الفرس فأنَّها تزعم أنَّ فى ما تقدّم من ملوكها جماعه طالت أعمارهم، فيروون أنَّ الضحاك صاحب الحيتين عاش ألفا و مائتى سنه، و أفريدون العادل عاش فوق ألف سنه (٣)، و يقولون: إنَّ الملك المذى أحدث المهرجان عاش ألفين و خمسمائه سنه (٤)....

ص: ٤٦٦

١-١) المعمرّون و الوصايا: ٤٤-٤٥.

٢-٢) كنز العمال ١٢: ٨١ رقم ٣٤٠٨٨.

٣-٣) تاريخ الطبرى ١: ١٣٨.

٤-٤) الغيبه للطوسى: ١١٤-١٢٥ بشكل متقطع.

هذا، وقوله عليه السلام: «من كان قبلكم أطول أعماراً» خير كان «قبلكم» لا «أطول» كما توهمه ابن أبي الحديد، وإنما هو حال .

«و أبقى آثاراً» الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «أ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ» (١). وقال تعالى فى قارون مع إيتائه من الكنوز: «ما إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ» (٢)، «أ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً» (٣).

و قال الأسود النهشلى:

ما ذا تؤمّل بعد آل محرّق تركوا منازلهم، و بعد ايام

أهل الخورنق و السدير و بارق و القصر ذى الشرفات من سندان

كانوا بانقره يفيض عليهم ماء الفرات يخزّ من أطواد

جرت الرّياح على رسوم ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعاد

فإذا التّعيم و كلّ ما يلهى به يوما يصير إلى بلى و نفاد (٤)

و فى (مروج المسعودى): كان عبد العزيز عاملاً - لأخيه عبد الملك على مصر فأتاه رجل متنصّح فقال له: بالقبّه الفلانيه كنز عظيم، قال عبد العزيز:

و ما مصداق ذلك؟ قال: هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر و الرخام عند يسير من الحفر، ثمّ ينتهى بنا الحفر إلى قلع باب من الصفر تحت عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا و جناحاه مضرّجان بالياقوت

ص: ٤٦٧

١-١ (١) غافر: ٢١. [١]

٢-٢ (٢) القصص: ٧٦. [٢]

٣-٣ (٣) القصص: ٧٨. [٣]

٤-٤ (٤) العقد الفريد ٣: ٢٨٩، و [٤] الأغاني ١٦: ١٣-١٧. [٥]

و الزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود، فأمر له عبد العزيز بنفقه ألوف من الدنانير لأجره من يحفر من الرجال في ذلك، و يعمل فيه، و كان هناك تلّ عظيم فاحتفروا حفره عظيمه في الأرض و الدلائل المقدم ذكرها من الرّخام و المرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك، و أوسع في النفقه و أكثر من الرجال فانتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت و شدّه نوره و لمعان ضيائه، ثم بان جناحه ثم بانت قوائمه، و ظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع من الأحجار و الرّخام و قناطر مقنطره، و طاقات على أبوابه معقوده، و لاحت منها تماثيل و صور أشخاص من أنواع الصور و الذهب و أجر به من الأحجار، قد أطبقت عليها أغطيتها و سبكت، و قيّد ذلك بأعمده الذهب، فركب عبد العزيز حتّى أشرف على الموضع فنظر إلى ما ظهر من ذلك، فأسرع بعضهم فوضع قدمه على درجه منسكبه من نحاس تنتهي إلى ما هنالك فلمّا استقرت قدمه على المرقاه الرابعه، ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجه و شمالها، فالتفا على الرجل فلم يدرك حتّى جزّاه قطعا و هوى جسمه سفلا، فلمّا استقرّ جسمه على بعض الدّرج اهتزّ العمود، و صفّر الديك تصفيرا عجيبا سمعه من كان بالبعد من هنالك، و حرّك جناحه فظهرت من تحته أصوات عجيبه، قد عملت بالكواكب و الحركات إذا ما وقع على بعض تلك الدّرج شيء أو ما سيها، تهافت من هنالك من الرجال إلى أسفل تلك الحفيره، و كان فيها مّمن يحفر و يعمل و ينقل التراب و يبصر و يتحرّك و يأمر و ينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز، و قال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النّيل نعوذ بالله منه و أمر جماعه من الناس، فطرحوا ما أخرج من هناك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم.

وقد كان جماعه مَمِينِنَ أغرى بحفر الحفائر، و طلب الكنوز، و ذخائر الملوك المستودعه، و وقع إليهم كتاب ببعض الأقلام السالفه، فيه وصف موضع ببلاط على أذرع من الأهرام بأن فيه مطلباً عجيباً، فأخبروا الأخشيد محمد بن طغج بذلك فأذن لهم في حفره، و أباحهم استعمال الحيله في إخراجهم فحفروا حفراً عظيماً إلى أن انتهوا إلى ازج و أقباء و حجاره مجوّفه، في صخر منقور، فيه تماثيل قائمه على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالأطليه المانع من سرعه البلى و تفرّق الأجزاء، و الصور مختلفه منها صوره شيوخ و شبّان و نساء و أطفال، أعينهم من أنواع الجواهر، كالياقوت، و الزمرد، و الفيروزج، و الزبرجد، و منها ما وجوها ذهب و فضّه، فكسروا بعض تلك التماثيل فوجدوا في أجوافها رمماً باليه و أجساماً باليه، و إلى جانب كلّ تمثال منها نوع من الأبنيه كالبرابي و غيرها من الآلات من المرمر و الرخام و فيه نوع من الطلاء الذي قد طلى منه ذلك الميّت، الموضوع في تمثال الخشب، و ما بقي من الطلاء متروك في ذلك الاناء، و الطلاء دواء مسحوق و أخلاط معموله لا رائحه لها، فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبه مختلفه لا تعرف في نوع من أنواع الطيب، و قد جعل كلّ تمثال من الخشب على صوره ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم و مقادير أعمارهم و تباين صورهم، و بإزاء كلّ تمثال منها تمثال من الحجر المرمر أو الرخام الاخفّه على هيئه الصيّم حسب عبادتهم للتماثيل و الصور عليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد، و كان ذلك في سنه (٣٢٨) و قد كان لمن سلف و خلف من ولاة مصر إلى أحمد بن طولون و غيره إلى هذا الوقت، و هو سنه (٣٣٢) أخبار عجيبه في ما استخراج في أيّامهم من الدفائن و الأموال و الجواهر و ما أصيب في هذه المطالب من القبور و الخزائن، و طول الأهرام عظيم و بنيانها عجيب عليها،

أنواع من الكتابات بأقلام الامم السالفه،و الممالك الداثره،لا يدري ما تلك الكتابه و لا ما المراد بها،وقد قال:من عنى بتقدير ذرعها أنّ مقدار ارتفاع ذهابها في الجوّ نحو من أربعمائه ذراع،أو أكثر،و كلّما علا- به الصّعداء دقّ ذلك،و أنّ من تلك الكتابه:إنّا بيناها فمن يدعى موازاتنا في الملك،و بلوغنا في القدره،و انتهاءنا من السلطان،فليهدمها و ليزل رسمها،فإنّ الهدم أيسر من البناء،و التفريق أيسر من التّأليف،وقد ذكر أنّ بعض ملوك الإسلام شرع في هدم بعضها فإذا خراج مصر و غيرها لا يفى بقلعها و هي من الحجر و الرّخام (١).

و في (الطبري): (خطّ خالد بن برمك مدينة المنصور له،و أشار بها عليه فلمّا احتاج إلى الإنقاض قال له: ما ترى في نقض بناء مدينة أيوان كسرى بالمدائن و حمل نقضه إلى مدينتي هذه؟قال: لا أرى ذلك.قال: و لم؟قال لأنّه علم من علم الإسلام يستدلّ به التّماظر إليه على أنّه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا و إنّما هو على أمر دين و مع هذا فإنّ فيه مصلى على بن أبي طالب عليه السلام قال: هيهات يا خالد! أبيت إلاّ- الميل بأصحابك العجم،و أمر أن ينقض القصر الأبيض فنقضت ناحيه منه،و حمل نقضه،فنظر في مقدار ما يلزمهم النقص و الحمل،فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عمل،فرفع ذلك إلى المنصور فدعا بخالد فأعلمه ما يلزمه،في نقضه و حمله و قال له: ما ترى؟ قال: قد كنت أرى قبل ألاّ تفعل،فأما إذ فعلت فأنّى أرى أن تهدم الآن حتّى تلحق بقواعده،لئلاّ يقال أنّك عجزت عن هدمه،فأعرض المنصور عن ذلك و أمر ألاّ تهدم (٢).

ص: ٤٧٠

١-١) مروج الذهب للمسعودي ٤٠٠:١. [١]

٢-٢) تاريخ الطبري ٢٦٤:٦. [٢]

و قال البحترى أبياتا فى أيوان كسرى، و منها:

مشمخرّ تعلو له شرفات رفعت فى رءوس رضوى و قدس

ليس يدرى أصنع إنس لجنّ صنعوه أم صنع جنّ لانس

غير أنّى أراه يشهد ان لم يك بانيه فى الملوك بنكس

(١) «و أبعد آمالا و أعدّ عديدا» «أ فلّم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبه الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم و أشدّ قوه و آثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» (٢).

«و أكثف جنودا» «أ لم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها فى البلاد و ثمود الذين جاؤوا الصخر بالواد و فرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سوطاً» (٣)، «هل أتاك حديث الجنود فرعون و ثمود» (٤)، «فاتبهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم و أضلّ فرعون قومه و ما هدى» (٥).

قال الشاعر:

ألم يخبرك أنّ الدهر غول ختور العهد يلتقم الرجالا

أزال عن المصانع ذا رياش و قد ملك السهوله و الجبالا

و أنشب فى المخالف ذا منار و للزّراد قد نصب الجبالا

«تعبّدوا للدنيا أى تعبّد» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام مرّ عيسى عليه السلام

ص: ٤٧١

١-١) ديوان البحترى ١:١٠٩.

٢-٢) غافر: ٨٢. [١]

٣-٣) الفجر: ٦-١٣. [٢]

٤-٤) البروج: ١٧-١٨. [٣]

٥-٥) طه: ٧٨-٧٩. [٤]

على قريه قد مات أهلها و طيرها و دوابها، فقال: أما إنهم لم يموتوا إلا بسخط و لو ماتوا متفرقين لتدافنوا، فقال الحواريون: يا روح الله! ادع الله تعالى أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها، فدعا عيسى عليه السلام ربّه فنودي من الجوّ أن نادهم فقام عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القريه! فأجابه مجيب منهم، ليبيك يا روح الله! فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عباده الطاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل، و أمل بعيد، و غفله في لهو، فقال: كيف كان حبّكم للدّنيا؟ قال: كحبّ الصبىّ لأمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا و سررنا، و إذا أدبرت عنّا بكينا و حزنا، قال: فكيف كان عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعه لأهل المعاصي. قال: كيف كان عاقبه أمركم؟ قال: بتنا ليله في عافيه و أصبحنا في الهاويه- إلى أن قال:- فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحواريين، فقال لهم: أكل الخبز اليابس، بالملح الجريش، و النّوم على التراب، خير كثير مع عافيه الدّنيا و الآخره (١).

«و آثروها أى إشار» لمّا خرج محمّد بن عبد الله المحض بالمدينه على المنصور بعث إليه جندا فقتلوه، و قال: لو خرج على صاحب القبر- أى:

النبيّ صلّى الله عليه و آله- لقتلته .

«ثمّ ظعنوا» أى: ارتحلوا.

«عنها بغير زاد مبلغ» و فى (التحف) (٢) و (الغايه) (٣): ثمّ ظعنوا عنها بالصغار .

«و لا ظهر قاطع» أى: راحله «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي»

ص: ٤٧٢

[١- ١] الكافي ٤: ٦ ح ١١. [١]

[٢- ٢] تحف العقول: ١٨٢.

[٣- ٣] مطالب السؤل: ٥٠.

«جُنِبَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّيَاحِرِينَ» (١)، «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» (٢)، «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٣).

«فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفَدْيِهِ» «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أَوْلِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» (٤).

«أَوْ أَعَانْتَهُمْ بِمَعُونِهِ أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ صَحْبَهُ» بَدَلُهُ (الغايه) (٥) (أَوْ أَعْنَتَ عَنْهُمْ فِيمَا أَهْلَكَهُمْ مِنْ خُطْبٍ) وَ كَيْفَ كَانَ، قَالَ تَعَالَى «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنظَرِينَ» (٦).

«بَلْ أَرَهَقْتَهُمْ» نَقَلَهُ ابْنُ مَيْثَمٍ هَكَذَا بِالرَّاءِ، أَيْ: «غَشِيَتْهُمْ» (٧). وَ نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: «أَوْهَقْتَهُمْ» بِالْوَاوِ، قَالَ أَيْ: جَعَلْتَهُمْ فِي الْوَهْقِ وَ هُوَ حَبْلٌ كَالطَّوْلِ (٨).

(بِالْقَوَادِحِ) بِالْقَافِ، وَ هِيَ آفَةٌ تَظْهَرُ فِي الشَّجَرِ وَ صَدُوعٌ تَظْهَرُ فِي الْأَسْنَانِ (٩).

ص: ٤٧٣

-
- ١-١ (١) الزمر: ٥٦. [١]
 - ٢-٢ (٢) المؤمنون: ٩٩-١٠٠. [٢]
 - ٣-٣ (٣) المنافقون: ١٠-١١. [٣]
 - ٤-٤ (٤) آل عمران: ٩١. [٤]
 - ٥-٥ (٥) مطالب السؤول: ٥٠. [٥]
 - ٦-٦ (٦) الدخان: ٢٩. [٦]
 - ٧-٧ (٧) شرح ابن ميثم ٣: ٨٤.
 - ٨-٨ (٨) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٣٦. [٧]
 - ٩-٩ (٩) المصدر نفسه ٧: ٢٣٦. [٨]

«و أوهنتهم بالقوارع» أى: الشدائد .

«و ضععتهم بالنواب» أى: المصائب .

«و عفرتهم للمناخر» أى: ألصقت ثقب انافهم بتراب الأرض .

«و وطنتهم بالمناسم» أى: توطأتهم باخفافها كدوس البقر البيد .

«و أعانت عليهم ريب المنون» أى: حوادث الدهر .

«فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها» أى: كان مطيعا لها يعنى شاهدتم بأعينكم معاملتها مع أهل عصركم فضلا عن سماع أخبار الماضين .

«و آثرها» أى: اختارها على آخرته .

«و أخلد لها» هكذا فى (المصريه) (١)، و الصواب: (و أخلد إليها) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى و الخطيه) (٢) من قوله تعالى «و لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ» (٣).

«حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد» :

و كل غائب يثوب و غائب الموت لا يثوب

«و هل» هكذا فى (المصريه) (٤)، و الصواب: (هل) كما فى الثلاثه.

«زودتهم إلا السغب» أى: الجوع .

«أو أحلتهم إلا الضنك» أى: الضيق .

«أو نورت لهم إلا الظلمه» الثلاثه، نظير قوله تعالى «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (٥).

ص: ٤٧٤

١- (١) الطبعه المصريه: ٢٦٩.

٢- (٢) شرح ابن ميثم كالمصريه ٨٤: ٣، النسخه الخطيه: ٩٢.

٣- (٣) الأعراف: ١٧٦. [١]

٤- (٤) المصريه: ٢٦٩.

٥- (٥) آل عمران: ٢١. [٢]

«أَوْ أَعْقَبْتَهُمْ إِلَّا-النَّدَامَةَ» وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَ أَسِيرُوا النَّدَامَةَ لَمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ « (١).

«فهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى! إن الدنيا دار عقوبه، عاقبت فيها آدم عند خطيئته و جعلتها ملعونه، ملعون ما فيها إلا ما كان فيها لى، يا موسى! إن عبادى الصالحين زهدوا فى الدنيا بقدر علمهم، و سائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، و ما من أحد عظمها فقرت عيناه فيها، و لم يحقرها أحد إلا انتفع بها (٢)، و عنه عليه السلام من أصبح و أمسى و الدنيا أكبر هممه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه، و شئت أمره و لم ينل من الدنيا إلا ما قسم له، و من أصبح و أمسى و الآخرة أكبر هممه جعل الله تعالى الغناء فى قلبه، و جمع له أمره (٣).

«فبئست الدار لمن لم يتهمها و لم يكن فيها على و جل» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه، و أنطق بها لسانه، و بصره عيوب الدنيا داءها و دواءها، و أخرجه من الدنيا سالما (٤).

و عنه عليه السلام: خرج النبى صلى الله عليه و آله و هو محزون، فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمد! هذه مفاتيح خزائن الأرض، يقول لك ربك:

افتح و خذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئا عندى، فقال له النبى صلى الله عليه و آله:

الدنيا دار من لا دار له، و لها يجمع من لا عقل له، فقال له الملك: و الذى بعثك بالحق نبيا! لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله فى السماء الرابعة

ص: ٤٧٥

١-١ (١) يونس: ٥٤. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ٤: ٥ ح ٩. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر نفسه ٤: ٨ ح ١٥. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٣: ١٩٣ ح ١. [٤]

حين أعطيت المفاتيح (١).

و عنه عليه السلام: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: مَالِي وَ لِلدُّنْيَا، وَ مَا أَنَا وَ الدُّنْيَا، إِنَّمَا مِثْلِي وَ مِثْلَهَا، كَمِثْلِ رَاكِبٍ رَفَعَتْ لَهُ شَجْرَهُ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَقَالَ - مِنْ الْقِيلُولِ - تَحْتَهَا ثَمَّ رَاحٍ وَ تَرَكَهَا (٢).

و عنه عليه السلام: مرَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بِجَدِي أُسَكِّ مَلَقَى عَلِيَّ مَزْبَلَهُ مَيِّتًا، فَقَالَ:

وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ اللهُ مِنْ هَذَا الْجَدِي عَلَيَّ أَهْلَهُ (٣).

و عنه عليه السلام: مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان إزداد عطشا حتى يقتله (٤).

و عنه عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمًا (٥).

«فاعلموا- و أنتم تعلمون- بأنكم تاركوها و ظاعنون عنها» أي: مرتحلون.

عنها، و زاد (التحفة) (٦) «وَ أَنَّمَا هِيَ كَمَا نَعَتَ اللهُ «لِعِبِّ وَ لَهْوٍ وَ زِينَةٍ وَ تَفَاخُرٍ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٍ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ» (٧).

وَ أَنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فاعلموا» مع علم المخاطبين بمعلومه و لذا استدركه بقوله (و أنتم تعلمون) لعدم جريهم على مقتضى علمهم.

و قالوا في علم البيان: ينزل العالم التارك لمقتضى علمه منزله الجاهل

ص: ٤٧٦

[١-١] المصدر نفسه ٣:١٩٥ ح ٥. [١]

[٢-٢] المصدر نفسه ٣:٢٠٢ ح ١٩. [٢]

[٣-٣] المصدر نفسه ٣:١٩٦ ح ٩. [٣]

[٤-٤] المصدر نفسه ٣:٢٠٥ ح ٢٤. [٤]

[٥-٥] المصدر نفسه ٣:٢٠٢ ح ٢٠. [٥]

[٦-٦] تحفة العقول: ٢٨٢. [٦]

[٧-٧] الحديد: ٢٠. [٧]

فيخاطب خطابه فيقال لتارك الصلاة مع كون وجوبها ضروريا يعلمه كل أحد: الصلاة واجبه.

و في الخبر: ما خلق الله يقينا أشبه بالشك من الموت (١).

«و اتّعظوا بالذين قالوا: من أشدّ منا قوّه؟» إشاره إلى قوله تعالى في سورة حم السجده «فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» (٢).

«حملوا إلى قبورهم فلا- يدعون ركبانا و انزلوا الأجداث» هكذا في (المصريه) (٣)، و كلمه «الأجداث» زائده لعدم وجودها في الثالثه، و لأنّ البلاغه تقتضى تركها و لا بدّ أنّها كانت حاشيه في بيان المراد، فخلطت بالمتن .

«فلا يدعون ضيفانا» قال ابن ميثم: يعنى أنّهم مختلفون مع الأحياء إذ كان من عاده الأحياء إذا حملوا أن يسمّوا ركبانا، و إذا نزلوا أن يدعوا ضيفانا (٤).

و قال الخوئى: يعنى أنّهم مختلفون مع الأحياء، إذ كانت عاده العرب أنّهم إذا ركبوا يسمّون ركبانا، و إذا نزلوا يسمّون ضيفانا (٥).

قلت: ما ذكره مضحك، فكون من ركب راكبا، توضيح واضح، و كون من نزل عن مركبه يسمّى ضيفا لم يقله أحد لا عرب و لا عجم، و إنّما المراد أنّهم لما رفعوا نعشهم، و حملوهم على أكتافهم فيكونوا ركبوا أكتاف الناس، إلا أنّهم لا يسمّون بهذا ركبانا كما أنّهم لما أنزلوا من الأكتاف إلى القبور

ص: ٤٧٧

١- (١) الخصال ١:١٤، و نقله المجلسى فى البحار ١:١٢٧. [١]

٢- (٢) فصلت: ١٥. [٢]

٣- (٣) الطبعه المصريه: ٢٦٩.

٤- (٤) شرح ابن ميثم ٨٨:٣-٨٩. [٣]

٥- (٥) الخوئى ٨:٢٤ خ ١١٠.

لا يسمون ضيفانا، وإنما الضيفان من انزل من مركبه فى قريه للضيفاه .

«و جعل لهم من الصّفيح» أى:الحجاره العراض .

«أجنان» أى:أستاره،قال الشاعر:

عدانى أن أزورك غير بغض مقامك بين مصفحه شداد

و قيل بالفارسيه:

چه شد كز يك كماندار فنا اين لشكر بيحد بسر دارند از لوح مزار خود سپرها را

هذا،و قال الخوئى:«أى:جعل لهم من وجه الأرض العريض قبور» (١).

و هو كما ترى بلا معنى،و مثله قول ابن أبى الحديد:«إلا جنان القبور .

«و من التراب أكفان» هكذا فى النسخ،و نقله ابن أبى الحديد«أكنان»فقال:

«الأكنان:جمع كَنّ و هو الشتره» (٢)و هو الأنسب،لأنه كان لهم أكفان من الملبوس،فلم نقول من التراب؟و إنما يقولون لميت،لم يجعل له كفن،و لا- عَجِلَ دفنه حتى نسفت الرياح عليه التراب،إنه كَفَّنَ من تراب،و لأنّ الأكفان أمر مرغوب عنه،يشمئزّ عنه الأحياء،و لو كان من الملبوس .

«و من الرّفاه» أى:الحطام.

«جيران» و إنما خصّ عليه السلام الرّفاه بجيرانه دونه لأنه أوّل إنزاله سالم الجسد،و إنما يصير رفاتا بعد .

«فهم جيره لا يجيبون داعيا» :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذّنائب أى:زير

(٣)

ص:٤٧٨

١-١) الخوئى ٨:٢٤ خ ١١٠.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد الأصمعيات ٧:٢٣٦.

٣-٣) ١٥٤.

«و لا يمنعون ضيماً» أى: تحمّل ظلم .

«و لا يبالون مندبه» من يندبهم، يعدّد محاسنهم و يبكى عليهم .

«إن جيدوا» أى: جاد المطر عليهم.

«لم يفرحوا» كالأحياء .

«و إن قحطوا لم يقنطوا» كناس فى الدنيا .

«جميع و هم آحاد، و جيره و هم أبعاد، متدانون لا يتزاورون و قرييون لا يتقاربون» قال ابن أبى الحديد: قال الرضى فى رثاء أبى إسحاق الصّابى:

أعزز علىّ بان نزلت بمنزل متشابه الأمجاد بالأوغاد

فى عصبه جلبوا إلى آجالهم و الدّهر يعجلهم عن الإرواد

ضربوا بمدرجه الفناء قبا بهم من غير اطناب و لا أوتاد

ركب أناخوا لا يربّجى منهم قصد لا تهام و لا انجاد

كرهوا النزول فأنزلتهم وقعه للدهر نازله بكلّ مقاد

فتهافتوا عن رحل كلّ مذللّ و تطاوحوا عن سرح كلّ جواد

بادون فى صور الجميع و أنّهم متفرّقون تفرّق الآحاد

(١) «حلماء قد ذهب أضعانهم، و جهلاء قد مات أحقادهم» كانت أضعانهم بحيث يقولون لخصمائهم:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم كما دماؤهم للغيظ لا تروينى

و كانت أحقادهم بحيث لا يقدرّون أن يكالموهم، فقالوا: كان عبد الرحمن بن عوف مهاجراً لعثمان حتّى مات، و طاوس مهاجراً لوهب بن متبه حتّى مات، و هجر سعيد بن المسيّب أباه فلم يكلمه إلى أن مات، و جرى بين الحسن و ابن سيرين شىء فمات الحسن و لم يشهد ابن سيرين جنازته.

ص: ٤٧٩

و كان الثوري يتعلم من ابن أبي ليلى فمات ابن أبي ليلى و لم يشهد جنازته.

و في (الكامل): مات يعقوب بن الليث الصفار في سنه (٢٦٥) بجند نيسابور من القولنج، و كان أمره الأطباء بالاحتقان، فلم يفعل، و اختار الموت، و كان المعتمد أنفذ إليه رسولا يستميله و يقلده أعمال فارس، فجعل عنده سيفاً و رغيفاً من الخبز الخشكار و بصلاً و قال للرسول: قل للمعتمد: إنني عليل، فإن مت استرحت أنا و أنت، و ان عوفيت فليس بيني و بينك إلا هذا السيف، أما آخذ تأري، و أما أرجع إلى هذا الخبز و البصل، فمات. و كان الحسن بن زيد العلوي يسميه السندان لثباته (١).

و في (تقريب المعاهد) - بعد ذكر بشار و حماد عجرد و ما بينهما من الهجاء و موت حمادا أولاً و دفن بشار بعده إلى جنبه - مرّ بقبرهما أبو هاشم فقال:

قد تبع الأعمى قفا عجرد فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحبا بقرب حماد و بشار

تجاورا بعد تنائيهما ما أبغض الجار إلى الجار

(٢) و أما قول مهلهل في أخيه كليب وائل، و تمثل به مصقله بن هبيرة على قبر المغيرة بن شعبه:

إنّ تحت الأحجار خرما و غرما و خصيما ألدّ ذا معلاق

حيه في الوجار أربد لا ينفع منه السليم نفث الرّاقى

(٣)

ص: ٤٨٠

١-١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٢٥:٧-٣٢٦. [١]

٢-٢) تقريب المعاهد ١:١٠١.

٣-٣) الأغاني ٥:٥٥. [٢]

فالمراد به أنه كان كذلك في الدنيا وإن من تحت الأحجار كان شخصا هكذا.

هذا، وفي (كنايات الجرجاني): قال بعضهم رأيت قبرين مكتوبا على أحدهما: «من رآني فلا يصغر قدرى، أنا كنت أجلب الريح وافرقتها» وعلى الآخر: «كذب ابن الفاعله إنما كان يجمع الرياح في الزق ينفخ فيه» فما رأيت مشاجره بين موتى غيرهما.

قلت: إنما كانت بينهم صورته، وإلا فلا بد أن الأول وصي بأن يكتب على قبره أو كتب بنفسه على لوح ما على الأول والثاني، كذلك ما على الثاني (١).

«لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم» قال ابن أبي الحديد: قال الرضي رضي الله عنه:

متوسدين على الخدود كأنما كرعوا على ظمأ من الصهباء

صور ضنت على العيون بحسنها أمست فوقها من البوغاء

و نواظر كحل التراب جفونها قد كنت أحرسها من الأقداء

قربت ضرائحهم على زوارها و نأوا عن الطلاب أي تناء

(٢) «استبدلوا بظهر الأرض بطننا و بالسعه ضيقا و بالأهل غربه و بالنور ظلمه» .

روى أن هذه الأبيات وجدت مكتوبة على قبر سيف بن ذي يزن آخر ملوك اليمن:

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز عن معاقلهم فأسكنوا حفرا يا بنس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا أين الأسره و التيجان و الحلل؟

أين الوجوه التي كانت محببه من دونها تضرب الأستار و الكلل

ص: ٤٨١

١- ١) منتخب الكنايات للجرجاني: ٥٧.

٢- ٢) ديوان الرضي ٢٩: ١-٣٠. [١]

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود تنتقل!

قد طالما أكلوا شيئا و ما شربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا (١)

و لثما أحضر المتوكّل الهادى عليه السلام لما اتهمه بممالاته عليه أمره بالتغنى فتمثّل عليه السلام بهذه الأبيات، فبكى المتوكّل حتى ابتلت لحيته و اعتذر إليه من فعله! «فجاءوها كما فارقوها حفاه» جمع الحافى، الماشى بلا نعل.

«عراه» جمع العارى، «و لَقَدْ جِئْتُمونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ» (٢).

«قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياه الدائمه و الدار الباقيه» «وَ إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ» (٣).

«كما قال سبحانه» فى (١٤) (الأنبياء) «كَمَا بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَ عَداً عَلَيْنا إنا كُنا فاعِلين» (٤) و قال تعالى أيضا «أ وَ لَمْ يَرَوْا كَيفَ يُبَدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إنا ذلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ» (٥) «قُل سَـيَرُوا فى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النِّشَاءَ الآخِرَةَ إنا اللهُ عَلى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ» (٦)، «وَ ادعُوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» (٧)، «إليه مَرَجِعُكُمْ جَمِيعاً وَ عِندَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ»

ص: ٤٨٢

١- ١) مروج الذهب ٤: ١١، و [١] بحار الأنوار ٥٠: ٢١١. و [٢] ذكر أنه منسوب إلى الإمام عليّ عليه السلام حيث ورد فى ديوانه.

٢- ٢) الأنعام: ٩٤. [٣]

٣- ٣) العنكبوت: ٦٤. [٤]

٤- ٤) الأنبياء: ١٠٤. [٥]

٥- ٥) العنكبوت: ١٩. [٦]

٦- ٦) العنكبوت: ٢٠. [٧]

٧- ٧) الأعراف: ٢٩. [٨]

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» (١).

١١

الخطبه (١٠٩)

و من خطبه له عليه السلام:

وَأَحَدِكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنزِلُ قُلْعِهِ - وَ لَيْسَتْ بِدَارٍ نُجْعَةٍ - قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا - وَ عَرَّتْ بِزِينَتِهَا - هَيَّأَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا - وَ خَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَ حَيَاتِهَا بِمَوْتِهَا وَ حُلُوهَا بِمُرِّهَا - لَمْ يُصِفْهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ - وَ لَمْ يَضَنْ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ - خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَ شَرُّهَا عَتِيدٌ - وَ جَمْعُهَا يَنْفَدُ وَ مُلْكُهَا يُسَلَبُ وَ عَامِرُهَا يَخْرُبُ - فَمَا خَيْرُ دَارٍ يُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ - وَ عُمُرٌ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ - وَ مَدَّةٌ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ - اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُمْ وَ اسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ كَمَا سَأَلَكُمْ - وَ اسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ - آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ - إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ ضَحِكُوا - وَ يَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَ إِنَّ فَرِحُوا - وَ يَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسِهِمْ وَ إِنَّ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا - قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ - وَ حَضَرَ تَكْمُ كَوَادِبِ الْأَمَالِ - فَصَارَتْ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ - وَ الْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ - وَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ - مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ - وَ سُوءُ الضَّمَائِرِ - فَلَا تَوَازُونَ وَ لَا تَنَاصِرُونَ - وَ لَا تَبَادُلُونَ وَ لَا تَوَادُّونَ - مَا بِالْكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تَمْلِكُونَهُ - وَ لَا يَحْزَنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْزَمُونَهُ - وَ يَقْلِقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يُفَوِّتُكُمْ - حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكُكُمْ فِي وُجُوهِكُمْ - وَ قَلَّ صَبْرُكُمْ عَمَّا زَوَى مِنْهَا عَنْكُمْ - كَأَنَّهَا دَارٌ مُقَامِكُمْ وَ كَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ

ص: ٤٨٣

(١ - ١) يونس: ٤. [١]

عَلَيْكُمْ- وَ مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ- إِلَّا مَخَافَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ- قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْأَجْلِ وَ حُبِّ الْعَاجِلِ- وَ صَارَ دِينَ أَحَدِكُمْ لُغْفَهُ عَلَى لِسَانِهِ- صَيْنِعَ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَ أَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ «و احذرکم الدنیا» فانها كما قال العباس بن الأحنف فى ذات الخال:

وصالکم صرم و حبکم قلبی و عطفکم صدّ و سلمکم حرب

(١) «فإنها منزل قلعه» -بالضم- أى: ليس بمستوطن .

«و ليست بدار نجعه» بالضم- أى: طلب الكلاً قال ذو الرّمه:

رأيت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعى بلالا

(٢) «قد تزينت بغورها و عزت بزيتها» لا يخفى لطفه حيث ردّ العجز على الصّيد و الفقره الثانيه عكس الاولى لفظا، و متحدّه معها معنى، أمّا تزيّنها بغورها، فقد قال تعالى «أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُضِيًّا مَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (٣) و أمّا عزّتها بزيتها، فقد قال تعالى «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» (٤).

ص: ٤٨٤

(١-١) ديوان العباس بن الأحنف: ٣٤.

(٢-٢) لسان العرب ٢٩٧: ٧ [١] بلفظ «سمعت الناس»، و ذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٣٨٦: ٦. [٢]

(٣-٣) الحديد: ٢٠. [٣]

(٤-٤) لقمان: ٣٣. [٤]

«هانت على ربّها» هكذا في (المصريه) (١) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي و الخطيه) (٢): (دار هانت على ربّها) فهو الصحيح و يلزمه حسن الكلام. و روى (الكافي) في باب حبّ الدّنيا عن الصادق عليه السلام قال في مناجاه موسى: «يا موسى! إنّ الدّنيا دار عقوبه عاقبت فيها آدم عند خطيئته، و جعلتها ملعونه، ملعون ما فيها إلا ما كان فيها لي، يا موسى! إنّ عبادى الصالحين زهدوا في الدّنيا بقدر علمهم، و سائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، و ما من أحد عظّمها فقزّت عيناه فيها، و لم يحقرّها أحد إلا انتفع بها» (٣). و في باب ذمّ الدّنيا: أنّ النّبى صلّى الله عليه و آله مرّ بجديّ أسكّ ملقى على مزبله ميا فقال للصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعلّه لو كان حيّا لم يساو درهما، فقال: و الذى نفسى بيده! الدّنيا أهون على الله تعالى من هذا الجدى على أهله (٤).

«فخلط حلالها بحرامها» و جعل فى حلالها الحساب و فى حرامها العقاب .

«و خيرها بشرّها» «وَ إِنْ يَمَسَّ شَكَّ اللَّهُ بِضُرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» (٥).

«و حياتها بموتها» «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ»

ص: ٤٨٥

١- ١) المصريه المصححه كما ذكر العلامة قدس سرّه.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٦، و الخطيه: ٩٥، و شرح ابن ميثم ٣: ٩٢ بلا لفظ «دار».

٣- ٣) الكافي ٤: ٥ ح ٩ [١]

٤- ٤) المصدر نفسه ٤: ١٩٦ ح ٩ [٢]

٥- ٥) يونس: ١٠٧ [٣]

«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (١).

«و حلوها بمزها» و فى الخبر: أحلى امور الدنيا مشى الشاب بين يدى أبيه.

و أمرها موت الولد الشاب منه .

«لم يصفها الله تعالى» من (أصفى) من قولهم (ماء صاف): ليس فيه كدر.

«لأوليائه» حتى لأنبيائه حتى لنبىه المصطفى صلى الله عليه و آله .

«و لم يضمن» بفتح الضاد و الكسر، لغه من (ضمن) إذا بخل.

«بها على أعدائه» «و لو لا أن يكون الناس أمه و أحده لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضه و معارج عليها يظهرون و لبيوتهم أبواباً و سُرراً عليها يتكؤون و زخرفاً و إن كل ذلك لما متاع الحياه الدنيا و الآخرة عند ربك للمتقين» (٢).

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيراً، و لا كافر إلا غنياً حتى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: «ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا» (٣) فصير الله فى هؤلاء أموالاً و حاجه و فى هؤلاء أموالاً و حاجه (٤).

«خيرها زهيد» «قل متاع الدنيا قليل و الآخرة خير لمن اتقى و لا تظلمون فتياً» (٥).

«و شرها عتيد» أى: حاضر مهياً .

«و جمعها ينفد» «ما عندكم ينفد و ما عند الله باق» (٦).

ص: ٤٨٦

١- ١) آل عمران: ١٥٦. [١]

٢- ٢) الزخرف: ٣٣-٣٥. [٢]

٣- ٣) الممتحنه: ٥. [٣]

٤- ٤) الكافى ٣: ٣٦١ ح ١٠. [٤]

٥- ٥) النساء: ٧٧. [٥]

٦- ٦) النحل: ٩٦. [٦]

«و ملكها يسلب» «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» (١)، «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ» (٢).

«و عامرها يخرب» :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكّه سامر

بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر

(٣) «فما خير دار ينقض نقض البناء» «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَمْ فَهْمُ الْغَالِبُونَ» (٤)، «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ» (٥).

«و عمر» بضمتين جمع عمر بسكون الثانى.

«يفنى فيها فناء الزاد» هكذا فى (المصريه) (٦)، و لكن ليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخونى و الخطيه) (٧) كلمه «فيها» و لا وجه لها فانها تجعل الكلام ركيكا و قال تعالى «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلَا يَعْقِلُونَ» (٨).

«و مدّه تنقطع انقطاع السّير» فكما أنّ كلّ مسافه طويله أو قصيره معيّنه تنقطع بالسّير إليها قدما قدما، كذلك مدّه بقاء الإنسان فى الدّنيا معيّنه، فكلّ نفس يتنفّس يكون خطوه إلى انقضائها .

«اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم» - بكسر اللّام - يعنى اجعلوا

ص: ٤٨٧

١- ١) غافر: ١٦. [١]

٢- ٢) آل عمران: ٢٦. [٢]

٣- ٣) مروج الذهب للمسعودى ٣: ٤٠٢، [٣] كذلك ذكره الكراچكى فى الكنز: ١٠٦، و المجلسى فى البحار ١٥: ١٧٣. [٤]

٤- ٤) الأنبياء: ٤٤. [٥]

٥- ٥) الرعد: ٤١. [٦]

٦- ٦) الطبعه المصريه: بلا فيها: ٢٧١.

٧- ٧) شرح ابن أبى الحديد مع فيها ٧: ٢٤٦، كذلك شرح ابن ميثم ٣: ٩٣، أما النسخه الخطيه بدون لفظ «فيها»: ٩٦.

٨- ٨) يس: ٦٨. [٧]

مفترضات الله تعالى مطلوبات أنفسكم، كمطلوباتكم في أمور الدنيا التي تجدون في تحصيلها .

«و اسألوه من أداء حقه ما سألكم» سؤالنا إياه تعالى بالدعاء و سؤاله تعالى إيانا بالأمر، قال سبحانه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (١)، «وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (٢).

«و اسمعوا» من الإسماع.

«دعوه الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم» هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى و فتكى

و لا يغركم حسن ابتسامى فقولى مضحك و الفعل مبكى (٣)

و كان السجّاد عليه السلام يقول فى الليله (٢٧) من شهر رمضان من أولها إلى آخرها: اللهم ارزقنى التجافى عن دار الغرور و الإنايه إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل حلول الفوت (٤).

«إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَ إِنْ ضَحِكُوا وَ يَشْتَدُّ حَزْنُهُمْ وَ إِنْ فَرَحُوا» فى (الكافى) عن جابر قال: دخلت على أبى جعفر عليه السلام فقال: يا جابر! والله إنى لمحزون و إنى لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك، و ما شغلك؟ و ما حزن قلبك؟ فقال: يا جابر! إنّه من دخل قلبه صافى خالص دين الله، شغل قلبه عمّا سواه، يا جابر! ما الدنيا و ما عسى أن تكون الدنيا هل هى إلا طعام أكلته، أو ثوب لبسته أو امرأه أصبتها، يا جابر! إنّ المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا ببقائهم فيها، و لم

ص: ٤٨٨

١- ١) آل عمران: ١٠٢. [١]

٢- ٢) الحج: ٧٨. [٢]

٣- ٣) جواهر الأدب للهاشمى: ٧١٧ كذلك الطرائف للمقدسى.

٤- ٤) بحار الأنوار للمجلسى ٩٨: ٦٣. [٣]

يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر! الآخرة دار قرار و الدنيا دار فناء و زوال، و لكن أهل الدنيا أهل غفله، و إن المؤمنين أهل فكر و عبره، لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا بآذانهم و لم يعملهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك، و اعلم، يا جابر! أن أهل التقوى من أيسر أهل الدنيا مثونه، و أكثرهم لك معونه، تذكر فيعينونك و إن نسيت ذكروك قوالون بأمر الله، قوامون على أمر الله، قطعوا محبتهم بمحبته ربهم و وحشوا من الدنيا بطاعه مليكهم، و نظروا إلى الله تعالى بقلوبهم، و علموا أن ذلك هو المنظور إليه لعظيم شأنه، فأنزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت و ليس معك منه شيء، إنما ضربت لك هذا مثلا لأنها عند أهل اللب و العلم كفى الظلال (١).

«و يكثر مقتهم أنفسهم و إن اغتبطوا بما رزقوا» من عباده الله فيرون أنفسهم مقصرين .

«قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال» «و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون» (٢)، «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون» (٣).

«و حضرتكم كواذب الآمال» «ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلهمهم الأمل فسوف يعلمون» (٤).

«فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة» «فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا»

ص: ٤٨٩

١-١ (١) الكافي ٣: ١٩٩ ح ١٦. [١]

٢-٢ (٢) الحشر: ١٩. [٢]

٣-٣ (٣) الأنعام: ٤٤. [٣]

٤-٤ (٤) الحجر: ٣. [٤]

«فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» (١)، «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» (٢) و لنعم ما قيل بالفارسيه:

در ره آن می دوی از جان و دل در ره این می روی چون خر بگل

در ره آن مو شکافی ای شقی در ره این کند فهم و احمقی

(٣) قال ابن أبي الحديد: قوله «أملك بكم» مثل (أولى بكم).

قلت: بل بمعنى أكثر تسلطاً و سلطاناً عليكم من باب تسميه المسبب باسم السبب، فإن الملك سبب التسلط (٤).

«و العاجله أذهب بكم من الآجله» «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» (٥).

و إنما أتمم إخوان على دين الله، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر، و سوء الضمائر، «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتمم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب» (٦).

و في (عقاب الأعمال) عن النبي صلى الله عليه و آله سيأتي على امتي زمان تخبث فيه سرائرهم، و تحسن علائقهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند الله يكون أمرهم رياء لا يخالطهم خوف، يعتمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم (٧).

ص: ٤٩٠

١-١ (١) النزاعات: ٣٧-٣٩. [١]

٢-٢ (٢) الأعلى: ١٦-١٧. [٢]

٣-٣ (٣) ديوان بهائي: ١٧.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٨: ٧. [٣]

٥-٥ (٥) القيامة: ٢٠-٢١. [٤]

٦-٦ (٦) آل عمران: ١٧٩. [٥]

٧-٧ (٧) عقاب الأعمال: ٢٩٩ ح ٣. [٦]

و عن الباقر عليه السلام: إنَّ الله تعالى أنزل على نبيِّ من أنبيائه كتاباً فيه: يكون من خلقى من يجلبون الدُّنيا بالدِّين يلبسون مسوك الضَّان على قلوب كقلوب الدُّناب قلوبهم أشدَّ مراره من الصبر، و ألسنتهم أحلى من العسل، و أعمالهم الباطنه أنتن من الجيف، أبى يغتزون؟ أم إِيَّاي يخادعون؟ أم علىَّ يجتزون؟ فبعزَّتى حلفت لأبعثنَّ عليهم فتنه تطأ في خطامها حتَّى تبلغ أطراف الأرض، تترك الحليم فيها حيران (١).

«فلا توازرون و لا تناصحون و لا تباذلون و لا توادّون» فى (عقاب الأعمال) عن النبيِّ صلَّى الله عليه و آله: إذا ظهر العلم و احترز العمل و اتلفت الألسن و اختلفت القلوب و تقاطعت الأرحام، هنا لك لعنهم الله فأصمّهم و أعمى أبصارهم (٢).

و عنه صلَّى الله عليه و آله: إذا تصاممت أمتى عن سائلها، و مشت بتبختر، حلف ربّى عزّ و جلّ أن يعدّب بعضهم ببعض (٣).

«ما بالكم تفرحون باليسير من الدُّنيا تملكونه» هكذا فى (المصريه) (٤)، و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى و الخطيه) (٥): «تدركونه» فهو المعين و هو المناسب للمقام، فإنَّ أهل الدُّنيا يفرحون بما يدركونه، و لو لم يكن ملكهم .

«و لا- يحزنكم الكثير من الآخره تحرمونه» مع أنّه كان الواجب العكس، و فى الدّعاء: اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا و لا تجعل الدُّنيا أكثر همّنا و لا مبلغ

ص: ٤٩١

١-١) المصدر نفسه: ٣٠٢ ح ٢. [١]

٢-٢) المصدر نفسه: ٢٨٨. [٢]

٣-٣) المصدر نفسه: ٢٩٨ ح ١. [٣]

٤-٤) الطبعه المصريه (تدركونه): ٢٧٢.

٥-٥) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٢٤٦، و [٤] شرح ابن ميثم (يملكونه) ٩٣: ٣، و الخطيه (تدركونه): ٩٦.

علمنا (١). و للبهائي بالفارسيه مشيرا إلى عمل الناس لدياهم و لآخرتهم:

در ره اين مو شكافي اي شقي در ره آن كند فهم و احمقى

در ره اين مى دوى از جان و دل در ره آن مى روى چون خر بگل

(٢) و لبعضهم:

باعوا جديدا جميلا باقيا أبدا بدارس خلق يا بئس ما اتجروا

هذا، و قال الأقيشر الشاعر، فى ابن عمّ له موسر، سأله فمنعه، فشكاه إلى قومه فوثب إليه فلطمه:

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه و ليس إلى داعى الندى بسريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه و ليس لما فى بيته بمضيع

(٣) و قال ابن أبى الحديد: قال الرضى رضى الله عنه:

نقص الجديدين من عمرى يزيد على ما ينقصان من الأيام من حالى

دهر تؤثر فى جسمى نوائبه فما اهتمامى أن أودى بسربالى

(٤) «و يقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم» مثل أهل الجاهليه، العذبن كان «إذا بشر أحدهم بالأثنى

ظلل وجهه مسودا و هو كظيم» (٥).

«و قلّه صبركم عميا زوى منها عنكم» مع أنّ الله تعالى قال، «ما أصاب من مصيبه فى الأرض و لا فى أنفسكم إلا فى كتاب من

قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكن لا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم و الله»

ص: ٤٩٢

١-١ (١) بحار الأنوار للمجلسى ٩٨:٤١٤. [١]

٢-٢ (٢) ديوان البهائي: ١٧ و قد مرّ فى ص ٨١.

٣-٣ (٣) خزانه الأدب للنوى ٤:٤٨٨. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ٧:٢٤٩، و [٣] فى ديوان الرضى ٢:٢١٥. [٤]

٥-٥ (٥) النحل: ٥٨. [٥]

«لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» (١).

«كأنها دار مقامكم» مع أنها دار مجاز .

«و كأن متاعها باق عليكم» مع أنه ينفد، و ما عند الله باق .

«و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه إلا- مخافه أن يستقبله بمثله» هكذا فى النسخ، و لا- يبعد أن تكون كلمه «يخاف» محزّف (يخفى) كما لا- يخفى، فالمراد أن كلهم معيوبون فلا- يستطيع أحد منهم أن يقول لصاحبه: لك عيب كذا تخفيه لئلا يقول صاحبه له و أنت أيضا لك عيب كذا تخفيه .

«قد تصافيتم على رفض الآجل و حبّ العاجل» روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال: بينما عيسى عليه السلام فى سياحته إذ مرّ بقريه أهلها موتى فى الطريق و الدّور فقال: إنّ هؤلاء ماتوا بسخطه تعالى و لو ماتوا بغيرها تدافنوا، فقال أصحابه: و ددنا أن تعرّفنا قضيّتهم فقيل له: نادهم يا روح الله! فقال: يا أهل القرية! فأجابه مجيب ليبيك قال: ما قضيّتكم؟ قال: أصبحنا فى عافيه و بتنافى الهاويه! فقال: ما الهاويه؟ قال: بحار من نار، فيها جبال من نار، قال: و ما بلغ بكم ما أرى؟ قال: حبّ الدّنيا و عباده الطاغوت، كانوا إذا أمرونا أطعناهم. قال:

فكيف أجبنتى من دونهم؟ قال: لأنّهم ملجمون بلجم من نار، و عليهم ملائكه غلاظ شداد و أنّى كنت فيهم، و لم أكن منهم فلما أصابهم العذاب أصابنى معهم، و أنا معلق بشعره أخاف أن أنكبّ فى النار، فقال عليه السلام لأصحابه: النّوم على المزابل، و أكل خبز الشعير يسير، مع سلامه الدّين (٢).

«و صار دين أحدكم لعقه على لسانه» فى (الأساس): (لعق العسل بالملعقه و اللعقه، اسم ما تأخذه بالملعقه).

ص: ٤٩٣

١- ١) الحديد: ٢٢-٢٣. [١]

٢- ٢) عقاب الأعمال: ٣٠٠-٣٠١. [٢]

قال ابن أبي الحديد: قال الفرزدق للحسين عليه السلام - وقد لقيه قادمًا إلى العراق و سأله عن الناس - : «أما قلوبهم فمعك، و أما سيوفهم فعليك، و الدين لعقه على ألسنتهم فإذا امتحنوا قلّ الديّانون» (١).

قلت: و في (المناقب): لَمَّا نزل الحسين عليه السلام كربلاء أقبل على أصحابه فقال: الناس عبيد الدنيا، و الدين لعقه على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معاشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون (٢).

«صنيع من فرغ عن عمله و أحرز رضا سيّده» هكذا في (المصريه) (٣) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي و الخطيه) (٤) «من عمله» فهو الصحيح، و لا وجه لمعنى التجاوز هنا، ثمّ كأنه سقط قبل قوله «صنيع...» شىء، لأنّه لا ربط كامل له بقوله قبل (و صار) لكن يمكن أن يكون مستأنفا بأن يكون الأصل (صنعكم صنيع من) أو (و تصنعون صنيع) فيجوز فيه الرّفح و النّصب.

١٢

الخطبه (١١٠)

و من خطبه له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنَّعْمِ - وَ النَّعْمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ - كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ - وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ - عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ - السَّرَاعِ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ - وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ - وَ أَحْصَاهُ

ص: ٤٩٤

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٩. [١]

٢- ٢) لا وجود له في مناقب ابن شهر آشوب.

٣- ٣) الطبعه المصريه (من عمله): ٢٧٢.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤٧ [٢] موجود في البحار ٤٤: ٣٨٣ و النسخه الخطيه: ٩٢ بلفظ (من عمله) أما شرح ابن ميثم فبلفظ (عن عمله) ٩٣: ٣.

كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ - وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ - وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِّنْ عَيَانِ الْعُيُوبِ - وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ - إِيمَانًا نَفَى إِخْلَاصَهُ
 الشُّرَكَ وَ يَقِينُهُ الشُّكَّ - وَ نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - وَ أَنَّ؟ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ - شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَ
 تَرْفَعَانِ الْعَمَلَ - لَا - يَحْفُفُ مِيزَانَ تَوْضَعَانِ فِيهِ - وَ لَا - يَثْقُلُ مِيزَانَ تَرْفَعَانِ مِنْهُ أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ - الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَ بِهَا
 الْمَعَادُ - زَادٌ مُبْلَغٌ وَ مَعَادٌ مُنْجِحٌ - دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ - وَ وَعَاهَا خَيْرٌ وَاعٍ - فَاسْمَعْ دَاعِيَهَا وَ فَازْ وَاعِيَهَا - عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ
 أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ - وَ الزَّمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ - حَتَّى أَشْهَرَتْ لِيَالِيَهُمْ وَ أَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ - فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصْبِ وَ الرَّيَّ بِالظَّمِّ - وَ
 اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فِيَادَرُوا الْعَمَلَ - وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حُطُوبَ الْأَجَلَ - ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَ عَنَاءٍ وَ غَيْرٍ وَ عِبْرٍ - فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ
 مُوتِرٌ قَوْسُهُ - لَا تُخْطِي سَهْمَاهُ - وَ لَا تُؤْسِي جِرَاحُهُ يَزِمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ - وَ الصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ - وَ النَّاجِيَ بِالْعَطْبِ - آكِلٌ لَا يَشْبَعُ وَ
 شَارِبٌ لَا يَنْفَعُ - وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا - يَأْكُلُ - وَ يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ - ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى - لَا مَالًا حَمَلَ وَ لَا بِنَاءً
 نَقَلَ - وَ مِنْ غَيْرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا - وَ الْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا - لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ وَ بُؤْسًا نَزَلَ - وَ مِنْ غَيْرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ
 يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ - فَيَقْطَعُهُ حُضُورَ أَجَلِهِ - فَلَا أَمَلَ يُدْرِكُ - وَ لَا مُؤَمَّلٍ يُتْرَكُ - فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُورَهَا - وَ أَظْمَأَ رِيَّهَا وَ أَضْحَى
 فَيْئَهَا - لَا جَاءَ يُرْدُّ وَ لَا مَاضٍ يَزِيدُ - فَسُبْحَانَ اللَّهِ - مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِ بِهِ - وَ أَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ - إِنَّهُ
 لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ - وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ - وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ - وَ كُلُّ

شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ - فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعِ - وَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَبْرُ - وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا - وَ زَادَ فِي الْآخِرَةِ - خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ - وَ زَادَ فِي الدُّنْيَا - فَكُمْ مِنْ مَنقُوصِ رَابِحٍ وَ مَزِيدِ خَاسِرٍ - إِنَّ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ - وَ مَا أُحْزِلَ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ - فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ - قَدْ تَكْفَلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ - وَ أَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ - فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلْبُهُ - أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ - مَعَ أَنَّهُ وَ اللَّهُ لَقَدْ اعْتَرَضَ الشُّكَّ - وَ دَخَلَ الْيَقِينَ - حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ - وَ كَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ - فَيَادِرُوا الْعَمَلَ وَ خَافُوا بَغْتَةَ الْأَجْلِ - فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعِهِ الْعُمْرِ - مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعِهِ الرِّزْقِ - مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِي غَدًا زِيَادَتُهُ - وَ مَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمْرِ - لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ - الرَّجَاءُ مَعَ الْحَيَاةِ وَ الْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي - فَ «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِالنَّعْمِ «وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ» (١)، «وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَ عَدِينَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» (٢)، «وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» (٣)، «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ»

ص: ٤٩٤

[١-١] الأعراف: ٤٣. [١]

[٢-٢] الزمر: ٧٤. [٢]

[٣-٣] فاطر: ٣٤-٣٥. [٣]

«الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَيْدِيًا وَ يُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» (١)، «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ» (٢).

«و النعم بالشكر» «وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (٣)، «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدِي» (٤)، «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (٥).

«نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه» لأنّ بلائه إنّما هو عن حكمه، فيستحقّ الحمد عليه كما عليها. و في الخبر أنّ النبي صلّى الله عليه و آله إذا كانت نعمه قال:

الحمد لله على هذه النعمة، و إذا كانت بليته، قال: الحمد لله على كلّ حال، و ما قاله عليه السلام من الحمد على آلائه و بلائه درجه العارفين و أنّهم يريدون ما يريد الله تعالى بهم (٦). قال الباقر عليه السلام لجابر الأنصاري: نحن أهل البيت لو أحبّ تعالى لنا المرض و الفقر و الموت، تكون هي أحبّ إلينا من أضدادها و بالعكس بالعكس .

«و نستعينه على هذه النفوس البطاء عمّا أمرت به، السّيراع إلى ما نهيت عنه» الأصل فيه قوله تعالى حكاية عن الصديق «وَ مَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٧).

ص: ٤٩٧

١-١ (١) الكهف: ١-٤. [١]

٢-٢ (٢) الأنعام: ١. [٢]

٣-٣ (٣) النحل: ١١٤. [٣]

٤-٤ (٤) النمل: ١٩. [٤]

٥-٥ (٥) ابراهيم: ٧. [٥]

٦-٦ (٦) الكافي ٢: ٩٧ ح ١٩. [٦]

٧-٧ (٧) يوسف: ٥٣. [٧]

«و نستغفره ممّا أحاط به علمه» «اللّه الذی خلق سیّع سماءٍ و من الأرضِ مثلهنّ ینزلُ الأمرُ بینهنّ لتعلموا أنّ اللّه علی کلّ شیءٍ قَدِیرٌ و أنّ اللّه قد أحاط بِکلّ شیءٍ علماً» (١).

«و أحصاه کتابه» «و کلّ شیءٍ أحصیناه کتاباً» (٢).

«علم غیر قاصر» «و ما یغزبُ عن ربّک من مثقالِ ذرّه فی الأرضِ و لا فی السماءِ و لا أصغرُ من ذلک و لا أكبرُ إلا فی کتابٍ مُبینٍ» (٣)، «عالم الغیب لا یغزبُ عنه مثقالِ ذرّه فی السماواتِ و لا فی الأرضِ و لا أصغرُ من ذلک و لا أكبرُ إلا فی کتابٍ مُبینٍ» (٤)، «و عنده مفاتح الغیب لا یعلمها إلا هو و یعلم ما فی البرّ و البحرِ و ما تشقّط من ورقه إلا یعلمها و لا حبه فی ظلمات الأرضِ و لا رطبٍ و لا یابسٍ إلا فی کتابٍ مُبینٍ» (٥).

«و کتاب غیر مغادر» «و وُضع الکتاب فترى المجرمین مشفقین ممّا فیهِ و یقولون یا وئلتنا ما لهذا الکتاب لا یغادرُ صیغیره و لا کبیره إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرًا و لا یظلم ربّک أحدًا» (٦).

«و تؤمن به إیمان من عاین الغیوب و وقف علی الموعود» قال ابن أبی الحدید: إشاره إلى إیمان العارفين و الذی یعتبر- علیه الصلاه و السلام- سیدهم و رئیسهم، و لذلك قال: لو كشف الغطاء ما ازددت یقینا (٧).

ص: ٤٩٨

[١- ١] الطلاق: ١٢. [١]

[٢- ٢] النبأ: ٢٩. [٢]

[٣- ٣] یونس: ٦١. [٣]

[٤- ٤] سبأ: ٣. [٤]

[٥- ٥] الأنعام: ٥٩. [٥]

[٦- ٦] الکهف: ٤٩. [٦]

[٧- ٧] شرح ابن أبی الحدید ٢٥٣: ٧. [٧]

«إيماننا نفى إخلاصه الشرك» روى (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه بها أن يحجزه لا إله إلا الله عما حرم الله» (١).

«و يقينه الشك» عطف على «إخلاصه الشرك» روى عن حذيفة قال: «لا إله إلا الله» تردّ غضب الربّ عن العباد، ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم إذا سلم دينهم، فإذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم، ثم قالوها ردّت عليهم، وقيل كذبتهم ولستم بها صادقين (٢).

«و نشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له» «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (٣).

«و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم» «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (٤)، «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» (٥).

«شهادتين تصعدان القول و ترفعان العمل» و رواه (روضه الكافي) مسندا جزء خطبه الوسيله، هكذا: (شهادتان ترفعان القول و تضعفان العمل، خفّ ميزان ترفعان عنه، و ثقل ميزان توضعان فيه، و بهما الفوز بالجنة، و النّجاه من النّار، و الجواز على الصّيراط، و بالشّهاده تدخلون الجنة، و بالصلاه تنالون

ص: ٤٩٩

[١-١] (١) ثواب الأعمال: ٢٤ ح ١. [١]

[٢-٢] (٢) المصدر نفسه: ٢٥ ح ٣. [٢]

[٣-٣] (٣) آل عمران: ١٨. [٣]

[٤-٤] (٤) الحديد الفتح: ٩. [٤]

[٥-٥] (٥) ٢٨-٢٩. [٥]

الرَّحْمَهُ، فَأَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّكُمْ (١) «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (٢).

قال ابن أبي الحديد: «قوله عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى «إِلَيْهِ يَصِيْرُ عِدُّ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ» (٣) و يروى (يسعدان) بالسين.

قلت: إن الآيه وقوله عليه السلام بعد (و ترفعان) يؤيدان (تصعدان) بالصاد، و روى (ثواب الأعمال) عن أبي الطفيل عنه عليه السلام قال: (ما من عبد مسلم يقول لا إله إلا الله إلا صعدت تخرق كل سقف لا تمر بشيء من سيئاته إلا طمسها حتى تنتهي إلى مثلها من الحسنات فتقف) (٤).

هذا، وقوله عليه السلام: «شهادتين» مفعول مطلق عددي و نوعي، أما عدديته فواضح، و أما نوعيته فلو صفه بقوله: «تصعدان القول و ترفعان العمل» و هو يفيد على أنه ليس كل شهاده مفيدا بل مع اجتماع شرائطها.

و روى (عيون ابن بابويه) عن إسحاق بن راهويه أن الرضا عليه السلام لما وافى نيسابور و أراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله! ارحل عنا و لا تحدثنا بحديث نستفيد منه، و كان قد قعد في عماريه - فأطلع رأسه و قال: سمعت أبي موسى بن جعفر، يقول:

سمعت أبي جعفر بن محمد، يقول: سمعت أبي محمد بن علي، يقول: سمعت أبي علي بن الحسين، يقول: سمعت أبي الحسين بن علي، يقول: سمعت أبي طالب، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله، يقول: سمعت جبرئيل، يقول: سمعت الله عز و جل، يقول: (لا إله إلا الله حصني، و من دخل حصني أمن

ص: ٥٠٠

١- ١) الكافي ١٨: ٨ ح ٤. [١]

٢- ٢) الأحزاب: ٥٦. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٥٣: ٧، و الآيه ١٠ [٣] من سورة فاطر.

٤- ٤) ثواب الأعمال و عقابها: ٢١ ح ٧.

من عذابي) قال إسحاق فلما مرّت الزاحله نادى: بشروطها، و أنا من شروطها (١). و روى عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذات يوم جالساً في نفر من أصحابه فيهم عليّ عليه السلام إذ قال: من قال (لا- إله إلا الله دخل الجنّة) فقال: رجلان من أصحابه، فنحن نقول لا إله إلا الله فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنما تقبل شهادته لا إله إلا الله من هذا، و وضع يده على رأس عليّ عليه السلام، و شيعته الذين أخذ ربّنا ميثاقهم، ثمّ قال: علامه ذلك ألاّ تحلّ عقده، و لا تجلسا مجلسه، و لا تكذّبا حديثه (٢).

«لا يخفّ ميزان تواضعان فيه» و في خبر عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته جئت بالصلاح عليّ حتّى أثقل بها حسناته (٣).

«و لا يثقل ميزان ترفعان منه» «و قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا» (٤).

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد» الإتيان بالجملة الإسميّة مع تعريف الخبر للدلالة على حصر زاد الآخرة فيها.

«و بها المعاد» من العائده يقال: (هذا الشيء أعود عليك من كذا) أي: أنفع، و قال ابن أبي الحديد مصدر من (عدت بكذا) أي: لجأت إليه و اعتصمت (٥).

قلت: لم أقف على من قال بما قال في (عاد) و إنّما قالوه في (عاد) و لعلّه قرأه (و بها المعاد) إلاّ أنّه ياباه قوله بعد (و معاد منجح) و لا يناسبه قوله قبل

ص: ٥٠١

١- ١) عيون أخبار الرضا لابن بابويه: ١٣٤ ح ٤. [١]

٢- ٢) ثواب و عقاب الأعمال: ٢٦. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه: ١٨٧ ح ١. [٣]

٤- ٤) الفرقان: ٢٣. [٤]

٥- ٥) شرح ابن أبي الحديد: ٧: ٢٥٩. [٥]

(هى الزاد) وجعله الخوئى من الإعادة حيث قال: «أى: و بها المرجع» (١) و هو أيضا كما ترى، فالإعادة فى القيامه للكل المتقى و الفاجر .

«زاد مبلغ» بخلاف زاد الدنيا فأنها لا تبلغ المقصد فى الأغلب.

«و معاد منجح» من (أنجح): صار ذا نجاح و هو الظفر بالحوائج، و عوائد الدنيا غير منجحه فى الأكثر .

«دعا إليها أسمع داع» قال ابن أبى الحديد: بناء (أفعل) هنا من الرباعى كما جاء (ما أعطاه للمال) (٢).

قلت: بل الظاهر أنه من الثلاثى و أن السمع إذا جاء مع الداعى يكون بمعنى الإسماع سواء كان بلفظ التفضيل كما فى كلامه عليه السلام أو بلفظ آخر، كما فى قول عمرو بن معد يكرب.

أمن ريحانه الداعى السميع

أى: المسمع، و اما منفردا فأنما هو على أصله كقوله:

أغرّ طويل الباع اسمع من سمع

و السمع: ولد الذئب من الضبع و به يضرب المثل فى شدّة السمع، كالقراد، فقالوا: يسمع صوت إخفاف الإبل من مسيره يوم فيتحرّك! و كالفرس فقالوا: يسمع سقوط الشعرة منه (٣).

«و عاها خير واع» أى: مستمع، يجعل أذنه كالوعاء لدعوته، تعالى و يترجم بالفارسيه بقولهم (گوش گیر) قال تعالى «و تَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَتْهُ» (٤).

«فاسمع داعيها» فقال صلى الله عليه و آله فى حجّه الوداع: (ما من شىء يقربكم من

ص: ٥٠٢

١-١ (١) الخوئى ٥٨: ٨.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٥٤: ٧. [١]

٣-٣ (٣) الصحاح: (سمع) و كذلك المنجد: ٣٥.

٤-٤ (٤) الحاقه: ١٢. [٢]

الجَنَّةِ إِلَّا أَمَرْتَكُمْ بِهِ وَ مَا مِنْ شَيْءٍ يَقْرِبُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ).

«و فاز واعيها» «و مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (١)، قال ابن أبي الحديد: قيل أراد عليه السلام به نفسه، لأنه نزل فيه عليه السلام (٢) «و تَعَبَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» (٣).

«عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه» «و أَمَا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (٤).

«و ألزمت قلوبهم مخافته» «و أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» (٥).

«حتى أسهرت ليالهم» و السهر عدم مجيء النوم، و نسبته إلى الليالي مجاز، و انما المراد سهر المتقين في ليالهم قال تعالى: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٦).

«و أظمأت هواجرهم» جمع الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر، و المراد صومهم في الأيام الحاره، و تحملهم الظمأ لرى آخرتهم، قال تعالى «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ»

ص: ٥٠٣

[١- ١] الأحزاب: ٧١. [١]

[٢- ٢] شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٤. [٢]

[٣- ٣] الحاقه: ١٢. [٣]

[٤- ٤] النازعات: ٤٠-٤١. [٤]

[٥- ٥] الأنعام: ٥١. [٥]

[٦- ٦] السجده: ١٦-١٧. [٦]

«وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (١).

و روى (الكافي): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله اسْتَقْبَلَ حَارِثَةَ بْنَ مَالِكِ الْأَنْصَارِيَّ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ حَقًّا. قَالَ: فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكَ؟ قَالَ: عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَ أَطْمَأْتِ هُوَ اجْرِي، وَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي وَ قَدْ وَضَعْتُ لِلْحِسَابِ، وَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَ كَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: عَبْدُ نَوْرِ اللَّهِ قَلْبُهُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارزُقْهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى بَعَثَ سَرِيَّةً فَبَعَثَهُ فِيهَا فُقِتِلَ سَبْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ فُقِتِلَ (٢).

«فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ» أَي: رَاحَةَ الْآخِرَةِ.

«بِالنَّصْبِ» أَي: بَتَعَبِ الدُّنْيَا، فِي (العقد): قَالَتِ الْحَكَمَاءُ لَا يُوَاطِبُ أَحَدٌ عَلَى بَابِ السَّيْطَانِ فَيَلْقَى عَنِ نَفْسِهِ الْأَنْفَةَ وَ يَحْتَمِلُ الْأَذَى وَ يَكْظُمُ الْغَيْظَ، إِلَّا- وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ. وَ نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى رُوحِ بَنِ حَاتِمِ وَاقِفًا فِي الشَّمْسِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لِيَطُولَ وَقُوفِي فِي الظِّلِّ، وَ نَظَرَ آخِرٌ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَزَاحِمُ النَّاسَ عَلَى بَابِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ فَقَالَ لَهُ: مِثْلُكَ يَرْضَى بِهَذَا؟ فَقَالَ:

أَهْيَنَ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرَمِهَا بِهِمْ وَ لَا يَكْرَمُ النَّفْسَ الَّذِي لَا يَهِينُهَا

(٣) «وَالرَّيِّ بِالظَّمِّ» مِنْ (رَوَى مِنَ الْمَاءِ) فَأَصْلُ الرَّيِّ: الرَّوْيُ، وَ فِي الْخَبَرِ، قَالَ تَعَالَى: الصُّومَ لِي، وَ أَنَا أَجْزَى بِهِ (٤)، وَ فِي آخِرِ: لِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ فَرِحَهُ عِنْدَ

ص: ٥٠٤

١-١ (١) الأحزاب: ٣٥. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ٣: ٩٠ ح ٣. [٢]

٣-٣ (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ١: ٦٥-٦٦. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي للكلييني ٤: ٦٣ ح ٦. [٤]

إفطاره و فرحه عند لقاء ربّه (١).

«و استقربوا الأجل فبادروا العمل و كذبوا الأمل فلاحظوا الأجل» «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ» (٢). و فى الدعاء:

و أعنى على استغفارك و استقالتك قبل أن يفنى الأجل، و ينقطع العمل، و أعنى على الموت و كربته، و على القبر و وحشته، و على الميزان و خفته، و على الصراط و زلته، و على يوم القيامة و روعته، و أسألك نجاح العمل قبل انقطاع الأجل (٣).

«ثم إن الدنيا دار فناء و عناء و غير و عبر» رواه (أمالى الشيخ) (٤) إلى آخر الخطبه مع اختلاف يسير .

«فمن الفناء ان الدهر مؤثر قوسه» و زاد (الأمالى) «مفوق نبه».

«لا- تخطئ سهامه» فى (الطبرى): وقع الطاعون فى الكوفه، فهرب المغيره بن شعبه، فلمّا ارتفع الطاعون، قيل له: لو رجعت؟ فقدمها فطعن فمات (٥).

«و لا تؤسى جراحه» من (أسوت الجرح): داويته. فى (عيون القتيبي): قدم رجل من عبس، ضرير محطوم الوجه على الوليد، فسأله عن سبب ضرّه، فقال: بتّ ليله فى بطن واد و لا أعلم عبسيًا يزيد ماله على مالى، فطرقنا سيل، فأذهب ما كان لى من أهل و مال و ولد إلا صبيًا رضيعا و بعيرا صعبا، فنّد

ص: ٥٠٥

١- ١) المصدر نفسه ٤:٦٥ ح ١٥. [١]

٢- ٢) المؤمنون: ٥٧-٦١. [٢]

٣- ٣) البلد الأمين للكفعمى: ٦١. [٣]

٤- ٤) الأمالى للصدوق: ٩٧ ح ٨.

٥- ٥) تاريخ الطبرى ٤:١٧٤. [٤]

البعير، و الصبىّ معى، فوضعتة و اتّبعت البعير، فاستدار فرمحنى رمحه حطّم بها وجهى، و أذهب عيني فأصبحت لا- ذا مال و لا ذا ولد! فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروه بن الزبير- و كان أصيب بابن له، و أصابه الداء الخبيث فى إحدى رجله فقطعها- ليعلم أنّ فى النّاس من هو أعظم بلاء منه (١).

«يرمى الحىّ بالموت و الصّحيح بالشّقم» روى (الكافى) عن سيف بن اللّيث قال: خلّفت أبنا لى عليلا بمصر عند خروجى منها، و ابنا لى آخر أسنّ منه كان وصيّى و قيمى على عيالى و فى ضياعى، فكتبت إلى أبى محمّد عليه السلام أسأله الدعاء لابنى العليل، فكتب عليه السلام: تدعو فى ابنك المعتلّ، و مات الكبير وصيّك و قيمك فاحمد الله و لا تجزع فيحبط أجرک، فورد الخبر علىّ، أنّ ابنى قد عوفى من علته، و الكبير مات يوم ورد علىّ جوابه (٢).

و فى (الطبرى): دخل سلمه بن زيد الفهمى على عبد الملك فقال له عبد الملك: أى: الزّمان أدركت أفضل، و أىّ الملوك أكمل؟ قال: أمّا الملوك فلم أر إلّا ذامًا و حامدًا! أمّا الزّمان فيرفع أقواما و يضع أقواما و كلّهم يذمّ زمانه، لأنّه يبلى جديدهم، و يهرم صغيرهم، و كلّ ما فيه منقطع إلّا الأمل. قال: فاخبرنى عن (فهم)؟ قال: هم كما قال، من قال:

درج الليل و النهار على فهم بن عمرو فأصبحوا كالزّميم

دخلت دارهم فأضحت يبّابا بعد عزّ و ثروه و نعيم

و كذلك الزّمان يذهب بالنّاس و تبقى ديارهم كالزّسوم

(٣) «و التّاجى بالعطب» أى: الهلاك.

ص: ٥٠٦

١- ١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٦٤. [١]

٢- ٢) الكافى ٢: ٤٤٤ ح ١٨. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٥: ٢١٢. [٣]

«أكل لا يشبع و شارب لا ينقع» لا يشبع من لحومهم، و لا يشفي غليله من دمائهم .

«و من العناء أنّ المرء يجمع ما لا يأكل، و يبني ما لا يسكن» في (الكافي): أنّ ركبا لقوا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي سفر، فسَلِمُوا عَلَيْهِ فقال: من أنتم؟ قالوا: مؤمنون، قال: ما حقيقه إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله، و التفويض إلى الله، و التسليم لأمر الله، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: علماء، حكماء، كانوا أن تكونوا من الحكمه أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، و لا تجمعوا ما لا تأكلون، و اتقوا الله الذي إليه ترجعون (١).

هذا، و في (المعجم): البيضاء، دار عمّرها عبيد الله بن زياد بالبصره، و لما تمّ بناؤها أمر و كلاءه ألا يمنعوا أحدا من دخولها، و ان يتحفّظوا كلامهم، فدخل فيها أعرابي و كان فيها تصاوير، فقال: لا ينتفع بها صاحبها، و لا يلبث فيها إلا قليلا، فأتى به ابن زياد، و اخبر بمقالته، فقال له: لم قلت هذا؟ قال: فلأنتي رأيت فيها أسدا كالحا و كلبا نابحا و كبشا ناطحا، فكان الأمر كما قال و لم يسكنها إلا قليلا حتّى أخرج أهله البصره إلى الشام و لم يعد إليها (٢).

«ثم يخرج إلى الله لا مالا حمل، و لا بناء نقل» في (تاريخ بغداد): أشرف أحمد بن يوسف - هو من أفاضل كتاب المأمون - و هو بالموت على بستان له على شاطئ دجله، فجعل يتأمله و يتأمل دجله ثم تنفس فقال متمثلا:

ما أطيب العيش لو لا موت صاحبه فففيه ما شئت من عيب لعائبه

(٣) فما انزل حتّى مات.

ص: ٥٠٧

[١-١] الكافي ٣: ٨٨ ح ١. [١]

[٢-٢] معجم البلدان للحموي ١: ٥٣٠. [٢]

[٣-٣] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥: ٢١٨. [٣]

«و من غيره أنك ترى المرحوم مغبوطاً» في (العيون) عن الحسين بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: كُنّا حول الرضا عليه السلام، و نحن شبّان من بنى هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلوي و هو رثّ الهيئه، فنظر بعضنا إلى بعض و ضحك من هيئه جعفر، فقال الرضا عليه السلام: لترونه عن قريب كثير المال، كثير التبع فما مضى إلا شهر أو نحوه حتّى ولى المدينة، و حسنت حاله و كان يمرّ بنا و معه الخصيان و الحشم (١).

«و المغبوط مرحوماً، ليس ذلك إلا نعيماً زلّ و بؤساً نزل» لما مات الحجّاج خرجت عجوز من داره، و هي تقول:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا و اليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً

(٢) و في (الكامل): كان قتال بين مراد و همدان، فظفرت همدان، و أكثروا القتل في مراد، فقال فروه بن مسيكة المرادي:

فان نغلب فغلابون قدما و ان نهزم فغير مهزّمين

و ما ان طبتنا جبن و لكن منا يانا و دوله آخرينا

كذاك الدهر دولته سجال تكرر صروفه حيناً و حيناً

فيينا ما يسرّ به و يرضى و لو لبست غضارته سنيينا

إذا انقلبت به كرات دهر فألقى للأولى غبطوا طحيناً

و من يغبط بريب الدهر منهم يجد ريب الزّمان لهم خوّننا

فلو خلد الملوكة اذن خلدنا و لو بقى الكرام اذن بقينا

فأفنى ذلكم سروات قوم كما أفنى القرون الأولينا

(٣)

ص: ٥٠٨

١- (١) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢: ٢٠٩ ح ١١. [١]

٢- (٢) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢: ٢٠٩ ح ١١.

٣- (٣) الكامل لابن الأثير ٢: ٢٩٦. [٢]

و فى السیر: فى سنة (٣٨١) سأل بهاء الدوله (الطائع) أن یجدد عهده فلما دخل علیه جاء بعض الدیلم ليقبل یده، فأمسکها و أنزله عن سریره و هو یسترجع فخلع، و كانت خلافته (١٧) سنة، و كان من جمله الحاضرين الشریف الرضی فأنشد:

أمسیت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بین العزّ و الهون

و بعد ما كان بالسزّاء یضحکنى یا قرب ما عاد بالصّزّاء یبکینى

(١) و فى سنة (٥٥٠) ملک الغزّ نيسابور و قتلوا نحوًا من ثلاثين ألفًا و كان السّیطان سنجر له اسم السلطنه، و هو معتقل لا یلتفت إليه، حتّى أنّه أراد كثيرا من الأيام أن یركب، فلم یکن له من یحمل سلاحه فیشدّه على وسطه و یركب، و كان إذا قدّم إليه طعام، یدخر منه ما يأكله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه، لتقصيرهم فى واجبه.

و فى (الطبرى) (٢): كان عثمان بن حیان المرّی على المدینة من قبل سلیمان بن عبد الملک، و كان ابو بکر بن حزم استأذنه أن ینام فى غدوّ تسع بقین من شهر رمضان، ليقوم لیه إحدى و عشرين فأذن له، و كان عنده أيّوب بن سلمه المخزومى و كان بینه و بین ابن حزم شیء، فقال لعثمان: هذا منه رياء، فقال عثمان: لست لأبى إن أرسلت إليه غدوه، و لم أجده جالسا لأجلدنه مائه و لأحلقنّ رأسه و لحيته، فقال أيّوب: فجاءنى أمر أحبّه، فعجّلت من السحر فإذا شمعه فى الدار، فقلت: عجّل المرّی، فإذا رسول سلیمان قد قدم على ابن حزم بتأميره و عزل عثمان وحدّه، قال: فدخلت دار الإمارة، فإذا عثمان جالس و إذا بابن حزم على كرسيّ یقول للحدّاد: اضرب فى رجل هذا

ص: ٥٠٩

١- ١) المصدر نفسه ٩: ٨٠ و [١] الشعر مذکور فى دیوان الرضی ٢: ٤٤٧.

٢- ٢) تاریخ الطبرى ٥: ٢٧٢. [٢]

الحديد، ونظر إلى عثمان فقال:

أبوا علي أدبارهم كشفًا و الأمر يحدث بعده الأمر

(١) وفي (البلاغات) قيل لابنه النعمان بن المنذر: صفى ما كنتم فيه؟ قالت:

أصبحنا و الناس يغبطوننا، فلم نمس حتى رحمتنا عدونا (٢).

و في (البيان): بينا حذيفه و سلمان يتذاكران أعاجيب الزمان و تغير الأيام، و هما في عرصه إيوان كسرى، و أن أعرابي من غامد يرى شويهاة له نهارا، فإذا كان الليل صيرهن إلى داخل العرصه، و في العرصه سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه، إذ صعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى! فقال سلمان: و من أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدى على سرير كسرى، و كانت ملوك الزمان إذا وصلوا إلى قرب سريره طرحوا أنفسهم على التراب (٣).

و عن صالح الموريانى قال: دخلت دار أبى أيوب الموريانى بعد نكبه المنصور له، فتذكرت ثلاث آيات من الكتاب فيها «فَتَلَكَّ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسَيِّكَنَّ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» (٤)، «وَلَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» (٥)، «فَتَلَكَّ بِيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا» (٦)، فخرج إلى أسود من ناحية الدار، فقال: هذا سخط المخلوق فكيف سخط الخالق (٧)!

ص: ٥١٠

١-١) الكامل لابن الأثير ١١:٢٠١.

٢-٢) بلاغات النساء لابن أبى طاهر: ١٤١ طبع النجف [١] الأشرف.

٣-٣) البيان و التبيان للجاحظ ٣:١٤٨.

٤-٤) القصص: ٥٨. [٢]

٥-٥) القمر: ١٥. [٣]

٦-٦) النمل: ٥٢. [٤]

٧-٧) لم نعثر عليه.

و في (وزراء الجهشياري): طلب المنصور يوما الربيع فلم يجده، فلما دخل عليه سأله عن خبره، فقال: كنت عند سليمان الكاتب - يعني أبا أيوب - فقال: و من رأيت عنده؟ قال: عبد الله بن مروان بن محمد، و قد طلب منه حاجه فقضاها، و قام عبد الله فقبّل رأس سليمان، و كان المنصور متكئا فاستوى جالسا، و قال: يا ربيع! قبّل عبد الله رأس سليمان؟ فقال: نعم، فقال: الحمد لله و خرّ ساجدا، فأطال، ثم قال: يا ربيع! أتدرى، أي نعمه جدّ الله عندي في هذا الوقت؟ قال: لا. فكشف المنصور عن ساقه، فإذا فيها أثر بين، ثم قال: كنت بدمشق في أيام مروان، إذ رأيت للناس حرك، فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: عبد الله بن الخليفة يركب - و ما ركب قبل ذلك - و قد أمر الجند بالزّينه، و انجفل الناس للنظر، فخرجت فيمن خرج، فازدحم الناس على بعض الطرق زحمة شديده و كانت دأبتى صعبه فسقطت عنها، و انكسرت ساقى و غشينا الناس و مكثت دهرا عليلا، و هاهو اليوم يقبّل رأس كاتبى (1).

و في (لطائف الثعالبى) قال الصولى: لا يعرف خليفه قبل يد خليفه، ثم قبل ذلك الخليفه بعينه يده، إلا ما كان من فعل المعتصم بإبراهيم بن المهدي ثم فعل إبراهيم بالمعتصم مثله، قال: و من عجائب الزّمان التى رأيتها و شاهدتها أتى بكرت يوم الأربعاء إلى دار الوزير القاسم بن عبيد الله، و هو لَمّا به، فرأيت ابنه أبا على الحسين، و أبا جعفر محمّدا، قد خرجا فقام الناس إليهما، و دنا العباس بن الحسن فقبّل أيديهما، و مات القاسم فى ذلك اليوم، و استوزر العباس! فرأيت العباس قد ركب إلى دار القاسم معزيا، و خرج ابنا القاسم اللذان قبّل العباس أيديهما ذلك اليوم، فقبّلا يد العباس

ص: ٥١١

و فى (المعجم): قال أبو على التنوخى: كنت فى سنة (٣٥٢) ببغداد فحضر أول يوم من شهر رمضان فاصطبحت أنا و أبو الفتح الكاتب فى دار أبى الغنائم ابن الوزير أبى محمّد المهلبى لنهته بالشهر عند توجه أبيه إلى عمّان، و بلغ أبوه إلى موضع من أنهار البصره يعرف بعليا باذ، ففترت نيتة عن الخروج و استوحش معزّ الدوله منه، و فسد رأيه فيه، و اعتلّ المهلبى هناك ثم أمره معزّ الدوله بالرجوع و قد اشتدّت علته، و الناس بين مرجف بأنّه يقبض عليه إذا حصل بواسطه، أو عند دخوله بغداد، و مرجف بوفاته، و خليفته إذ ذاك على الوزاره ببغداد، أبو الفضل و أبو الفرج، فدخلنا على ابن الوزير و هو جالس فى عرضى داره التى كانت لأبيه على دجله على الصراط عند شبّاك على دجله، و هو فى دست كبير عال و بين يديه الناس على طبقاتهم، فهنأناه بالشهر، و جلسنا و هو إذ ذاك صبى غير بالغ إلاّ أنّه محصّل، فلم يلبث أن جاءه أبو الفضل و أبو الفرج فدخلا إليه و هنأه بالشهر، فأجلس أحدهما عن يمينه و الآخر عن يساره على طرف دسته فى الموضع الذى فيه فضله المخادّ إلى الدّست و ما تحرّك لأحدهما و لا شاركا فى الدّست، و أخذنا معه فى الحديث و أبو الفضل يستدعى خادم الحرم فيساره فيمضى و يعود، و يخاطبه سرّاً، إلى أن جاءه بعد ساعه، فساره فنهض - و كان زوج بنت بنت الوزير فحين دخل و اطمأنّ قليلا وقع الصّراخ و تبادل الخدم و الغلمان، و دعى الصبى - و كان يتوقّع أن يرد عليه خبر موت أبيه، لأنّه كان عالما بشده علته - فقام فأمسكه أبو الفرج، و قال: اجلس، و قبض عليه، و خرج أبو الفضل و قد قبض على أمّ الصّبى، و وكلّ بها خدما و ختم الأبواب، ثمّ قال للصّبى: قم إلى مولانا - يعنى

معز الدوله-فقد طلبك،وقد مات أبوك،فبكى الصبي وسعى إلى أبي الفضل وعلق بدراعه و قال:يا عم!الله الله!-يكررها- فضمه أبو الفضل إليه واستعبر وقال:ليس عليك بأس،وانحدروا إلى زبازبهم،فجلس أبو الفرج في زبزه، و جلس أبو الفضل في زبزه،وأجلس الغلام بين يديه،وأصعدت الزبازب تريد معز الدوله بباب الشماسيه،فقال أبو الفتح:ما رأيت مثل هذا قط ولا سمعت!لعن الله الدنيا،أليس الساعه كان هذا الغلام في الصيادر معظما و كان خليفنا أبيه بين يديه و ما افترقا حتى صار بين أيديهما ذليلا حقيرا؟ثم جرى من المصادرات على أهله و حاشيته ما لم يجز على أحد (١).

و في (الكامل):لما قبض محمّد بن محمود الغزنوي على أخيه مسعود الملك أرسل إليه يطلب منه مالا ينفقه فأنفذ له خمسمائه درهم!فبكى مسعود، و قال:كان بالأمس على ثلاثة آلاف جمل من الخزائن،و اليوم لا أملك الدرهم الفرد فأعطاه الرسول من ماله ألف دينار (٢).

هذا و في (أدب الكاتب للصولي)قال عدّي بن الرّقاع في تشبيه قرن ولد الطّي بالقلم:

ترجي أغنّ كأنّ أبره روقه قلم أصاب من الدّواه مدادها

و يروى أن جريرا كان حاضرا عند عدّي،و هو ينشد قصيدته،قال:فلما أنشد صدر البيت:

ترجي أغنّ كأنّ أبره روقه

رحمته،و قلت:هلك.فلما قال:

قلم أصاب من الدّواه مدادها

ص:٥١٣

١-١) لا وجود له في ترجمه أبو علي التنوخي. [١]

٢-٢) الكامل لابن الأثير ٩:٤٨٥ [٢] حوادث ٤٣٢.

و دعا أبو العيناء ضريرا ليعشّيه فلم يدع شيئا إلا أكله! فقال: يا هذا! دعوتك رحمة، فتركتني رحمة، وقال البحتري في أبي الصقر:

جزتك جوازي الخير عن متهضم تكفا عليه جائر الحكم قاسطه

و لما أتاه الغوث من عدلك اثنتي و راحمه من ذلك الجور غابطه

(٢) و قال عبيد بن شبرمه الجهني - و قد عاش ثلاثمائة سنة - لمعاويه:

مررت يوما بقوم يدفنون ميتا لهم، فلما انتهيت إليهم اغرو و رقت عيناى، فتمثلت بقول الشاعر:

و بينما المرء فى الأحياء مغتبط إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصير

يبكى الغريب عليه ليس يعرفه و ذو قرابته فى الحى مسرور

فقال لى رجل: أتعرف قائل الشعر؟ قلت: لا، قال: قاله هذا المدفون و أنت غريب تبكى عليه و لا تعرفه، و هذا الذى خرج من قبره أقرب الناس إليه و هو أسرهم بموته (٣)! «و من عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقطع حضور أجله» فى (المعجم):

غلب اللدين على يحيى الحنفى من يمامه فهرب، و كان غايه أمله أن يؤدى دينه و أن يرجع إلى وطنه، فقال فى ذلك أشعارا غنى بها عند الرشيد، فأمر برده و قضاء دينه، لكنّه كان مات قبل أمر الرشيد بشهر. و فى الخبر:

أنّ على بن اسماعيل بن جعفر، و أخوه محمّد سعى إلى الرشيد فى عمّه موسى بن جعفر عليه السلام، طمعا فى جائزه عظيمه منه، أمر له الرشيد

١-١ (١) أدب الكتاب للصولي: ٧٩. [١]

٢-٢ (٢) ديوان البحتري ١٧٤: ١.

٣-٣ (٣) هو عبيد بن شريه الجهمى كما ورد فى عيون الأخبار لابن قتيبه ٣٠٥: ٢. [٢]

بشيء فوصل إليه حين نزعه (١).

و في السير: أنّ مروان بن محمد نكف بعد قتله برأسه، و نفض مَنّاه، و قطع لسانه، و ألقى مع لحم عنقه، فجاء كلب فأخذ اللسان، فقال قائل: إنّ من عبر الدنيا أن رأينا لسان مروان في فم كلب (٢).

و لكن في (تاريخ خلفاء السيوطي) عن الصولي عن محمد بن صالح: لما قتل مروان الحمار قطع رأسه و وجهه به إلى عبد الله بن علي، فنظر إليه و غفل، فجاءت هرة فاقتلعت لسانه و جعلت تمضغه، فقال عبد الله بن علي: لو لم يرنا الدهر من عجايبه إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا (٣).

«فلا أمل يدرك و لا مؤمل يترك» في (الكامل): حادثه يعتبر بها، بيع في سنة (٤٩٣) رحل ابن جهير و دورهم بباب العاقه، و وصل ثمن ذلك إلى مؤيد الملك ثم قتل مؤيد الملك في سنة (٤٩٤) و بيع ماله و تركته، و أخذ الجميع و حمل إلى الوزير الأغر و قتل الوزير الأغر هذه السنه، و بيع رحله و اقتسمت أمواله و أخذ السلطان و من ولى بعده أكثرها و تفرقت أيدي سبا (٤).

و في (مقاتل أبي الفرج): نعى عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى إلى المتوكل ثم نعى بعده أحمد بن عيسى، فاغتبط بوفاتهما، و سرّ و كان يخافهما خوفا شديدا، و يحذر حركتهما لما يعلمه من فضلتهما، و استنصار الشيعة الزيدية بهما، و طاعتها لهما لو أراد الخروج عليه، فلما ماتا آمن و اطمأن، فما لبث بعدهما إلا اسبوعا حتى قتل! (٥)

ص: ٥١٥

١-١) لا وجود ليحيى الحنفي في المعجم.

٢-٢) جاء في الكامل لابن أثير في فم كلب ٤٢٧:٥، و في تاريخ الخلفاء للسيوطي: «[١] في فم هر».

٣-٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٠٥. [٢]

٤-٤) انظر ابن الأثير في الكامل ٢٩٩:١٠ و ٣٠٤-١٠:٣٠٥ [٣] حيث ذكر الأمرين.

٥-٥) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٤١٧-٤١٨.

«فسبحان الله ما أعزّ سرورها» (عزّ الشيء: إذا قلّ لا يكاد يوجد). عن المدائني: دخلت امرأه من بنى مروان على عبد الله بن عليّ بالشّام، فبكت فقال، ممّ تبكين؟ أجزعا لأهلك على ما أصابهم؟ قالت: لا والله ولكنّه ما كان يوم سرور إلاّ وهو رهن بيوم مكروه

«و أظمأ ريّها» فالدّنيا كماء البحر، كلّما ازداد إنسان من شربه، ازداد عطشه و ظمأه .

«و أضحى فيئها» من (ضحى-بالكسر و الفتح-للشمس): برز لها، و(الفيء): الظلّ الحادث .

«لا جاء يرّدّ و لا ماض يرتدّ» قال ابن أبي الحديد: أخذهُ أبو العتاهيه فقال:

فلا أنا راجع ما قد مضى لى و لا أنا دافع ما سوف يأتي

(١) «فسبحان الله ما أقرب الحيّ من الميّت للحاقه به و أبعد الميّت من الحيّ لانقطاعه عنه» كلّ شيء كان قريبا من شيء آخر كان الآخر مثله، و كذلك كلّ شيء كان بعيدا لكن تخلف هذا الأصل في الحيّ و الميّت فالحيّ في غايه القرب من الميّت للحاقه به تقول في زياره القبور(و إنّنا إنشاء الله بكم لاحقون) و الميّت في غايه البعد لاستحاله رجوعه .

«إنّه ليس شيء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه و ليس شيء بخير من الخير إلاّ ثوابه» قال ابن أبي الحديد: و قال الشّاعر:

فالحير خير و خير منه فاعله و الشرّ شرّ و شرّ منه صانعه

(٢) «و كلّ شيء من الدّنيا سماعه أعظم من عيانه، و كلّ شيء من الآخره عيانه أعظم من سماعه» و لذا عبّر تعالى في وصف شدائد الآخره في مواضع بلفظ

ص: ٥١٦

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٧:٢٥٦. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٧:٢٥٧. [٢]

(و لو ترى) فقال سبحانه: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ» (١)، «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَا فُوتَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» (٢)، «وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ» (٣)، «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» (٤)، «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نَكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٥)، «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَ رَبَّنَا» (٦)، «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» (٧).

و قال عليه السلام فى موضع آخر فى وصف المحتضرين: «فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكره الموت و حسره الفوت».

«فليكنكم من العيان» أى: من رؤيه تلك الامور بالعيان السماع من الرسل .

«و من الغيب الخبر» فالخبر إذا كان من صادق بالبرهان، يحكم العقل بوجوب تصديقه و العمل بمقتضى خبره .

«و اعلموا أنّ ما نقص من الدنيا و زاد فى الآخرة خير مما نقص فى الآخرة»

ص: ٥١٧

[١ - ١] السجده: ١٢. [١]

[٢ - ٢] سبأ: ٥١. [٢]

[٣ - ٣] سبأ: ٥٣. [٣]

[٤ - ٤] سبأ: ٣١. [٤]

[٥ - ٥] الأنعام: ٢٧. [٥]

[٦ - ٦] الأنعام: ٣٠. [٦]

[٧ - ٧] الأنعام: ٩٣. [٧]

هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: «من الآخره» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«و زاد في الدنيا» لأن الحياه الدنيا متاع و إن الآخره هي دار القرار .

«فكم من منقوص رابح و مزيد خاسر» فمن يزرع بذره ينقص في العاجل ماله، و يربح في الآجل أضعاف ما نقص إذا قام بسقيه و قمع دغله كما أن من زاد زرعه بالنباتات الدغليه يخسر و لا يحصل له كثير حاصل .

«إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه» «فكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٣)، «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» (٤).

«و ما احل لكم أكثر ممّا حرم عليكم» «يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» (٥)، «يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ» (٦)، «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْأُنْتُمِ وَ الْبُغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ»

ص: ٥١٨

١- ١) الطبعه المصريه المصححه بلفظ «عن»: ٢٧٥.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥١ و [١] الخطيه: ٩٨ بلفظ «من» و شرح ابن ميثم بلفظ «في».

٣- ٣) النحل: ١١٤-١١٥. [٢]

٤- ٤) البقره: ٥٧. [٣]

٥- ٥) البقره المائده: ١٦٨. [٤]

٦- ٦) ٤.

«سُلْطَانًا وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (١).

«فذرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثَرَ وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ» مثلاً أَحَلَّ لَنَا اسْتِعْمَالَ الْأَوَانِي مِنْ كُلِّ فَلَزٍّ وَ مَعْدِنٍ وَ جِنْسٍ سِوَى الذَّهَبِ وَ النِّصَّهِ، وَ أَحَلَّ لِلرِّجَالِ مِمَّا زَيَّنَهُ بِكُلِّ لِبْسٍ وَ حَلِيهِ سِوَى الْحَرِيرِ وَ الذَّهَبِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَهُ تَعَالَى حَيْثُ وَسَّعَ عَلَيْنَا فِي التَّمَتُّعِ وَ لَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا حَرَجًا فِيمَا أُوجِبَ عَلَيْنَا مِنْهُ التَّمَتُّعُ، مَعَ أَنَّهُ مَنَعَ مَا مَنَعَ لِمَفَاسِدٍ وَ مَضَارٍّ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: دَخَلَ إِنْسَانٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ مَرْتَفَعَةُ الْقِيَمَةِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَتَلْبَسُ مِثْلَ هَذَا؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (٢).

وَ رَوَى (الكافي): أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَعَثَ ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الْخَوَارِجِ لِبَسِ أَفْضَلِ ثِيَابِهِ وَ تَطَيَّبَ بِأَفْضَلِ طِيْبِهِ، وَ رَكِبَ أَفْضَلِ مَرَاكِبِهِ، فَلَمَّا وَافَقَهُمْ قَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! بَيْنَا أَنْتَ أَفْضَلُ النَّاسِ، إِذْ أَتَيْتَنَا فِي لِبَاسِ الْجَبَابِرَةِ وَ مَرَاكِبِهِمْ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (٣).

وَ رَوَى أَنَّ سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ رَأَى الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ كَثِيرَةٌ الْقِيَمَةِ حَسَانًا، فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! مَا لِبَسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ لَا عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ هَذَا اللَّبَاسِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي زَمَانٍ قَتَرَ مَقْتَرًا، وَ كَانَ يَأْخُذُ لِقَتْرِهِ وَ إِقْتَارِهِ، وَ إِنَّ الدُّنْيَا بَعْدَ أَرْخَتِ عِزِّ إِلَيْهَا فَأَحَقُّ أَهْلِهَا بِهَا أَبْرَارُهَا ثُمَّ تَلَا الْآيَةَ (٤).

ص: ٥١٩

١- ١) الأعراف: ٣٢-٣٣. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٥٩، والآية ٣٢ [٢] من سورة الأعراف.

٣- ٣) الأعراف: ٣٢، و [٣] الرواية في الكافي ٦: ٤٤٢. [٤]

٤- ٤) المصدر نفسه ٣: ٤٤٢ ح ٨.

كما أنه روى أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَسَا اسَامَهُ بِنَ زَيْدٍ حَلَّةً حَرِيرٍ فَخَرَجَ فِيهَا، فَقَالَ: مَهْلًا يَا اسَامَهُ! إِنَّمَا يَلْبَسُهَا مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ فَاقْسِمَا بَيْنَ نِسَاءِ كَ (١).

«قَدْ تَكْفَلُ لَكُمْ بِالرِّزْقِ» هَكَذَا فِي (الْخَطِيئَةِ) (٢) وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَصْلَ (وَقَدْ تَكْفَلُ) فَإِنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ الْوَصْلِ، وَكَيْفَ كَانَ فَقَالَ تَعَالَى «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ» (٣).

«وَأَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ» «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (٤).
«فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ» وَهُوَ الرِّزْقُ.

«أُولَى بَكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ» فِي (تَوْحِيدِ ابْنِ بَابُوِيَه) عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِنَّ الْإِهْتِمَامَ بِالرِّزْقِ غَيْرُ زَائِدٍ فِي الْمَوْضُوفِ وَفِيهِ يَضِيعُ الزَّادُ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ غَيْرُ نَاقِصٍ مِنَ الْمَقْدُورِ وَفِيهِ إِحْرَازُ الْمَعَادِ» وَأَنْشَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَوْ كَانَ فِي صَخْرِهِ فِي الْبَحْرِ رَاسِيهِ صَمَاءٌ مَلْمُومَةٌ مَلَسَ نَوَاصِيهَا

رِزْقٌ لِنَفْسٍ بَرَاهَا اللَّهُ لِانْفَلَقَتْ عَنْهُ فَادَّتْ إِلَيْهِ كُلَّ مَا فِيهَا

أَوْ كَانَ بَيْنَ أَطْبَاقِ السَّبْعِ مَجْتَمِعَةً لِسَهْلِ اللَّهِ فِي الْمَرْقِيِّ مَرَاقِيهَا

حَتَّى يُوَافِيَ الَّذِي فِي اللَّوْحِ خَطٌّ لَهُ إِنْ هِيَ أَتَتْهُ وَإِلَّا فَهِيَ آتِيهَا

(٥) وَفِي (الْكَافِي) عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا: أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ طَلْبُ الْعِلْمِ، وَالْعَمَلُ بِهِ، أَلَا وَإِنَّ طَلْبَ الْعِلْمِ أَوْجِبُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلْبِ الْمَالِ، إِنَّ الْمَالَ

ص: ٥٢٠

١-١) الكافي للكليني ٤٥٣:٦ ح ٢. [١]

٢-٢) النسخة الخطية: ٩٨، وجميع النسخ الأخرى.

٣-٣) الأسراء: ٣١. [٢]

٤-٤) الكهف: ١٠. [٣]

٥-٥) التوحيد لابن بابويه: ٣٧٢ ح ١٥.

مقسوم مضمون قد قسمه عادل بينكم، وضمنه، و سفيى لكم، و العلم مخزون عند أهله و قد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه (١).

«مع أنه و الله لقد اعترض الشك» أى: عرض و حال دون العمل.

«و دخل اليقين» أى: صار دخيلا و معيوباً .

«حتى كأن الذى ضمن لكم قد فرض عليكم» قال عليه السلام: كان فى ما وعظ لقمان ابنه أن قال: يا بنى! يعتبر من قصر يقينه و ضعفت نيته، و طلب الرزق أن الله تعالى خلقه فى ثلاثه أحوال من أمره، و آتاه رزقه و لم يكن له فى واحده منها كسب و لا حيله أنه تعالى سيرزقه فى الحاله الرابعه، أمّا أول ذلك فأنه كان فى رحم أمه يرزقه هناك لا يؤذيه فى حرّ و لا برد، ثم أخرجته من ذلك و أجرى له رزقا من لبن أمه يكفيه به و يربيه و ينعشه من غير حول و لا -قوه، ثم فطم من ذلك فأجرى له رزقا من كسب أبويه برأفه له و رحمه من قلوبهما، لا يملكان غير ذلك حتى أنهما يؤثرانه على أنفسهما فى أحوال كثيره حتى إذا كبر و عقل، و اكتسب بنفسه ضاق به أمره و ظنّ الظنون برّبه، و جحد الحقوق فى ماله، و أقتر على نفسه و على عياله مخافه إقتار رزق، و سوء ظنّ، و يقين بالخلف من الله تعالى فى العاجل و الآجل فبئس العبد هذا يا بنى (٢).

«فبادروا العمل» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: إذا هم أحدكم بخير أو صلّه فإنّ عن يمينه و شماله شيطانين فليبادر لا يكفاه عن ذلك (٣).

و عنه عليه السلام: إذا هممت بشىء من الخير فلا- تؤخره فإنّه تعالى ربّما اطّلع على العبد، و هو على شىء من الطاعه فيقول: و عزّتى و جلالى! لا اعدّبك بعدها

ص: ٥٢١

١-١ (١) الكافى ١:٣٥ ح ٦. [١]

٢-٢ (٢) الخصال ١:٦٠-٦١. و نقله المجلسى فى البحار ١٣:٤١٤ روايه (٥). [٢]

٣-٣ (٣) الكافى ٣:٢١٣ ح ٨. [٣]

أبدا،و إذا هممت بسيئه فلا تعملها فإنه ربّما أطلع على العبد و هو على شيء من المعصيه،فيقول و عزّتي و جلالتي إلا أغفر لك بعدها أبدا (١).

قلت:و يمكن تفسير الخبر بأنّ بعض الأعمال الحسنه يؤدّي إلى ما فوقه كما في تأدّب الحرّ مع الحسين عليه السلام،و بالعكس كما في كتابه عمر بن سعد إلى يزيد يخبره بورود مسلم الكوفه،و عدم كفايه النعمان و إفشائه سرّ مسلم لّمّا وصّى إليه فأدياه إلى تصديّه لقتل الحسين عليه السلام الموجب لهلاكه الابد مع أنّه كان ساعيا في التنكّب عنه.

و عن الصادق عليه السلام أيضا:لا تستقل ما تتقرّب به إليه تعالى و لو بشقّ تمره .

«و خافوا بغته الأجل» «و ما أرسّلنا في قريه من نبيّ إلا أخذنا أهلها بالبأساء و الضراء لعلّهم يضرّعون ثمّ بدلنا مكان السيئه الحسنه حتّى عفّوا و قالوا قدّ مسّ آباءنا» الضراء و السراء «فأخذناهم بغته و هم لا يشعرون» (٢).

«فإنه لا يرجى من رجعه العمر ما يرجى من رجعه الرّزق» «و أنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لو لا أخزّتني إلى أجل قريب فأصدّق و أكنّ من الصّالحين و لن يؤخّر الله نفسا إذا جاء أجلها و الله خبير بما تعملون» (٣).

«ما فات من الرّزق رجي غدا زيادته» هكذا في (المصريه) (٤)،و فيه سقط و الأصل «ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته» كما في

ص: ٥٢٢

١-١) المصدر نفسه ٣:٢١٣ ح ٧. [١]

٢-٢) الكافي ٢:١٤٢ ح ٥،و [٢]الآيه ٩٤-٩٥ من سوره الأعراف. [٣]

٣-٣) المنافقون: ١٠-١١. [٤]

٤-٤) المصريه المصححه: ٢٧٥.

(ابن أبي الحديد) وغيره (١).

«و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعت» فيجب أن يغتنم الفرصه .

«الرجاء مع الجائي،و اليأس مع الماضي» هو كالتعليل لقوله قبل «لا يرجي...»و«ما فات...».

«ف اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا - وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» «الأصل فيه قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (٢).

١٣

الخطبه (١٢٩)

منها:

وَ إِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصِيرِ الْأَعْمَى - لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً - وَ الْبَصِيرُ يَنْفَعُهَا بَصِيرُهُ - وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا - فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ - وَ الْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ - وَ الْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ - وَ الْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ «و إنما الدنيا منتهى بصر الأعمى» أى: أعمى القلب عن رؤيه الآخره، قال تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور» (٣).

قال ابن قتيبه: صار ابن عباس و أبوه و جدّه مكافيف في آخر عمرهم، فقال معاويه لابن عباس: أنتم يا بنى هاشم تصابون في أبصاركم! فقال ابن عباس: و أنتم يا بنى أميه تصابون في بصائركم (٤).

«لا يبصر ممّا وراءها شيئاً» «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ»

ص: ٥٢٣

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ٧:٢٥١. [١]

[٢-٢] آل عمران: ١٠٢. [٢]

[٣-٣] الحج: ٤٦. [٣]

[٤-٤] المعارف لابن قتيبه: ٥٨٩. [٤]

«الْآخِرَهُ هُمْ غَافِلُونَ» (١)، «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» (٢).

«والبصير ينفذها بصره و يعلم أنّ الدار وراءها» «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ» (٣).

«فالبصير منها شاخص» في (الجمهره): شخص من مكان: إذا سار في ارتفاع، فإن سار في انحدار فهو هابط (٤).

«تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٥).

«و الأعمى إليها شاخص» «وَيَلِيلٌ لِّكُلِّ هَمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا - وَ عِدَدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لِيَتَّبِعُنَّ فِي الْحُطْمَةِ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ»

ص: ٥٢٤

[١-١] (١-١) الروم: ٧. [١]

[٢-٢] (٢-٢) النجم: ٢٩-٣٠. [٢]

[٣-٣] (٣-٣) آل عمران: ١٩٠-١٩٥. [٣]

[٤-٤] (٤-٤) الجمهره: ٦٠١ (٤[شخص]).

[٥-٥] (٥-٥) السجده: ١٦-١٧. [٥]

«والبصير منها متزود، والأعمى لها متزود» «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبٌ وَمَا مِنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ» (٢)، «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَمَا مِنْ بَخِلٍ وَاسْتِغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» (٣) مثله كمثل الأعمى الذى افتقد عصاه فتفقد بها بيده فوقعت على حيه اسكتها البرد فسر بها بدلا.

و من خطبه له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ - إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا عَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَائِمُ - مَعَ كُلِّ جَزَعَةٍ شَرِقٌ وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصِيصٌ - لَا تَتَّالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى - وَلَا يُعَمَّرُ مَعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ - إِلَّا بِهَدْمٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ - وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنِفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ - وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا - مَيَاتٌ لَهُ أَثَرٌ - وَلَا يَجَدِّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا - بَعِيدٌ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ - وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ - وَقَدْ مَضَتْ أُصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا - فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ

[١ - ١] (١) الهمزة: ١-٩. [١]

[٢ - ٢] (٢) القارعة: ٦-١٠. [٢]

[٣ - ٣] (٣) الليل: ٥-١١. [٣]

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَایَا- وَ نَهَبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ- وَ مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ- وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ- وَ لَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى- وَ لَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ- فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمُنُونِ وَ أَنْفُسِنَا نَصَبُ الْحُتُوفِ- فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ- وَ هَذَا اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَمْ يَزْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفًا- إِلَّا أَسِيرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيْنَا وَ تَفْرِيقِ مَا جَمَعْنَا أقول: ترى أنّ الثاني تكرر مع اختلاف يسير، و لم يتفطن له المصنّف حتى يتبه عليه كما هو دأبه في مثله، و تفطن له ابن أبي الحديد أيضا، و رواه (الأمالى الشيخ الطوسى -الأمالى- ج ٢ ص ٢٢٠) هكذا «أيها الناس أصبحتم أغراضا، تنتضل فيكم المنايا، و أموالكم نهب للمصائب ما طعمتم في الدنيا من طعام، فلکم فيه غصص، و ما شربتموه من شراب، فلکم فيه شرقة، و أشهد بالله ما تنالون من الدنيا نعمه تفرحون بها إلا بفراق أخرى تكرهونها، أيها الناس: إنا خلقنا و إياكم للبقاء لا للفناء، و لكنكم من دار تنقلون فتزودوا لما أنتم صائرون إليه و خالدون فيه (١).

قوله عليه السلام فيهما: «أيها الناس إنما أنتم في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، إنما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا» في (الصحيح): انتضلوا: رموا للسبق، و الغرض: الهدف، قال زهير بن جناب الذى عدّوه في المعتمرين، لبنيه في وصيته: إنما الإنسان غرض تعاوره الرّماه فمقصرّ دونه، و مجاوز موضعه، و واقع عن يمينه و شماله، ثم لا بدّ أن يصيبه (٢).

١- (١) الأمالى للطوسى ٢٢٠: ٢. [١]

٢- (٢) بلفظ «زهير بن جناب»، المعتمرون و الوصايا: ١٢٩.

قوله عليه السلام فى الثانى «و نهب تبادلره المصائب» قال الشاعر:

و كنت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

قوله عليه السلام فىهما: «مع كل جرعه شرق» قالوا: إن يزيد بن عبد الملك خلا مع محبوبته حبابه، فأكلت عنبا فشرقت فماتت، فجزع عليها، و منع من دفنها حتى أنتت .

«و فى كل أكله غصص» بالفتح-قالوا: كان الحصين بن يزيد الحارثى الذى رأس بنى الحارث بن كعب مائه سنه، يقال له ذو الغصه، لأنه كان بحلقه غصه لا يبين بها الكلام (1).

و فى (الحليه) عن أبى تراب النخشبى، قال: ما تممت على نفسى قط إلا مره، تممت على خبزا و بيضا و أنا فى سفر، فعدلت من الطريق إلى قريه فلمّا دخلتها و ثب إلى رجل، فتعلّق بى و قال: إن هذا كان مع اللصوص! فبطحونى و ضربونى سبعين جلده، فوقف علينا رجل فصرخ: هذا أبو تراب، فأقامونى و اعتذروا إلى و أدخلنى الرجل منزله، و قدّم إلى خبزا و بيضا، فقلت: كلها بعد سبعين جلده (2).

«لا تنالون منها نعمه إلا بفراق اخرى ، و لا ينال العبد نعمه إلا بفراق اخرى» فى الأغلب، الناس لا ينالون نعمه الثروه إلا بعد سلب نعمه الشباب، و صحّه المزاج منهم .

«و لا- يعمر معمر منكم يوما من عمره إلا- بهدم آخر من أجله ، و لا يستقبل يوما من عمره إلا بفراق آخر من أجله» فكلّ نفس ينتفسه الإنسان خطوه منه إلى قبره.

قوله عليه السلام فى الأول: «و لا تجدد له زياده فى أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه»

ص: ٥٢٧

١-١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١: ٦٣٢. [١]

٢-٢) الحليه لأبى نعيم ١٠: ٤٧.

حتى الغنى و إن تمكّن من أكل ما شاء، لا- يمكنه أن يأكل أكثر من متعارفه من الأكل، ثلاث مرّات في يوم و ليله فما دام لم يهضم طعامه الذى أكله قبلا لا يشتهي طعاما، و ان كان لذيذا .

«و لا يحيا له أثر إلاّ مات له أثر» كأصحاب السيف و القلم لا يحيا لهم أثر من هزيمه عسكر أو تصنيف إلاّ بعد أن يموت أثرهم السابق فى ذلك .

«و لا يتجدّد له جديد إلاّ بعد أن يخلق له جديد» قالوا: كان عمرو بن عامر من ملوك اليمن، يقال له مزيقيا، لأنّه كان يلبس كلّ يوم حلتين فيمزقهما بالعشى! يكره أن يعود فيهما، و يأنف أن يلبسهما غيره (١).

«و لا تقوم له نابتة إلاّ و تسقط منه محصوده» كما أنّ الأرض لا يمكن إنباتها نباتا جديدا إلاّ بعد أن يحصد نباتها القديم .

«و قد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله» قال ابن أبى الحديد: قال أبو العتاهيه:

كلّ حياه إلى ممات و كلّ ذى جدّه يحول

كيف بقاء الفرع يوما و قد ذوت قبلها الاصول!

(٢) قلت: و قال أبو نؤاس:

ألا يابن الذين فنوا و بادوا أما و الله ما ذهبوا لتبقى

أخى ما بال قلبك ليس يتقى كأنك لا تظنّ الموت حقّا

(٣) و فى الخبر عن الصادق عليه السلام: «عجب لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثمّ نودى فيهم بالرحيل و هم يلعبون» (٤).

ص: ٥٢٨

١-١) الكامل لابن الأثير ١:٦٥٥. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٩:٩٣. [٢]

٣-٣) ديوان أبى نؤاس: ٣٩.

٤-٤) الكافى ح ٣:٢٥٨ ٣:٣٩. [٣]

قوله عليه السلام في الثاني: «فنحن أعوان المنون» أصل المَنّ القطع و النقص، و المراد المتيه لأنها تقطع المدد، و تنقص العدد.

«و أنفسنا نصب الحتوف» أي: منصوبه لترمى بالهلاكات، قال الشاعر:

ففسك أحرز فانّ الحتوف يتبأن بالمرء في كلّ واد

«فمن أين نرجو البقاء و هذا الليل و النهار لم يرفعا من شيء شرفا إلاّ أسرع الكره في هدم ما بنيا» قيل: لما فتحت الشام، أصيب جبل فيه غار عليه قفل فكسر فوجد فيه لوح من حديد مكتوب عليه بماء الذهب:

ما اختلف الليل و النهار و لا دارت نجوم السماء في الفلك

الآن لنقل النعيم عن ملك قد انقضى ملكه إلى ملك

و ملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان و لا بمشترك

(١).

و قال ابن نباته:

و تأخذ من جوانبنا الليالي كما أخذ المساء من الصّباح

أما في أهلها رجل لبيب يحسّ فيشتكى ألم الجراح

أرى التشمير فيها كالتوانى و حرمان العطيه كالنجاح

و من تحت التراب كمن علاه فلا يغررك أنفاس الرياح

و كيف يكّد مهجته حريص يرى الأرزاق في ضرب القداح

(٢) و في (أدب الصّولى) يروى للمستوغر:

و لقد سئمت من الحياه و طولها و ازددت من عدد السنين سنينا

مئه أتت من بعدها مائتان لى و ازددت من عدد الشهور مئينا

ص: ٥٢٩

هل ما بقى إلا كما قد فاتنا يوم يكرّر و ليله تحدونا

(١) و في (طبقات كاتب الواقدي) عن سعيد بن المسيب: كانت (قصواء ناقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَسْبِقُ كُلَّمَا رَفَعَتْ فِي سَبَاقٍ، فَسَبَقَتْ، فَكَانَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَأَبِهِ أَنْ سَبَقَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَفَعُوا شَيْئًا، أَوْ أَرَادُوا رَفْعَ شَيْءٍ وَضَعَهُ اللهُ (٢).

و روى (الإكمال): أن في ليله مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ارتجس إيوان كسرى و سقطت منه أربعة عشر شرفا، و غاضت بحيره ساوه، و خمدت نار فارس، و لم تخمد قبل ذلك ألف سنه، إلى أن قال: بعد ذكر بعث كسرى عبد المسيح إلى سطيح و وروده عليه و إنشاد عبد المسيح أبياتا، فلما سمع سطيح شعره فتح عينيه فقال: «عبد المسيح على جمل يسبح إلى سطيح و قد أوفى على الصّريح، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الأيوان و خمود النيران و رؤيا الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجله و انتشرت في بلادها، و غاضت بحيره ساوه- إلى أن قال- يملك منهم ملوك و ملكات على عدد الشرفات و كل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه- إلى أن قال:- فلما قدم على كسرى و أخبره بما قال سطيح قال: «إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور» فملك منهم عشرة في أربع سنين و ملك الباقون إلى إماره عثمان (٣).

«و تفريق ما جمعا» :

تقاضاك دهرك ما اسلفا و كدر عيشك بعد الصفا

فلا تنكرن فان الزمان جدير بتشتيت ما ألفا

(٤)

ص: ٥٣٠

١- ١) لا وجود له في كتاب أو الكتاب للصولي، و لكنه موجود في كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبه: ١٤٤ طبع القاهرة. [١]

٢- ٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١: ٤٩٣، طبع بيروت [٢] ١٩٨٥.

٣- ٣) كمال الدين للصدوق: ١٩٢. [٣]

٤- ٤) الطرائف للمقدسي: ١٤ لأبي محمد المروزي.

من الخطبه (١٧٠)

و من خطبه له عليه السلام:

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرَ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ - وَ التَّارِكُونَ الْمَأْخُودَ مِنْهُمْ - مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ - كَأَنَّكُمْ نَعَمَّ أَرَاخَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعَى وَبَيٍّْ وَ مَشْرَبٍ دَوِيٍّ - إِنَّمَا هِيَ كَالْمَغْلُوفَةِ لِلْمُدَى لَا تَعْرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا - إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا وَ شَبَّعَهَا أَمْرَهَا فِي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلا و ملك الموت يتصفّحهم في كل يوم خمس مرّات (١).

و عن الباقر عليه السلام: سئل عن لحظه ملك الموت فقال: أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعتريهم السكته فما يتكلم أحد منهم فتلك لحظه ملك الموت حيث يلحظهم (٢).

و قال البحترى:

غفلنا عن الأيام أطول غفله و ما خوفها المخشى عنا بغافل

(٣).

«و التاركون المأخوذ منهم» يعنى: من يتركون الله تعالى، و لكنّه تعالى لا يتركهم و يأخذهم و يؤاخذهم، قال تعالى «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» (٤)، «أَفَحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ»

ص: ٥٣١

١- (١) الكافي ٣: ٢٥٦ ح ٢٤. [١]

٢- (٢) المصدر نفسه ٣: ٢٥٩ ح ٣١. [٢]

٣- (٣) ديوان البحترى ٢: ٢٢٧ يمدح الشاه بن مكيال.

٤- (٤) المؤمنون: ١١٥. [٣]

«يُمْنِي ثُمَّ كَانَ عَلَقَهُ فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى» (١)، «أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذَّكَرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ» (٢).

و عن الصادق عليه السلام: الأرض بين يدي ملك الموت، كالتصعده يمدّ يده إليها حيث يشاء! (٣) «ما لى أراكم عن الله ذاهبين و إلى غيره راغبين» «وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» (٤).

«كَأَنْتُمْ نَعَم» فى (الصّحاح): النّعم: واحد الأنعام، و هى المال الرّاعيه و أكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل، قال الفراء هو للمذكر لا يؤنث يقولون (هذا نعم وارد) و يجمع على نعمان مثل جمل و جملان، و الأنعام تذكر و تؤنث، قال تعالى فى موضع «مِمَّا فِي بُطُونِهِ» و فى موضع آخر «مِمَّا فِي بُطُونِهَا»... (٥).

قلت: أمّا ما قاله نفسه من كونه واحد الأنعام فيأباه قول البريق الهذلى كما فى (الأساس):

قد أشهد الحىّ جميعا بها لهم نعام و عليهم نعم

(٦) فإنّ مفاده فى البيت مفاد الأنعام، و أمّا ما نقله عن الفراء فيردّه قوله عليه السلام (أراح بها) و قول ابن دريد فى (جمهرته): و النّعم اسم يلزم الإبل خاصّه يذكر و يؤنث فيقال (هذه النّعم و هذا النّعم...).

ص: ٥٣٢

١- ١) القيامة: ٣٦-٣٩. [١]

٢- ٢) الزخرف: ٥. [٢]

٣- ٣) الكافى ٣: ٢٥٦. [٣]

٤- ٤) الزمر: ٤٥. [٤]

٥- ٥) الصّحاح: [٥] نعم).

٦- ٦) أساس البلاغه للزمخشرى: ٤٦٤ ([٦] نعم).

«أراح بها» في (الصحاح) أراح إبله:ردّها إلى المراح، ولا يكون إلا بعد الزوال (١).

«سائم إلى مرعى وبى» الظاهر أنّ المراد بالسائم:الرّاعى، لكن في (الجمهره):(سام الرّجل ماشيته يسومها سوما، إذا رعاها، فالماشيه سائمه، و الرّجل مسيم، ولم يقولوا سائم خرج هذا من القياس) (٢).

«و مشرب دوى» من الداء، قال الشاعر:

هى دنيا كحيه تنفث السّم وإن كانت المجسه لانت

«إنّما هى كالمعلوفه للمدى» -بالضم- جمع المديه:السكين.

«لا- تعرف ما ذا يراد بها» شبه عليه السلام الغافلين أو لا- يابل وصفها، و ثانيا بغنم نعمتها، قال تعالى: «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ» (٣)، «و لا يحسبنّ الذين كفروا أنّما نُملى لهم خيّر لأنفسهم إنّما نُملى لهم ليُزدادوا إثماً و لهم عذابٌ مهين» (٤).

«إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها و شبعها أمرها» قال الخوئى:الظاهر أنّ «يومها»مفعول ثان و كذلك «شبعها»يعنى تظنّ أنّ دهرها مقصور على ذلك اليوم و انحصار شأنها فى الشّبع.

قلت:بل المفعولان بالترتيب، و المراد أنّها تحسب أنّ فى جميع دهرها مثل يومها و أنّ شبعها هو أمرها، و لا تعرف أنّ لها يوما تجعل المديه على حلقها و تشبع لأكل لحمها (٥)، قال تعالى «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ»

ص: ٥٣٣

١- ١) الصحاح: (روح).

٢- ٢) ابن دريد، الجمهره: ٨٦٢ ([١] سوم).

٣- ٣) التوبه: ٥٥. [٢]

٤- ٤) آل عمران: ١٧٨. [٣]

٥- ٥) الخوئى ١٧٨: ١٠.

«جاءَهُمْ ما كانوا يُوعِدُونَ ما أَغْنَى عَنْهُمْ ما كانوا يُمَنِّعُونَ» (١)، «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا- إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (٢)، «ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» (٣)، «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كما تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» (٤).

١٦

من الخطبه (١٩١)

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- وَ أَحَدِ دُرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ سُخُوصٍ- وَ مَحَلُّهُ تَنْغِيصٍ سَاكِئًا ظَاعِنٌ وَ قَاطِنًا بَائِسٌ- تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيْدَانَ السَّفِينَةِ- تَقْصِفُ فِيهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ- فَمِنْهُمْ الْغَرِيقُ الْوَبِقُ وَ مِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ- تَخْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا وَ تَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا- فَمِمَّا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ وَ مَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ- عِبَادَ اللَّهِ فَاعْلَمُوا وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ- وَ الْأَيْدِيَانُ صَحِيحَةٌ وَ الْأَعْضَاءُ لَمَدَنَةٌ- وَ الْمُتَقَلِّبُ فِيهِ يَخُوحُ وَ الْمَحْزِلُ عَرِيضٌ- قَبِيلَ إِزْهِيَاقِ الْفُؤُوتِ وَ حُلُولِ الْمَوْتِ- فَحَقَّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَ لَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ «أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ» «وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَ بَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَ صَاحِبَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ»

ص: ٥٣٤

[١- ١] الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧. [١]

[٢- ٢] الزمر: ٨. [٢]

[٣- ٣] الحجر: ٣. [٣]

[٤- ٤] محمد: ١٢. [٤]

«عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (١).

«و احذركم الدنيا» فانها عدوه عزاره.

«فانها دار شخوص» من قولهم (شخص من البلد).

«و محلّه تنغيص، من (عيش منغص): مكدر، و من شواهد ما فى (الكامل) فى حوادث (٦١٢): فى هذه السنه أرسل أوزبك رأس (منكلى) صاحب همدان و اصفهان و الرى و ما بينهما من البلاد إلى بغداد، و كان يوم دخولها يوما مشهورا إلا أنه لم تتم المسرّه للخليفه بذلك، فإنه وصل، و مات ولده فى تلك الحال! فأعيد و دفن، و كان الخليفه رشح ولده للخلافه، فأصابه إسهال، فتوفى و حزن أبوه عليه حزنا لم يسمع بمثله، حتى أنه أرسل إلى أصحاب الأطراف ينهاهم عن إنفاذ رسول إليه يعزّيه بولده، و لم يقرأ كتابا، و لا - سمع رساله، و انقطع و خلا - بهمومه و رثى عليه من الحزن و الجزع ما لم يسمع بمثله، و لما توفى اخرج نهارا، و مشى جميع الناس بين يدي تابوته إلى ترابه جدته عند قبر معروف الكرخى، و لما ادخل التابوت اغلقت الباب، و سمع الصيراخ العظيم من داخل التربه، فقيل: إن ذلك صوت الخليفه و أما العامه ببغداد فإنهم وجدوا عليه و جدا شديدا، و دامت المناحاه عليه ليلا و نهارا فى أقطار بغداد و لم تبق محلّه إلا و فيها النوح، و ما سمع ببغداد مثل ذلك فى قديم الزمان و حديثه (٢).

و هذا دأب الدنيا أبدا.

«ساكنها ظاعن» أى: سائر، الناس كركب يسار بهم و هم نيام.

«و قاطنها بائن» أى: مقيمها مفارق، قال عنتره:

ص: ٥٣٥

[١ - ١] الأنعام: ١٥٢-١٥٣. [١]

[٢ - ٢] الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٠٧:١٢-٣٠٨. [٢]

ظعن الذين فراقهم أتوقع و جرى بينهم الغراب الأبقع

(١) «تميد» أي: تتحرك.

«بأهلها ميدان السفينه» ميدان: مفعول مطلق نوعى لقوله (تميد).

«تقصفها» هكذا فى (المصريه) (٢) و الصواب: «تصففها» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣)، و فى (الصحاح) الصَّفَق: الضرب الذى يسمع له صوت، و كذلك التصفيق يقال: (صففته الريح و صففته) (٤).

«العواصف» أي: الرياح الشديده.

«فى لجج البحار» و لجج البحر أمواجه و غمرته .

«فمنهم الغريق الوبق» أي: الهالك.

«و منهم النَّاجى على بطون الأمواج» :

ألم تر بالنعمان كان بنجوه من الشر لو أن امرأ كان ناجيا

«تحفزه الريح بأذيالها» أي: تدفعه و تسوقه.

«و تحمله على أهوائها» معلوم أن جريان النَّاجى على لوح منكسر ليس على إرادته و هواه، بل على حسب ميل الريح فهو يريد الساحل و الريح تدفعه إلى الوسط.

«فما غرق منها فليس بمستدرك» معلوم أن الغريق فى البحر لا يستدركه أحد.

«و ما نجا منها فإلى مهلك» كمن نجا من الغرق فهلك بالحرق، فمهلكات الدنيا لا تحصى، قال شاعر:

ص: ٥٣٦

١- (١) لسان العرب ٣:٢٥٥. [١]

٢- (٢) الطبعه المصريه: ٤٤٩.

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ١٧٦. بلفظ «تقصفها»، كذلك الخطيبه: ١٩٧، و شرح ابن ميثم ٣: ٤٣٧.

٤- (٤) الصحاح: (٢) صفق).

يا هاربا من جنود الموت منهزما عنها توقّف إلى أين المفرّ لكا

هب عشت أكثر من نوح فحين نجا بقدره الله من طوفانه هلكا

لو كان حيّ في الحياه مخلد في الدهر أدركه أبو يكسوم

بكتائب خرس تعود كبشها نطح الكباش شبيهه بنجوم

شبه عليه السلام هنا الدنيا مع أهلها ببحر، ركب الإنسان فيه سفينه، وصفها ما ذكر عليه السلام و قد يشبه ببحر يريد الإنسان قطعه، فلا يقطع إلا بسفينه صالحه جامعه لجميع مصالحها، قال لقمان لابنه - كما في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام -:

يا بني! إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، و شراعها التوكّل، و قيمها العقل، و دليلها العلم، و سكاّنها الصبر (١).

«عباد الله فاعملوا و الألسن مطلقه» و أول ما يحتبس من المحتضر لسانه.

«و الأبدان صحيحه» فالأبدان المريضة لا - يأتي منها كثير من الأعمال، كما أنّ ما يأتي منها كالذكر له تعالى و الصلاه قاعدا و مضطجعا، يمنعه المرض من أن يكون له فيه إقبال، و توجه حال.

«و الأعضاء لدنه» - بسكون الدال - أي: لئنه، تقدر أن تمدّوا يدا و رجلا و تعملوا عملا.

«و المنقلب فسيح» أي: مكان التحرك متّسعا. و في الخبر: أنّ ملك الموت يحبس المحتضر و إلا لما استقرّ (٢).

«و المجال عريض» أي: مكان جولانه فتقدر أن تجول و تكون من السابقين الفائزين بالسبقه.

ص: ٥٣٧

١-١ (١) الكافي ١: ١٨ ح ١٢. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٣: ٢٥ ح ٢.

«قبل إرهاب الفوت» أى: إيساره.

«و حلول الموت» «و لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» (١).

«فحققوا عليكم نزوله» فى الخبر: لم يخلق يقين أقرب إلى الشك من الموت.

«و لا تنتظروا قدومه» أى: للعمل، فبعد قدومه لا يمكنه العمل، و ان طلب المهله يقال له: قد مضت سنوك و شهورك و أيامك و لياليك و ساعاتك و آناك.

١٧

الخطبه (١٩٨)

و من كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَّجَازٍ وَ الْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ - فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ - وَ لَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ - وَ أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ - مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَيْدِيكُمْ - فِيهَا أُخْتَبِرْتُمْ وَ لَعْنَتْكُمْ - إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَمَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ - وَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ - لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَتَقَدَّمُوا بَعْضًا فَيَكُونُ لَكُمْ - وَ لَا تُخْلِفُوا كَلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ أَقُولُ: رواه الصدوق فى (أماليه الشيخ الصدوق- الأمالى- ص ٩٧ ح ٨ المجلس ٢٣) مرفوعا مع زيادات و اختلاف فقال:

قال عليه السلام فى بعض خطبه: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ، وَ الْآخِرَةُ دَارُ بَقَاءٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَ لَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَسْرَارَكُمْ، وَ أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَيْدِيكُمْ، ففى الدُّنْيَا حَيَاتُكُمْ وَ لِلآخِرَةِ خَلْقُكُمْ، إِنَّمَا الدُّنْيَا كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَسِيَ

ص: ٥٣٨

(١ - ١): ١٨.

مات، قالت الملائكة: ما قَدِّم؟ و قال النَّاس: ما أُنْخِر؟ فقَدِّموا فضلاً لكم يكن لكم، و لا تُوخِّروا كلاً يكن عليكم، فإنَّ المحروم من حرم خير ماله، و المغبوط من ثقل بالصِّدقات و الخيرات موازينه، و أحسن في الجنه بها مهاده، و طيب على الصِّراط بها مسلكه (١).

و رواه المفيد في (إرشاده الشيخ المفيد-الإرشاد-ج ١ ص ٢٩٤) مرفوعاً هكذا: «خذوا-رحمكم الله- من ممزكم لمقركم، و لا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، و أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، فلآخره خلقتهم، و في الدنيا حبستم، إنَّ المرء إذا هلك قالت الملائكة: ما قَدِّم؟ و قال النَّاس ما خَلَّف؟ فَلَله آباؤكم قَدِّموا بعضاً يكن لكم، و لا تخلفوا كلاً فيكن عليكم، فإنَّما مثل الدنيا مثل السم يأكله من لا يعرفه» (٢) و نقلهما الخوئي أيضاً .

«أيها النَّاس إنَّما الدُّنيا دار مجاز» اسم مكان من (جاز الموضع): سلكه و تجاوز عنه، و(ذو المجاز) كان موضعاً بمنى، كان به سوق في الجاهليه.

«و الآخره دار القرار» قال تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون: «يا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَ إِنَّا لآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» (٣).
«فخذوا من ممزكم لمقركم» كما هو القاعده عند العقلاء.

«و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم» «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ» (٤).

و روى (الكافي) عنه عليه السَّلام قال: لا تبدين عن واضحه، و قد عملت الأعمال

ص: ٥٣٩

١- ١) الأمالى للصدوق: ٩٧ ح ٨ المجلس ٢٣. [١]

٢- ٢) الارشاد للمفيد ٢٩٤: ١. [٢]

٣- ٣) غافر: ٣٩. [٣]

٤- ٤) الرعد: ١٠. [٤]

الفاضحه، ولا يأمن البيات من عمل السيئات (١).

و عن الصادق عليه السلام: من همّ بسئته فلا يعملها، فإنه ربّما عمل العبد سيئته فيراه الرّب، فيقول: و عزّتي و جلالتي! إلا أعفر لك بعد ذلك (٢).

و عن أبي الحسن عليه السلام: إنّ لله تعالى في كلّ يوم و ليلة مناديا ينادي: مهلا- مهلا!-عباد الله-عن معاصي الله، فلولا بهائم رتّع، و صبيه رضع، و شيوخ رقع لصبّ عليكم العذاب ترضّون به رضا (٣).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما من عبد إلا و عليه أربعون جنّه حتّى يعمل أربعين كبيره فإذا عمل انكشف عنه الجنن، فيوحى تعالى إلى الملائكه أن استروا عبدى بأجنحتكم فتستره الملائكه بأجنحتها فما يدع شيئا من القبيح إلا قارفه، حتّى يتمدّح إلى الناس بفعله القبيح، فتقول الملائكه: يا ربّ! هذا عبدك ما يدع شيئا إلا ركب، و إنّنا لنستحيي ممّا يصنع، فيوحى تعالى إليهم أن ارفعوا أجنحتكم عنه، فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت، فعند ذلك ينتهك ستره في السماء، و ستره في الأرض، فتقول الملائكه: يا ربّ! هذا عبدك قد بقى مهتوك الستر، فيوحى تعالى إليهم لو كان لله فيه حاجه ما أمركم أن ترفعوا أجنحتكم عنه (٤).

«و أخرجوا من الدّنيا قلوبكم، من قبل أن تخرج منها أبدانكم» إخراج القلوب عن الدّنيا كناية عن الزهد فيها، كما أنّ إخراج الأبدان عنها كناية عن الموت.

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من زهد في الدّنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، و أنطق بها لسانه، و بصره عيوب الدّنيا داؤها و دواؤها، و أخرجه من الدّنيا

ص: ٥٤٠

١-١ (١) الكافي ٣:٣٧٥ ح ٢١. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٣:٢١٣ ح ٧. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر نفسه ٣:٣٧٨ ح ٣١. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي للكليني ٣:٣٨١ ح ٩. [٤]

سألما إلى دار السلام (١).

و عنه عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا و فقَّهه في الدين، و بصَّيره عيوبها، و من أوتيهنَّ فقد أوتى خير الدنيا و الآخرة إلا أنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا (٢).

«ففيها اختبرتم» أي: امتحنتم.

«و غيرها خلقتم» «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (٣).

«إنَّ المرء إذا هلك قال الناس ما ترك؟ و قالت الملائكة ما قدَّم؟» فلا بد أن ما يسأل عنه الملائكة شريف نفيس، و ما يسأل عنه أهل الدنيا دون و خسيس، فليعمل ما يجاب به الملائكة دون السيفله. روى الكشي: أنه قيل لأبي ذرَّ عند الموت: ما مالِك؟ قال عملي، قالوا: إننا نسألك عن الذهب و الفضَّة، قال: ما أصبح فلا أمسى، و ما أمسى فلا أصبح، لنا كندوج ندع فيه خير متاعنا، و سمعت حبيبي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَقُول: كندوج المرء قبره (٤).

«لله آباؤكم فقدّموا بعضا يكن لكم» قد عرفت أن (الأمالى) نقله «فقدّموا فضلا لكم يكن لكم» و هو أحسن، ليكون مضمون قوله تعالى «وَ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» (٥)، فإن المراد بالعمفو هنا، الفاضل عن الحاجه، و العمفو هو الإنفاق الذي حثَّ عليه الشرع حتى أنهم سألوا عن جنس ينفقونه، فأجيبوا بما كان

ص: ٥٤١

١-١) المصدر نفسه ٣:١٩٣ ح ١. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٣:١٩٦ ح ١٠. [٢]

٣-٣) الملك: ٢. [٣]

٤-٤) رجال الكشي للطوسي: ٢٨ رقم ٥٤.

٥-٥) البقره: ٢١٩-٢٢٠. [٤]

صلاحهم أن يسألوه من مقداره، وإن كان ما فى المتن أنسب بقوله عليه السّلام بعد «كلّا»، و كيف كان قال بعضهم:

فلا تحسبنّ الوفر مالا جمعته و لكنّ ما قدّمت من صالح وفر

مضى جامعوا الأموال لم يتزوّدوا سوى الفقر يا بؤسى لمن زاده الفقر

«و لا- تخفّوا كلّا- يكون عليكم» «و أنفقوا من ما رزقناكم من قبيل أن يأتى أحياءكم الموت فيقول ربّ لو لا أخزيتنى إلى أجل قريب فأصدّق و أكن من الصّالحين و لن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها و الله خير بما تعملون» (١).

و فى الخبر: كان فى بنى اسرائيل مجاعه حتى نبشوا الموتى، فنبشوا قبرا فوجدوا فيه لوحا مكتوب فيه: «أنا فلان النبى ينبش قبرى حبشى، ما قدّمناه وجدناه، و ما أكلناه ربحناه، و ما خلفناه خسرناه» (٢).

١٨

الخطبه (٢٢١)

و من الخطبه له عليه السّلام:

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَ بِالْعَمَلِ مَعْرُوفَةٌ - لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لَا تَسِيلُ نَزَالُهَا - أَحْوَالٌ مُّخْتَلِفَةٌ وَ تَارَاتٌ مُّتَصِرَّةٌ - الْعَيْشُ فِيهَا مَرْدُومٌ وَ الْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ - وَ إِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُّشْتَهَدَةٌ - تَزْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا وَ تُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا - وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ - مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَ أَعَمَّرَ دِيَاراً وَ أَبْعَدَ آثَاراً - أَضِيَبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَ رِيَاخُهُمْ رَاكِدَةً - وَ أَجْسَادُهُمْ بِالْيَةِ وَ دِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَ آثَارُهُمْ عَافِيَةً - فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ

ص: ٥٤٢

[١- ١] (١) المنافقون: ١٠-١١. [١]

[٢- ٢] (٢) الصدوق، الأمالى: ٣٦ و [٢] نقله المجلسى فى البحار ١٣٧: ٧٣. [٣]

الْمَشِيدَةَ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةَ - الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسْنَدَةَ وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ - الَّتِي قَدْ بِنَى بِالْحَرَابِ فَنَاوَهَا - وَشِيدَ الْبَثْرَابِ
 بِنَاوَهَا فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ وَسَاكِنُهَا مُغْتَرَبٌ - بَيْنَ أَهْلِ مَحَلِّهِ مُوحِشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ - لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَلَا يَتَوَاصِلُونَ
 تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ - عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَدُنُو الدَّارِ - وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَرَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبَلَى - وَأَكَلَتْهُمْ
 الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى - وَكَأَنَّ قَدْ صِرَتْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ - وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجِعُ وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسَدُّ تَوَدُّعٌ - فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ
 تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ - وَبُعِثَتْ الْقُبُورُ «هِنَاكِ تَبَلُّوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ» أَقُولُ: رَوَاهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي (مَنَاقِبِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ - الْمَنَاقِبِ - جُزْءِ الْخُطْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْبَالِغَةِ) جُزْءِ الْخُطْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْبَالِغَةِ،
 كَمَا نَقَلَ عَنْهُ الْمَجْلِسِيُّ ٢ الْمَجْلِسِيُّ - بَحَارِ الْأَنْوَارِ - ج ٧٧ ص ٢٩٨ هَكَذَا: فَانَّهَا دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْعَنَاءِ وَالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ، وَكُلُّ
 مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ، وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا مِنْهَا فِي رِخَاءٍ وَسُرُورٍ، إِذَا هُمْ فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ، الْعَيْشِ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالرِّخَاءِ فِيهَا لَا يَدُومُ، أَهْلِهَا
 فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، كُلُّ حَتْفَةٍ فِيهَا مَقْدُورٌ، وَحِظَةٌ مِنْ نَوَائِبِهَا مَوْفُورٌ، وَأَنْتُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - عَلَى مَحَجِّهِ مِنْ قَدِ مَضَى، وَسَبِيلٍ مَنْ كَانَ
 ثُمَّ انْقَضَى، مَمَّنْ كَانَ مِنْكُمْ أَطُولَ أَعْمَارًا، وَأَشَدَّ بَطْشًا وَأَعْمَرَ دِيَارًا، أَصْبَحَتْ أَجْسَادُهُمْ بِالِيهِ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَهُ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِالْقُصُورِ
 الْمَشِيدَةَ وَالنَّمَارِقِ الْمَوْسِدَةَ، بِطُونَ اللَّحُودِ، وَمَجَاوِرَهُ الدُّودِ، فِي دَارِ سَاكِنِهَا مُغْتَرَبٌ، وَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ، بَيْنَ قَوْمِ
 مُسْتَوْحِشِينَ، مُتَجَاوِرِينَ غَيْرَ مُتَزَاوِرِينَ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعِمْرَانِ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ، وَدُنُو
 الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصِلٌ، وَقَدْ طَحَنَتْهُمُ الْبَلَى، وَأَظْلَمَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى، فَأَصْبَحُوا

بعد الحياه أمواتا، و بعد غضاره العيش رفاتا، قد فجع بهم الأحباب، و اسكنوا التراب و ظعنوا و ليس إياب، و تمنوا الرجوع فحيل بينهم و بين ما يشتهون «كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (١).

قال: و قد أخرج أبو نعيم طرفا من هذه الخطبه فى كتابه المعروف ب (الحليه أبو نعيم - حليه الأولياء -) (٢) و نقله (البحار ١٢ المجلسى - بحار الأنوار - ج ٧٣ ص ١١٧) أيضا عن (عيون الواسطى - عيون الحكم - الواسطى) جزء خطبه طويله مع اختلافات (٣)، و قد نقلهما الخوئى عن (البحار) أيضا (٤).

«دار بالبلاء محفوفه» فى (نسب قريش الزبير بن بكار): لَمَّا جَاءَ نَعَى أَهْلِ قَدِيدٍ، نَعَى لَأَمِّ حَكِيمِ بِنْتِ عَكَاشَةَ بِنْتِ مِصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ، خَالَهَا صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرُوهَ بْنِ الزَّبِيرِ، فَبَكَتْ عَلَيْهِ فِي دَارِهِ، فَبَيْنَا هِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ قَدْ أَقَامَتِ الْمُنَاحَةَ، إِذْ جَاءَهَا نَعَى عَمَّهَا حَمْزَةُ بْنُ مِصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ وَ ابْنِ عَمَّهَا عِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ، فَخَرَجَتْ فِي سَتْرَيْنِ فَأَقَامَتَ عَلَيْهِمَا الْمُنَاحَةَ فِي مَنْزِلِهَا، فَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي عَلَيْهِمَا، إِذْ جَاءَهَا نَعَى أُخِيهَا مِصْعَبُ بْنُ عَكَاشَةَ، فَاسْتَرَتْ وَ خَرَجَتْ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَبَكَتَهُ فِيهِ، فَبَيْنَا هِيَ تَبْكِي عَلَيْهِ إِذْ جَاءَهَا نَعَى زَوْجِهَا عِثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ، فَارْجَعَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا، فَأَقَامَتِ الْمُنَاحَةَ فِيهِ عَلَى زَوْجِهَا! وَ كَانَ مِمَّا نَدَبْتَهُمْ بِهِ، قَوْلُ الْهَذَلِيِّ:

وَ كَأَنَّ قَلْبِي لِلْحَوَادِثِ مَرُوهَ بِقِفَا الْمَشَقَّرِ كُلِّ يَوْمٍ تَقْرَعُ

(٥)

ص: ٥٤٤

١- ١) لا وجود لكتاب (المناقب) لعبد الرحمن بن الجوزى و انما تنقل عنه المصادر الشيعيه، و قد ذكرت الخطيه فى البحار [١] انقلا عن المناقب فى ٧٧: ٢٩٨.

٢- ٢) لا وجود للخطبه فى ترجمه الإمام على عليه السلام.

٣- ٣) كتاب عيون الحكم للواسطى غير مطبوع هناك مخطوطه للكتاب فى مكتبه آيه الله المرعشى و قد نقل المجلسى عنه فى ٧٣: ١١٧.

٤- ٤) الخوئى ١٤: ٣٢٠ ح ٣٢٤.

٥- ٥) جمهره نسب قريش لابن بكار: ٣١٥-٣١٦. [٢]

و روى (أمالى الشيخ) أن عروه بن الزبير قدم على الوليد بن عبد الملك و معه ابنه، فدخل ابنه دار الدواب فضربته دابته فخر ميتا، و وقعت فى رجل عروه الآ- كله، و لم تدع وركه تلك الليلة، فقال له الوليد: اقطعها، فقال: لا، فترقت إلى ساقه، فقال له: اقطعها و إلا أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار و هو شيخ كبير لم يمسكها أحد! و قال «لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» .

و قدم على الوليد تلك السنه قوم من عبس، فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن سبب عماه؟ فقال: بت ليلى فى بطن واد، و لا أعلم عبسيًا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل، فذهب ما كان لى من أهل و ولد و مال غير بعير و صبى مولود، و كان البعير صعبا فندا، فوضعت الصبى و اتبعت البعير، فلم أجاوز إلا قليلا، حتى سمعت صيحه ابني، و رجعت إليه و رأس الذئب فى بطنه يأكله، فلحقت البعير لأ- حتبسه فرمحنى برجله فى وجهى فحطمه و ذهب بعينى، فأصبحت لا- أهل و لا- مال و لا- ولد و لا- بصر، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروه ليعلم أن فى الناس من هو أعظم منه بلاء (١).

«و بالغدر معروفه» فى (الطبرى): قال أبو نؤاس فى البرامكه:

ان يغدر الزّمن الخئون بنا فقد غدر الزّمان بجعفر و محمّد

(٢) و قال بعضهم: الدهر لا يؤمن يومه، و يخاف غده، و يرضع ثديه، و تجرح يده (٣).

أيضا:

أى خير يرجو بنو الدهر فى الدهر و ما زال قاتلا لبنيه (٤)

ص: ٥٤٥

١- ١) الأمالى للطوسى: ٩٣، و [١] نقله المجلسى فى ١١٧: ٤٦.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٦٦٤، [٢] حوادث سنه ١٨٧.

٣- ٣) الطرائف للمقدسى: ١٢.

٤- ٤) الطرائف للمقدسى: ١٤.

من يعمر يفجع بفقد الأهل و من مات فالمصيبة له

أيضا:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه تنح عن خطبتها تسلم

إن التي تخطب غداره قريبه العرس من المأتم

(١) و في الخبر: كان النبي صلى الله عليه و آله يسمي الدنيا أم الدفر (٢)، و الدفر: التتن و في (كنایات الجرجانی): يقال للدنيا أم خنور و هي الضبع، و لما استقام الأمر لعبد الملك قال: «اليوم تمكنا من أم خنور» فما أتت عليه سبعة أيام حتى مات (٣).

و كان الأصمعي يستحسن قول من قال:

ما عذر مرضعه بكأس الموت يفطم من غدت

و نظيره بالفارسيه:

آبستنی که این همه فرزند زاد و کشت دیگر که چشم دارد از او مهر مادری

أيضا:

برو از خانه گردون بدر و نان مطلب کاین سیه کاسه در آخر بکشد مهمان را

(٤) و في الخبر: تمثلت الدنيا للمسيح في صورة زرقاء، فقال: كم تزوجت؟ قالت: لا. أحصى، قال: كل طلقك؟ قالت: بل كلاً قتلت، قال: ويح أزواجك الباقين!

ص: ٥٤٦

١-١) العقد الفرید لابن عبد ربه ١٧٤: ٣. [١]

٢-٢) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢٠٠: ١.

٣-٣) الكنايات للجرجاني: ٨٨.

٤-٤) ديوان حافظ الشيرازي: ٨. [٢]

كيف لا يعتبرون من الماضين (١).

و قيل بالفارسيه:

چو طفل با همه بازید و بی وفائی کرد عجب تر آنکه نگشتند دیگران استاد

«لا تدوم أحوالها» قيل لابنه النعمان، صفي ما كنتم فيه؟ قالت: أقول موجزا: أصبحنا و الناس يغبوننا، فلم نمس حتى رحما عدونا. و في (المعجم): قدم عبيد ابن سريه الجهمي على معاويه فقال له: كم أتى عليك؟ قال: مائتان و عشرون سنه! قال: و ما أدركت؟ قال: يوم ما إثر يوم، و ليله إثر ليله، متشابها كتشابه الحذف- بالتحريك- غنم سود صغار بلا أذنان و لا آذان- يحدوان بقوم في ديار قوم يكدحون في ما يبید عنهم، و لا يعتبرون بمن مضى، منهم حيهم يتلف و مولودهم يخلف، في دهر أيامه تقلب بأهلها كتقلبها بدهرها، بينا أخوها في الرخاء إذ صار في البلاء، و بينا هو في الزيادة إذ أدركه النقصان، و بينا هو حرّ إذ أصبح قنّا، لا يدوم على حال بين مسرور بمولود و محزون بمفقود، فلو لا أنّ الحي يتلف لم يسعهم بلد، و لو لا أنّ المولود يخلف لم يبق أحد (٢).

«و لا تسلم نزالها» في (الطبري): في غاره خالد بن الوليد على مضيح بنى البرشاء في ليله واعد مع أصحابه، فأغاروا على الهذيل و من معه و من آوى إليه، و هم نائمون من ثلاثه أوجه، فقتلوهم و امتلأ الفضاء قتلى، فما شبهوا بهم إلا غنما مصرعه، قال عدى بن حاتم: أغرنا على أهل المضيح، و إذا رجل يدعى باسمه حرقوص بن النعمان من النمر، و إذا حوله بنوه و امرأته، و بينهم جفنه

ص: ٥٤٧

١- ١) من وصيه الامام موسى بن جعفر لهشام بن الحكم في البحار ١: ١٥٢ ح ٣٠. [١]

٢- ٢) معجم الادباء للحموي ١٢: ٧٣. [٢]

من خمر و هم عليها عكوف، يقولون له: و من يشرب هذه الساعه و فى اعجاز الليل؟ فقال: اشربوا شرب و داع، فما أرى أن تشربوا بعدها، هذا خالد بعين التمر و جنوده بحصيد، و قد بلغه جمعنا و ليس بتاركننا، فسبق إليه بعض الخيل و هو فى ذلك فضرب رأسه، فاذا هو فى جفنته و أخذنا بناته و قتلنا بنيه (١).

«أحوال مختلفه» فى (الطبرى): خرج هشام يوما و هو كئيب، يعرف ذلك فيه، مسترخ عليه ثيابه، و قد أرخى عنان دابته، فسار ساعه ثم انبته، فجمع ثيابه و أخذ بعنان دابته، فقال له الأبرش: رأيتك قد خرجت على حال غمى، قال: و كيف لا أغمى و زعم أهل العلم إنى مَيِّتٌ إلى ثلاثه و ثلاثين يوما، فلمّا كان فى الليله التى استكمل فيها المدّه سمع الصّيراخ عليه، فلمّا مات أغلق الخزان الأبواب، فطلبوا قممقا يسخن فيه الماء لغسله، فما وجدوا حتّى استعاروا قممقا من بعض الجيران فقال بعض من حضر: إنّ فى هذا المعبرا لمن اعتبر، و كانت وفاته بالذبحه، و كان هشام حبس عياض بن مسلم كاتب الوليد بن يزيد، فلمّا صار فى حدّ لا ترجى له الحياه لمثله، أرسل عياض إلى الخزان أن احتفظوا بما فى أيديكم فلا يصلنّ أحد منه إلى شىء، و أفاق هشام إفاقه فطلب شيئا فمنعوه، فقال: أرانا كُنّا خزّانا للوليد، و مات من ساعته، فخرج عياض من السّجن، ففتحتم أبواب الخزائن و أمر بهشام فأنزل عن فرشّه، فما وجدوا له قممقا حتّى استعاروه، و لا وجدوا كفنا من الخزائن فكفّنه غالب مولى هشام، و كتب الوليد إلى بعضهم أن يأتى الرّصافه فيحصى ما فيها من أموال هشام و ولده و يأخذ عمّا له و حشمه و قال:

ليت هشاما كان حيّا يرى مجلسه الأوفر قد اترعا

ص: ٥٤٨

كلناه بالصّاع الذي كاله و ما ظلمناه به إصبعا

و ما اتينا ذاك عن بدعه أحله الفرقان لى أجمعا

(١) وقال البحترى:

و ما أهل المنازل غير ركب مناياهم رواح و ابتكار

لنا فى الدهر آمال طوال نرجيها و أعمار قصار

(٢) و فى (لطائف الثعالبى): يقال ما جمعه السيفاح و المنصور و المهدي و الرشيد فرقه الأمين، و ما جمعه المأمون و المعتصم و الواثق فرقه المتوكل (٣).

«و تارات متصرفه» من قولهم تاره كذا، و تاره كذا، فى (المروج): لما وفد سعد بن وقاص القادسيه أميرا عليها أته حرقه بنت النعمان بن المنذر فى حفده من قومها و جواريتها عليهنّ المسوح و المقطعات السود، مترهبات تطلب صلته، فلما وقفن بين يديه أنكرهنّ سعد، فقال: أيتكن حرقه؟ قالت ها أنا ذه، ثمّ قالت: إنّ الدنيا دار زوال، و لا يدوم على حال تنتقل بأهلها انتقالا، و تعقبهم بعد حال حالا، كئنا ملوك هذا المصر يجيى لنا خراجه، و يطيعنا أهله مدى المدّه و زمان الدوله، فلما أدبر الأمر و انقضى صاح بنا صائح الدهر، فصدع عصانا و شتت شملنا، و كذلك الدهر ليس يأتى قوما بمسرّه، إلاّ و يعقبهم بحسرّه، ثمّ أنشأت تقول:

فيينا نسوس الناس و الأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقه ليس نعرف

فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّب تارات و تصرف

ص: ٥٤٩

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥١٤: ٥. [١]

٢-٢ (٢) ديوان البحترى ٢٨١: ٢ فى الحسن بن وهب.

٣-٣ (٣) لطائف المعارف للثعالبى: ١٨٨.

فقال سعد: قاتل الله عدى بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول:

إنَّ للدهر صوله فاحذرئها لا تبتنَّ قد أمنت الدهورا

قد بيت الفتى معافى فيردى و لقد كان آمنا مسرورا

و كائى زمان أيبها إذا خرجت إلى بيعتها، يفرش لها طريقها بالحرير و الديقاج، مغشى بالخز و الوشى، ثم تقبل فى جواربها حتى تصل إلى بيعتها و ترجع إلى منزلها (١).

و عن الذهبى: هلك نوح بن منصور ملك ما وراء النهر، و فخر الدوله ملك الرى و الجبال، و العزيز العبيدى صاحب مصر على نسق فى (٣٨٧ و ٣٨٨) فقال الثعالبى:

فروح بن منصور طوته يد الردى على حشرات ضمّنتها الجوانح

و يا بؤس منصور ففى يوم سرخس تمزق عنه ملكه و هو طائح

و فرق عنه الشمل بالشمل و اغتدى أميرا ضريرا تعتديه الجوانح

و صاحب مصر قد مضى لسبيله و والى الجبال غيبته الضرائح

و صاحب جرجانيه فى ندامه ترصده طرف من الحين طامح

و خوارزمشاه شاه وجه نعيمه و عز له يوم من النحس طائح

و كان علا فى الأرض يخطبها أبو على إلى أن طوّحته الطوائح

و صاحب بست ذلك الضيغم الذى برائته للمشرقين مفاتح

أناخ به من صدمه الدهر كلكل فلم تغن عنه و المقدر سائح

جيوش إذا أربت على عدد الحصى تغصّ بها قيعانها و الصّحاصح

و دارت على صمصام دوله بويه دوائر سوء سلبهن فوادح

ص: ٥٥٠

و قد جاز والى الجوزجان قناطر الحياه فوافته المنايا الطوافح

(١)و فى السّير:تنفّس الأّمين يوما أيّام حصاره فى مجلسه فالتفت إلى أحد جلسائه فقال:أ ترانى ما تذكّرت؟قال:قول الشاعر:

ذكر الهوى فتنفّس المشتاق و بدا عليه الذّل و الإطراق

فقال:لا و الله،ثم التفت إلى آخر فقال:ما تذكّرت؟قال:قول الشاعر:

تذكرت بالريّحان منك شماتلا و بالزّاح عذبا من مقبلك العذب

قال:لا و الله،فالتفت إلى كوثر الخادم،و قال:ما تذكّرت؟قال:قول ابن نفيّله الغسانى:

إن كان دهر بنى ساسان فرّقهم فأنّما الأمر أطوار دهارير

و ربّما أصبحوا يوما بمنزله تهاب صولتها الأسد المهاصير

(٢)قال:صدقّت.

و فى (الطبرى):قال بشّار التركى:خرج الرّشيد إلى الصّيد فى اليوم الذى قتل جعفر البرمكىّ و جعفر معه قد خلا- به دون ولاه العهد،و هو يسير معه و قد وضع يده على عاتقه،و قبل ذلك ما غلّفه بالغاليه بيد نفسه و لم يزل معه ما يفارقه،حتّى انصرف مع المغرب فلّما أراد الدّخول ضمّه إليه،و قال له:

لو لا- أنى على الجلوس الليله مع النساء لم افارقك،فأقم أنت فى منزلك و اشرب و اطرب لتكون أنت فى مثل حالى،فقال:ما اشتهى ذلك إلاّ معك،فقال له:

بحياتى!لما انصرفت فانصرف عنه إلى منزله،فلم تزل رسل الرّشيد عنده ساعه بعد ساعه تأتیه بالأنفال و الأبخره و الرّياحين حتّى ذهب الليل ثمّ بعث إليه مسرورا،و أمره بقتله،و حبس الفضل و محمّد و موسى،و و كلّ سلاما

ص:٥٥١

١- ١) لطائف الثعالبى:١٤٩-١٥١.

٢- ٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٠٥:٦. [١]

الأبرش بباب يحيى أبيه، فقال سلام: لَمَّا دخلت على يحيى فى ذلك الوقت و قد هتكت الستور، و جمع المتاع، قال لى: هكذا تقوم السّاعة! و قال السندي: قدم على هرثمه بن أعين، و معه جعفر مضروب العنق على بغل بلا أكاف، و إذا كتاب هارون يأمرنى أن أشطره باثنين، و ان أصلبه على ثلاثه جسور، ففعلت ما أمرنى به حتى أراد هارون الخروج إلى خراسان، فلَمَّا صار بالجانب الشرقى قال للسندي: ينبغى أن يحرق هذا- يعنى جعفرًا- فلَمَّا مضى جمع السندي له شوكا و حطبا و أحرقه (1)، و فى (المروج): قال على بن أبى معاذ فى البرامكة:

يا أيها المغتّر بالدّهر و الدّهر ذو صرف و ذو غدر

لا تأمن الدّهر و صولاته و كن من الدّهر على حذر

إن كنت ذا جهل بتصرفه فانظر إلى المصلوب بالجسر

فإنّ فيه عبره فاعتبر يا ذا الحجا و العقل و الفكر

و خذ من الدّنيا صفى عيشها و اجر مع الدّهر كما يجرى

كان وزير القائم المرتضى و ذا الحجا و الفضل و الذكر

و كانت الدّنيا باقطارها إليه فى البرّ و فى البحر

يشيد الملك بآرائه و كان فيه نافذ الأمر

فبينما جعفر فى ملكه عشية الجمعة بالعمر

يطير فى الدّنيا باجناحه يأمل طول الجلد و العمر

إذ عثر الدّهر به عثره يا ويلنا فى عثره الدّهر

و زلّت النّعل به زلّه كانت له قاصمه الظهر

فغودر البائس فى ليله السّبت قتيلا مطلع الفجر

ص: ٥٥٢

و أصبح الفضل بن يحيى و قد أحيط بالشيخ و ما يدري

و جىء بالشيخ و أولاده يحيى معافى الغلّ و الأسر

و البرمكيين و اتباعهم من كان فى الآفاق و المصر

كأنما كانوا على موعد كموعده الناس إلى الحشر

فأصبحوا للناس احدثه سبحانه ذى السلطان و الأمر

(١) أيضا: قال أبو مسلم النخعى: دخلت على عبد الملك فى قصر دار الإمارة بالكوفة، و قد كان رأس مصعب وضع بين يديه، فرأى منى اضطرابا، فسألنى فقلت: دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين عليه السلام بين يدي عبيد الله بن زياد، ثم رأيت رأس عبيد الله بين يدي المختار فى هذا الموضع، ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب، و هذا رأس مصعب بين يديك، فوقاك الله، فوثب عبد الملك و أمر بهدم الطاق الذى على المجلس (٢).

و فى (المعجم): قال البيهقى: من العجائب أنّ آلاى تناسل الوزير أبى نصر الكندرى الذى قتله السلطان ألب أرسلان مدفونه بخوارزم، و دمه مصبوب بمرو الزوذ، و جسده مقبور بقريه كندر، و جمجمته و دماغه مدفونان بنيسابور، و شواته -أى: جلده رأسه - محشوّه بالثبن دفنت فى كرمان، فقال البخارى:

مفترقا فى الأرض أجزاءه بين قرى شتى و بلدان

جبّ بخوارزم مذاكيره طغرل بيك ذاك الملك الغانى

و مصّ مرو الزوذ من جسده معصفرا يخضبها قان

فالشخص فى كندر مستبطن وراء ارماس و أكفان

ص: ٥٥٣

[١-١] مروج الذهب ٢: ٣٨١. [١]

[٢-٢] مروج الذهب للمسعودى ٣: ١١٠. [٢]

و رأسه طار و لهفى على مجثمه فى خير جثمان

حلوا بنيسابور مضمونه و قحفه الخالى بكرمان

و الحكم للجبار فى ما مضى و «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فى شَأْنٍ»

(١) «العيش فيها مذموم» لامتزاجه بالسقم و الهرم و الخوف و القحط و الحاجه و الآلام و الآفات:

و من يحمد الدنيا بعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسره و ان أقبلت كانت كثيرا همومها

(٢) و قال عروه بن أذينه فى أخيه بكر بن أذينه:

و أى العيش يصلح بعد بكر

«و الأمان منها معدوم» قيل: الدنيا أمل بين يديك، و أجل مظلّ عليك، و شيطان فتان، و أمانى جرّاره العنان، تدعوك فتستجيب، و ترجوها فتخبى .

«و إنّما أهلها فيها أغراض مستهدفه» الغرض الهدف.

«ترميهم بسهامها و تفنيهم بحمامها» -بالكسر- الموت المقدر، فى (كامل المبرّد): روى أنّ يزيد بن عبد الملك قال يوما: إنّ الدنيا لم تصف لأحد قطّ يوما، فإذا خلوت يوما فاطوا عني الأخبار، و دعونى و لذتى و ما خلوت له، ثمّ دعا بحبابه فقال: اسقيني و غنّيني فخلوا فى أطيب عيش، فتناولت حبابه حبه رميان فوضعتها فى فيها، فغصّت بها فماتت، فجزع يزيد جزعا أذهله و منع من دفنها، حتّى قال له مشايخ بنى أمّيه: إنّ هذا عيب لا يستقال، و إنّما هذه جيفه فأذن فى دفنها. و تبع جنازتها فلما و اراها، قال: أمسيت و الله فيك كما قال كثير:

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى فبالأس تسلو عنك لا بالتجلّد

ص: ٥٥٤

١- (١) معجم البلدان للحموى ١٣:٤٤ ترجمه «على بن الحسن».

٢- (٢) منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام فى الديوان: ٨٢، و ذكره النووى فى نهايه الأرب ٥:٢٤٤. [١]

و كل خليل رآنى فهو قائل من أجلك هذا هامه اليوم أو غد

فعدّ بينهما خمسه عشر يوما (١).

يا دهر أفّ لك من خليل كم لك بالإشراق و الأصيل

من صاحب أو طالب قتيل و الدهر لا يقنع بالبديل

(٢) «و اعلموا عباد الله أنّكم و ما تأملون من هذه الدّنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممّن كان منكم أطول أعمارا و أعمار ديارا» قال البحترى:

قصر فإنّ الدهر ليس بمقصر حتّى يلفّ مقدّما بمؤخّر

أودى بلقمان بن عاد بعد ما أودت شيبه بسبعه أنسر

و تناول الضّحاك من خلف القنا و المشرفيه و العديد الأكر

و جذيمه الوضاح عطّل تاجه منه و أتبع تبعاً بالمنذر

و إذا ذكرت بنى عبيد عبّدوا حرّ الدّموع للوعه المتذكّر

أكلتهم دول الزمان و فلّت من حدّ شوكتهم صروف الأدهر

من بعد ما كانوا ذؤابه طيّء عددا غدوا و هم أهله بحتر

(٣) و قالوا: بنى عضد الدوله دارا بشيراز مشتمله على ثلاثمائه و ستين حجره، قال المقدسى فى وصفها: لم أر فى شرق و لا غرب مثلها، ما دخلها عامى إلا افتتن بها، و لا عارف إلا استدلّ بها على نعيم الجنّه و طيبها (٤).

و فى (الطبرى): خرج القعقاع بن عمرو يوم القادسيه فى الطّلب، فلحق بفارسي يحمى الناس، فاقتتلا- فقتله، و إذا مع المقتول جنيبه عليها عيبتان و علاقان، و فى العيبتين أدرع و إذا الأدرع درع كسرى، و مغفره، و ساقاه،

ص: ٥٥٥

١- ١) الكامل [١] فى الأدب للمبرّد ٣٨٩:١-٣٩٠.

٢- ٢) تمثّل به الامام الحسين عليه السّلام فى كربلاء، المجلسى، بحار الأنوار ٣١٦:٤٤ ح ١. [٢]

٣- ٣) ديوان البحترى ١٨٦:٢ يرثى قومه.

٤- ٤) أحسن التقاسيم للمقدسى: ٤٤٩. [٣]

و ساعده، و درع هرقل، و درع خاقان، و درع داهر، و درع بهرام شويين، و درع سياوخش، و درع النعمان، استلبوها أزيام غزاتهم خاقان و هرقل و داهر، و أمّا النعمان و بهرام فحين هربا و خالفا كسرى، و أمّا أحد العلاقين ففيه سيف كسرى و هرمز و قباد و فيروز، و إذا السيوف الاخرى سيف هرقل و خاقان و داهر و بهرام و سياوخش و النعمان (١).

و لنعم ما قيل بالفارسيه:

تكيه بر اختر شبگرد مكن كاين عيار تاج كاوس ربود و كمر كيخسرو

(٢) «و أبعد آثارا» في (المعجم): قرطاجنه بلد قديم، من نواحي إفريقيه، كانت مدينه عظيمه شامخه، أسوارها من الرّخام الأبيض، و بها من العمد الرّخام المتنوّع الألوان ما لا يعدّ و لا يحصى، و قد بنى المسلمون من رخامها لَمّا خربت عدّه مدن و لم يزل الخراب فيها منذ زمان عثمان، و إلى هذه الغايه على حالها عمودان أحمران من الحجر المانع في مجلس الملك، أحدهما قائم و الآخر واقع، دور كلّ منها ستّه و ثلاثون شبرا و طوله فوق أربعين ذراعا، و عمرت تونس من خراب قرطاجنه و حجارتها، و قد بقي من حجارتها ما يعمر به مدينه اخرى، و من نظر إلى هذه المدينه عرف عظم شأن بانيتها، و سبّح مبيد أهلها و مفيها (٣).

«أصبحت أصواتهم هامده» أي: ساكنته، و قيل بالفارسيه: عاقبت منزل ما وادي خاموشانست.

هذا، و في (عيون ابن قتيبه): كان شبت بن ربيعي يتنحج في داره

ص: ٥٥٤

١-١ (١) تاريخ الطبري ٣: ١٢٧. [١]

٢-٢ (٢) ديوان حافظ الشيرازي: ٢٨١.

٣-٣ (٣) معجم البلدان للحموي ٤: ٣٢٣. [٢]

فيسمع تنحنحه بالكناسه، و يصيح براعيه، فيسمع نداؤه على فرسخ و سمعه أبو المجيب النهدي في أذانه لسجاح المتنييه، فقال: ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه (١).

«و رياحهم راكده» أى: ساكنه من قولهم (ركدت ريحهم) إذا زالت دولتهم و أخذ أمرهم يتراجع، كقوله تعالى «و لا- تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذَهَبَ رِيحُكُمْ» (٢).

«و أجسادهم باليه» من (بلى الثوب) بالكسر.

«و ديارهم خاليه» «و كَمَ أَهْلُكُنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» (٣). و لأحمد بن موسى الثقفى كما فى الحليه:

جهول ليس تنهاه النواهى و لا تلقاه إلا و هو ساهى

يسر بيومه لعبا و لهوا و لا يدرى و فى غده الدواهى

مررت بقصره فرأيت أمرا عجيبا فيه مزدجر و ناهى

بدا فوق السرير فقلت من ذا؟ فقالوا ذلك الملك المباهى

رأيت على الباب سود الجوارى ينحن و هنّ يكسرن الملاهى

تبين أئى دار أنت فيها و لا تسكن إليها وادر ماهى؟

(٤) و لخيثم العجلي كما فيه:

يا خاطب الدنيا على نفسها انّ لها فى كلّ يوم حليل

ما أقتل الدنيا لخطابها تقتلهم قدما قتيلا قتيل

ص: ٥٥٧

١-١ (١) العيون لابن قتيبه ١:١٨٦. [١]

٢-٢ (٢) الأنفال: ٤٦. [٢]

٣-٣ (٣) القصص: ٥٨. [٣]

٤-٤ (٤) حليه الأولياء لأبى نعيم ١٠:١٣٨.

تستنكح البعل و قد و طئت في موضع آخر منه بديل

أني لمغتّر و أنّ البلى يعمل في جسمي قليلا قليل

تزودوا للموت زادا فقد نادى مناديه الرّحيل الرّحيل

(١) «و آثارهم عافيه» من (عفا المنزل): درس - يستعمل متعدّيا و لازما .

«فاستبدلوا بالقصور المشيّده» أي: المطوّله.

«و النّمارق الممهّده» ذكر (المصباح) و (الأساس): النّمارق في (نمر) فكأنّهما جعللا قافه زائده (٢)، و أمّا (الصّحاح) و (القاموس) فذكراه

في (نمرق) كما أنّ الأوّلين فسّراه بمطلق الوسائد، و الأخيرين بالوساده الصّغيره (٣).

و الصّحيح الأوّل، كما هو مقتضى كلامه عليه السّلام و فسّره أيضا به السجستاني في (تفسير غريبه) (٤)، و الجزري في (نهايته) (٥).

«الصخور» الحجاره العظام.

«و الأحجار المسنّده» المرفوعه.

و قيل بالفارسيه:

چه شد کز يك كماندار فنا اين لشکر بيحدّ بسر دارند از لوح مزار خود سپرها را

«و القبور اللّاطئه» من (لطيء بالأرض): لصق بها.

«الملحده» من (الحدت للقبور): جعلت له لحدا، أي: شقّا في جانبه، قال الشاعر:

ص: ٥٥٨

١-١) حليه الأولياء لأبي نعيم ١٣٩: ١٠.

٢-٢) المصباح المنير للفيثوري: ٣٢٧ (نمر).

٣-٣) الصّحاح: (نمرق).

٤-٤) غريب القرآن للسجستاني: ١٨١.

٥-٥) النهايه لابن الأثير ١١٨: ٥.

أضحت منازلهم قفرا معطله و ساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

و في (الأغاني): عن ابن شيخه قال: كان رسمنا ألا يحضر أحد منا في خدمه الواثق إلا في يوم نوبته، و أتى لفي منزلي في غير يوم نوبتي، إذ أرسل إليّ و قد هجموا عليّ و قالوا لي: احضر، فقلت: الخير، قالوا: خير، فقلت: إن هذا يوم لم يحضرني فيه الخليفة قطّ، و لعلكم غلطتم، فقالوا: لا- تطوّل و بادر، فقد أمرنا ألا- ندعك تستقرّ على الأرض، فداخلى فزع شديدا، و خفت أن يكون سعى بي، فتقدّمت بما أردت، حتّى وافيت الدار، فذهبت لأدخل على رسمى من حيث كنت أدخل، فمنعت و أخذ بيدي الخدم فأدخلوني، و عدلوا بي إلى ما لا أعرفه، فزاد ذلك في جزعى، ثم لم يزل الخدم يسلموننى من خدم إلى خدم حتّى أفضيت إلى دار مفروشه الصّحن ملتبسه الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب ثم أفضيت إلى رواق أرضه و حيطانه ملتبسه بمثل ذلك، و إذا الواثق في صدره، على سرير مرصّع بالجواهر، و عليه ثياب منسوجه بالذهب، و إلى جانبه (فريده) جاريتة عليها مثل ثيابه و في حجرها عود، فلمّا رآنى قال: طلبت ثالثا يؤنسنا فلم أر أحقّ بذلك منك، فبجياتى بادر، فكل شيئا و بادر إلينا، فقلت: قد أكلت و شربت، قال: فاجلس فجلست، فقال: هاتوا له رطلا في قدح، فأحضرت ذلك، و اندفعت (فريده) تغنى:

أهابك إجلالا و ما بك قدره عليّ و لكن ملء عين حبيبها

و ما هجرتك النفس ياليل أنّها قلتك و ما أن قلّ منك نصيبها

فجاءت و الله بالسّبحر! و جعل الواثق يجاذبها و فى خلال ذلك تغنى الصّوت بعد الصّوت و أغنىّ أنا فى خلال ذلك، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد فإنّا لكذلك إذ رفع الواثق رجله فضرب بها صدر فريده ضربه تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض، و تفتّت عودها، و مرّت تعدو و تصحيح، و بقيت أنا

كالمنزوع الروح، ولم أشك في أن عينه وقعت عليّ و قد نظرت إليها و نظرت إليّ، فأطرق ساعه إلى الأرض متحيراً و أطرقت أتوقع ضرب العنق، فأنى لكذلك إذ قال لي: يا محمد! فوثبت فقال: ويحك! رأيت أغرب ممّا تهبّياً علينا، فقلت: يا سيدي الساعه و الله يخرج روحى، فعلى من أصابنا بالعين لعنه الله، فما كان السبب؟ الذنب؟ قال: لا و الله، و لكن فكّرت أن جعفرًا يقعد هذا المقعد و يقعد معها كما هي قاعده معى، فلم أطق الصبر و خامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيت، فسرى عنى، و قلت: بل يقتل الله جعفرًا! و يحيى الخليفه أبداً، و قبلت الأرض، و قلت: يا سيدي! الله! الله! ارحمها، و مر برّذها، فقال لبعض الخدم الوقوف: من يجىء بها فلم يكن بأسرع من أن خرجت، و فى يدها عود، و عليها غير الثياب التى كانت عليها، فلما رآها جاذبها و عانقها، فبكت و جعل هو يبكى، و اندفعت أنا فى البكاء، فقالت: ما ذنبى يا سيدي، و بأى شىء استوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله و هو يبكى و هى تبكى، فقالت: سألتك بالله الأ- ضربت عنقى الساعه و أرحت قلبك من الهمّ بى، و جعلت تبكى و يبكى ثم مسحاً أعينهما و رجعت إلى مكانها! و أومى الواثق إلى خدم و قوف بشىء لا أعرفه، فمضوا و أحضروا أكياسا فيها عين و ورق، و رزما فيها ثياب كثيره، و جاء خادم بدرج ففتحه و أخرج منه عقدا ما رأيت قطّ مثل جوهر كان فيه فألبسها إياه، و أحضرت بدره فيها عشره الآف درهم فجعلت بين يدي، و خمسه تخوت فيها ثياب، و وعدنا إلى أمرنا أحسن ما كنّا فيه، فلم نزل كذلك إلى الليل ثم تفرّقنا، و ضرب الدهر ضربه، و تقلد المتوكّل فو الله أنى لفى منزلى بعد يوم نوبتى إذ هجم علىّ رسل المتوكّل، فما أمهلونى حتى ركبت، و صرت إلى الدار فادخلت و اللهم الحجره بعينها و إذا بالمتوكّل فى الموضع الذى كان فيه الواثق على السرير بعينه و إلى جانبه (فريده) فلما رآنى قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من

هذه؟ أنا منذ غدوه أطلبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك فقلت لها: يا سبحان الله! أ تخالفين سيّدك و سيّدنا و سيّد البشر، بحياته غنّى! فعزفت و الله ثمّ اندفعت تغنّى:

مقيم بالمجازه من قنونا و أهلك بالأجيفر فالتّماذ

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

ثمّ ضربت بالعود الأرض، ثمّ رمت بنفسها عن السرير، و مرّت تعدو و هى تصيح واسيّداه! فقال لى: ويحك! ما هذا؟ فقلت: لا أدرى و الله يا سيدى فقال: فما ترى؟ فقلت: أرى أن أنصرف، أنا، و تحضر هذه و معها غيرها، فإنّ الأمر يؤول إلى ما تريد قال: فانصرف، فانصرفت و لم أدر ما كانت القصّه (١).

«التي قد بنى بالخراب فنائها» (بالكسر) و فناء الدّار: ما امتدّ من جوانبها.

«و شيد بالتراب بناؤها» أى: رفع و طوّل. -بالفارسيه-:

هر كه را خوابگه آخر بدو مشتى خاك است گو چه حاجت كه بر افلاك كشى ايوان را

«فمحلّها مقرب، و ساكنها مغرب»:

غريب و أطراف البيوت تحوطه ألا كلّ من تحت التراب غريب

(٢) «بين أهل محلّه موحشين» فالقبر ينادى كلّ يوم بلسان حاله أنا بيت الوحشه.

و أهل فراغ متشاغلين، «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (٣).

و لو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحه كلّ حيّ

(٤)

ص: ٥٦١

[١- ١] الأغاني ١١٦: ٤. [١]

[٢- ٢] ابن عبد ربه ٣: ٢٦١ [٢] لعبد الله بن ثعلبه يرثى ولده.

[٣- ٣] المدثر: ٣٨. [٣]

[٤- ٤] الديوان المنسوب للإمام على عليه السّلام: ٢٢٠.

«لا يستأنسون بالأوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار و دنوّ الدّار» كما هو قاعده الأحياء، كما أنّ مع قرب جوارهم و دنوّ دارهم قد يكون أحدهم مصداق قوله تعالى «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ» (١)، و آخر مصداق قوله تعالى «وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ» (٢).

و كان الرضا عليه السّلام يقول كرارا: أنا و هارون كهاتين (٣)، و يشير إلى سبّاته و وسطاه، فلم يفهموا مراده عليه السّلام حتّى دفنه المأمون إلى جنب قبر أبيه «و كيف يكون بينهم تزاور و قد طحنهم بكلّكله» أي: صدره.

«البلى» -بالكسر- من بلى الثوب.

«و أكلتهم الجنادل» أي: الأحجار الكبيره.

«و الثرى» أي: ندى التراب.

ابعد الذي بالتّعف نعف كويكب رهينه رمس ذى تراب و جندل

(٤) «و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه» و من سرعته كأنه وقع.

«و أرتهنكم ذلك المضجع و ضمكم ذلك المستودع» و يعبر عن هذا المعنى بالفارسيه (شما هم پاك مانند آنها اسيران خاك بشويد).

و فى (المروج): قيل للمتوكّل: إنّ فى منزل الهادى عليه السّلام سلاحا و كتبنا من شيعة فوجه إليه ليلا- من هجم عليه على غفله، فوجد فى بيت وحده مغلق عليه، و عليه مدرعه من شعر، و لا بساط فى البيت إلا الرمل و الحصى، يترنم

ص: ٥٦٢

١- ١ (١) الواقعة: ٨٧-٨٨. [١]

٢- ٢ (٢) الواقعة: ٩٣-٩٤. [٢]

٣- ٣ (٣) عيون أخبار الرضا عليه السّلام للصدوق ٢: ٢٢٥، و نقله المجلسى فى البحار ٤٩: ٤٤ ح ٣٦.

٤- ٤ (٤) خزانه الأرب للنوى ١: ١٣٤.

بآيات فى الوعد و الوعيد،فاخذ على ما وجد عليه إلى المتوكل،و كان يشرب و فى يده كأس فلما رآه أعظمه و أجلسه إلى جنبه،و قالوا له لم يكن فى منزله شىء مميًا قيل فيه،فناوله المتوكل الكأس الذى فى يده،فقال عليه السّلام له:ما خامر لحمى و دمى قطّ فقال:أنشدنى شعرا استحسنة؟فقال عليه السّلام:إنى قليل الروايه للأشعار،فقال لا بدّ فأنشده:

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرّجال فما أغتتهم القلل

و استنزلوا بعد عزّ عن معاقلمهم فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرّه و التّيجان و الحلل

أين الوجوه التى كانت منعمه من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدّود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد اكلوا

فأشفق الحاضرون عليه عليه السّلام من المتوكل،و والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا- حتّى بلّلت دموعه لحيته،و بكى من حضره،و أمر برفع الشّراب و ردّه مكرّما (١).

و فى (الكافى) عن أبى بصير،قال:شكوت إلى أبى عبد الله عليه السّلام الوسواس،فقال:يا أبا محمّد!اذكر تقطّع أو صالك فى قبرك و رجوع أحبابك عنك إذا دفنوك فى حفرتك،و خروج بنات الماء من منخريك،و أكل الدّود لحمك،فإنّ ذلك يسلى عنك ما أنت فيه،قال أبو بصير:ما ذكرته إلاّ سلا عنى ما أنا فيه من همّ الدّنيا (٢).

«فكيف بكم إذا تناهت بكم الامور و بعثرت القبور» يعنى ما شرحت حال

ص: ٥٦٣

١-١) مروج الذهب للمسعودى ١١:٤. [١]

٢-٢) الكافى ٢٥٥:٣ ح ٢٠. [٢]

برزخكم، فكيف إذا تناهى الأمر من البرزخ إلى المحشر، فمن شدّه أهواله تظنون البرزخ نوم راحه، «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ
الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسَبُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» (١)، «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَ
إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَبَثَتْ وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخْرَتْ» (٢)، «أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي
الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ» (٣)، أى: أثبت القبور و اخرج ما فيها.

«هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» «اقتباس الآية الثلاثين من سوره
يونس، و فى قراءه (هنا لك تتلو...) «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (٤).

١٩

الكتاب (٤٩)

و من كتاب له عليه السلام إلى غيره:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَسْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا- وَ لَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا- إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا وَ لَهَجًا بِهَا- وَ لَنْ يَشْتَعْنَى صَاحِبُهَا
بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا- وَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ وَ نَقَضَ مَا أُبْرِمَ- وَ لَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ وَ السَّلَامُ
أقول: قوله و من كتاب له عليه السلام إلى غيره هكذا فى (المصريه) (٥) و فى (ابن

ص: ٥٦٤

[١-١] يس: ٥٢. [١]

[٢-٢] الإنفطار: ١-٥. [٢]

[٣-٣] العاديات: ٩-١١. [٣]

[٤-٤] الشعراء: ٨٨-٨٩. [٤]

[٥-٥] الطبعة المصريه: ٥٩٥ بلفظ «إليه» و يقصد معاويه.

أبي الحديد) «إلى معاويه» بدل «إلى غيره» و في (الخطيه) (١)، بدله (إليه) أى: إلى معاويه و في (ابن ميثم) بياض (٢).

و كيف كان فالكتاب إنما كان منه عليه السّلام إلى عمرو بن العاص كما ذكره الدينورى في (أخبار طوالة الدينورى-الأخبار الطوال-ص ١٦٣)، و نصر بن مزاحم في (صفينه نصر بن مزاحم-وقعه صفين-ص ٤٩٨)، قال الأول:

كتب عليه السّلام إلى عمرو: أما بعد فإنّ الدّنيا مشغله عن غيرها، صاحبها منهوم فيها، لا يصيب منها شيئاً إلاّ ازداد عليها حرصاً، و لم يستغن بما نال عمّا لا يبلغ، و من وراء ذلك فراق ما جمع و السعيد من اتّعظ بغيره، فلا تحبط عملك بمجاراه معاويه في باطله، فإنّه سفّه الحق و اختار الباطل.

و قال الثانى: كتب عليه السّلام إلى عمرو: أما بعد، فإنّ الدّنيا مشغله عن غيرها، و صاحبها مقهور فيها، لم يصب منها شيئاً قطّ إلاّ فتحت له حرصاً، و أدخلت عليه مئونه تزيد رغبه، و لن يستغنى صاحبها بما نال عمّا لا يبلغه، و من وراء ذلك فراق ما جمع، و السّعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أجرك أبا عبد الله و لا تجارين معاويه في باطله، فإنّ معاويه غمص النّاس و سفه الحقّ، ذكره مرّتين تاره من النخيله، و اخرى بعد التحكيم (٣).

و زاد فى الثّانى: إنّ عمرا أجابه: (إنّا جعلنا القرآن حكماً بيننا فأجبنا إليه) فكتب عليه السّلام إليه: (أما بعد فإنّ الذى أعجبك من الدّنيا ممّا نازعتك إليه نفسك، و وثقت به منها لمنقلب عنك و مفارق لك، فلا تطمئنّ إلى الدّنيا فإنّها غرّاره، و لو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقى و انتفعت بما وعظت به). و ممّا نقلنا يظهر أنّ نقل المصنّف مختاره من كتابيه عليه السّلام إلى عمرو (٤).

ص: ٥٦٥

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ١٧ (٤٩) و [١] الخطيه: ٢٧٣ بلفظ «إليه».

٢-٢) شرح ابن ميثم بلفظ «إلى غيره» ٢٨٩: ٣.

٣-٣) الأخبار الطوال للدينورى: ١٦٣. [٢]

٤-٤) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩٨. [٣]

«أما بعد فإنّ الدّنيا مشغله عن غيرها و لم يصب صاحبها منها شيئا إلاّ فتحت له حرصا عليها» في (الكافي) عن الكاظم عليه السّلام قال لهشام بن الحكم: (مثل الدّنيا مثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتّى يقتله) (١).

«و لهجا بها» أي: حرصا و ولوعا بها.

«و لن يستغنى صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها» قال الباقر عليه السّلام:

«مثل الحريص على الدّنيا كمثّل دوده القزّ كلّما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج» (٢).

و نظم البستي معنى كلامه عليه السّلام فقال:

ألم تر أنّ المرء طول حياته معنيّ بأمر لا يزال يعالجه

تراه كدود القزّ ينسج دأبا و يهلك غمّا وسط ما هو ناسجه

«و من وراء ذلك فراق ما جمع و نقض ما أبرم» «و تَرَكَتُمْ ما حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (٣)، «و لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» (٤).

و قيل بالفارسيه:

ای خداوند آن طاق و طمطراق صحبت دنیا نیرزد با فراق

اندک اندک خانمان آراستن پس به یک بار از سرش برخاستن

(٥) «و لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقى» قد عرفت من روايه نصر أنّه عليه السّلام زاد عليه: «و انتفعت ممّا وعظت به».

ص: ٥٦٦

١- ١) الكافي ٣:٢٠٥ ح ٢٤. [١]

٢- ٢) الكافي للكليني ٣:٢٠٢ ح ٢٠. [٢]

٣- ٣) الأنعام: ٩٤. [٣]

٤- ٤) الأنعام: ٩٤. [٤]

٥- ٥) الكشكول للبهائي: ١٢٢ و في الديوان نسبه إلى مولوى: ٤٥.

و من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته:

أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ - لَيْنٌ مَسَّهَا قَاتِلٌ سَمَّهَا - فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا - لِقَلِّهِ مَا يَصِيحُ بِكَ مِنْهَا - وَ ضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا - لِمَا أَيْقَنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا - وَ كُنْ أَنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحَدَرُ مَا تَكُونُ مِنْهَا - فَإِنَّ صَاحِبَهَا كَلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ - أَشْخَصْتُهُ عَنْهُ إِلَى مَحْدُورِ الْحِكْمَةِ (١١٩) وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيْنٌ مَسَّهَا - وَ السَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا - يَهْوِي إِلَيْهَا الْغُرُّ الْجَاهِلُ وَ يَحْدَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ مِنْ الْخُطْبَةِ (١٥٦) وَ أَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ - وَ اسْتَرْشِدْهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ - الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ - فَإِنَّهَا النَّجَاهُ غَدًا وَ الْمُنْجَاهُ أَيْدًا - رَهَبٌ فَابْلَغْ وَ رَغَبٌ فَاسْبِغْ - وَ وَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَ انْقِطَاعَهَا - وَ زَوَالَهَا وَ انْتِقَالَهَا - فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلِّهِ مَا يَصِيحُ بِكُمْ مِنْهَا - أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَيْخِطِ اللَّهِ وَ أَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ - فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَ أَشْغَالَهَا - لِمَا أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَرُّفِ حَالِهَا - فَاحْدَرُوا حِدْرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَ الْمَجِدِّ الْكَادِحِ - وَ اعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصِيرِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ - قَدْ تَرَايَلَتْ أَوْصِيَهُمْ - وَ زَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَ أَسْمَاعُهُمْ - وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَ عِزُّهُمْ - وَ انْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَ نَعِيمُهُمْ - فَبَدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا -

وَبِصْبِهِ الْمَأْزُوجَ مُفَارَقَتَهَا - لَا يَتَفَاخِرُونَ وَلَا يَتَنَاسِلُونَ - وَلَا يَتَزَاوَرُونَ وَلَا يَتَحَاوَرُونَ - فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَيْدَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ - الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ - فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ وَالْعَلَمَ قَائِمٌ - وَالطَّرِيقَ حَيْدَرٌ وَالسَّبِيلَ قَصِيدٌ أَقُولُ: وَرَوَى الْأَوَّلُ الْمَفِيدُ فِي (إرشاده الشيخ المفيد-الإرشاد-ج ١ ص ٢٢٧) بدون ذكر كونه كتابا إلى سلمان مع تبديل قوله عليه السلام «قاتل سمها» بقوله «شديد سمها» (١)، وروى الثاني الكليني في (كافيه) عن الصادق عليه السلام هكذا: «إن في كتاب علي عليه السلام-إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين مسها و في جوفها السم الناقع يحذرهما الرجل العاقل و يهوى إليها الصبي الجاهل» (٢).

قول المصنف: «و من كتاب له إلى سلمان الفارسي» قال المصنف في (مجازاته النبوية) قال النبي صلى الله عليه وآله «سلمان ابن الإسلام، و سلمان جلده بين عيني» و جلده بين العينين كناية عن الأنف (٣).

و قال ابن أبي الحديد: (توفي آخر خلافة عثمان آخر سنة (٣٥) أو أول (٣٦)، و قيل: توفي في خلافة عمر، و الأول أكثر) (٤).

قلت: بل الثاني أظهر حيث ليس منه أيام عثمان ذكر في السير كما من أبي ذر، و قال ابن أبي الحديد كان سلمان من شيعة علي عليه السلام و خاصته و تزعم الإمامية أنه أحد الأربعة الذين حلّقوا رؤوسهم و أتوه متقلّدي سيوفهم و أصحابنا لا يخالفونهم في أنه من الشيعة و إنما يخالفونهم في أمر أبي بكر و أمّا ما يذكره المحدّثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة «كرديد و نكرديد»

ص: ٥٦٨

١-١ (١) الإرشاد للمفيد ٢٢٧:١.

٢-٢ (٢) الكافي ٣:٢٠٤ ح ٢٢. [١]

٣-٣ (٣) المجازاه النبويه للرضي: ٣٣٥.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ٣٧:١٧. [٢]

فمحمول عند أصحابنا على ان المراد «صنعتم شيئا و ما صنعتم»: أى:

استخلفتم خليفه و نعم ما فعلتم، لا أنكم عدلتم عن أهل البيت فلو كان الخليفه منهم كان أولى، و الإماميه تقول معناه (أسلمتم و ما أسلمتم) و اللفظه المذكوره فى الفارسيه لا- تعطى هذا المعنى و أما يدلّ على الفعل و العمل لا غير و يدلّ على صحّح قول أصحابنا ان سلمان عمل لعمر على المدائن، فلو كان ما تنسبه إليه الإماميه حقا لم يعمل»-قلت- بل قوله فى تفسير قول سلمان «كرديد و نكرديد» يعنى استخلفتم خليفه و نعم ما فعلتم» من قبيل ما قيل بالفارسيه «لفظ ميگوئى و معنى ز خدا مى طلبى» و أما من الواضح ان معنى كلام سلمان «أنكم فعلتم شيئا عند أنفسكم إلا أنه فى الواقع ما فعلتم شيئا أصلا» و لازمه ما نقله عن الإماميه من كون المراد أنكم و ان اسلمتم أولا- إلا أنه كأنه ما أسلمتم بفعلكم أخيرا، و أما عمله لعمر على المدائن فلو كان دالّا على صحّح خلافته كان عدم أكله من عطائه دليلا على عدم صحّح خلافته فقال نفسه (1) (قال ابن عبد البر كان سلمان يسفّ الخوص و هو أمير على المدائن و يبيعه و يأكل منه و يقول لا أحب أن آكل إلا من عمل يدي) و قال الحسن البصرى كان عطاء سلمان خمسه آلاف و كان إذا خرج عطائه تصدّق به و يأكل من عمل يده و كانت له عبائه يفرش بعضها و يلبس بعضها) (2) مع أنه روى ابو عبد الله محمّد بن على السراج فى كتابه كما فى الطرائف باسناده عن ابن مسعود قال قال النبىّ صلّى الله عليه و آله يا ابن مسعود! قد انزلت على «و اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» (3) و أنا مستودعها و مسّم لك خاصّه

ص: ٥٦٩

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ١٧:٣٩. [١]

٢-٢ (٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ٦٣٥. [٢]

٣-٣ (٣) الأنفال: ٢٥. [٣]

الظلمه فكن لما أقول لك واعيا و عني له مؤديا(من ظلم عليا مجلسي هذا كمن جحد نبوتى و نبوه من كان قبلى)فقال له الراوى يا أبا عبد الرحمن أسمعت هذا من النبى صلى الله عليه و آله قال:نعم.قال:فكيف وليت للظالمين.قال:لا جرم!جلبت عقوبه عملى و ذلك أنى لم استأذن إمامى كما استأذنه جندب و عمار و سلمان و أنا استغفر الله (١).

قال ابن أبى الحديد:قال ابن عبد البر روى من حديث بريده ان النبى صلى الله عليه و آله قال:(أمرنى ربى بحب أربعة و أخبرنى أنه يحبهم على و أبوذر و المقداد و سلمان)و قد رويانا عن عايشه قالت:(كان لسلمان مجلس من النبى صلى الله عليه و آله يتفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على النبى صلى الله عليه و آله)و قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله من وجوه قال:(لو كان الدين فى الثريا لنا له سلمان)و روى الأعمش عن عمرو بن مّره عن أبى البخترى عن على عليه السلام أنه سئل عن سلمان فقال:(علم العلم الأول و العلم الآخر،ذاك بحر لا يتزف و هو منّا أهل البيت) و فى روايه زاذان عن على عليه السلام قال:(سلمان الفارسى كلقمان الحكيم)و روى قتاده عن أبى هريره قال:(سلمان صاحب الكتابين:يعنى الإنجيل و القرآن) و قال كعب الأخبار:(سلمان حشى علما و حكمه)و فى الحديث المروى أنّ أبا سفيان مرّ على سلمان و صهيب و بلال فى نفر من المسلمين فقالوا:(ما أخذت السيوف من عنق عدوّ الله مأخذها)فقال لهم أبو بكر أ تقولون هذا لشيخ قريش و سيدها؟و أتى النبى صلى الله عليه و آله و أخبره فقال النبى صلى الله عليه و آله(يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله تعالى)و روى فى خبر أنّ النبى صلى الله عليه و آله اشترى سلمان من أربابه و هم يهود بدراهم و على أن يغرس لهم من النخل كذا و كذا و يعمل فيها حتى تدرك فغرس النبى صلى الله عليه و آله ذلك النخل كله بيده إلاّ

ص: ٥٧٠

نخله واحده غرسها عمر، فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ غَرْسِهَا؟ قِيلَ عَمْرٌ، فقلعها و غرسها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيَدِهِ فَأَطْعَمَتْ).

قلت: ولا غرو ان يكون للفاروق آيات كآيات صاحب حنيفه كما أنّ الصّيديق كان يؤكّد أسباب صداقته مع قريش أعداء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ليعاضدوه بعده على الوصيّ و قد فعلوا (١).

و روى أبو نعيم في (حليته) مسندا عن ابن عباس قال: قدم سلمان من غيبه له فتلقاه عمر فقال: أرضيك عبدا لله تعالى، قال سلمان فزوّجني، فسكت عنه عمر فقال له سلمان: (أ ترضاني لله عبدا و لا- ترضاني لنفسك؟) فلما أصبح أتاه قوم عمر فقال: ألكم حاجة؟ قالوا نعم تضرب عن هذا الأمر (٢).

«قبل أيام خلافته» قد عرفت أنّ سلمان لم يدرك أيام خلافته و مات زمان عمر أو عثمان و الظاهر أنّ كتابه عليه السلام إليه كان أيام ولايته على المدائن من قبل عمر.

«قوله عليه السلام في الأول - أمّا بعد فإنّما مثل الدنيا مثل الحية لئن مسّها قاتل سمّها» قال شاعر:

إذا تبرّجت الدنيا فعاهره خضابها من دم تصبى فتغتال

كأنّها حيّه راقّت منقشه و لان ملمسها و السمّ قتال

هذا، و في (الأذكياء): بلغ عضد الدوله خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق و يقيمون في جبال لا يقدر عليهم فدفع إلى تاجر بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى شيبت بالسمّ و أكثر طيبها و ترك في الظروف الفاخره و أمره أن يسير مع القافله و يظهر أنّ هذه هديّه لإحدى نساء أمراء الأطراف فلما قربت

ص: ٥٧١

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٦، و قد أورد حديث علم العلم الأول الكشي في رجاله ح ٢٥.

٢- ٢) حليه الأولياء [١] لأبي نعيم ١: ١٨٦.

القافلة من جبالهم نزلوا و أخذوا الأموال و فتحوا الصندوقين و وجدوا الحلوى يوضع طيبها فأمعنوا فى الأكل عقيب مجاعه فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم فبادر التجار إلى أخذ أموالهم و أمتعتهم (١).

«و قوله عليه السّلام فى الثّانى - مثل الدّنيا كمثل الحية لين مسّها و السّم النّاقع فى جوفها» فى (الأساس): نقع السّم فى ناب الحية: اجتمع قال النابعه (فى أنيابها السّم ناعم) (و سمّ نقيع و منقّع مربى) (٢).

قال ابن أبى الحديد قال أبو العتاهيه:

إنّما الدهر أرقم لئن المسّ و فى نابه السّم العقام

(٣) «يهوى إليها الغرّ الجاهل» الغرّ بالكسر: غير المجرب.

«و يحذرهما ذو اللبّ العاقل» قد عرفت أنّ فى خبر (الكافى) «يحذرهما الرّجل العاقل و يهودى إليها الصّبيّ الجاهل».

و فى (تاريخ بغداد): لَمّا قدم الرشيد الكوفه أمر لقوم من القراء بألفين ألفين فكان داود الطائى ممّن كتب فيهم و دعى باسمه فقال: (داود لا يجيئكم أرسلوها إليه) فذهب بها إليه ابن السماك و حمّاد بن أبى حنيفه و قالوا فى الطريق ننشرها بين يديه، رجل ليس عنده شىء يؤمر له بألفى درهم لا يردها، فلَمّا دخلا نثرها بين يديه فقال شوه إنّما يفعل هذا بالصّبيان، و أبى أن يقبلها (٤).

و ما قاله عليه السّلام أحد أمثال الدّنيا و أهلها، و من أمثالها مع أهلها قول الباقر عليه السّلام: (مثل الحريص على الدّنيا كمثل دوده القزّ كلّما ازدادت على نفسها

ص: ٥٧٢

١- ١) الأذكياء لابن الجوزى: ٥١-٥٢.

٢- ٢) أساس البلاغه للزمخشري: ٤٧١. [١]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٢٨٤. [٢]

٤- ٤) تاريخ بغداد ٨: ٣٥٢ رقم ٤٤٥٥. [٣]

لَفَا كَانَ أَبَعْدَ لَهَا مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى تَمُوتَ غَمًّا (١)، وَقَوْلُ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ مَاءِ الْبَحْرِ كَلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ أَزْدَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ) (٢).

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرَّ عَلَى جَدِي اسْكٍ -مَقْطُوعِ الْأُذُنِ- مَلَقَى عَلَيَّ مِزْبَلَهُ وَ لَمْ يَكُ فِي حَيَاتِهِ يَسَاوِي دَرَهْمًا فَقَالَ «الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْجَدِيِّ عَلَى أَهْلِهِ». وَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (مِثْلِي وَ مِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رَاكِبٍ رَفَعَتْ لَهُ شَجَرَهُ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَقَالَ -مِنَ الْقِيلُولِ- تَحْتَهَا ثَمَّ رَاحَ وَ تَرَكَهَا) وَقَالُوا: هِيَ كَفَىءُ الظَّلَالِ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: (أَنْتَ يَوْمَ تَفَارِقُهُمْ، كَضِيفٍ بَتَّ فِيهِمْ ثَمَّ غَدَوْتَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ) وَ شَبَّهَهَا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا (بِاللَّمَاظَةِ أَي مَا يَبْقَى فِي الْفَمِّ مِنَ الطَّعَامِ) وَ بَعَرَقَ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْذُومٍ (٣).

«قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَوَّلِ: فَاعْرَضَ عَمِّيَا يَعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلِّهِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَ فِي الثَّلَاثِ -فَاعْرَضُوا عَمِّيَا يَعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلِّهِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا» لِبَعْضِهِمْ (تَعَزَّى عَنِ الشَّيْءِ إِذَا مَا مَنَعْتَهُ لِقَلِّهِ مَا يَصْحَبُكَ إِذَا أُعْطِيَتْهُ وَ مَا خَفَّفَ الْحِسَابَ وَ قَلَّلَهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثَّرَهُ وَ ثَقَّلَهُ). وَ فِي (الْإِرْشَادِ): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ، إِنَّ الْهَادِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ إِلَيْهِ، أَجْمَعَ أَمْرَكَ، فَجَمَعْتَ أَمْرِي وَ لَسْتُ أَدْرِي مَرَادَهُ حَتَّى وَرَدَ عَلَيَّ مِنْ حَمَلْنِي مَصْفُودًا بِالْحَدِيدِ وَ ضَرَبَ عَلَيَّ مَا أَمْلَكَ، فَمَكَّتْ فِي السَّجْنِ ثَمَانِي سِنِينَ فَوَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا -تَنْزِلُ فِي نَاحِيَةِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، فَعَجِبْتُ فَمَا مَكَّتْ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى أُفْرَجَ عَنِّي، وَ خَرَجْتُ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ خُرُوجِي أَسْأَلُهُ أَنْ يَسْأَلَ تَعَالَى رَدَّ ضِيَاعِي فَكَتَبَ: سَوْفَ يَرُدُّ عَلَيْكَ ضِيَاعَكَ وَ مَا يَضُرُّكَ إِلَّا يَرُدُّ عَلَيْكَ، قَالَ الرَّاوِي: فَلَمَّا شَخَّصَ إِلَى الْعَسْكَرِ كَتَبَ لَهُ بَرْدٌ

ص: ٥٧٣

١-١) الكافي ٣:٢٠٢ ح ٢٠. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٣:٢٠٥ ح ٢٤. [٢]

٣-٣) المصدر نفسه ٣:١٩٦ ح ٩. [٣]

ضياعه فلم يصل الكتاب حتى مات (١).

«قوله عليه السلام في الأول: و ضع عنك من همومها لما أيقنت من فراقها» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (لما أيقنت به) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣).

«قوله في الثالث: فغضّوا عنكم عباد الله غمومها و أشغالها لما أيقنتم به من فراقها و تصرّف حالها» هكذا في (المصريه) و الصواب: (حالاتها) (٤) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥).

في (الكافي) عن أبي بصير، قال: شكوت إلى الصادق عليه السلام الوسواس فقال: (اذكر تقطع أوصالك في قبرك و رجوع أحبائك عنك إذا دفنوك في حفرتك و خروج بنات الماء من منخريك و أكل الدود لحمك فإن ذلك يسلي عنك ما أنت فيه) فما ذكرته إلا سلا عني ما أنا فيه من هم الدنيا (٦).

و في (كامل المبرّد): طالب يعقوب بن الربيع حاجب المنصور جاريه سبع سنين يبذل فيها جاهه و ماله و اخوانه حتى ملكها فأقامت عنده سنّه أشهر ثم ماتت، فقال:

أنا حسرتي إذا ما تذكّرت عنائي بها و طول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين أتأني لذاك من كلّ باب

فاجتمعنا على اتفاق و قدر و غنينا عن فرقه باصطحاب

ص: ٥٧٤

١- (١) الإرشاد للمفيد ٢: ٣٩٢ ح ٣. [١]

٢- (٢) الطبعة المصريه: ٦٤٣.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤ (٦٨) و [٢] شرح ابن ميثم ٥: ٢١٨. [٣]

٤- (٤) المصريه المصححه «حالاتها»: ٣٤٧.

٥- (٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٣٩، و [٤] الخطيبه: ١٣٩ بلفظ «حالاتها»، أما ابن ميثم فبلفظ «حالها» ٣: ٢٨٩.

٦- (٦) الكافي ٣: ٢٥٥ ح ٢٠. [٥]

أشهر استه صحبتك فيها كنّ كالحلم أو كالمع السراب

و أتانى النعى منك مع البشرى فيا قرب أوبه من ذهاب

(١) «و كن انس ما تكون بها أحذر ما تكون منها» قالوا الدنيا كعدو موتور و قالت الحكماء: جانب الموتور و كن أحذر ما تكون له أطف ما يكون لك (٢). و قالوا:

و كذاك الدهر مآتمه أقرب الأشياء من عرسه

و قال يعقوب المتقدّم فى تلك الجارية:

يا ملك فى و فيك معتبر و مواعظ توحش ذا الأانس

(٣) «فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور». .

فى (المروج): لبس سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة فى ولايته لباسا شهر به، و تعطرّ و دعا بتخت فيه عمائم و بيده مرآه، فلم يزل يعتمّ بواحد بعد واحد، حتّى رضى منها واحد فأرعى من سدولها و أخذ بيده مخصره و علا المنبر ناظرا فى عطفه، و خطب خطبته التى أرادها فأعجبته نفسه، فقال: أنا الملك الشابّ، السيّد المهاب، الكريم الوهاب فتمثّلت -أى: صارت ممثله- له جاريه من بعض جواريه كان يتخطّأها فقال لها كيف تريننى؟ قالت أراك منى النفس لو لا ما قال الشاعر:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير الآ بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب يا سليمان غير أنّك فان

فدمعت عيناه و خرج على الناس باكيا، فلما فرغ دعا بالجارية، فقال: ما دعاك إلى ما قلت لى؟ قالت: و الله ما رأيتك اليوم و لا دخلت عليك، فأكبر ذلك

ص: ٥٧٥

١-١ (١) الكامل للمبرد ٢٥٧. [١]

٢-٢ (٢) الطرائف للمقدسى: ٩.

٣-٣ (٣) الكامل فى الأدب للمبرد ٣٧١: ٢.

و دعا بقيمه جواريه فصَدَّقَتْها في قولها، فراع ذلك سليمان و لم ينتفع بنفسه، و لم يمكث بعد ذلك إلا مدّه حتّى توفّي (١).

فيه أيضا: و لم يكن المتوكّل أشدّ سرورا منه في اليوم الذي قتل فيه، فلقد أصبح في ذلك اليوم نشيطا فرحا مسرورا و قال كأني أجد حركة الدّم فاحتجم في ذلك اليوم، و أحضر الدماء و الملهين فاشتدّ سروره، و كثر فرحه فانقلب ترحا و حزنا (٢). و فيه: كان يزيد بن عبد الملك ذات يوم في مجلسه و قد غنّته حبابه و سلامه فطرب طربا شديدا ثمّ قال أريد أن أطير فقالت له حبابه فعلى من تدع الاعمّه و تدعنا، و اعتلت حبابه فأقام يزيد أيّاما لا يظهر إلى الناس ثمّ ماتت فأقام أيّاما لا يدفنها جزعا عليها حتّى جيفت فقيل له إنّ الناس يتحدّثون عنك بذلك فدفنها و أقام بعدها أيّاما قلائل و مات (٣).

هذا و زاد ابن أبي الحديد بعد ما مرّ: «أو إلى ايناس أزالته عنه إلى إيحاش» (٤) و ليس في (ابن ميثم) كما ليس في (المصريه) (٥).

«قوله عليه السّلام في الثّالث : و أتوكّل على الله توكلّ الإنابه إليه» في (الصّحاح): (أناب إلى الله) أي: أقبل و تاب .

«و استرشده السبيل المؤدّيّه إلى جنّته» في (الصّحاح): السبيل يذكر و يؤنّث (٦). قال تعالى: «هذه سبيلي» (٧) و قال تعالى «و إنّ يروا سبيلًا»

ص: ٥٧٦

١-١) مروج الذهب للمسعودي ١٧٦:٣. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٣٩:٤. [٢]

٣-٣) المصدر نفسه ١٩٦:٣-١٩٩. [٣]

٤-٤) ابن أبي الحديد ٣٤:١٨. [٤]

٥-٥) شرح ابن ميثم ٢١٨:٥، و [٥] الطبعه المصريه: ٦٤٣.

٦-٦) الصّحاح: ماده (سبيل).

٧-٧) يوسف: ١٠٨. [٦]

«الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» (١).

«القاصده إلى محلّ رغبته» قال تعالى، بعد نهيه عن الشرك، وأمره بإحسان الوالدين، ونهيه عن قتل الأولاد للإملاق، وعن قرب الفواحش ظاهره وباطنه، وعن قتل النفس المحرّمه، وعن قرب مال اليتيم، وأمره بإيفاء الكيل و الميزان، وبالعدل فى القول و لو على القربى، وبالإيفاء بعهدته تعالى - «ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٢).

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله و طاعته» لأنه تعالى وصّى بهما .

«فإنها» قالوا أى: تقواه و طاعته، و توحيد الضمير لكونهما فى المعنى واحدا.

«النجاه غدا» أى: القيامة، قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا» (٣).

«و المنجاه أبدا» أى: اليوم و غدا، قال تعالى: «وَ مَنِ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (٤)، و الظاهر أن (المنجاه) هنا اسم مكان مثله فى قول أبى شيبه الباهلى:

فهل تأوى إلى المنجاه أتى أخاف عليك معتلج السيول

(٥) كما أنّ المراد (بالنجاه) قيل المحلّ المرتفع الذى تظنّ أنّه نجاؤوك لا- يعلوه السّيل لا- النّاقه التى ينجى عليها لأنّه لا قرينه لإرادتها، و ممّا ذكرنا يظهر

ص: ٥٧٧

١- ١) الأعراف: ١٤٦. [١]

٢- ٢) الأنعام: ١٥٢-١٥٣. [٢]

٣- ٣) مريم: ٧١-٧٢. [٣]

٤- ٤) الطلاق: ٢-٣. [٤]

٥- ٥) أساس البلاغه للزمخشري: ٤٤٨ ([٥]نجو).

لك ما فى قول ابن أبى الحديد: «المنجاء مصدر نجا ينحو نجاه و منجاء و النجاه الناقه ينجى عليها استعارها للطاعه و التقوى» (١).

«رهب فأبلغ» «إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» (٢).

«و رغب فأسبع» «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٣)، «و فى ذلك فليتنافس المتنافسون» (٤).

«و وصف لكم الدنيا و انقطاعها و زوالها و انتقالها» «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ» (٥).

«أقرب دار من سخط الله و أبعدها من رضوان الله» فى (الكافى) عن السجادة عليه السلام سئل أى الأعمال أفضل عند الله تعالى؟ فقال: ما من عمل بعد معرفه الله تعالى و رسوله أفضل من بغض الدنيا (٦).

و عن الصادق عليه السلام فى ما ناجى الله تعالى موسى عليه السلام: (لا تركن يا موسى! إلى الدنيا ركون الظالمين و ركون من اتخذها أبا و أمًا- إلى أن قال- و اعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا» (٧).

و عن النبى صلى الله عليه و آله: أنه مرّ على جدى مقطوع الاذن ميت، فقال الدنيا أهون على الله تعالى من هذا على أهله (٨)، و روى أنها لو كانت تساوى عنده تعالى

ص: ٥٧٨

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٣٤: ١٨. [١]

٢- ٢) النحل: ٥١. [٢]

٣- ٣) السجده: ١٧. [٣]

٤- ٤) المطففين: ٢٦. [٤]

٥- ٥) الكهف: ٤٥. [٥]

٦- ٦) الكافى ١٩٧: ٣ ح ١١. [٦]

٧- ٧) المصدر نفسه ٢٠٣: ٣ ح ٢١. [٧]

٨- ٨) الكافى للكلىنى ١٩٦: ٣ ح ٩، [٨] البحار ٣٠١: ٤٧. [٩]

جناح بعوضه ما سقى كافرا شربه منها .

«فاحذرهما حذر الشفيق النَّاصِح» قيل أى: فاحذروها على أنفسكم لأنفسكم كما يحذر الشفيق النَّاصِح على صاحبه .

«والمجدد الكادح» قيل أى: نو كما يحذر المجدد الكادح-أى: الساعى-من خيبه سعيه و فى الصحاح يقال جدّ و اجدّ قال الأصمعى يقال (أنه جادّ مجدّد) باللّغتين (١).

«و اعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم» قال تعالى-بعد ذكر أهلاكه كلاً من قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط- «و لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» (٢)، و قال تعالى بعد ذكر قوم فرعون: «فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ» (٣)، و قال تعالى أيضا «و لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» (٤).

«قد تزايلت أوصالهم» مرّ قول الصادق عليه السلام لأبى بصير لما شكّا إليه وسواس الدنيا «اذكر تقطّع أوصالك فى قبرك».

«و زالت أبصارهم و أسماعهم» أى: عيونهم و آذانهم .

«و ذهب شرفهم و عزّهم و انقطع سرورهم و نعيمهم» فى (معارف ابن قتيبه):

كان جذيمه الأبرش لا ينادم أحدا ذهابا بنفسه و ينادم الفرقدين فاذا شرب قدحا صبّ لهذا قدحا و لهذا قدحا، و كان لنعمان بن المنذر يوم يؤس و يوم نعيم و هو صاحب الغريين و كان يغريهما بدم من يقتله ممّن رآه يوم يؤسه (٥).

«فبدّلوا بقرب الأولاد فقدّها و بصحبته الأزواج مفارقتها» و فى (الكافى)

ص: ٥٧٩

١- ١) الصحاح: (جدد).

٢- ٢) القمر: ٤٠. [١]

٣- ٣) القمر: ٤٠. [٢]

٤- ٤) القمر: ٤٢. [٣]

٥- ٥) المعارف لابن قتيبه: ٦٤٥. [٤]

عنه عليه السلام: (تدارك ما بقي من عمرك و لا تقل غدا و بعد غد فأنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأمانى و التسويف حتى أتاهم أمر الله بغته و هم غافلون فنقلوا على أعوادهم إلى القبور المظلمه الضيقه و قد أسلمهم الأولاد و الأهلون) (١).

«لا يتفخرون و لا يتناسلون» كما كانوا فى حياتهم قال تعالى: «اعلموا أنّما الحياه الدُّنيا لعبٌ و لهوٌ و زينَةٌ و تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ و تَكَاثُرٌ فى الأَمْوَالِ و الأولادِ» (٢).

هذا، و فى (شعراء ابن قتيبه): قال عمرو بن هند ملك الحيره ذات يوم:

هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمه امي؟ قالوا: لا- نعلمها إلا- ليلي ام عمرو بن كلثوم، قال و كيف؟ قالوا لأن أباه مهلهل بن ربيعه و عمها كليب وائل أعز العرب و بعلمها كلثوم بن عتاب فارس العرب و ابنها عمرو سيد من هو منه، فأرسل إلى عمرو بن كلثوم يستزيه و سأله ان يزير أمه فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيره فى جماعه من بنى تغلب و أقبلت ليلي فى ظعن من بنى تغلب و أمر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيره و الفرات و أرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا و دخل عمرو بن كلثوم رواقه و دخلت ليلي أمه على هند ام (عمرو بن هند) فبنتها فدعا عمرو بن هند بمائده فنصبها ثم دعا بالطرف فقالت هند: يا ليلي! ناولينى ذلك الطبق، فقالت: لتقم صاحب الحاجه إلى حاجتها، فأعادت عليها فلما ألحت صاحت ليلي و اذلاه يا لتغلب فسمعها عمرو بن كلثوم، فثار الدم فى وجهه، فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالزواق- و ليس هناك سيف غيره- فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله،

ص: ٥٨٠

١- (١) الكافي ٣: ٢٠٤ ح ٢٣. [١]

٢- (٢) الحديد: ٢٠. [٢]

و نادى بنى تغلب فانتهبوا جميع ما فى الرّواق، واستاقوا نجائبه و ساروا نحو الجزيره (١).

و فى (معارفه): يقال وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائه ولد، أيضا توفى أبو بكره عن أربعين ولدا من بين ذكر و انثى (٢).

«و لا- يتزاورون و لا- يتحاورون» بالحاء من المحاوره و قيل بالجيم من المجاوره حتى العدين ماتوا معا، و فى (تاريخ خلفاء السيوطى): أن المتوكل قال للبخترى: إننى أحب أن يحيى الفتح بن خاقان معى، و لا أفقده، فيذهب عيشى و لا يفقدنى، فقل فى هذا شعرا، فقال:

لا أرتنى الأيام فقدك يا فتح و لا عرفتك ما عشت فقدى

أعظم الرزء ان تقدّم قلبى و من الرزء أن تؤخر بعدى

حذرا أن تكون إلفا لغيرى إذ تفرّدت بالهوى فيك وحدى

(٣) فقتلا- معا! «فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله» «و أمّا من خاف مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّه هى المأوى» (٤)، «و الذين يؤتّون ما آتوا و قلوبهم و جلّه أنّهم إلى ربّهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات و هم لها سابقون» (٥).

«فإنّ الأمر واضح و العلم قائم» «إنّا هدّينا السبيل إمّا شاكرًا و إمّا»

ص: ٥٨١

١-١ (١) الشعر و الشعراء لابن قتيبه: ٤٠٠. [١]

٢-٢ (٢) المعارف لابن قتيبه: ٤٠٠. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ٢٨١. [٣]

٤-٤ (٤) النزاعات: ٤٠-٤١. [٤]

٥-٥ (٥) المؤمنون: ٦٠-٦١. [٥]

«كفوراً» (١)، «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» (٢).

«و الطريق جدد» بالفتح أى: صلب، و فى المثل (من سلك الجدد أمن العثار) (٣).

«و السبيل قصد» - بالتحريك - ضد الجور «و أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (٤).

٢١

الحكمه (٦٤)

و قال عليه السلام:

أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارُّ بِهِمْ وَ هُمْ نِيَامٌ أَقُولُ: و زيد عليه «فإذا ماتوا انتبهوا». و قال شاعر:

عجبا لمتبه يضيع ما يحتاج فيه ليوم رقدته

(٥) و عن الصادق عليه السلام: (عجب لقوم حبس أولهم عن آخرهم و هم يلعبون) (٦) و المقصود من هذا التشبيه أنه كما لا يحسن النائم فى المحمل سيره و لو كان فى غايه السرعه كذلك الناس لا يحسون بانقضاء أيام حياتهم و عمرهم مع دوام مرورها ليلا- و نهارا، و قد شبه أيضا انقضاء العمر مع عدم احساس صاحبه بجرى النهر فيرى الناظر النهر باقيا إلا أن كل ماء مضى لا يرجع، فليل بالفارسيه:

ص: ٥٨٢

[١-١] الدهر: ٣. [١]

[٢-٢] البقره: ٢٥٦. [٢]

[٣-٣] لسان العرب ٢: ٢٠٠. [٣]

[٤-٤] الأنعام: ١٥٣. [٤]

[٥-٥] الأغاني [٥] لأبى العتاهيه ٤: ٨٢.

[٦-٦] الكافي ٣: ٢٥٨ ح ٢٩. [٦]

بنشین بر لب جوی و گذر عمر بین کاین اشارت ز جهان گذران ما را بس

(۱)

۲۲

الحکمه (۷۲)

و قال عليه السلام:

الدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ - وَيَجِدُّدُ الْأَمَالَ وَ يُقَرِّبُ الْمَيَّةَ - وَ يُبَاعِدُ الْأُمِّيَّةَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصَبٌ وَ مَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ «الدَّهْرُ يَخْلُقُ الْأَبْدَانَ»
فی (الأغانی): قال محمّد بن الحجاج الأسدی مرّت علی (میة) - و هی ابنه ابن قیس بن عاصم المنقری - و قد أسنت فوقفت علیها و
أنا یومئذ شابّ فقلت: یا میة ما أرى ذا الرّمه إلا ضیّع فیک قوله:

أما أنت عن ذکراک میة مقصر و لا أنت ناسی العهد منها فتذکر

تهیم بها ما تستفیق و دونها حجاب و أبواب و ستر مستر

فضحکت و قالت: رأیتنی یا ابن أخی و قد ولیت و ذهبت محاسنی و یرحم الله غیلان فلقد قال هذا فیّ و أنا أحسن من النّار
الموقده فی اللیله القرّه فی عین المقرور و لن تبرح حتّی أقیم عندک عذره، ثم صاحت: یا أسماء فخرجت جاریه کالمهاه ما رأیت
مثلاً فقالت: أما لمن شیب بهذه و هواها عذر؟ فقلت: بلی، فقالت: و الله لقد كنت زمان كنت مثلها أحسن منها و لو رأیتنی یومئذ
لازدريت هذه ازدرءك الیوم إیای انصرف راشدًا (۲).

و قال أبو العتاهیه:

ص: ۵۸۳

۱-۱ (۱) دیوان حافظ: ۱۸۲. [۱]

۲-۲ (۲) الأغانی: ۱۸: ۲۷. [۲]

المرء فى تأخير مدّته كالثوب يخلق بعد جدّته

(١) و لبعضهم:

ألم تر أنّ الدّهر يوم و ليله يكرّان من سبت عليك إلى سبت

فقل لجديد الدّهر لا بدّ من بلى و قل لاجتماع الشّمل لا بدّ من شتّ

(٢) «و يجدّد الآمال» يشيب ابن آدم و يشبّ فيه خصلتان: الحرص و طول الأمل.

«و يقرب المتيّه» أى: الموت، قال الشاعر:

كيف يهوى امرؤ لذاذه أيام عليه الأنفاس فيها تعدم

حياتك أنفاس تعدّ فكلّما مضى نفس منها نقصت به جزءا

(٣) «و يباعد الامتية» أمل الآمال و ما تتمنى (أفّ للدّهر ما أكدر صافيه و أخيب راجيه و أعدى أيّامه و لياليه) (يسار الدهر فى

الأخذ أسرع من يمينه فى البذل، لا يعطى بهذه إلا ارتجع بتلك).

«من ظفر به نصب» (الصاحب) «الزّمان حديد الظّفر لثيم الظّفر» و فى (وزراء الجهشياري): «كان عماره بن حمزه يقول يخبز فى

دارى كلّ يوم ألفا رغيف يؤكل منها ألف و تسعمائه و تسع و تسعون رغيفا حلّالا و آكل رغيفا واحدا حراما» و كان يقول «ما

أعجب قول الناس «فلان ربّ الدّار» أنّما هو كلب الدار (٤).

«و من فاته تعب» (الصاحب) «أثر الدّهر عند المرء كأثر السيف فى

ص: ٥٨٤

١-١) ديوان أبى العتاهيه: ٥٧.

٢-٢) منسوب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى الديوان: ٥٤، و ذكره المقدسى فى الطرائف: ٩.

٣-٣) منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام فى الديوان: ١١.

٤-٤) الكتّاب و الوزراء للجهشياري: ٩١. [١]

و قال عليه السلام:

الدُّنْيَا دَارٌ مَمَرٌ إِلَى دَارٍ مَقَرٍّ وَ النَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ - رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا هَكَذَا فِي (المصريه) (١) و كلمه «فيها» زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢).

«نفسه فأوبقها» أى: اهلكها، «أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخره فلا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينصرون» (٣) «بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده» (٤).

«و رجل ابتاع نفسه فأعتقها» (و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ) (٥).

هذا، و لا- يخفى لطف قوله عليه السلام «و الناس فيها رجلان رجل باع فيها نفسه فأوبقها و رجل ابتاع نفسه فأعتقها» و تقابل كلماته و كأنه نظر إليه عبد الحميد كاتب مروان فى قوله «الناس أصناف مختلفون و أطوار متباينون منهم علق مضنه لا يباع و منهم غلّ مظنه لا يبتاع» فلما قيل له ما الذى مكنك من البلاغه؟ فقال (حفظ كلام الأصل) (٦)- يعنيه عليه السلام- و تمنى ابراهيم بن عباس الكاتب

ص: ٥٨٥

١- (١) الطبعة المصريه: ٦٥٩ ح ١٣٤.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٩ ح ١٢٩، و [١] الخطيه: ٣٢١، لما ذكر و شرح ابن ميثم ٥: ٣١٦ ح ١٢٣، [٢] بلفظ (فيها).

٣- (٣) البقره: ٨٦. [٣]

٤- (٤) البقره: ٩٠. [٤]

٥- (٥) البقره: ٢٠٧. [٥]

٦- (٦) الكتاب و الوزراء للجهمشيارى: ٨٢. [٦]

كلام عبد الحميد ذاك أن يكون له.

٢٤

الحكمه (٢٥١)

و قال عليه السلام:

مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةٌ الْآخِرَةُ - وَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ أَقُولُ: قَالَ تَعَالَى «فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» (١).

و في (الكافي) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «إِنَّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا إِضْرَارًا بِالْآخِرَةِ، وَ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ إِضْرَارًا بِالدُّنْيَا، فَأُضْرَبُوا بِالدُّنْيَا فَإِنَّهَا أَحَقُّ بِالْإِضْرَارِ».

و لبعضهم: طلاق الدنيا مهر الجنة (٢).

٢٥

الحكمه (٢٦٩)

و قال عليه السلام:

النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ - عَامِلٌ لِلدُّنْيَا - قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ - يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُقُهُ الْفَقْرَ وَ يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ - فَيُفْنِي عُمْرَهُ فِي مَنَفَعَةٍ غَيْرِهِ فِي (الكافي) عن الصادق عليه السلام «في مواضع لقمان لابنه - إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا لهم، و لم يبق من جمعوا له، و إنما أنت عبد مستأجر، قد امرت بعمل و وعدت عليه أجرا، فأوف عملك و استوف

ص: ٥٨٦

[١] - (١) النزاعات: ٣٧-٤١. [١]

[٢] - (٢) الكافي ١٩٨: ٣. [٢]

أجرِك، و لا تكن فى هذه الدُّنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر، فأكلت حتى سمنت فكانت حتفها عند سمنها» (١).

و فى (العقد): دخل الحسن البصرى على ابن الأَهمم يَعوده فى مرضه فرآه يصوّب بصره فى صندوق فى بيته و يصعده، ثم قال: يا أبا سعيد! ما تقول فى مائه ألف فى هذا الصندوق لم أؤدّ منها زكاه و لم أصل منها رحماً؟! قال: ثكلتك امّك! و لمن كنت تجمعها؟ قال: لرّوعه الزّمان و جفوه السّيلطان و مكائثره العشير، ثم مات فشهدته الحسن، فلما فرغ من دفنه، قال: انظروا إلى هذا المسكين أتاه شيطانه، فحدّره روعه زمانه، و جفوه سلطانه، و مكائثره عشيرته، عمّا رزقه الله إياه، و غمره فيه، انظروا كيف خرج منها مسلوباً محروباً، ثم التفت إلى الوارث فقال: أيّها الوارث! لا تخدعنّ اليوم كما خدع صويحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالاً فلا يكوننّ عليك و بالاءأتاك عفوا صفوا ممّن كان له جموعاً منوعاً، من باطل جمعه، و حقّ منعه، قطع فيه لجج البحار، و مفاوز القفار، لم تكدح أنت فيه بيمين، و لم يعرق لك فيه جبين، إنّ يوم القيامة يوم ذو حسرات و إنّ من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك، فيا لها عشره لا تقال، و توبه لا تنال (٢).

و قالوا: إذا أمسكت المال فأنت للمال، و إن أنفقته فالمال لك (٣).

«و عامل عمل فى الدُّنيا لما بعدها فجاءه الذى له من الدُّنيا بغير عمل، فأحرز الحظّين معاً، و ملك الزّادين جميعاً، فأصبح و جيبها عند الله، لا يسأل الله حاجه فيمنعه» فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام: إنّ الله عزّ و جل يقول: و عزّتى و جلالى و عظمتى! لا

ص: ٥٨٧

١- ١) الكافى ٣: ٢٠٢ ح ٢٠. [١]

٢- ٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ١٧٣. [٢]

٣- ٣) الطوائف للمقدسى: ٧٠.

يؤثر عبد هواى على هوى نفسه إلا كفت عليه ضيعته و ضمنت السماوات و الأرض رزقه، و كنت له من وراء تجاره كل تاجر
(١).

و عن الصادق عليه السلام: من أصبح و أمسى و الدنيا أكبر همّه، جعل الله الفقر بين عينيه، و شتت أمره، و لم ينل من الدنيا إلا ما
قسم له، و من أصبح و أمسى و الآخرة أكبر همّه، جعل الله الغنى فى قلبه و جمع له أمره (٢).

٢٦

الحكمه (٣٥٩)

و قال عليه السلام:

يا أشرى الرغبه أى: أسراء الرغبه فى الدنيا، و الحرص عليها، و فى الخبر: أغنى الغناء من لم يكن للحرص أسيرا (٣).

«اقصروا» أى: انزعوا عن الرغبه فى الدنيا.

«فان المعرج على الدنيا» أى المقيم عليها، يقال: «عرج فلان عن المنزل» إذا حبس مطيته عليه و أقام.

«لا يروعه منها» أى: لا يفزعه منها.

«إلا صريف انياب الحدثان» الصيريف: الصوت، و الانياب: جمع الناب و هو المحدد من الأسنان و الحدثان- بالتحريك- حوادث
الدهر قال الشاعر:

كنت لهم فى الحدثان نابا انفى العدى و ضيغما و ثابا

كان جعفر البرمكى فى مجلس لهوه يغنيه مغنيه:

و لو فوديت من حدث الليالى فديتك بالطريف و بالتلاد

ص: ٥٨٨

١- (١) الكافى ٣: ٢٠٥ ح ٢. [١]

٢- (٢) المصدر نفسه ٤: ٨ ح ١٥. [٢]

٣- (٣) الكافى ٢: ٣١٦ ح ٧. [٣]

إذ هجم عليه مسرور-خادم الرّشيد-وقال له جئتكَ لأخذ رأسك فأكبّ عليه يقبّل رجليه أن يؤخّر ذلك و يحضره حيّا عنده، ثمّ يرى فيه رأيه، فلم يلتفت إليه و أخذ رأسه في ذيل قبائه، ولما و كلّ بأبيه يحيى البرمكى بعد قتله في داره حتى هتكت ستوره و جمعت أمواله، قال للموكل به: هكذا تقوم السّاعه (١).

«أيّها النّاس تولّوا عن أنفسكم تأديبها» فإنّ النّفس اّماره بالسّوء فما لم تجدّ في تأديبها تهلك كدابه شמוש و عدوّك الشّديد الّذى لو لم تحاربه و تقتله قتلك.

«و اعدلوا بها عن ضراوه عاداتها» في (الجمهره): ضرى على الشّى يضرى ضراء و ضراوه، إذا اعتاده (٢).

و في الحديث: له ضراوه كضراوه الخمر.

و في (النهايه): (ضرى بالشّى يضرى ضراء و ضراوه فهو ضار: إذا اعتاده) و منه الحديث: إنّ للاسلام ضراوه، أى: عاده و لهجا به لا يصبر عنه (٣).

و قال الأزهرى في قول عمر: إنّ للحم ضراوه كضراوه الخمر» أى: له.

عاده طلابه لآكله كعاده الخمر مع شاربها فمن اعتاد الخمر أسرف في التّفقه و لم يتركها فكذلك من اعتاد اللّحم لم يكد يصبر عنه (٤).

قال تعالى: «و أمّا من خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى فإنّ الجنّه هي المأوى» (٥).

ص: ٥٨٩

١-١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٧٧:٦-١٧٨، [١] ذكرها مع تغيير طفيف.

٢-٢) الجمهره لابن دريد: ١٠٦٦ ([٢] ر ض و اى).

٣-٣) النهايه لابن الأثير ٣:٨٦ ([٣] ضرا).

٤-٤) النهايه لابن الأثير ٣:٨٦. [٤]

٥-٥) النزاعات: ٤٠-٤١. [٥]

هذا، و ابن أبي الحديد نقله: «عن ضرايه عاداتها» و الصواب: ما هنا كما هو المفهوم (١) مما نقل عن الراوندى فى (تفسيره)، و كما فى (ابن ميثم) (٢) و ان نسب الضرايه أيضا إلى نسخه.

٢٧

الحكمه (٣٦٧)

و قال عليه السلام:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِقٌ - فَتَجَبُّوا مَرْعَاهُ قَلَعْتُهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا - وَ بُلْغَتُهَا أَرْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا - حُكْمٌ عَلَى مُكْثَرِهَا بِالْفَاقِهِ - وَ أَعْيَنَ مَنْ غَنَى عَنْهَا بِالرَّاحِ - وَ مَنْ رَاقَهُ زِبْرُجُهَا أَعْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَهَا - وَ مَنْ اسْتَشَعَرَ الشَّعْفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَانًا - لَهُنَّ رَقِصٌ عَلَى سُؤْيِدَائِ قَلْبِهِ - هَمٌّ يَشْغَلُهُ وَ هَمٌّ يَحْزُنُهُ - كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ مُنْقَطِعًا أَبْهَرَاهُ - هَيِّنًا عَلَى اللَّهِ فَنَائِؤُهُ وَ عَلَى الْإِبْخَوَانِ الْفَنَائِؤُهُ - وَ إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ - وَ يَفْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْإِضْطِرَارِ - وَ يَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَ الْإِبْغَاصِ - إِنْ قِيلَ أَتْرَى قِيلَ أَكْدَى - وَ إِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ - هَذَا وَ لَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» هَكَذَا فى (المصريه) (٣) و لكن فى (ابن أبي الحديد): «أَيُّهَا النَّاسُ» (٤) و هو الصحيح.

«متاع الدنيا حطام» الحطام: ما تكسر من اليبس.

ص: ٥٩٠

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٩:٢٧٦ «ضراوه» ح ٣٦٥.

٢-٢) شرح ابن ميثم ٥:٤١٨ (٣٤٠). [١]

٣-٣) الطبعة المصريه: ٧٤٢.

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩:٢٨٥ ح ٣٧٣. [٢]

«موبىء» من أوبات الأرض صارت ذات و باء.

«فتجنّبوا مرعاه» فى (الصحيح): الرعى - بالكسر - الكلاء، و بالفتح المصدر، و المرعى: الرعى، و الموضع و المصدر (١).

قلت: الأول و الثانى واحد فالكلاء موضع الرعى و بالجملة المرعى يكون اسم مكان و مصدرا ميميّا.

«قلعتها» - بالضّم - أى: عدم استيطانها.

«أحظى» أى: أكثر منزله من (حظيت المرأة عند زوجها).

«من طمأنينتها» أى: السكون إليها لم يقل عليه السلام: (من نجعتها) مع أنّه أنسب لفظا - و النجعه: طلب الكلاء فى موضع الكلاء، لأنّ الإنسان ما دام فى الدّنيا لا بدّ له من نجعه له منها إلّا أنّ الواجب إلّا يكون له طمأنينه إليها، قال تعالى «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (٢).

و قال البحرى:

و من يعرف الأيام لا ير خفضها نعيما و لا يعدد تصرفها بلوى

(٣) «و بلغتها» بالضّم أى: ما يتبلّغ به من العيش.

«أزكى من ثروتها» «وَ لَا تَمِيدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى» (٤)، «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَيْنَ نُسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» (٥).

ص: ٥٩١

١-١ (١) الصحيح: (١) [رغى].

٢-٢ (٢) يونس: ٧-٨. [٢]

٣-٣ (٣) ديوان البحرى ١:٢٩١ يمدح أبا عيسى ابن صاعد.

٤-٤ (٤) طه: ١٣١. [٣]

٥-٥ (٥) المؤمنون: ٥٥-٥٦. [٤]

«حکم علی مکرّیها بالفاقه» لأنها کماء البحر کما شرب منه العطشان إزداد عطشا حتّى یقتله، و من كانت الدنیا همّه شتت الله أمره و جعل الفقر بین عینیه، و قال علیه السلام: منهومان لا یسبعان طالب علم و طالب دنیا (۱).

«و أعین من غنی عنها بالراحه» و لنعم ما قال الشیرازی بالفارسیه:

حافظا ترک جهان گفتن طریق خوشدلی است تا نه پنداری که احوال جهانداران خوش است

(۲) هذا، و بدّل ابن أبی الحدید (۳) «و أعین» بقوله: «و أغنی»، و جعل «و أعین» روايه.

«و من» هكذا فی (المصريه) و لكن فی (ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۴): «من» بدون واو.

«راقه» ای: أعجبه.

«زبرجها» ای: زینتها.

«أعقت ناظریه» الناظر سواد العین.

«کمها» بفتح العین مصدر (کمه) بالكسر و الاکمه من ولد أعمی قال تعالی «أَ فَلَمْ یَسِیْرُوا فِی الْأَرْضِ فَتَکُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ یَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ یَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَکِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ» (۵).

«و من استشعر الشّعف بها» ای: جعل الشّعف بها شعاره و الشّعف حبّ محرق للقلب.

ص: ۵۹۲

[۱- ۱] (۱) الکافی ۵۷: ۱ ح [۱].

[۲- ۲] (۲) دیوان حافظ الشیرازی: ۵۹.

[۳- ۳] (۳) شرح ابن أبی الحدید ۱۹: ۲۸۶.

[۴- ۴] (۴) شرح ابن أبی الحدید ۱۹: ۲۸۶، و ابن میثم ۵: ۴۲۱ و الطبعه المصریه: ۷۴۲ مع «و».

[۵- ۵] (۵) الحج: ۴۶. [۲]

«ملأت ضميره اشجانا» أي: أحزاننا.

«لهنّ رقص» الرقص حركة مع رفع و خفض فكما يقال رقص المخنث يقال رقص البعير و رقص النبيذ، قال حسّان:

بزجاجه رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

(١).

«على سويداء قلبه» في الطبرى: بعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبي و كانت الديلم غلبوا عليها، فكتب عهده على الرّى فخرج معسكرا بحمام أعين، فلما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان و أقبل إلى الكوفة دعاه فقال له: سر إلى الحسين فاذا فرغت منه سرت إلى عمّلك، قال: ان رأيت تعفينى قال على أن تردّ عهدنا فقال:

امهلنى اليوم انظر فانصرف يستشير نصحائه فلم يكن ليستشير أحدا إلاّ نهاه و جاءه حمزه بن المغيرة بن شعبه ابن اخته فقال: يا خال! أنشدك الله أن تسير! فو الله لئن تخرج من دنياك و مالك و سلطان الأرض كلّها لو كان لك خير من أن تلقى الله بدم الحسين عليه السلام فقال له: أفعل، و قال: عبد الله بن يسار الجهنى.

دخلت على عمر و قد أمر بالمسير فقال: إنّ الأمير أمرنى و أبيت، فقلت: أصبت، أحل و لا تسر فخرجت من عنده فأتاني آت، و قال: هذا ابن سعد يندب الناس إلى الحسين عليه السلام فأتيته فاذا هو جالس، فلما رآنى أعرض بوجهه فعرفت أنّه قد عزم (٢).

«همّ يشغله و همّ يحزنه» هكذا فى (المصريه) (٣) و الصواب: «همّ يشغله و غمّ يحزنه» كما فى (ابن أبى الحديد) (٤).

ص: ٥٩٣

١-١ (١) العين، [١] الفراهيدى ٥:٦٢.

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٤:٣٠٩. [٢]

٣-٣ (٣) المصريه: ٧٤٢.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٢٨٥. [٣]

«حتى يؤخذ بكظمه» أى: مخرج نفسه.

«فيلقى بالفضاء» أى: الساحة و ما اتسع من الأرض.

«منقطعا ابهرا» عرقان مستبطننا الصّلب إذا انقطعا لم يبق الشخص.

«هَيْتَا عَلَى اللَّهِ فِئَاؤُهُ» قَالَ تَعَالَى فِي فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» (١).

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: مرّ عيسى عليه السلام على قرية قد مات أهلها و طيرها و دوابها فقال: اما أنهم لم يموتوا إلا بسخط و إلا لتدافنوا فقال الحواريون له: ادع الله تعالى أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها فنادى عيسى عليه السلام ربّيه فنودى من الجوّ ان نادهم فقام على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية فأجاب مجيب: (لبيك يا روح الله) فقال: ويحكم! ما كانت أعمالكم قال: عباده الطّاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفله فى لهو فقال: كيف كان حبكم للدّنيا؟ قال: كحبّ الصّبى لأمّه إذا أقبلت علينا فرحنا و سررنا و إذا أدبرت بكينا و حزنا، قال:

فكيف كان عبادتكم للطّاغوت؟ قال الطّاعه لأهل المعاصى. قال: كيف كان عاقبه أمركم؟ قال: بتنا ليله فى عافيه و أصبحنا فى الهاويه، جبال من نار توقد علينا إلى يوم القيامة، فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحواريين فقال: (أكل الخبز الشّعير مع الملح الجريش و التّوم على التّراب خير كثير مع عافيه الدّنيا و الآخرة) (٢).

ص: ٥٩٤

١-١ (١) الدخان: ٢٥-٢٩. [١]

٢-٢ (٢) الكافى ٤:٦ ح ١١. [٢]

«و على الاخوان القاءه» فى (الكافى) عنه عليه السلام: ان ابن آدم اذا كان فى آخر يوم من ايام الدنيا و اول يوم من ايام الآخرة مثل له ماله و ولده و عمله فيلتفت إلى ماله فيقول و الله انى كنت عليك حريصا شحيحا فمالى عندك؟ فيقول: خذ منى كفنك فيلتفت إلى ولده فيقول: و الله انى كنت لكم محبا و عنكم محاميا فما ذا لى عندكم؟ فيقولون نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها (١).

«و إنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار» فى (الكششى): مرّ سلمان بالكوفه على الحدادين و إذا شاب قد صرع و الناس اجتمعوا حوله، فقالوا له لو جئت فقرأت فى أذنه فدنا منه فرفع رأسه و قال لسلمان: ليس فى شىء ممّا يقول هؤلاء، لكننى مررت بهؤلاء الحدادين و هم يضربون بالمرازب فذكرت له قوله تعالى: «و لَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» (٢) فأتخذه سلمان أخا فلم يزل معه حتى مرض الشاب فجاءه سلمان و هو فى الموت، فقال: يا ملك الموت! ارفق بأخى، فقال: يا أبا عبد الله إننى بكل مؤمن رفيق (٣).

«و يقات منها» أى: يأخذ قوته منها.

«ببطن الاضطرار» فى (الكششى) قال أبوذر: من جزى الله عنه الدنيا خيرا فجزاها عنى شرا بعد رغيفى شعير أتغدى بأحدهما و أتعشى بالآخر و بعد شملتى صوف أتزر بأحدهما و أرتدى بالآخرى (٤).

«و يسمع فيها باذن المقت و الإبغاض» فى (ابن أبى الحديد): زارت رابعه العدويه أصحابها، فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها.

ص: ٥٩٥

١-١) المصدر نفسه ٢٣١٣ ح ١. [١]

٢-٢) الحج: ٢١. [٢]

٣-٣) رجال الكششى للطوسى: ٢٨ رقم ٤٣.

٤-٤) المصدر نفسه: ٢٨ (٥٣).

و كَفُوا، فلو لا موقعها في قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها، إن من أحب شيئا أكثر من ذكره (١).

«إن قيل أثرى قيل أكدي» قال ابن أبي الحديد وغيره: يعني بينا يقال أثرى، قيل: افتقر لأن هذه صفة الدنيا في تقلبها بأهلها، وهو كما ترى فإن (أكدي) ليس بمعنى افتقر بل بمعنى بخل الغنى (٢).

ففي (الجمهره): كدى الرجل و أكدي: إذا بخل، و كدى المعدن و أكدي: إذا لم يخرج منه شيء (٣). و قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى» (٤).

قال الجوهري: أي: فقطع القليل (٥) أيضا.

و حينئذ فالمراد ذم الدنيا بكون مثرى أهلها بخيلا منوعا مع ثروته.

«و إن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء» قال ابن أبي الحديد: يعني: إن فرح له بالبقاء و دوامها قيل مات و عدم (٦).

قلت: بل الظاهر إن المعنى أن أهله و إن فرحوا ببقائه لهم لكن يحزنون دائما من خوف موته و فئائه، فقالوا: كان لامرأه ابن واحد فمات، فقالت: ليس لي بعدك هم فإتما كان همي لك.

«هذا» أي: خذ هذا-أو-احفظ هذا، الذي شرحت من وصف دنياهم الحاضرة.

ص: ٥٩٦

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩:٢٨٧. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ١٩:٢٨٧. [٢]

٣-٣ (٣) جمهره اللغة لابن دريد: ٦٨١ [٣] د ك ي).

٤-٤ (٤) النجم: ٣٣-٣٤. [٤]

٥-٥ (٥) الصحاح [كدي].

٦-٦ (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩:٢٨٧. [٥]

«و لم يأتهم يوم فيه ييلسون» أى: برزخهم و محشرهم، و الإبلاس: عدم القدره على التكلّم من الدهشه، قال تعالى: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١)، و قال عز و جل «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» (٢)، «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفْتَتَرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَ نَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَ لَكِن أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» (٣).

٢٨

الحكمه (٣٨٥)

و قال عليه السلام:

مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصِي إِلَّا فِيهَا- وَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَزَكِّيهِمْ أَقُولُ: قال ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغه- ج ١٩ ص ٣٢٦: نسبه الغزالي في (إحيائه) الى أبي الدرداء، و الصحيح كونه من كلامه عليه السلام ذكره الجاحظ ١ الجاحظ- كتاب الجاحظ- في غير موضع من كتبه (٤).

قلت: لعلّه وقف على نسبه إليه عليه السلام في غير بيانه من كتبه و إلا ففي بيانه نسبه تاره إلى أبي الدرداء و اخرى إلى عيسى عليه السلام، و كيف كان، فإن ثبت تكلم أبي الدرداء به، لا يبعد أن يكون أخذه منه عليه السلام .

«من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها» في (اللّهوف): جاء عبد الله بن

ص: ٥٩٧

[١- ١] الأنعام: ٤٤-٤٥. [١]

[٢- ٢] الروم: ١٢. [٢]

[٣- ٣] الزخرف: ٧٤-٧٨. [٣]

[٤- ٤] شرح ابن أبي الحديد ٣٢٦: ١٩. [٤]

عمر إلى الحسين عليه السلام لَمَّا أراد الخروج من مكَّه إلى الكوفة، فأشار عليه بصلح أهل الضَّلال و حدَّره من القتل و القتال، فقال له: أما علمت أن من هو ان الدنِّيا على الله تعالى أن رأس يحيى أهدي إلى بغيا بنى إسرائيل، أما تعلم أن بنى اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون و يشترون كأن لم يصنعوا شيئا! فلم يعجل الله تعالى عليهم بل أخذهم بعد ذلك (١).

و في (الإرشاد): قال علي بن الحسين عليهما السلام: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلا و لا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا و قال يوما: و من هو ان الدنِّيا على الله عزَّ و جلَّ أن رأس يحيى أهدي إلى بغيا بنى اسرائيل، و امَّا في القيامة، فخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا و ضلَّ عنهم ما كانوا يفترون، فكيف يتأتى من أحد عصيانه (٢) «يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (٣)، «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» (٤).

«و لا- ينال ما عنده إلا بتركها» «وَ رَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» (٥)، «وَ لَوْ لَا- أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَ لِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَ سُرُوراً عَلَيْهَا يَنكَبُونَ»

ص: ٥٩٨

١- ١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاوس: ٢٦.

٢- ٢) الإرشاد للمفيد ١٣٥: ٢ ح ١٣. [١]

٣- ٣) التحريم: ٦. [٢]

٤- ٤) غافر: ١٦. [٣]

٥- ٥) الزخرف: ٣٢. [٤]

«وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» (١).

و في (الكافي) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لا يجد الرُّجُل حلاوه الايمان في قلبه حتّى لا يبالي من أكل الدُّنيا، حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوه الايمان حتّى تزهد في الدُّنيا (٢).

و عن الصادق عليه السلام: خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ محزون فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الأرض فقال: يا محمّد! هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربّك: افتح و خذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الدُّنيا دار من لا دار له، و لها يجمع من لا عقل له، فقال له الملك:

و الذي بعثك بالحقّ نبياً! لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقول في السَّماء الرّابعة حين أعطيت المفاتيح (٣).

و عنه عليه السلام: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مالي و للدُّنيا! و ما أنا و الدُّنيا إنّما مثلي و مثلها كمثل راكب رفعت له شجره في يوم صائف فقال- من القيلولة- تحتها ثمّ راح و تركها (٤).

و مرّ في فصل زهده عليه السلام قوله: و الله لدنياكم هذه أهون في عيني من عرق خنزير في يد مجذوم، (و لأفئتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفه عز)، (و إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقه في فم جراده تقضمها، ما لعلّي و لنعيم يفنى و لذّه لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل و قبح الرّلل (٥).

ص: ٥٩٩

١-١ (١) الزخرف: ٣٣-٣٥. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ٣: ١٩٤ ح ٢. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٥ ح ٨. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٣: ٢٢ ح ١٩. [٤]

٥-٥ (٥) الكافي ٣: ٢٠٢ ح ١٩. [٥]

و قال عليه السلام فى صفه الدنيا:

تَغُرُّ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ هَا ثَوَابًا لِأَوْلِيَائِهِ - وَ لَا عِقَابًا لِأَعْدَائِهِ وَ إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ - بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا «تغرّ و تضرّ و تمرّ» الثلاثة بضمّ العين و(تمرّ) من المرور، لا المراره، شبه عليه السلام الدنيا بمن جاءك فغرك و ضرك ثم مرّ و تركك، أمّا غرّتها الإنسان، فقد قال تعالى: «وَ ذَرِ الدِّينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَ لَهْوًا وَ عَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» (١)، «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ أَحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» (٢)، «وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَ مَا أَوَاكُمْ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» (٣)، «و أما ضرّها للإنسان فلأنّ الغرّ يستلزم الضرّ، و قال تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» (٤)، «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ» (٥)، و أمّا مرورها فكنايه عن عدم مبالاتها بما أصيب به من أصيب بواسطتها، و قال ابن ميثم: «تمرّ» بضمّ التاء من الإمرار لما يستلزمه فراقها

ص: ٦٠٠

[١ - ١] (١ - الأنعام: ٧٠). [١]

[٢ - ٢] (٢ - لقمان: ٣٣). [٢]

[٣ - ٣] (٣ - الجاثية: ٣٤). [٣]

[٤ - ٤] (٤ - الكهف: ١٠٣). [٤]

[٥ - ٥] (٥ - البقره: ٨٦). [٥]

من ألم الحزن و الجزع كآلم المرار، و روى «و تمرّ» بفتح التاء أى: تذهب» (١).

قلت: أمّا ما قاله أوّلا من كون (تمرّ) من المراره فيسقط الكلام عن الفصاحه، و أمّا ما قاله ثانيا من تعين كون (تمرّ) بفتح التاء لمعنى الذهاب فمطلقا ممنوع، و إنّما هو مع ضمّ الميم، و أمّا مع فتحها أيضا فهو بمعنى المراره أيضا ففى (الصحاح): (أمرّ الشىء): صار مرّا، و كذلك (مرّ الشىء) يمرّ- بالفتح- مراره فهو مرّ و أمرّه غيره و مرّه).

«إنّ الله لم يرضها ثوابا لأوليائه» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: (لو لا إلحاح المؤمنين - و فى خبر (هذه الشيعة) - على الله فى طلب الرزق لنقلهم من الحال التى هم فيها إلى ما هو أضيّق (٢)).

و عنه عليه السلام: (ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيرا و لا كافرا إلا غنيا حتى جاء ابراهيم عليه السلام، فقال: «ربّنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا» (٣)، فصير الله فى هؤلاء أموالا - و حاجه و فى هؤلاء أموالا و حاجه) و عنه عليه السلام: (إنّ الله تعالى يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر اليهم فيقول، و عزّتى! ما أفقرتكم فى الدنيا من هوان بكم علىّ، و لترون ما أصنع بكم اليوم، فمن زوركم فى دار الدنيا معروفا فخذوا بيده، و أدخلوه الجنه، فيقول رجل منهم يا ربّ إنّ أهل الدنيا تنافسوا فى دنياهم، فنكحوا النساء، و لبسوا الثياب اللينه، و أكلوا الطعام، و سكنوا الدّور، و ركبوا المشهور من الدّوابّ، فأعطنى مثل ما أعطيتهم، فيقول تعالى: و لكلّ منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت إلى أن انقضت سبعين ضعفا)، و عنه عليه السلام: أنّه تعالى ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج

ص: ٦٠١

١- ١) شرح ابن ميثم ٤٤٣: ٥ ح ٣٩٠.

٢- ٢) الكافى ٣: ٣٦٣ ح ١٦. [١]

٣- ٣) المصدر نفسه ٣: ٣٦١ ح ١٠ و [٢] الآية ٥ من سوره الممتحنه. [٣]

فى الدنفا؁ كما يعذر الأء إلى آءفه فىقول: و عزى! ما آوءءك فى الدنفا من هوان بك على فارفع هذا السءءف فانظر إلى ما عؤضءك من الدنفا؁ فىرفع فىقول: ما ضرنى ما منعنى مع ما عؤضءنى (١).

«و لا- عقابا لاعدائه» فى (عقاب الأعمال) (٢): ذكر عند الصادق عليه السلام قائل الحسين عليه السلام؁ فقال بعض أصحابه كنت اشءهى أن ىءقم الله منه فى الدنفا فقال عليه السلام: كأنك تستقل له عذاب الله تعالى! و ما عند الله أشء عذابا و آءشى نكالا؁ و فى الدنفا ىموتون بأءنى عذاب؁ و لا ىموتون فى القىامه من أشء عذاب فىقولون لمالك «لئقضى علفنا ربك قال إنكم ما كئون» (٣)؁ و عذاب الدنفا ألمه فى الأول؁ و عذاب الآءره ألمه إلى الأزل «كلما نضءءت جلودهم بءلناهم جلودا عفرها لىءوقوا العذاب» (٤).

«و إن أهل الدنفا كركب بىنا هم حلوا إذ صاح بهم سائءهم فارتحلوا» و قال الأعشى:

إن محلا و إن مرتحلا و إن السفر إذ مضوا مهلا

(٥).

و قال البءىرى:

و ما أهل المنازل غير ركب مناىهم رواح و ابتكار

لنا فى الدهر آمال طوال نرءبها و أعمار قصار

(٦) و قىل بالفارسىه:

ص: ٦٠٢

١- ١) الكافى ٣: ٣٦١ ح ٩. [١]

٢- ٢) عقاب الأعمال: ٢٥٧ ح ١.

٣- ٣) الزءرف: ٧٧. [٢]

٤- ٤) النساء: ٥٦. [٣]

٥- ٥) دىوان الأعشى ىمدح (سلامه): ١٥٤.

٦- ٦) دىوان البءىرى ١: ١٦٠ مدح بنى المقءاد.

مرا منزل جانان چه جای امن چون هر دم جرس فریاد می دارد که برنبدید محملها

أیضا: تا بار نهادی که صدای کوچ است

و قال ابن أبی الحدید: قال أبو العتاهیه:

انّ دارا نحن فیها لدار لیس فیها لمقیم قرار

کم و کم قد حلّها من أناس ذهب اللیل بهم و النهار

فهم الزکب أصابوا مناخا فاستراحوا ساعه ثم ساروا

و کذا الدّنيا علی ما رأینا یذهب النّاس و تخلوا الدّيار

(۱) هذا، و قال ابن أبی الحدید: أكثر أهل العربیّه یمنعون من مجيء (إذ) و (إذا) بعد (بینا) و (بینما) و بعضهم یجیزه و علیه جاء کلامه علیه السلام و أنشدوا:

بینما النّاس علی علیائها إذ هووا فی هوّه منها فغاروا

و قالت بنت النعمان:

و بینا نسوس الناس و الأمر أمرنا إذا نحن فیهم سوقه نتنصّف

و قال:

استقدر الله خیرا و ارضینّ به فیینما العسر إذ دارت میاسیر

و بینما المرء فی الأحياء مغتبط إذ صار فی اللحد تعفوه الأعاصیر

(۲) قلت: لم أدر من منع من أهل العربیه ما قال، بل قال ابن هشام: و من وجوه (إذ) أن تكون للمفاجأه و هی الواقعه بعد (بینا) أو (بینما)... و قال الجوهری: «إذ، لا یلیها إلاّ الفعل نحو قولک بینما أنا کذا إذ جاء زید».

ص: ۶۰۳

۱-۱) دیوان أبی العتاهیه: ۱۰۵-۱۰۶.

۲-۲) شرح ابن أبی الحدید ۵۳: ۲۰. [۱]

الحكمه (٤٥٦)

و قال عليه السلام:

أَلَا- حُرٌّ يَدْعُ هَيْدَةَ اللَّمَاطَةِ لِأَهْلِهَا- إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ تَمَنُّ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا فِي (الصَّحاح): اللَّمَاطَةُ-بِالضَّمِّ- ما يبقى في الفم من الطَّعام و منه قول الشاعر يصف الدُّنيا (لماظَه أَيام كأحلام نائم) (١).

و دعها الحرّ، و لذا قال له الحسين عليه السلام: ما أخطأت أمك حيث سمّتك حرّاً، أنت حرّ في الدُّنيا و الآخرة.

و في (غايه السؤل): «نقل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رأى جابر الأنصاري يتنفس الصّبر عداء فقال عليه السلام له: علام تنفسك، أعلى الدُّنيا؟ قال: نعم، فقال عليه السلام:

ملاذ الدُّنيا سبعة: المأكول، و المشروب، و الملبوس، و المنكوح، و المركوب، و المشموم، و المسموع، فألذّ المأكولات، العسل و هو بصاق من ذبابه، و أجلّ المشروبات الماء، و كفى بإباحته سياحته على وجه الأرض، و أعلى المركوبات الخيل، و هي قواتل، و أجلّ المشمومات المسك، و هو دم من سرّه دابّه، و أجلّ المسموعات الغناء، و الترنّم، و هو إثم، فما هذه صفته لم يتنفس عليه عاقل! قال جابر: فو الله ما خطرت الدُّنيا بعد على قلبي (٢).

و كان عليه السلام يقول: و هو سيّد الأحرار و أمير الفتيان: الدُّنيا عندي بمنزله عرق خنزير في يد مجذوم (٣).

ص: ٦٠٤

١- (١) الصّحاح: [١] لمظ).

٢- (٢) مطالب السؤل: ٥٦.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٦٧. [٢]

«إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها» كان عليه السلام يقول: إذا حضرت بئيه فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازله فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، اعلموا أن الهالك من هلك دينه، والحريب من سلب دينه، ألا وإنه لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار (١).

و في (الطبرى): لَمَّا زحف ابن سعد يوم عاشوراء إلى الحسين عليه السلام قال له الحرّ: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال أى: والله- إلى أن قال- فأخذ الحرّ يدنو من الحسين عليه السلام قليلا- قليلا- فقال له رجل من قومه يقال له مهاجر بن أوس: أ تريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء فقال له المهاجر: إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل شيء أراه الآن! ولو كان قيل لى من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذى أرى منك؟ قال: أتى والله اخير نفسى بين الجنة والنار، والله لا اختار على الجنة شيئا ولو قطعت وحرّقت، ثم ضرب فرسه و التحق بالحسين عليه السلام (٢).

ص: ٦٠٥

١- (١) البحار للمجلسى ٥٥: ٧٨ ح ١٠٣. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٣٢٤: ٤. [٢]

العنوان

رقم الصفحة

الفصل الخامس و الثلاثون-فى مقتله عليه السلام و وصاياه ١

العنوان ١ من الحكمة ٦٠: «و إنَّ على من الله جتّه حصينه...» ٣

العنوان ٢ الحكمة ٢٠١: «انّ مع كلّ انسان ملكين يحفظانه...» ٦

العنوان ٣ من الخطبه ٦٨: «...ملكتنى عينى و أنا جالس...» ٩

العنوان ٤ من الخطبه ١٨٠: «الجهاد الجهاد عباد الله ألا و إننى معسكر...» ١٦

العنوان ٥ من الخطبه ١٤٦: «أيها الناس: كلّ امرىء لاق ما يفرّ منه فى فراره...» ٢٤

العنوان ٦ من الكتاب ٢٣: «...وصيتى لكم ألا تشرکوا بالله شيئاً...» ٥٦

العنوان ٧ من الكتاب ٤٧: «...أوصيکما بتقوى الله، و ان لا تبغيا الدنيا...» ٦٤

العنوان ٨ من الكتاب ٢٤: «...هذا ما أمر به عبد الله على بن أبى طالب...» ٩٦

الفصل السادس و الثلاثون-فى الموت ١١٥

العنوان ١ من الخطبه ٢٠: «فإنکم لو قد عانيتم ما قد عاين من مات منکم...» ١١٣

العنوان ٢ من الخطبه ٦٢: «و اتقوا الله عباد الله، و بادروا آجالکم بأعمالکم...» ١٢٣

العنوان ٣ من الخطبه ٧٤: «رحم الله أمرا سمع حکما فوعى...» ١٣٩

العنوان ٤ من الخطبه ٨١: «جعل لكم أسماعا لتعى ما عناها و أبصارا لتجلو...» ١٤٦

العنوان ٥ من الخطبه ٨٣: «فاتعظوا عباد الله! بالعبر التّوابع...» ١٩٣

العنوان ٦ من الخطبه ٢٠٢: «تجهّزوا رحمکم الله! فقد نودى فيکم بالترحيل...» ١٩٧

العنوان ٧ من الخطبه ١٣٠: «فإنّه و الله الجدّ لا اللّعب، و الحقّ لا الكذب...» ٢٠٦

العنوان ٨ من الخطبه ٢١٦: «يا له مراما ما أبعد، و زورا ما أغفله...» ٢١٧

العنوان ٩ من الخطبه ٢٢٥: «فانّ تقوى الله مفتاح سداد، و ذخيره معاد...» ٢٦٧

العنوان ١٠ من الخطبه ٢٣٢: «فاعلموا و أنتم فى نفس البقاء...» ٢٨٦

العنوان ١١ من الخطبه ٣: «...بلغنى أنك ابتعت دارا بثمانين ديناراً...» ٢٩٠

العنوان ١٢ الحكمة ١٩: «من جرى فى عنان أمله، عثر بأجله...» ٣١٠

العنوان ١٣ الحكمة ٧٤: «نفس المرء خطاه إلى أجله...» ٣١٢

العنوان ١٤ الحكمة ٢٩: «إذا كنت فى إدبار و الموت فى اقبال فما أسرع الملتقى...» ٣١٣

العنوان ١٥ الحكمة ٣١٤: «أيها الناس اتقوا الله الذى إن قلتى سمع...» ٣١٤

العنوان ١٦ الحكمة ٧٥: «كلّ معدود منقض، و كلّ متوقّع آت...» ٣١٥

العنوان ١٧ الحكمة ١٥: «...كيف يكون حال من يفنى ببقائه...» ٣١٧

العنوان ١٨ الحكمة ١٢٢: «...كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب...» ٣١٩

العنوان ١٩ الحكمة ١٣٠: «...يا أهل الديار الموحشه، و المحالّ المقفره...» ٣٢٢

العنوان ٢٠ الحكمة ١٣٢: «إنّ لله ملكا ينادى فى كلّ يوم: لدوا للموت...» ٣٣٣

العنوان ٢١ الحكمة ١٦٨: «الأمر قريب و الاضطحاب قليل...» ٣٣٥

العنوان ٢٢ الحكمة ١٨٢: «الرّحيل و شيك...» ٣٣٦

العنوان ٢٣ الحكمة ٤١٩: «مسكين ابن آدم: مكتوم الأجل، مكنون العلل...» ٣٣٦

العنوان ٢٤ الحكمة ٣٣٤: «لو رأى العبد الأجل و مسيره لأبغض الأمل...» ٣٤٠

العنوان ٢٥ الحكمة ٣٦: «من أطال الأمل أساء العمل...» ٣٤١

العنوان ٢٦ الحكمة ٣٣٥: «لكلّ امرئ فى ماله شريكان: الوارث و الحوادث...» ٣٤٢

العنوان ٢٧ الحكمة ٣٨٠: «ربّ مستقبل يوما ليس بمستدبره...» ٣٤٢

العنوان ٢٨ من الخطبه ٨٢: «فليعمل العامل منكم فى أيام مهله قبل...» ٣٤٣

العنوان ٢٩ من الخطبه ٨٦: «عباد الله، زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا...» ٣٤٩

العنوان ٣٠ من الخطبه ٩٠: «اعملوا، رحمكم الله، على اعلام بينه...» ٣٥٠

العنوان ٣١ من الخطبه ١٧٨: «فبادروا المعاد و سابقوا الآجال...» ٣٥٢

العنوان ٣٢ من الخطبه ١٨٨: «أوصيكم أيها الناس بتقوى الله و كثره حمده...» ٣٥٤

العنوان ٣٣ من الخطبه ١٨٥: «فاعتصموا بتقوى الله، فإن لها جبلا وثيقا...» ٣٦١

العنوان ٣٤ من الخطبه ١٠٥: «سبحانك خالقا و معبودا بحسن بلائك...» ٣٦٥

ص: ٦٠٨

الفصل السابع و الثلاثون- فى ذم الدنيا و فنائها ٣٨٣

العنوان ١ من الخطبه ٤٤:«الحمد لله غير مقنوط من رحمته...»٣٨٥

العنوان ٢ من الكتاب ٣١:«و اعلم انك انما خلقت للآخرة لا للدنيا...»٣٩١

العنوان ٣ الحكمة ٣٩١:«ازهد فى الدنيا يبصرك الله عوراتها...»٤٠٤

العنوان ٤ من الخطبه ٥١:«ألا و إن الدنيا قد تصرمت...»٤٠٦

العنوان ٥ الحكمة ٣٩٣:«خذ من الدنيا ما أتاك، و تولّ عما تولّى...»٤١٦

العنوان ٦ من الخطبه ٧٩:«ما أصف من دار أولها عناء! و آخرها فناء...»٤١٧

العنوان ٧ من الخطبه ٨٠:«أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب الأمثال...»٤٢٥

العنوان ٨ من الخطبه ٩٥:«نحمده على ما كان، و نستعينه من أمرنا...»٤٣٣

العنوان ٩ من الخطبه ٩٩:«انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادقين...»٤٤٤

العنوان ١٠ من الخطبه ١٠٧:«أما بعد فإننى احذركم الدنيا...»٤٤٧

العنوان ١١ من الخطبه ١٠٩:«و احذركم الدنيا فإنها منزل قلعه...»٤٨٣

العنوان ١٢ من الخطبه ١١٠:«الحمد لله الواصل الحمد بالنعيم و النعم بالشكر...»٤٩٤

العنوان ١٣ من الخطبه ١٢٩:«و إنما الدنيا منتهى بصر الأعمى...»٥٢٣

العنوان ١٤ من الخطبه ١٤١:«أيها الناس إنما أنتم فى الدنيا غرض تنتقل...»٥٢٥

العنوان ١٥ من الخطبه ١٧٠:«أيها الغافلون غير المغفول عنهم...»٥٣١

العنوان ١٦ من الخطبه ١٩١:«أوصيكم عباد الله بتقوى الله...»٥٣٤

العنوان ١٧ من الخطبه ١٩٨:«أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز...»٥٣٨

العنوان ١٨ من الخطبه ٢٢١:«دار بالبلاء محفوفه، و بالعدر معروفه...»٥٤٢

العنوان ١٩ من الكتاب ٤٩:«أما بعد، فإن الدنيا مشغله عن غيرها و...»٥٤٤

العنوان ٢٠ من الكتاب ٦٨: «...أما بعد فأنما مثل الدنيا مثل الحيّه...» ٥٦٧

-الحكمه ١١٩: «مثل الدنيا كمثل الحيّه لئن مسّها...» ٥٦٧

-من الخطبه ١٥٦: «و أتوكّل على الله توكلّ الإنابه إليه...» ٥٦٧

العنوان ٢١ الحكمه ٦٤: «أهل الدنيا كوكب يسار بهم و هم نيام» ٥٨٢

العنوان ٢٢ الحكمه ٧٢: «الدّهر يخلق الأبدان، و يجدّد الآمال...» ٥٨٣

العنوان ٢٣ الحكمه ١٣٣: «الدّنيا دار ممرّ إلى دار مقرّ...» ٥٨٥

العنوان ٢٤ الحكمه ٢٥١: «مراره الدّنيا حلاوه الآخره...» ٥٨٦

ص: ٦٠٩

العنوان ٢٥ الحكمه ٢٦٩:«الناس في الدنيا عاملان:عامل للدنيا...»٥٨٦

العنوان ٢٦ الحكمه ٣٥٩:«يا أسرى الرعيه...»٥٨٨

العنوان ٢٧ الحكمه ٣٦٧:«يا أيها الناس متاع الدنيا حطام...»٥٩٠

العنوان ٢٨ الحكمه ٣٨٥:«من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها...»٥٩٧

العنوان ٢٩ الحكمه ٤١٥:«...تغرّ و تضرّ و تمرّ،إنّ الله...»٦٠٠

العنوان ٣٠ الحكمه ٤٥٦:«...ألا حرّ يدع هذه اللماظه لأهلها؟...»٦٠٤

ص:٦١٠

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

